الإمام الشيخ

سليمان الأحمد

عضو المجمع العلمي العربي

سيرة حياة مثلى ، تاريخ جهاد يحتذى



آمنت بالله لولا فيض رحمته ... ما كان في الكون تحريك وإسكان

جمع وتأليف وتعليق

ولده الدكتور علي سليمان الأحمد



عنـوان الكتـاب : الإمام الشيخ سليمان الأحمد
جمع وتأليف وتعليق : ولده الدكتور علي سليمان الأحمد
الـنـاشـــــر : دار الفـرقـد
الطبعـة الثانية : 2010

التنفيذ والإشراف : دار الفرقد
الإخـراج الفني : رغداء حلـوم
جمال خلوف
تصميم الغلاف : اسماعيل سويلم

دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع
سـورية ـ دمشـق
هـاتـف : 6660915 - 6618303 (00963-11)
ص . ب : 34312 فاكس: 6660915 (00963-11)
البريـد الإلكـتروني : alfarqad70@ gmail.com / hotmail.com / yahoo.com
الموقع على شبكة الإنترنت : http://www.alfarqad.com

الإمام الشيخ
سليمان الأحمد

عضو المَجمَع العلمي العربي
سيرة حياة مثلى، تاريخ جهاد يحتذى

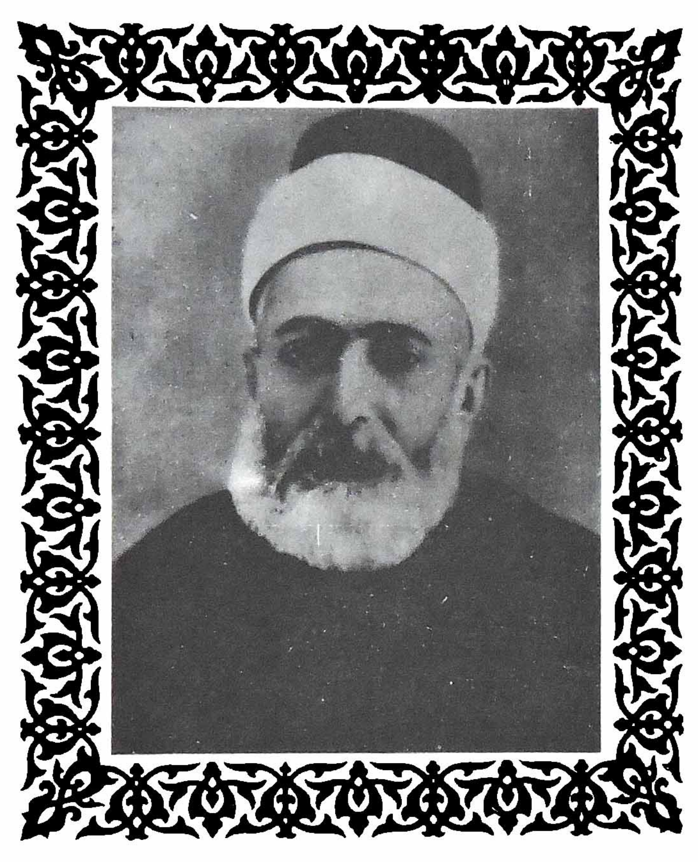
جمعها وألفها وعلّق عليها
ولده
الدكتور علي سليمان الأحمد

الإهداء

أتشرف بإهداء هذا الجهد المتواضع الذي يحكي تاريخ حياة وكفاح من أوقد شعلة نور المعرفة في جَبلنا الحبيب إلى

الرئيس المَناضل المؤمن حافظ الأسَد

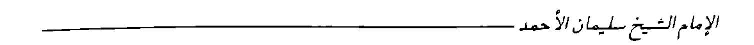
الذي بجدّه وإخلاصه ووفائه للسَجايا الأصيلة صحَّح مسَار التقَدم والتطوّر في أمتنا فولاّه شطر الإيمان وصيّر الشعلة ضيَاءً غامراً والله نَسأل أن يحفظه ويحقق على يَديه النصر وَالوحدة لهذه الأمَّة وأن يرفع شأنه من علٍ إلى أعلى.



الإمام الشيخ

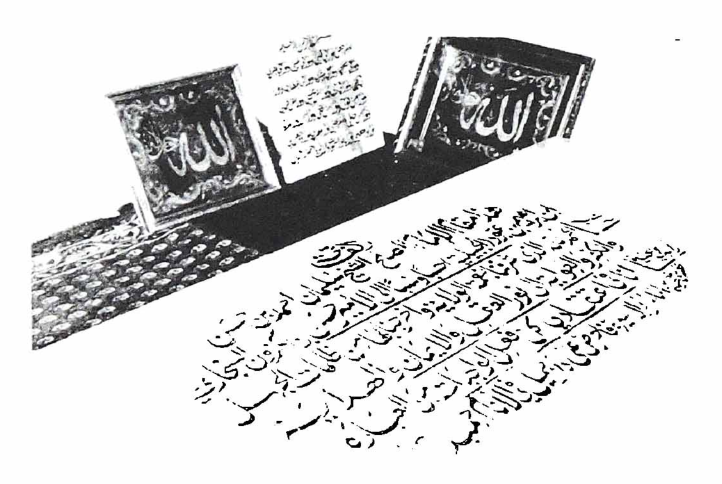
سليمان الأحمد

عضو المجمع العلمي العربي

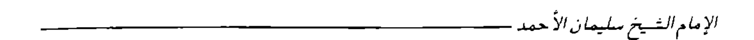




صورة المسجد المقام باسمه وبجانبه ضريح ولده
الشاعر الكبير بدوي الجبل



صورة الرخامة التي تغطي الضريح



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الهداة المهديين

وبعد فقد أجزت الشيخ الجليل الكامل الفاضل التقي النقي أبا يحيى

اللوذعي الشيخ سليمان الأحمد شيخ علماء الشيعة اليوم في

جبل العلويين أن يروي عني مؤلفاتي ومروياتي وجميع ما تصح

لي وعني روايته إجازة عامة على ما فصلته في هذا الثبت وقد

اشتمل على ما فيه بلاغ للاتصال بالكتب الإسلامية وبمصنفيها فليروها

عني بهذه الطرق وبغيرها مما لم أذكره في هذا الثبت والله ولي التوفيق

في ٦ رجب ١٣٥٦

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

صورة الثبت الذي يدخله في سلسلة الرواة الهداة - المتصلة

بسادات الوصيين فخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.

بسمِ اللهِ الرحمن الرحيمِ
وعَليه أتوَكّل وَإليْه أُنيبُ

ذات يوم من سنة ١٢٨٧هـ الموافق ٦٨ ـ ١٨٦٩م وُلِد طفل في قرية صغيرة اسمها الجبيليَّة معلَّقة في أحد السفوح من أعمال قضاء جبله على بُعد نحو عشرة كيلومترات شرقاً من موقع «السخَّابة» المعروف على الطَّريق العامّ الممتدّ بين اللاذقيَّة وبيروت.

هل يستطيع من يعيش في العام ١٩٩٠ أن يكوّن لنفسه صورة عن الزمان والمكان، وعن ظروف الحياة التي كانت سائدة في ذلك الحين إنَّ ذلك لَمِنَ الصعوبة بمكان كبير ـ إذ لا يكفي أن ينتقل المرء بالفكر من عصر الذرة والفضاء إلى القرون الوسطى، بل عليه أن ينتقل وإلى أبعد منها بكثير أي حتى البدائيَّة الأولى ـ ولكن رغم ما في ذلك من صعوبة فلا بدَّ من مكابدتها كي تستشرف شيئاً من عظَمة هذا الطفل الذي سيغدو العلامة الكبير، والمصلح العظيم، والقُدوة المثلى التي تسكن الضمائر، وتُدوّي في الآذان تحت عنوان: «الشيخ سليمان أحمد».

الضد يظهر حسنه الضد

إنَّ خير ما يمكن أن يعطينا صورة عن ذلك العَصر، ويجلو لنا حظَّه من الحضارة، ماديَّة أم معنويَّة، أن ننظر لما نحن فيه وعليه، وأن نستَحضِرَ في الذهن ما كانوا فيه وعليه ـ أما نحن اليوم فيطلع الصباح على أحدنا فينهض من فراشه الوثير ليجد الماء الجاري فيغتسل ثم يلبس فاخر الثياب ـ خفيفة ناعمة في الصيف، وسميكة دافئةً في الشتاء. وبعدها ينتقل إلى طاولة

صُفَّت عليها ألوان شتى من الطعام المغذّي والشهيّ. وإذا أرادت ربَّة البيت أن تجهز طبيخها فأمامها الأواني المرتبة، وما عليها إلا أن تدير مفتاحاً لِتشعل النار، ولتطفئَها إلا أن تقوم بالحركة المعاكسة ـ وإذا أردنا انتقالاً فهناك السيارة التي تحملنا بسرعة غير معهودة إلى حيث نريد، وللأسفار البعيدة الطائرات التي كما كان يحلم أجدادنا في قصصهم الخرافية «مقرّبات كل بعيد» وإذا جَنَّنا الليل فما علينا إلا أن ندير مفتاحاً حتى نصبح في ضياء غامر نخفته كيف ومتى نشاء. هذا ما نحن فيه وعليه. وإني أغفل الكثير ـ فكيف كانوا؟

ينهض القوم بعيد الفجر ولكن ليس عن فراش وثير، بل من على حصير، وربما من على الأرض لأن الحصير لم تتسع لكل أهل البيت لباسهم قميص وسروال من الخام أو مما دونه ـ وليس لهم إلا الحركة دفء في الشتاء ثم يتوزعون كل إلى عمله حلب عنيزات إن كان لهم عنيزات، أو بقرة غالباً ما تكون عجفاء ـ والبعض يمضي إلى ركش الفراغات التي تتجمع بها التربة مما سمَحت به الصخور الناتئة. وآخرون لجمع العيدان اليابسة للاصطلاء والأم إن فاتها استبقاء جمرة عليها أن تشعل فتيلاً أو صوفانةً ثم تُكِبُّ عليها أمام بعض القشّ اليابس أو البلان، تنفخ وتنفخ حتى تشتعل بها الأغصان الدقيقة ثم الأكبر وهكذا حتى يتهيأ لها الوقود، وبعدها فهي في راحة من الاختيار ليس عندها إلا لون واحد، وإن كثر فلونان من الطعام ـ ثم يتحلّقون حول القصعة والسعيد من تتاح له ملعقة من الخشب (خاشوقة) وإلا فعليه الانتظار، أو استعمال الأصابع لأن في الانتظار خطراً أن لا يبقى له شيء..

أما الحذاء فهو شبه منعدم. وقد كان يكفي أحياناً أن يوجد حذاء واحد في القرية كلها يتناوبونه في الحالات النادرة التي ينتقلون بها إلى قرية مجاورة.

وأكتفي بهذا النذر اليسير لأن الغرض ليس الاستقصاء بل وضع معالم يستطيع بها الفكر أن يتصور الهوة السَّحيقة بين حالين.

هذا من جهة الحياة الماديّة أما بما يتعلّق بالحياة الروحية الثقافية فإن أحدنا اليوم يرى مكتظّاً على طاولته وفي مكتبه الكتب والدفاتر وتنتظم أمامه المراجع من قواميس وموسوعات علمية فلا يشكو إلا من صعوبة الاختيار ـ وأبناؤنا يتوجهون إلى مدارس منظمة ومقاعد مريحة، وبين أيديهم الكتب المتقنة الطبع والدفاتر التي لا حصر لعددها، حيث

يتلقاهم أستاذ مدرّب ليشرح ويعلّم وكثير ما لا حاجة في الإفاضة بتفصيله. ولكن كيف كانت حالهم؟ لقد كان خُلُوّ قرى بكاملها ممن يعرف القراءة والكتابة أمراً مألوفاً ومن يعرفها فمبلغ علمه أن يتهجّى الحرف ولولا ما تفرضه الواجبات الدينية من تلاوة القرآن الكريم لكانت الأمية أعَمّ - أما وسائل الدراسة فهي لكل عدَّة قرى معلم يُسمونه الخطيب وهذا يوشكُ هو أيضاً أن يكون أميّاً يقرئهم في الأغلب الربع من القرآن فقط ويعلّمهم كتابة الأحرف وتعليقها لا على الورق إذ من أين الورق إلا في النادر القليل بل على ألواح رخامية تثبّت عليها الكلمات وتُمحَى. وإنّي سأستَغني عن الإستطراد بهذه الكلمات التي وردت في كتاب أرسله لي حينما كنت في فرنسا للدراسة. وذلك بمناسبة عرضت:

«أنا لا أعتذر أيها الحبيب عن تقصيري وأعترف به ومن الذي أدَّى الواجب دونَ إفراط ولا تفريط، على أنَّك أيها الولد العزيز لو اطلعت على تاريخ حياة أبيك، وكيف نشأته وبيئته. والمحيط الذي تربّى به، وكيف استطاع مع ذلك إيجاد مركز كمركزه لعجبت إمّا من الأقدار كيف ترفع من يحق له الاتّضاع أو لعذرتَه في أعماله وعلمت أنه قام بما يجبُ على أمثاله».

لقد كان سيّدنا الوالد غفر الله له، وجزاه عنا خير الجزاء غنيّاً بالعلوم الدينية، ولم يدَّخر وسعاً دوننا كان يغتنم فرصة الشعر يقع له، والدعاء يستكتبه لنا لكي نحفظه وإذا وجد خطّاطاً يكتب لنا خطّاً جميلاً لنقتنيه على بلاطة الرخام لأن الورق كان معوزاً. أما أن يكون لنا كتاب نقرأه فهذا من النوادر. وإذا علمت أنني حفظت قصة يوسف شعراً نظمه الشيخ «رجب عناب» أوّله.

أقول ودمعتي على الخد سالي ... وناري بالحشَى زادت شعالي

وهو كتاب طويل علمتَ عوَز الكتب. وقد كنت مولعاً بالقراءة في صِغَري، إلى حد أنني أتطفل على مَن عنده كتاب من إخوان العائلة وأسأله النظر فيه ولو ساعة وقليلاً ما كانت تُجاب طلبتي اللهم إلا عند المقدس المرحوم العم الأكبر الشيخ إبراهيم صارم فكانَ يسمح لي بالكتاب أقرؤه بشرط أن لا يخرج من البيت وما أنسى في حياتي لا أنسى مرةً اغتنمت الفرصة وانسللت من البيت سراً لأجتمع «بكتاب» عنده فلما خرجتُ من البيت إذا بعارض

مطر قويّ يندفع كأفواه القرَب والمحل قريب فركضت فزلّت رِجْلي وأصابت أخمصي سلاطة محددة جرحَتني جرحاً بالغاً أثَره باقٍ إلى الآن. فلما وصلت إلى البيت غرقان، ووقفت أمام المرحوم عمي رأى الدم يسيل في أرض البيت بكثرة فقال ما هذا؟ ولم يشعر ولم أشعر إلا وقد غلبتني الصفرة وغشي عليَّ لكثرة ما نزف من الدم».

أظن أنه أصبح لدى القارئ صورة كافية عن الجو الذي ترعرع فيه، ولا يُظَنَّنَّ ظانّ أن هذه كانت حالة بيته فقط بل يكاد يكون جميع الناس في المثل سواء أو قريباً من ذلك، فقد أدركنا نحن الذين ولدنا بعد أربعين سنة وتزيد من العهد الذي نتحدث عنه من كانوا يستضيؤون بالسراج المَملوء بزيت الزيتون وأن البيوت التي كانت تعرف الزجاج آنيةً لها لا تتعدى أصابع اليد في مقاطعة واسعة والناس لا أُدَم لهم إلا الزيت والثوم والبصل، ولا حلوى غير النادر من التين والزبيب ولم يكن في مقاطعة «الكلبية» (وهي من أرقى مقاطعات الجبل) من بحرها إلى جبلها مدرسة واحدة بل كتاتيب لتعليم القرآن ومبادئ الخط والسعيد من يتلقّى علمه على يد خطيب يعرف العمليات الحسابية الأربع وهم ندرة كانت تضرب إليهمُ الآباط، ويؤُمهم المتخرجون من الكتاتيب الأخرى كما تُبعَث البعوث اليوم إلى مراكز الاختصاص العلميّ.

فإذا ما وضَعنا أنفسنا في هذه الصورة فهمنا مدى معنى قولهِ السابق «وعلمت أنه قام بما يجب على أمثاله» وغزا أنفسنا الإكبار والإجلال لما نحسُّه بأننا أمام رائد فذّ.

إن قيمة الروّاد لا تقاس بالمدى الذي قطعوه ولكن بالعزيمة والهمة التي دفعَتهم لارتياد غير الممهّد وطرق غير المطرق. أنّ آلاف السفُن تحقق من أيسر السبل كل يوم ما حقّقه «كريستوف كولومبوس» ولكنّ الفارق بين الرحلتين عظيم، وهذا الفارق العظيم لا يكمن في المسافات والصعوبات ولكنه يتجلى في ميدان مختلف جداً إنه يتجلّى في الإنفعالات النفسيّة التي تثيرُه، لشتان بين ما تحركه في نفس أي رُبّان أو بحّار إطلالته اليوم على القارة الأمريكية وبين ما انفعلت به نفس «كولومبس» وبحارته حينما أطلّوا لأول مرّة على العالم الجديد، لا نملك ولا يمكن أن نملك مقياساً للمقارنة لأن الهياج الإنفعالي الذي يهز الكيان أمام الجديد المبتكر شيءٌ فريد لا يتكرّر.

لمحة عن حياته

إن لَمِنَ العسير جداً أن نكوّن صورةً عن طفولته فقد كانت مغمورة برتابة الحياة وجمودها وليس لنا لذلك من سبيل إلا أن نستعين بالصورة والبيئة التي عاش فيهما. فهو يقوم بما كانَ يقوم به كل أقرانه من رعي مشترك لقطعان القرية ومن معاونة لأهله في أعمال الحقول من زرع وحصاد وغيره ولكن بعض الأحداث التي علقت في الذهن من أحاديثه يمكنها أن تعطينا دلالات على أنّا أمام طفل فريد سيكون له شأن جليل.

منها مثلاً هذه المكانة المميزة التي اعترف له بها أقرانه لِمَا كان يفوقهم من معرفة: ألم يكن يحفظ «مجراويَّة الزير» و«قصة يوسف» و«تغريبة بني هلال» وغيرها مما وصل إليه فاتَّفقوا وإيّاه على أن يقص عليهم ممّا يحفظ وهم يكفونه متاعب الرعي ومشاقه فكانت هذه المقايضة أول اعتراف من أقرانه بسُموِّه عليهم وسيَحتفظ بهذه المزية في جميع أدوار ومراحل حياته على اختلاف شأن الأقران وطبقاتهم. ومنها هذا الولع الشديد بالقراءة واختزان كل ما يستطيع أن تصل إليه يداهُ من المعرفة. والتي تستجليها فيما أوردنا من رسالته آنفاً.

ومنها هذه الحادثة الغريبة والاستنتاج الفريد الذي رواه لنا. حدَّثَنا رحمه الله أنه ذات يوم وكانَ عمره بين الثامنة والعاشرة وبينا هو راجع إلى قريته بعد أن غلَّس الليل وإذ به يفاجَأ بأنه يرى تحت ظل شجرة بقرة تَجْتَرُّ وبجانبها فلْوها. فتساءل كيفَ خُلِّفَت هنا؛ وبقرة من تكون؛ ثم أخذ يقترب منها ويقترب إلى أن اختَفت البقَرة وفَلوها، ولم يعد يَرى إلا أغصاناً تتعانق يحركها الهواء قليلاً. قال: فتراجعت وراءً، فعادت صورة البقرة للارتسام أمامي. ثم تقدّمت ثانيةً لكي لا أجد إلا الأغصان. قال ومنذ تلك اللحظة نبَتَ في ذهني أنّ كلّ ما أسمعه عن حكايات الجنّ وتعرُّضها للناس واختفائها فجأةً ثم عودتها للظهور فالاختفاء ليسَت إلا من

قبيل ما حدث لي. ومن يومها قرَّ في ذهني نفي الجن بمفهومها الخرافي السائد بين العامة. ومحاربة كل ما يترتَّب عليها من خرافات. أنّ مما يُلفت النظر أشد الالتفات ليست الحادثة بحد ذاتها ولكن هذا التداعي في الأفكار وهذا الاستنباط العميق في مثل بيئته وفي مثل سنه. إنك لو حللتها وأعطيتها كل أبعادها لأمكنك أن تضعَها بين السانحات التي عرضت لأعظم العباقرة وتولَّدَ منها جليل الاكتشافات والاستنباطات وفعلاً فقد كان من أولى منطلقاته في كفاحه الإصلاحي حرب الجن والشعوذات والخرافات المتصلة بها.

وما أن يبلغ سن الصبا الثاني ١٥ ـ ١٦ سنة حتى نراه وعلى الأغلب بسبب ضيق يد أبويه يهجر قريته إلى قرية «المرَّآن» من قرى «القرداحة» تسكنها عائلة كبيرة من بيوتات الشرف المعروفة، وبينه وبينها صلة نسب، وقام بها بمهمة الخطيب أي معلم الصبيان، وقد لقيَ منهم كل تقدير وحُبّ وبذل لهم كل جد وإخلاص وبقيت ذكراه فيها عطرة حتى يومنا هذا وإلى ما يشاء الله وأحاطهم بكل حبه وعونه طيلة حياته.

وبعد سنتين تقريباً نزلت به مصيبةٌ فادحة بوفاة أبيه وهو لمّا يبلغ الثامنة عشرة. هل ضاقَت به الدنيا أم أنه أحسَ بأنه أصبح لديه زادٌ كافٍ فقام به نداء خفي يدعوه إلى الانطلاق خارج محيطه.

فحمل عصا التجوال وقرَّر أن يتعرف على الناس فلم يترك قريةً معروفةً ولا بيتاً من البيوت له مكانة إلا وزارَه وتعرّف على أهله واستمع إليهم وشاركهم في مذاكراتهم العلمية وأبدى لهم من الشروح ما لم يكن معروفاً منهم ولا مألوفاً لديهم فمنهم من يرغب فيه ومنهم من يكبر عليه أن يقبل من فتًى في مثل سنه تصحيحاً أو تصويباً وغالباً ما كان يختم زيارته ببضعة أبيات من الشعر يضعها في مكانٍ تصل إليه أيدي صاحب البيت بعد رحيله ممهورة باسم ـ سليمان أحمد ـ.

لقد ترك خلفه بعد هذه الرحلة الأولى تساؤلات عديدة: من يكون هذا الفتى الفصيح والذي ينطق بشعر موزون ويتجرأ على تصحيح المعوج من الأقوال ويبدي رأيه بثقةٍ وثبات في المداولات المطروحة وتبع هذه الرحلة الأولى في عام تالٍ رحلةٌ ثانيةٌ وثالثةٌ وفي كل مرة كان اسمه يلمع وصيته يطير ولو لم يعرف كل الناس شخصه ولا أدلَّ على ذلك من هذهِ

الحادثة التي جرَت له في بيت الوالي الكبير الشيخ «علي سلمان» (المريقب) والد المجاهد الكبير الشيخ «صالح العلي» إذ بينما كانوا يتذاكرون بقراءة بعض النصوص تعرَّض فصحَّح بعض العبارات المنسوخة وصوَّب أخرى فما كان من الشيخ إلا أن امتعض واستنكر على فتًى مثله هذه الجرأة فأضمرها الفتى في نفسه. وترك في الصباح عند مغادرته له أبياتاً من الشعر كعادته فلما صارت بين يدي الشيخ وعلم أنَ الفتى الذي استقلّه بالأمس هو «سليمان أحمد» أسف أشَدَّ الأسف وأمر أخاه أن يركب ويلحق به ويعيده إليه ولو كلف ذلك أن يبلغ في تتبُّعه منطقة صافيتا التي كان متوجِّهاً إليها وفعلاً تم ذلك ولحق به ولم يستطع التخلص منه إلا بعد وعدٍ مؤكد بزيارته في العودة وكان لهذه الحادثة نتائج خيِّرة إذ بعد عودته أكرم مثواه، وفتح له خزائن كتبه، وأطلق يده فيها يقرأ وينسخ ويصحّح. وأصبح من أكبر عارفي قدرهِ والمجلّين لنبوغه.

لم يكن حظه من تجواله متساوياً، بل متفاوتاً امتد من الإعراض إلى الإصغاء إلى القبول إلى الإكبار.

وللإنصاف يجب أن نقول إن تقديره وعرفان فضله جاءا مبكِّرين جداً تبكيراً لم يكن متناسباً مع سنه ووضعِهِ المادّي. وليس أدَلَّ على ذلك من هاتين الحادثتين أولاهما جَرَت له مع الشيخ «ديب أحمد» آل معروف الشهير بعصره وسيّد الأسرة الشهيرة بين مشائخ العلويين.

كان ذلك ذات يوم حل في رحابه، فبعد السلام واستنسابه من يكون وبعد التعريف، وسؤاله عن كبير عائلته آنذاك «الشيخ إبراهيم صارم» إذ أن بينهما قُربَى حانَت منه التفاتة إلى كوة في البيت فرأى فيها ما يشبه الكتاب فساقه ولعُهُ بالقراءة إلى أن يتطفل ويمد يده إلى الكتاب ولكن الشيخ نهاه بعد أن صار الكتاب بيده، قائلاً: اتركه يا ولد. فأجابه: ولماذا يا سيدي؟ فقال له هذا كتاب «كردي»، يعني لا يُفهَم. فأجابه ما اسمه؟ فسماه له، وهو لأحد كبار المتصوفين. فما كان منه إلا أن أعاده قائلاً: لا حاجة لي به لأني أحفظه عن ظهر قلب. فبدت الدهشة على الشيخ ثم استطرد مبرهناً وإذا شئت قرأت لكَ منه. فقال الشيخ: حقّاً أسمعنا فانطلق فتانا يقرأ له القصيدة تلو القصيدة، ويقف عند إشاراتها وألفاظها الغريبة، فيفسر هذه ويجلو تلك والشيخ مُصغ معجَب، وإذا بموعد العشاء قد حَلّ، فوُضعت المائدة،

لكن الشيخ رحمه الله، وقد هزَّه الإعجاب بالفتى صرخ بواضعي المائدة: ارفعوها من أمامه، فوالله لن يأكل من ذبيحة إلا ذبيحة مذبوحة على شرفه ـ وهذه من العادات الأصيلة في الإكرام أي أن لا يُطعم ذو قدر إلا مما ذُبح خِصّيصاً على شرفه وهكذا كان.

والثانية جرت مع الشيخ الجليل «عبد اللطيف الغانم» وكان عابد بيت «الشيخ يونس وشيخها»، وهي من أولى عائلات المشيخة في العلويين فبينا كان في إحدى زياراته له وسِنُّ فتانا تزيد عن العشرين قليلاً إذا به ينظر إليه مغضَباً مؤنِّباً ولماذا أنت بدون لحية؟ وكانت اللحية في نظره. ونظر عصره من متممات الكمال فأُخذ بالسؤال ولم يجد اعتذاراً أفضل؛ ووسيلة للتخفيف من تشَدُّده إلا أن يدفع هذا الهجوم بهجوم مُضادّ قائلاً له ولكن يا سيدي لماذا تحملني على ما لم تحمل عليه ولديك وكان أحدهما في مثل سِنِّه والآخر يكبُرُه قليلاً ولكنّ الشيخ رحمه الله لم يتراجع بل أصرَّ قائلاً: ولكنّ أولادي ليسوا مثلك فَضَمَّن أكرم الله ذكرهما جوابه أكبر التقدير وأجلَّه للفتى وضمن لنفسه أسمى درجات التجرد عن الهوى إذ حكم له على ولديه بالفضل والجدارة.

لقد تحرجت في نقل هذه الحادثة إلى القارئ خوفاً من أن يذهب الظن بأحد بأن في ذلك انتقاصاً من قدر شيخين جليلين أو مقايسة تخفض من شأنهما.

لقد كان لتجواله إلى جانب ما استفاده من الإطّلاع والمعرفة فائدة جليلة أخرى وهي ما اكتسبه من معرفة بالرجال ربطت بينه وبينهم بأواصر كان لها الأثر الكبير في حياته وحياتهم أنه ليصعب تعدادهم أو حصرهم في فئة ولا بدع فالأرواح جُنودٌ مجنَّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وإنه وإن لم يكن بوسعنا ذكرهم كلهم فإن هنالك أسماء من الضروري ذكرها لأنها تساعدنا كثيراً في فهم أطوار حياته. وسأسردها مبتدئاً من الشمال إلى الجنوب أولها المرحوم الشيخ نعمان محمد حسن سيّد عائلة آل سعيد «الجنجانية» فقد كان لتآلفهما آثرٌ كبير في مطلع حياته وربما كان السبب في قضائه حقبة من عمره بلغت نحو الخمسة عشر عاماً في منطقة الجهنية من أعمال منطقة «الحفّة» وقد تكون هذه الحياة الهنيئة التي قضاها بصحبته وصحبة نفر متحابين متوادين كانوا هناك هي التي أوحت له قوله:

وما العمر إلا ما قضيت صفاءهُ مع الفتية الأطهار لا ما انقضى لُعْبا

وستعرّف على صدق هذا الأثر من اللّوعة التي تحسُّها في رثائه له، ومن انتقاله من تلك المنطقة إلى منطقة «الكلبية» إذ لم يعد يهنأ له عيش بعد أن خلت المرابع منَ الأحباب.

وثانيهما المرحوم الشيخ علي صالح ميهوب «الحويز» فقد كان فتىً يُعَدُّ بالكثير، وقد تعلّق كلّ منهما الآخر صلة رحم إيمانية لا تنفصم عُراها، ولكنَّ يد المَنون عاجَلته فقضى مأسوفاً على نبوغه المبكّر وشبابه النَّضير.

وثالثُهما المغفور له «الشيخ عباس صالح أخو الشيخ محمود أحمد آل معروف» لأمّه الذي كان يطلق عليه معاصروه لقب سلطان البلاد فقد وعى جيداً ما تَعِدّ به عزيمة هذا الفتى وآمن بمستقبله الباهر فوقف إلى جانبه وقفات جبارة لاسيما لمّا أعشت أبصار أهل الجمود الأنوار الجديدة فتداعوا ليسدوا أمامها الكوى حتى أنهم لجأوا إلى الشيخ «محمود أحمد» الذي كان إلى جانب مكانته الكبرى عند الجميع سيّد قومه المباشر فاتّهموه عنده بالابتداع والزندقة. وهل من بدعة أدهى من نفي الجنّ والخرافات وهل من زندقة أكبر من إرجاع الأسباب إلى مسبباتها ليصبح المطر من ماء البحر. فما كان من الشيخ إلا أن ابتدره مؤنّباً ما هذه الأقوال المبتَدعَة التي تأتينا بها والتي ما سمعناها قبلاً فوقف أمامه وقفة المؤمن بقضيته وقال له سيدي أنت سيدنا المطاع. أما فيما يتعلق بالقناعات العلمية فلا رأي لك وليس لك علينا سلطان وقبل أن يغضب الشيخ ويثور تَلقّاه أخوه «الشيخ عباس» وهوّن عليه وطمأنه إلى أنَّ الشيخ سليمان لا يقول إلا حقاً، ولا يأتي إلا بالصدق، وما الناقلون عنه إلا حسّاداً ومُفتَرين، فافترّ ثغره عن بسمة تدل على أصالة الطيبة فيه وقال اذهبا اذهبا وقولا ما شئتما فلن أتدخل بعد اليوم، وأصبح فيما بعد من أعظم المؤمنين بفضل الشيخ «سليمان والمُروّجين لِمَبادِئه» حتى كما قلنا وهو السيد المطاع وملك البرّ كما كانوا يلقّبونه أيضاً أنّه في إحدى زياراته له في بيته في «السلاطة» وكل وجوه البلاد مجتمعون أراد أن ينزل من سريره ليقعد بين يديه فقال له لا والله لن تغير من مقامك وأجبره على البقاء في السرير يتحدّث إليهم مشرفاً من عَلٍ. كل هذا رفعاً من شأنه وإجلالاً للعلم. وسنعرف أثر الشيخ عباس في حياته بصورة أوضح حينما نقرأ رثاءَه له.

تصدَّعَ ركنُ المجد وانهدَّ جانبُه ... ومات الندى فليندبِ الجود نادُبه

ورابعهم الشيخ محمد ديب أحمد معروف. فقد تآخيا بالله إخاءً صادقاً وصفا بينهما الود فكانَ يقضي عنده ومعه الشهر وأكثر في التَّدارُس والقراءة وقد كنا نقرأُ في عينيه بريق حنين عجيب إلى الشهر الذي قضاه معه في خيمة لا يكادان يبرحانها حتى حفظ القرآن. ولكن هنا أيضاً قد امتدت يد الأقدار وفجعته فيه في عنفوان الرجولة.

أما الخامس والأخير فهو الشيخ إبراهيم عبد اللَّطيف. فقد لقيَه في إحدى جولاته بربوع «صافيتا» وقد كان في مثل سنه وذكائه وتوقُّدِهِ، وفي مثل تطلُّعه للمعالي وتوثُّبهن وفي مثل إخلاصه وتفانيه. فوجد كلّ منهما بصاحبه الروح التَّوأم وتعاهدا على أن يكونا يداً واحدةً وإرادةً واحدة، في خدمة أمَّتهما ولا شك أنهما تدارسا بوعي وكما نقول اليوم وبمنهجيَّة ما عليهما أن يفعلاه وتوصَّلا إلى نتيجة وقرَّرا قراراً نستطيع أن نستدلّ على ذلك من اختصاص كل واحد منهما بشرح لأحد الدواوين الشعرية المتداولة آنذاك فكان ذلك باكورة تعاونهما ثم باتصالهما بأعلام إخوانهم الشيعة في العراق وجبل عامل واقتران اسميهما بكل مشروع وكأنَّ هذا التكاتف أمدهما بقوة جديدة فمدًّا بطرفيهما إلى أبعد من حدود إقليمهما فقاما برحلة مشتركة إلى بلاد آضنه حيث تعرَّفا على كبراء طائفتِهما ومشائخها. ودعوهما لزيارة إخوانهم ونشرا بينهم عرفانهم وآمالهم فحظوا بأحسن القَبول وفائق الإكرام وعادا ولا ندري ما طفح به قلباهما من الآمال والأحلام وبوعد تكرار الزيارة.

وسيعود إليها «الشيخ سليمان أحمد» مرةً ثانية ولكن هذه المرة وحيداً فقد امتدت أيضاً يد المنون واغتالت توأم الروح ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ماذا هو صانع وذات اليد قليلة وقد حُرم الرفيق والمعين. أيستكين على القذى أم أنه من طينة الذين تشحذ المصاعب منهم الهمم. إن من كان عمله لله لا يسأل عمَّن وكيف يكون مضجعه في سبيله فإذا به يحمل المشعل وحيداً فريداً ينادي بأعلى صوته.

جدُّاً إلى طلب العلم الذي درست ... آثاره ثَمَّ إلا رسم أعلام

وَ

هَلُمُّوا إلى ما يقصُر الطَّرف دونه ... منَ الشَّرف السامي على هامة الشُّهبِ

هلمُّوا إلى العلم الرفيع مكانةً | ومورده الصافي ومَنهله العذبِ
إلى الغاية القُصوى التي أصبح الورى | يسيرُ إليها الركب في أثَر الركبِ
إلى العزِ في الأولى إلى الفوز في غدٍ | إلى نعمة الدارين والأمن والخِصب

ولكن ما جدوى الحض إن لم يعمل له وهكذا نجده يجعل من بيته مدرسة داخلية مجانية ورد مَنْهلَها العديد العديد من طلاب المعرفة الذين تحولوا فيما بعد إلى أساتذة لغيرهم حتى لَجَعَلَه في إحدى رسائله يقول: لا فخراً ولا استعلاءً بل تحدُّثاً بنعم الله أنه لم يكن في كل هذه الجبال من استنار بنور العرفان إلا من أخذ عنه أو أَخَذَ عمَّن أخذ عنه وترك قسماً لمن اقتدوا به اقتداءً للمضاهاة وإن كانوا في الحق ليسوا إلا نذراً يسيراً وحتى هؤلاء لم يخلوا من استفادة جانبية منه.

وما أن بلغ الأربعين أو كاد حتى أصبح المرجع العلميّ الأول لكل أبناء طائفته والسؤال الذي ينطلق من كل شفة ولسان عند كل معضلة أو لدى اختلاف الآراء ماذا يقول الشيخ سليمان أحمد فإن عرف عنه قول أو رأي فقد فصل الأمر وكان هو المعتمد والمتَّبَع وهذا مما ألقى عليه مسؤوليّات جسام نهض بأعبائها خير نهوض وقد وجد نفسه في موقف الدفاع على جبهتين متضادَتين الأولى ما كانَ يلقاه من عنَت الجامدين والجهَّال والثانية ما طرأ من نفور ما نسمّيه الأجيال الصاعدة التي بدأت تفتح أعينها على أنوار جديدة وتغَذي أفكارها وعقائدها بالهجمة الإلحادية المادية التي أطلَّت مع القرن واحتكاك طلائع المثقفين في الأقطار العربية بالحضارة الأوربية وأتباعهم لأساطينها وتقليدهم لهم تقليداً أعمَى أحالهم إلى الصنف الأول أيْ الجامدين يضاف إلى سيآت الجمود عند هؤلاء زهو وعنجهيَّة المدَّعي المغرور. كيف له أن يفك أغلال الجمود عن بني قومه ويدفعهم إلى الصعود والترقي وكيف له أن يلجم الجموح والخروج عن الصراط المستقيم.

أما الجامدون الجاهلون فقد سلك معهم بمقتضى الحكمة القائلة: أرفق بأخيك فإنك تطيق ما لا يطيق. فهو يشرح لهم ويفسر ويُلايِنُهم ويسترضيهم بل يستجديهم الإصغاء إليه:

أناشـــدكم لله أن تتعطّفـــوا سماعاً لنصحي بالقَبول بلا عجبِ
طرقتُ بـابكمُ والـبر شـيمتكم بطـارق وافـدٍ للخـير معتـام

واستعان أيضاً بما أخذ ينشره من عرفان بين فئةٍ مختارة من تلامذته أصبحوا بدورهم مراكز إشعاع تنير ما حولَهم ومن حولِهم فشمل سلطانه جميع القلوب وانقادت له العامة قبل الخاصة وانزَوَى الجمود في مناطق نائية واستسلم خانعاً ذليلاً لا حول له ولا طول.

ولكنْ ما شأنه مع الأجيال الصاعدة وسلطان الشهوات والأهواء هنا أعتى. ومجالات الغرور والإدعاء أوسع. والدعاية للإلحاد ومسوّغاتِه على أشدِّها. ومما مهّد الطريق أمام الإلحاد المقارنة الخاطئَة التي كانت تقومُ في الأذهان بين البون الشاسع الذي كان قائماً بين حضارَة المستعمر الأوربي وحالة المجتمع الشرقي والاستنتاج الظالم بأنّ ذلك مَرَدّه إلى أنّ أولئك قد تحرروا من سلطان الدّين فانفسح المجالُ أمام عقولهم حتى بلغَت بهم هذه المكانة الممتازَة ولمّا كانت الفكرة المجرّدة لا يمكن أن تقوم وتبلغ وجدان الناس إن لم تتشَخَّص عملاً بأفرادٍ ممتازين يَنقلونها إلى الضّمائر من سبيل القدوة والمثال فكان هنا في الحق وكما أرى ميدان جهاده الأكبر إذ مع الأسف الشّديد فإن رجال الدين لم يكونوا على المُستَوَى المطلوب إن لم نقل إنَّ بعضهم كان عكس ذلك بل ويعطي أبشع الصور والحجة الكبرى على الدين وكانوا العونَ الأول لدعاة الإلحاد.

وقد هداهُ رأيه الثاقب إلى أفضل الأسلحة التي كان عليه أن يتسلّح بها في كفاحه فأكبَّ على العلوم العصرية ينهل منها بشوق غريب مغتنماً كل الفُرص ومستَعيناً بكل المراجع التي يصل إليها حتى ألمَّ إلماماً جيّداً بكل مبادئ العلوم العصرية مضافةً إلى الحصيلة الضخمة التي حصلها من العُلوم اللغويّة والأدبيَّة والفقهيّة والفلسفيّة والصُّوفية.

ثم أخذ يبيِّنُ لهم زَيف استنتاجاتهم وإنّ ما يظنُّونه من تأخّر الشّرق بسبب الدين ما هو إلا من تنكُّبهم عن الدين واتباعهم للخرافات والشكليات بدلاً من التَعرُّف على الحقائق والتمسُّك باللُّباب وكشف لهم عمّا في الدين من معانٍ روحيَّةٍ ساميَةٍ ومن خلق كريمٍ وأعانه على ذلك أكبر العون أنه جعل من نفسه قدوة مُثلى في الأخلاق والسلوك عفةً وقناعة وطهارة

ذيل ووضع نفسه في ظلال سيرة أئمّة أهل البيت يستقي من خزائنِهم العِرفان ومِن سلوكهم الاقتداء ففرض هيمنته على العقول والضمائر وأصبح الحجة الكبرى بيد بسطاء المؤمنين على أخصامهم وكثيراً ما قالوا لهم لو كان العلم ضد الدين فلماذا الشيخ سليمان أحمد متديّناً وأصبح اسمه وحده يفرض الاحتشام عند المتجرئين على الدين والأخلاق. ولا أبلغ من الدلالة على هذا الذي كان ما جرى مع مثالين من أوضح الأمثلة على ذلك.

أحدهما شاب متعلم خريج المدارس الأجنبية. وثانيهما سليل عائلة مشيخة كبيرة. وقد صار من أكبر شيوخ العلويين. ولأترك لهما الحديث فذلك أبلغ للقصيد.

قال الأستاذ «ماجد خير بك» وهو من بواكير شبابنا الذين نهلوا من مَعين الثقافة الغربية وأكثرهم دأباً على المطالعة ومن أوسعهم ثقافة يروي لنا اتصاله بالشيخ:

«خرجت من المدرسة حاملاً شهاداتي العليا وكنتُ أرى نفسي وأتخيَّلها أنني قد تشبّعت وأتخمت وأنَّ كل رأي أو فكر هو دون رأيي وتفكيري. كيف لا وأساتذتي على الإطلاق «فرنسيون» وظننت أنني بلغت الدرجة المرموقة وما أن اتصلت بعلامة الجيل حتى شعرت أنني حصاة ضئيلة أمام جبل شاهق وأنني لا شيء أمام كل شيء. شعرت بأنني أمام خضمّ مترامي الأطراف لا تُعرَف شواطئُه ولا يُسبر غورهُ أمام مَن قبَس النور وجعله هُداه وهديه شعرت بأنّ هنا العلم وهنا المعرفة الحقيقية التي لا يعتَورُها الشك ولا الشبهة شعرت وكأنَّ السكينة نزَلت عليَّ...

كنا نجتمع حوله ويبدأ بالتحدث وهو في سريره وقد جمع لحافه إلى صدره حتى إذا ما شعر أننا ضجرنا يبتدرنا قائلاً لا بد للعقل من رياضة ويبدأ سرد النوادر والقصص التي تذهب الجهد منَ الأدمغة وكلها نوادر مضحكة ولها مغزىً ولها معنًى وكانَ ما يورده يورده بصورةٍ لبقةٍ هزليَّة مضحكة فَنَنْفَتِحُ من جديد ونعود للسؤال.

وكان يرى كل من حضره واستمع إلى أقواله أنه أمام من جمع علوم أهل البيت وآراء الفلاسفة والفقَهاء والأبداء كان بحراً لا قرار له في اللغة وتفرعاتها وشواذّها. ومناراً في الفلسفة الصالحة المصلحة ومشكاة في الأدب نثره وشعره ونبراساً في الفقه حلاله وحرامه ومستحبّه ومكروهِه وعلَماً في قصص الأعراب جليلها ودقيقها وراويةً في الشعر حلوه ومُرِّه.

هوَ البحر من أيّ النواحي أتيتُه

قصدت غيره من الشيوخ فألفيتهم كالقصبة الجوفاء، أما سليمان فقد بقي حيّاً في كل نفس. وفي كل خاطرة وفي كل عاطفة - ولا غروَ - لقد عملوا لدنياهم وهي متاع الغرور وعمل لآخرته وللإصلاح الديني والدنيوي وما عند الله خير وأبقى. ولا عجب إن قدّسه الناس على اختلاف مشاربهم واختلاف مذاهبهم واختلاف نزعاتهم ومناهجهم.

كان الموئل والمفزع وإليه وحده تُشَدُّ الرحال وعنده تلتقي الآمال ما من أحد قصده إلا ورجع مملوء الوِطاب باسم الثغر متهلّل الوجه مطمئنَّ النَّفس لقد أخذ ما يبغي وتخلص مما يقلقه فينشط للعمل... إلخ»(*).

إنك تقرأ في هذه الأسطر القليلة كل ما حدثناك عنه من كيف كان ينحَسِرُ الغرور عند الشباب حين لقائه وتطمئنُّ الأنفس وتغشاها السَّكينة وتتفتَّح قلوبهم لِمَباهج الإيمان.

وأما المثال الثاني فيقدّمه لنا فضيلة الشيخ عبد اللطيف سعود قاضي قضاة المذهب الجعفري في اللاذقية وقد كان رحمه الله من أصلَب من عرفه عقيدة وأصرحهم قولاً.

بينا هو في زيارة «لأميركا» التقى بشيخين من أكابر الشيوخ كما يصفهما كانا فيها لنفس السبب وعلى ما يظهر بأن الهجمة الإلحادية التي غزَت مشرقنا في مطلع هذا القرن تحت تأثير الفكر المستورَد من الغرب قد قوَّضَ بنيان اعتقادهما وسوَّغت لهما الشهوات وسوَّغ لهما الغرور الخروج من عقد الإيمان وأراداه على أن يتبعهما فيما ارتضياه. ولكنْ جبْلَّتَهُ الطيبة أبَت عليه ذلك. غير أنّ عقله لم يسعفه في تَبيُّن خطلهما وضحد حججهما. ولقد كانت تفاعلات نفسه شديدة وفي لجّ الحيرة لم يجد إلا سليمان كاشفاً لغمَّته فعافَ «أميركا» وكل ما فيها من مباهج وربح وأتى إليه راكضاً وودّ لو كان يستطيع أن يطير.

(*) ملاحظة: أرى أنه من المفيد لاستكمال التَّعرُّف على قدر الشوق الذي كانت تضطرم به نفسه للمعرفة أن نُشير لما أحسّ به من قيمة الثقافات الأجنبية وحدسه بأنه لن يتوفر له الاطلاع عليها على الوجه الأكمل إلا إن درسها في متونها فسمَت به همَّته لتعلم اللغة الفرنسية بعد ما زرَّفَ على الستِّين. وقد بلغ بفترةٍ قصيرةٍ منها مبلغاً كان يسمحُ له بقراءة القصص البسيطة ولن أنسى ما حييت فرحته وضحكته المستمتعة وهو يردّد بالفرنسية (بونجور مُونفيس أي صباح الخير يا بُنيّ) وهي خاتمة قصّة في كتاب وُضِع لتعَلُّم الفرنسية للجزائريين والطّلاب الأجانب وفيها أطفال يهزأون بعجوز ويصبحون (صباح الخير يا أم الحمار) فأجابتهم باسمةً صباح الخير يا بنّي. ولم يحُلْ دون استمراره في تعلمها إلا فقدان الوسائل وكثرة المشاغل والأسقام.

وقد روى لي ابن أخته الشيخ إبراهيم سعود أنه لما عاد استغرب الشيخ سليمان هذه العودة المسرعة إذ لم يكن مضى على غيابه إلا سبعة أشهر وهي مدة قصيرة جداً بالنسبة لتلك الأيام حيث كان الذهاب والإياب يقتضيان نصف هذه المدة ولمّا أبدى له استغرابه أجابه ببساطة إنك أنت الذي أعدتني فتساءل مستوضحاً .. أنا؟ وعندها أخذ يشكو له حيرته وشكوكه ومازال حتى وجد الاطمئنان والثّبات في الاعتقاد والنجاة من شرك الغرور وفي هذه الأبيات أفضل عرضٍ لما نريد قوله:

شهدتُ بأنك الأحد القديرُ ... وعندكَ علم ما تُخفي الصدورُ
وإن أكُ قد شككت فليس شوقاً ... إلى عمَل يلذّ به الكفور
ولكن قال لي شيخانِ كلّ ... له في قَومه قدرٌ كبيرُ
قد ابتُدعت ديانتنا ابتِداعاً ... أُريد به التفوق والظهورُ
فشكّكني مقالهما بديني ... وكدت إلى سليمان أطيرُ
لأعلم منه هل هذا صحيحٌ ... فأعمل فيه أم كذب وزور
فعفتُ «أميركا» وأتيتُ ركضاً ... ومِن دوني المهامِهُ والبحورُ
فأرجعني الإمام إلى اعتقادي ... القديم ولم يُعاودني الغرورُ
وهل يخفَى عليك الآن سري ... ومِن أسمائك الحسنى الخبيرُ

وإني لأرى لزاماً أن نعالج بشيء من التعليل والتفسير هذه المكانة المرموقة التي ارتقاها والمنزلة العالية من الحب والتقديس الذي بلغه في النفوس وكي لا نكون عرضةً للاتهام بالمغالاة ولكي لا ينزلق إلى تقييمنا شيء من العاطفة الطبيعية فإني سأترك القول إلى من عاصر جهاده مدة أطول منّا وإلى من هو أكثر موضوعية فلنصاحبه وهو يعاني الدهشة والحيرة في تعليل ذلك ولنخلص معه إلى ما خلص إليه فلعلَّ فيما يقول أقرب الموارد إلى استجلاء حقيقَة الأمر وإن يكن هو نفسه لا يزال يوحي لنا بأنه لم يُحِط بكل الأسباب فلا يستطيع أن يكتم صرخة تنم عن ذلك حيث يقول: سبحانك اللّهم إنّ هذا من العجب العُجاب!!!.

قال المغفور له الشيخ عبد اللطيف سعود رحمه الله في إحدى محاولاته ترجمة لسيرته... «لكن لم يكسر من حِدَّته ولم يُخَفِّفْ من نشاطه ما أرجف المرجفون بحقّه وتقوّل المتقوّلون بدينه وعقله إن لم يكن زاده ذلك حدةً ونشاطاً بل ظل مثابراً على أعماله ومواظباً على إرشاداته من صغره إلى كِبَره حتى تغلب على جميع المصاعب وربح وهو الرجل الفَرد جميع المعارك التي كانت كل الأمّة من جنودها وفرسانها وحماتها وشجعانها. سبحانك اللهم إنّ هذا لَمِنَ العجب العُجاب! قد يكون في الأمة مصلح يزرع بذور الإصلاح فيأتي من يتعهدها ثم يجنيها. أمّا هو فقد قام بكل ذلك وحده. فلم يمت حتى أينع زرعه ونضجت ثمرة أتعابه وقرَّت عينه في ذلك ببلوغ آرابه. رجعت الأمة كلّها إلا أفراد قلائل إلى رأيه في جميع ما قرر وتصويبه في كل ما أفتى. وصحّح. ولم يعد يَخطّئه إلا النَّفعيُّ الذي يعيش من التَّدجيل الكاذب وربما كان هذا في سره له مصدّقاً ولرأيه مصوّباً إلا أنَّه بقي على استعمال صنعته إما ليعيش منها أو لئلا يرى الناس أنه متَّبع غير متَّبَع وهذا في الشعب من النادر الذي لا يقاس عليه ولا يُؤبه لهُ. أما الجمهور فعلى رأيه من كبير إلى صغير ومن عالم إلى جاهل وهذه منحة لم تتفق فيما سمعت لغيره من الناس لا سابقاً ولا لاحقاً.

حاول الشيخ إبراهيم مرهج إدخال العلوم اللغوية إلى البلاد ولكن لم يتم على يده شيء. وحاول الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري إصلاح الأمة الإسلامية ولكنهما لم يفوزا بكبير طائل ولعلهما ليسا بأقلّ علماً منه إن لم يكونا أكثر. ولكنه خدم أمته بنيَّة صالحة لم يقصد نفعاً ولا سمعة ولقي في سبيل خدمته معارضات احتملها في مَنْ عز شأنه لأنه اعتبر المعارضين إخواناً في الله يجب عليه أن يقابل معارضتهم بالصبر والاحتساب فجعل يكرر زيارته لهم ويردِّدُ أقواله على مسامعهم بلهجة الوعظ والإرشاد ومن غضب منهم استرضاه في بيته. واعتذر له بوجوب تأدية الأمانة التي للأمّة في عنقه ولم يزل هذا دأبه حتى أنجح الله مسعاه وألهمَ الأمّة الاهتداء بهداه والاعتراف بفضله وتقواه.

أمّا ثاني الأسباب التي جعلت منه العالم الأوحد فهو بزوغ النور العلمي الذي أطفأه ظلام الجهل أو كاد فقد نبَّه أفكار أستاذنا المترجم إلى أن في غير بلاده علوماً وعلماء يقدر أن يغذي أفكاره الطامحة منها فتردَّدَ على بلاد صافيتا فلم يرَ فيها حينئذٍ ما كان يأمل

ويرجو فرجع وأخذ يدرس الكُتب عليها غير مستعين بأحد سواها لعدم وجود معلم في الأمة ولاستيحاش الشعب من غيره من الشعوب المجاورة ولتعذّر النفقة بالسفر إلى البلدان النائية واشترك في الجرائد والمجلات المصرية كالهلال والمقتطف والمقطم وغيرها فاطلع بعض الاطلاع على العلوم العصرية والمخترعات الأوربية فازدادت رغبته وطموحه ولكن لا سبيل إلى نيل ما يتمناه إلا باقتناء الكتب فصار يجمع منها ما تمكنه القدرة المادية على جمعه حتى صار عنده مكتبة لا بأس بها وبفهمه الثاقب ودرسه الدائم حصل على ما حسده عليه العدوّ وغبطه الصديق من العلوم التي لم يحصّلها خرّيجوا الأزهر الأعلى فضلاً عن المدارس الأخرى».

حُبّ الإتقان

ولقد آتاه الله مزية حُب الإتقان لكل ما يعمل وما يدرس ولا أدلّ على ذلك من هذا الدرس التَّربوي الذي أعطانا إياه في الحكاية التالية. «حيث كان يحض على الإتقان في كل الأعمال التي يعملها المرء وكان يبرهن على ذلك من سيرة حياته» فقال: عندما بدأت أتعاطى الخط لم أزل أجتهدُ فيه حتى صار خطي قدوة يُحتذى. وكذلك لمّا بدأت بتعلم العربية وقواعدها لم أرض منها إلا بالحظ الأسمى وغيره. ثم التفت ضاحكاً ومدللاً على وجوب الإتقان في كل شيء فقال حتى - المنقلة - وهي لعبة للتسلية معروفة لم أشأ ممارستها حتى تأملت كل حركاتها واستنبطت كل قوانينها حتى صرت أفضل من يجيدها بين كل مُعاصري. فكأنَّه كانَ يُجَسِّدُ كلّ ما يأتي به الحديث النبوي الشريف «إنّ الله يحبّ مِن عبده المؤمن إذا عملَ عملاً أن يتقنه».

وقد روى أكثر من مرة وهو يضحك بأنه نزل في إحدى القرى فرأى تهامساً من حوله أقرّوا له فيما بعد أن موضوعه قولهم لبعضهم إنَّ الشيخ سليمان أحمد قد فاقنا علماً ولا مطمح لنا بمضاهاته أو غلبته فتعالوا نلاعبه بالمنقلة فحتماً إنه لا يجيدها. وهكذا سيتسنى لنا أن نقول: غلَبْنا الشيخ سليمان أحمد في شيء ولكن الشيخ حدسَ بما في نفوسهم فأعطى كل اهتمامه في لعبها فلم يُتَح لأحد منهم أن يربح ولا مرة واحدة. وعندها أفصحوا عما أسَرُّوه صارخين. حتى المنقلة لا تسمح لنا بالسبق فيها فأجابهم ضاحكاً حتى ولا هذه.

موقفان للتاريخ

لا بد لكل عظيم من أن يعرض له في حياته مواقف يمتحن فيها جوهره وأصالته فتنعكس على سلوكه وتصرفاته. وتكشف لنا بما لا مزيد عليه عن سر سريرته فلا نحتاج بعدها لأي عناء في معرفته وبيان قدره.

وإني سأكتفي من مواقفه المشرفة التي لا تحصى بموقفين يوضحان بأوجز بيان ما انطوت عليه نفسه من صادق الحب لأمته. وثابت الإخلاص لعقيدته.

أما الموقف الأول. فكان بمطلع العشرينات بعيد الاحتلال الفرنسي. فامتدت يد السوء على مبدأ «فَرّق تَسُدْ» إلى إذكاء روح البغضاء والأحقاد فدفعَت بعض العناصر من أهل السنة إلى الاعتداء على المستضعفين ممن حولهم من العلويين فعلوا ذلك وهم يُقَدِّرون أنّ ذلك سيتتبع ردّ فعل من العلويين الذين يشكلون الكثرة الكاثرة في المنطقة عموماً وفعلاً كان ما قدروا وتنادت العشائر لردّ الصاع صاعين فغزوا أخوانهم التركمان والأكراد وما جاور وحرقوا ونهبوا كلّ ما وصلت إليه أيديهم من مالٍ وحيوان. لقد بلغ السَّيلُ الزُّبى. فلا بُدَّ من وقفةٍ صامدةٍ جبّارةٍ تُعيد الأمور إلى نِصابها فأصدر فتواه الشّهيرة المُدرجَة:

إلى سائر إخواننا من أهل الولاية

إن هذه الفوضى خارجة عن الدين والإنسانية معاً فالواجب على كل من يؤمنُ بالله واليوم الآخر ويوالي العِترَة الطاهرة أن يبذل وسعه لإرجاع هذه المسلوبات إلى أربابها. ومن منَعته الجهالة والعصبيّة منَ الانقياد إلى أمر الله وطاعة المؤمنين فليُهجر ولا يُعاشر ولا يجوز أن تُقبل منه صدقَة ولا زكاة ولا يُصلّى عليه إذا مات حتى يفيءَ إلى أمر الله وبما أنّه لا قوّة لنا على تنفيذ أحكام الشرع الشّريف في هذه المسألة فنحنُ نفعل ما يجبُ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر لئلا نقع تحت طائلةِ الوعيد. فإن المنكَر إذا فشا عمَّت عقوبته الحُلَماء والسُّفَهاء معاً فالعقوبةُ تقع على الحلَماء لترك النّهي وعلى السُّفهاء لعدَم التناسي وإذا وُجد من المشائخ من يتساهل مع أهل الجهالة يُعامل معاملَتهم. اللهم إنّا نبرأ إليك من هذه الأعمال الجائرة ومّمن يُقرّها. ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

خادم الشريعة الإسلامية المقدسة

سليمان أحمد

لقد وقف وقفةً صارمةً بوجه جهَلاءِ قومه. وانْقادَ لرأيه جميع المشائخ بروح إيمانية مخلصة[1] صحيحٌ لم يكن بيده ولا بيدهم أية سلطة زمنية رادعة ولكن كان بيدهم ما هو أقوى وأمضى سُلطانهم على الوجدان والضمائر. فبعد أن ندَّدَ بالفعلة وأظهرها خروجاً على الخُلُق الكريم والدين حرَّم على كلٍّ من شارك أو استَغَلَّ بهذه الفوضى أن يلامَس أو يُقبَلَ منه قُربان أو نَذر أو حتى يُصلّى على ميّتٍ له حتى يُعيدَ كل ما لَدَيه. لقد فوجئ الجَهَلَة بهذا الموقف الحازم فانقادوا طائعين واستسلم أعتى العتاة أمام جثمان موتاهم التي كادت تتفسَّخ ولا من يغسلها ويكفنها ويصلي عليها فتَهافَتوا على المراكز المخصصة يعيدون كل ما لديهم من أسلاب ونهائب وأُمِّنَ المسلوبون والمنهوبون واستدعوا لهذه المراكز. ليتعرّف كل منهم على دوابه ومسلوباته ويأخذها آمناً مطمئناً.

لقد كانت أياماً مشهودة ومشاهد محمودة رؤية من كانوا بالأمس يفرون نجاة بأرواحهم مخلّفين كل غالٍ وثمين يتوافدون زرافاتٍ ووحدانا مخترقين المناطق التي سلَبَتهم ونهبَتهم ليسترجعوا ما فقدوه ويعودوا به آمنين مطمئنين تحت أكبر حماية: حمى الإيمان والإنابة للرحمن.

وإني لأراني غنيّاً عن التدليل عما في هذا الموقف من صادقِ الحبِّ لأمَّته.

---

1 وإنَّ خير مُعبِّر عن تضامُن المشائخ الكامل والتزامهم المخلِص. هذا الكتاب الذي نثبته لك. الصادر عن أحدِ أفاضِل مشائخنا بهذه المناسبة:

الشيخ سليمان أفندي الأحمد

مولاي العلامة الأوحد   متّع الله الوجود بطول حياته الشريفة

أُقَبِّلُ الأيدي الكريمة في كل آونة وأعرض أنَّ ناقلها أحمد أسعد محسن متبرك بلثم الأنامل الطاهرة وقصدُه تطهّر ماله وإيمانه وحيث باقي عندهُ جانب منَ المَسلوبات وأُمِرّ في نفسه يعرضه أمامكم عند التشرّف تفصيلاً. توقّفت عن أخذِ العهد عليه وإعطائه شهادة بينما تظهر لنا إرشادات الأبويَّة الدَّالة على طريق الفلاح والنجاح.

والسلام عليكم مولاي

مستمدّ الدعاء

علي أحمد حسن

١٧ شوال ١٣٣٩

أما الموقف الثاني فيتجلّى لك برّه لعقيدته في أكمل وَجه.

كانَ ذلك في أوائل العشرينات أيضاً وبعد أن تم للفرنسيين الغلبة العسكرية على الثورة التي قامَت في جبل العلويين وأخضَعت بقية المناطق السورية فبدا لهم كي يُرسِّخوا أقدامهم أن يعمدوا إلى شيء من اللين وحسن السياسة مع العلويين كيما ينفّذوا مخططاتهم المستقبلية بسهولة.

وقد قادتهم استعلاماتُهم إلى إجماع من جميع زعماء ووجوه العلويين على أنَّ الشيخ سليمان أحمد هو الثقة عندهم علماً وعملاً. فوجهوا كتاباً إليه وهو في قريته بالسلاطة يعلمه أنَّ مدير العدلية السيد «روسيه» سيزوره وفعلاً حضر ظهيرة يوم من سنة ٩٢٢ وبرفقته معاونه السيد «تقلا». ومستشار القضاء. وصادف ذلك وفاة صغيرٍ له في السنة الأولى من عمره. فما كان منه إلا أن أمر بكتمان أي ضجة أو عويل حتى ينصرف ضيوفه وتلقّاهم وكأنَّ شيئاً لم يحدث وبعد المداولة وبسط نواياهم التنظيمية وحرصهم على دفع البلاد في سُبُل الحضارة نقلوا إليه أنهم بناءً على ما توفر لديهم من معلومات عن إجماع الشعب عليه أبلغوه بما يشبه الإلزام أن يتولّى منصب قاضي القضاة للمذهب العلوي. فما كان له بد من القَبول وكان ذلك من حسن حظ شعبه بل ومن حسن حظه لأنه أُتيح له بأن يقوم بأجلّ خدمة لشعبه وأن يكسب الأجر العظيم من الله على ما دفع به عن عقيدته ودينه من افتئات المستعمرين وأغراض المتَقوّلين.

وبيان ذلك أنه بعد بضعة أشهرٍ من توليه منصبه استدعاهُ الحاكم الفرنسيّ آنذاك الجنرال «بيّوت» وبعد الترحيب والملاطفة وجَّه إليه الحديث مستعيناً بما زوده به مستشاروه وخبراؤه من معلومات تقود خطأً أو غرضاً إلى عزل العلويين عن المجموعة الإسلامية وذلك إمعاناً في تمزيق الأمة وإيجاد ركيزة اجتماعية وعلمية تمكن من ذلك فانطلق علماء الاجتماع منهم والسلالات يجهدون لإثبات صلة وثيقة بين العلويين والصليبيين فأصبحت كل عين زرقاء أو شعرة شقراء يقعون عليها في العلويين تشكل اكتشافاً كبيراً وفرحة عظمى وبرهاناً قاطعاً. وبديهي أنه لا في التاريخ ولا في العلم أي سند أو مبرر لهذه الاستنتاجات ولكن رحم الله القائل: «إنّ الغرض يُعمي ويُصِمّ».

المهمّ أنه قد ترامى إلى سمع الجنرال أن الشيخ سليمان أحمد يعمل لاعتماد الفقه الجعفري مصدراً لأحكام المحاكم المذهبية العلوية (ترى مصداق ذلك فيما ستقرأه من مراسلاته مع السيد محسن الأمين مجتهد الشيعة الكبير في عامل وديار الشام) فهالَه أن تَفوت الفرصة على كل ما خططوه وهيأوه لاقتطاع العلويين من الكيان الإسلامي. فبدأ يلمز له ويغمز ويزيّن له ما في الأخذ بنظام العرف والعادة من اليسر والاستقلال.

وذلك كما سنَرى في إصدارهم الظهير البربري بعد ثلاث سنوات في المغرب سنة ٩٢٥ مخططاً عامّاً لتمزيق أواصر المسلمين فما أن تبين هدفَه حتى انتفض مغضَباً ناسياً رهبة السلطان وجبروته معتصماً بعزة المؤمنين التي هي من عزة الله ورسوله وقال له ما سمعته منه بالحرف الواحد. سيادة الجنرال. سواءً عَبَدنا الحجرَ أو عبَدنا المدَر فلِيقيننا أن هذا هو ما جاء به محمد بن عبد الله فلِشاكٍ أن يشك في صحة فهمنا لما جاء به محمد (ص) ولكن لا مجال لأي شك في انتسابنا واتّباعنا له.

لم يكن الموقف موقف نقاش وحوار ولكن موقف حسم فقط وهكذا كان. وخرجَ وفي نفس الجنرال حرج من هذا الجَبْه وكأنَّ الله ألقى في نفسه تهيباً من الإصرار ولا بدع فالثورة التي أقضّت مضجع المستعمرين لسنتين وتزيد لم تخمد نارها إلا منذ أشهر معدودة ورصيد الشيخ عند مختلف طبقات الشعب كما يعلمون كبير فليتركوا الأمر إلى فرصة أخرى.

أمّا هو فقد خرج وكله استعجال لإتمام ما قرر وما هي إلا شهور معدودة حتى أتمّ تنظيم المحاكم المذهبية وزودها بالمراجع الفقيهة الجعفرية ثم فجأ الجميع بالاستقالة متخلصاً من آصار المنصب ومطلّقاً لكل اتصال بالحاكمين منصرفاً للتَّعليم والإرشاد حتى رفعه الله إليه.

يلاحظ من كل ما تقدم أني لم أشَأْ في التعريف به وبحياته اتباع المألوف في التراجم من سردٍ لمراحل حياته واستقصاءٍ لتنقُّلاتِه في تتابُع منظَّم بل فضَّلت عرضَهما كلوحاتٍ حية تجعلُ القارئَ يواكبُ هذه الحياة الحافلة لا مواكبة من يطلّ عليها من بعيد بل مواكبة من يعيشها ويحياها وينفعل ويتفاعلُ مع أحداثها أردت للقارئ ومنه أن يحسّ بشظف العيش والحرمان بما حدثته به عن البيئة والمحيط اللذين نشأ بهما وأردت أن يحس خيفته ويوجس معه الرهبة وهو يخيل إليه أنّ أغصان ريحانة تتحرك ما هيَ إلا بقرة تجتر وبجانبها فلوها وأن تصاحبوه في كل خطوة يتقدم بها ليتبيّنَ الحقيقة ثم لما اكتشفهما أن تشاركوه في العملية الذهنية المعقدة التي استنبط منها

زيف هذه التخيلات وتتبنّوا نفيها معه. وأردت أن تحيوا معه لهفته العارمة للعلم فتشعروا في أخمص قدمكم ألم الجرح الذي أفقده الوعي وهو راكض إلى كتابه. وأن ترافقوه في استيحاشه الذي تنوّره الآمال وهو ينتقل من قرية إلى قرية دارساً ومعلّماً. وأن يساوركم القلق الذي أقَضَّ مضجعه على هذا البارق من السنا الذي وهبه الله إياه أن تبتلعه الظلمات المتراكمة حوله.

ومنذ بدا لي من سنى العقل بارق   فما بت يوماً آمناً بعد سربي

وأن تضطرم أحشاؤكم بما اضطرمت به أحشاؤه من حبٍّ صادقٍ لأمته ولهفةٍ على انتشالها مما تردّت إليه من وهاد.

ألا يذيبُ فؤادَ القلب رؤيته   نور الهداية مغموراً بإظلام

وَ

أينعُم بالي والبلاءُ بأمّتي   إذاً لا صفا عيشي ولا راقني شربي

أو

إنْ سرَّ يوماً فُؤادي ما يسوء كم   فلا عدَت سرّه ما عِشتُ أحزانُ

أجَل إنَّ غاية ما فصَّلتُ وأرَدت أن يعيش القارئُ سيرَةَ هذا الكفاح المستمرّ ضدَّ عوادي الزمان وهذه المجاهَدة الصادقة لهفوات اللسان وسهو الجَنان عساها أن تَلقى في وجدانه أثراً منها يحرّكُ به الشوق إلى الاقتداء بهذه الحياة المثلى فيسلكُ سبيلها السويّ.

على أنه لا مندوحة لنا قبل أن نختتم من بعض السرد التقليدي المقتَضَب لحياته الخاصة... أماكن سُكناه... زواجه... ومَن خلّف من الأولاد إلى ما هنالك حتى أن رفعه الله إليه.

ولد سنة ١٢٨٧هـ الموافق ١٨٦٩م كما حدّث بذلك مراراً وسجله خطّيّاً... ولا عبرةَ بما جاء خلافاً لذلك.

نُسجّل هنا هذا كي لا يقع من يأتي بعدنا في تناقضات حول ميلادِه كما نجد ذلك بالنسبة لكثيرٍ ممّن يُورَّخ لهم.

تزوج في حوالي الخامسة والعشرين من السيدة «رائجة عجيب» وهي ابنةُ بيتٍ أصيلٍ من الجهنيّة «قرية القويقة» الملاصقة لقرية «ديفه» حيث استقَرَّ فيها مدة خمسة عشر عاماً

ونيّف وبقيَ يتردَّد عليها إلى ما قُبيل أخرَيات أيامه حيثُ أنه استملك فيها ملكيَّةً صغيرةً وقد أنجبَت له عدةَ أولادٍ بقي منهم حيّاً بعد وفاتِها بنتٌ وصبيٌّ أما البنت فهي كُبرى أولاده المرحومة «سكينة» والصبي هو «محمَّد» الذي أصبح الشاعر الكبير الغَنّي عن كل تعريف والملقّب بـ «بدوي الجبل» الذي لحق بعفو ربه ١٨ آب ١٩٨١.

وبعد وفاتها ووفاة صفيِّهِ المخلص الشيخ «نعمان محمّد» ضاقَت به الدنيا وهمَّ أن يهجر البلاد كلها إلى ديار «آضنه» حيث كوَّن له في رحلته التي قام بها مع صفيّه وتوأم روحه الشيخ «إبراهيم عبد اللطيف» صداقات وأخوَّة إيمانيّة مع العديد من أفاضلها ولكن ما إنْ رشح خبر ذلك حتى هبَّت نخبةٌ من عارفي فضله والراغبين في جِواره إلى اعتراض هذه الرغبة وحملوه بما يشبه الإلزام على السكنى بينهم فاختاروا له الموقع وبنوا له المسكن دون أن يعرف عنه شيئاً حتى تم في قرية «السلاطة» التي تُوفيَ فيها وفيها مقامه.

وقبلها زوَّجوه من ابنة الشيخ «محمّد دير إبراهيم» أحد أفاضل مشائخ الناحية والذي ينتمي لعائلة الشيخ «علي المران» الشهيرة وقد أنْجَبَتْ له أولاداً عدّة هم: السيّدة «فاطمة» التي كانت من أوائِل الفتيات اللواتي تثقّفن ثقافةً عربيَّةً وإسلاميَّةً أصيلةً وضربَت لبناتِ جنسها المَثَل والقُدوةَ في ارتيادِ العرفان واشتَهَرت في الحياة الأدبيَّة باسم «فتاة غسَّان» وقد استأثَر بها الله إلى جواره سنة ١٩٨٥.

ثمَّ محرّر هذه السطو الدكتور «علي سُليمان الأحمد» الذي كان من أوائل مَن قصدوا «أوربّا» من هذه الديار في مطلع الثلاثينات لطلب العلم وتخرَّج طبيباً وعاد للوطن يزاول هذه المهنة منذ ٩٣٧ وحتَّى التَّقاعُد.

ثم «آمنة» التي تخرَّجت من دار المعلّمين المُنشَأة آنذاك وبقيَت في تربية الأجيال الناشئة حتى سن التَّقاعُد.

والدكتورة «جُمانة» التي كانت أوّل طبيبةٍ علوية وتقلَّبَت وشغَلَت عدة مناصب في وزارة الصحة كان آخرها إدارة مدرسة التّمريض وقد عُرِفَت باستقامتها وتفانيها بعملها.

ثم الشاعر والأستاذ بجامعة دمشق سابقاً «أحمد سليمان» والسيّدة «سلمى» خريجة معهد التربية العالي في مصر. وأخيراً بُنيامين العائلة «محمود» وهو مجاز من كلية التجارة وأحَد المفتّشين بوزارة الماليّة.

مَع آلِ البَيت

ـ مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ـ

معَ آل البيت

ليسَ بدعاً أن يشغلَ حبُّ آل البيتَ قِسطاً كبيراً من تفكيرهِ حيّزاً أكبر من عاطفته ووجدانهِ. فقد نشّأه والدُه كما يقول لنا على ذلك:

ولّقنني بالقَول والفعل هَديه فأشرب قَلبي حبّ أبناء فاطمِ

وإنّا في هذه النماذج التي نقدمها لك نلمسُ ذلك بوضوح فهي تأسُرُنا بما يتجلّى بها من صدقِ العاطفة وحرارة الوجد وشمول الإطّلاع على كلّ ما ورد من أحاديث بفضلهم ومكانتهم فهمُ الحق والذخر والملاذ والعصمَة وسفينة النجاة وحبّهم الفوز ووضع الوزر والمعتمدَ وولاءهم الهدايَةُ والحبل المتين والعروة الوثقى والفرض المُنَزل إلى ما لا يُحصى مما وردَ بهم وعنهم غير أنَّ ذلك لا يَعدو أن يكون من العواطف المشتركة التي يمكن أن نجدَ لها احتمالاً وتفسيراً في البيئَة والتنشئَة ـ فهل نرضى منه أو هوَ يرضى لنفسه بذلك.

إنَّ وراء المأثور والمنقول والصّيَغ والتعابير معنًى أسمى لا يمكن أن ينكشفَ إلاّ لِمَن صفَت منهمُ السرائر ولا أن يستوطنَ إلا أشَفَّ درجاتِ الروحانية ـ لقد انكشف له وراح يكشفُه لنا. إنَّ حبهم هو الفناء بذات الله الحق.

إنَّ الفناءَ بذاتِ الله مرتبة تُشرِّف الواصليها أيّ تشريفِ
قد عرَّفوها بألفاظٍ يؤوّلها كل لمعنًى بتصحيفٍ وتحريفِ
وحدُّها أنها إخلاص حبكمُ لله يا عترةَ الهادي بتَعريفي

إنَّ الفناءَ بذاتِ الله عنوانٌ ضخم في تاريخ الفكر الإنساني حيرَّ الأذهان وعكَّر صفاءَ الاعتقاد ولو تَتَبَّعتَه في عناوينه البارزة من «النيرفانا» عند الهنود إلى صورته في مبدأ الحلول ووحدة الوجود ووحدة الشهود لهالكَ ما تجد من اختلافٍ في التأويل والتحديد ولن تقف عند مفهوم من مفاهيمها حتى ينتصب أمامك من يقول لك لا ليس الأمر هكذا تماماً ولكنه كيت وكيت ثم يأتي بعده من يضيف إلى هذا الكيت كيتاً وكيتاً آخر.

في خِضَمّ هذه الحيرات يطلع علينا الشيخ سليمان أحمد بهذه الأبيات فيحل لك إمّا تأملتّها وفرَّعتَ منها ما تنطوي عليه من حقائق كل المشكلات ويجلو كل المعمَّيات.

إنَّ جميع ما قالوا برأيه ألفاظ يؤولها كل حسبَ هواه ويُصحّفها حتَّى تنطبقَ على مبتَغاه . وهنا لا بدّ للمرء من التساؤل عما ذا عنده بعد أن أذرى بكل من قال وما قيل . إنه أعدَّ جوابه الواضح الصريح.

وحدُّها إنها إخلاص حبكمُ ... بالله يا عترةَ الهادي بتعريفي

فينتشلنا من وهدة الأقوال ليرفعنا إلى منبع الاتصال الأسمى الحبّ بالله. ولكن ما هو هذا الحب بالله وكيف يفنى المحب بالحبيب.

إنّا إذا تقرَّينا كل تاريخ الإنسانية لن نجد أنها أنتجت عملاً عظيماً خالداً إلا وكان مبعثه ومنطَلَقه الحب. بل إنّ الوجود بأسره معلول للحب. قال الله في حديث قدسيّ: «كنتُ كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعَرف» فبدءُ الوجود كلُّه إذاً حبٌّ أن يُعرَفَ سبحانه.

ولكن ما هو هذا الحب؟ إنا إذا انطلقنا من الكلمات لنفهم المعنى قد تتشعب بنا السبل وتختلط الصور. لكن حتى يكون فهمنا صحيحاً وتدل الكلمات على مدلولها يجب أن ننطلق من المعنى إلى الكلمة فينتفي الغُموض والالتباس في دلالتها، فكلمة الحب هنا نَعني بها أسمى المشاعر التي يعرفها الإنسان فتجعل من الحَبيب مثلاً أعلى وقدوةً يُحتَذَى فالمحب في رضىً كامل عن كل ما يصدر عن الحبيب فهو له تابع طيّع وظلٌ ظليل.

لا يهوى إلا بهواه ولا يرى إلا ما تُريه عيناه وذاك مقام العبدية الكاملة التي فخر بها الرسول الأعظم قبل الفخر برسالته حيثُ كان يقول أنا عبد الله ورسول الله. وهذه العبدية لا

صلة لها قطّ بالعبودية المقيتة التي قد يدخل على الذهن منها بعض الاشتباه للاشتراك باللفظ، وقد أوضحها صلّى الله عليه وآله وسلم بقوله: لا يؤمن أحدكم حتى يكون حب الله ورسوله أحَبَّ إليه مما عداه.

فالعبدية الحقَّ إذاً هي أعلا مراتب الأيمان ومَعناها ومَبناها تمام وكمال المطابقة في الاعتقاد والسلوك مع أمر الله ونَهيه فعلاً وقولاً وما نفع قولٍ بلا فعل فلقد أذرى الإمام الصادق عليه السلام على بعض شيعته ممَّن كانوا يدَّعون محبته ولم يكن قولهم مطابقاً للفعل: أتَزعمون أنكم تحبوننا لا والله حتى توالوا أولياءَنا وتعادوا أعداءنا وتفعلوا أفعالنا.

وبما أنّ العترة الطاهرة في نظره وَخُبْره هي المتحققة بأسمَى وأتَمّ درجات العبدية لله فكان حبهم والاقتداء بهم هو الفَناء بالله الحق. لأنَّ الفَناء بالله الحق مَعناه العبدية المطلقة لله سبحانه لا حلول ولا اتحاد ولا امحاق، صحيح إن هذا الفَناء لا يزال عسير التحقيق ولكنَّ الشيخ سليمان أحمد قد أوضح لنا إليه الطريق.

نَشَأتُ على الدين الحنيف

نشأتُ على الدين الحنيف على يدَي أبٍ مِن كرامٍ أنجبوا وكرائمِ
ولقَّنني بالقول والفِعل هديه فأشرب قلبيْ حب أبناء فاطمِ
سلكتُ على منهاجه القصد يافعاً وكهلاً ومذ نيطَت عليَّ تمائمي
وَقد كانَ حر القَول مبلغ علمِه وفي الله لم تأخذهُ لومةُ لائمِ
فلا مطلب شاهدته مِن معاصِري وإلا سمَت جداً إليه عزائمي

كن مع الحق

أيها الطالبُ المقلِّد جهلاً كن معَ الحق كيف كان عيانا
إنّ قول النبي من كنت مو لاهُ كفى لو عقلت ذاك بَيانا

كن مُحباً

كن محبّاً لمن أحبّ بني الز هراء من قلبه صدوق الودادِ
لا حَسوداً ولا حقوداً عليهم معرضاً عن نميمةٍ وفسادِ

الأئمَّة

إنَّ الأئمة مَن بهم وبحبهم نرجو الشفاعَهْ
قالوا وقولهمُ اليقين يدُ الإله مع الجماعَهْ
وبذاك أمرهمُ أتى سمعاً لما أمروا وطاعَهْ

ماذا يقول المادحون بفضلكمْ

يـا عـترةَ الهـادي البـشير بحـبكم — وبكـم نـصولُ على العِدى ونطـولُ
مـاذا يقـول المـادحون بفـضلكمْ — وَبــه أتــى التأويــل والتنزيــلُ
سـبقت فبـشرت الـورى بوجـود كم — بــشرى بهــا متــشرف جبريــلُ
ضــلَّ أمـروٌ قـصد الطريــق ومالـه — في ســعيه مــنكم إليــه ســبيلُ
فــتلاوة الآي الــتي نزلــت بكــم — قُربَــى إليــه وذكــركم تهليــلُ
والــسعي في نــشر المناقـب مـنكمُ — حــج لكــل موحــد مقبــولُ
حلـت مـودتكم بقلـبي فهـي لـي — حــالٌ بــإذن الله لــيس تَحــولُ
حُلِّيتُهــا فحيــاتيَ الأولى بهــا — شَـرُفت وفي الأُخـرى هـيَ المـأمولُ

أنتمُ ذُخري

آل طــه ولاؤُكُــمْ هُــوَ ذُخــري — أولٌ مــا لــه بقلــبيَ ثــانِ
أنــتمَ ملجــأي وغايــة قــصدي — ومــلاذي مــن طــارق الحَـدثانِ

حبكمُ الملاذ

إن عـدَت عاديـات دهـري فـأنتمُ — يــا بــني فـاطم البتـول معــاذي
حــبكم حــرزيَ الحريــز وحــصني — وغيــاثي ومــوئلي ومـــلاذي

ولايتكم منحة

ولايــتكُمْ يــا آل ياســين منحــة — حباني بها مـن فـضله الجـمّ مـانحُ
قـوامُ حيـاة الـروح وهـي حقيقـةٌ — غدت ملء ما ضُمَّت عليه الجوانحُ
فمـا سـاءني بعـد التحقُّـق بـارح — ولا ســرني إلا بهــا الــدهر ســانحُ

همْ العصمة

محــضت النــصح إخلاصــاً لوجـــه الله مـــن يعقـــل
أمـــور الـــدين عـــن غـــير بـــني الزهـــراء لا ينقـــل
إلـــيهم يرجـــع الغـــالي وفـــيهم يلحـــق المثقـــل
هـــمُ العـــصمة للخـــائف يـــوم البعـــث والمعقِـــل

عَزَّت فضائلهمُ

لقـــد عَـــزَّت فـــضائِلُهمْ علـــى النـــاثر والنـــاظمْ
عـــن الـــسجاد والبـــاقر والـــصادق والكـــاظم

سفينة النجاة

إن طغى زغرب الضلال فأنتُم لنجاتي بني البتول السفينهْ
إنَّ طـه مدينـة العلـم حقّـاً والوصي الإمام باب المدينـه
وهـو الـدين عـنكمُ وإلـيكم فـازَ مـن عـنكمُ تقلـد دينـه
زينـة الجـسم في الحيـاة ولاكـم وهـو للـنفس في غـدٍ خـير زينـهْ
وَبـه قامـت الـسموات والأرض وأهـل الـيَمين حـازوا الـسكينة
يـا لهـا مـن مكانـةٍ قـد تـسامت شـرفاً عنـد ذي الجـلال مكينـه

إن لم يكن لي حب آل محمدٍ

يـا خيبـةَ المَـسعى وحرمـان المنـى وَعنـا الفـؤادِ وضـيعةَ الآمـالِ
إن لم يكـن لـي حـب آل محمـدٍ ذخـراً لـدى الـرحمن يـوم مـآلي
ولقيتُ يوم الحشر ما كـَسَبت يـدي وأتـى الجـزاء مطابقـاً أعمـالي

هبني للولاء لآل طه

وقفت بباب عفوك مستغيثاً ... موؤودَ الظهر بالوزرِ الثقيلِ
أقِلني ما جنَتهُ يدي اجتراماً ... وما أسلفتُ من قالٍ وقيلِ
أنا العبدُ الذليل حططت رحلي ... بباب السيّد الملك الجليلِ
لجأتُ به إلى حرزٍ حريزٍ ... ومنه أويت في ظلٍ ظليلِ
فهَبني للولاء لآل طه ... وظلّك سيّدي فاجعَل مَقيلي
وما أنا للكثير بمستحق ... ولا مولايَ يرضى بالقليلِ

الفناء بذاتِ الله

إنَّ الفناءَ بذاتِ الله مرتبةٌ ... تشرّف الواصليها أيّ تشريفِ
قد عرَّفوها بألفاظٍ يؤوّلُها ... كلٌّ لمعنىً بتصحيف وتحريفِ
وحدُّها أنها إخلاص حبّكمُ ... لله يا عترةَ الهادي بتعريفي

الفوزُ حبكمُ

لقد تحققت أن الفوزَ حُبّكمُ ... يا آل أحمدَ في الدنيا وفي الدينِ
به أعوذ اعتصاماً من قرين هوىً ... أن كان لولا ولائكم ليُرديني

إن لم يهبني لحبي آل فاطمةٍ

مولايَ أدرَى بأسراري فما جزَعي ... منَ الأنام إذا أعلنت إقراري
إن لم يهَبني لحُبّي آل فاطمةٍ ... غداً فويلاه من جهري وإسراري

حبهم يخفف الوزر

حَسناً ما فعَلتِ أيَّتُها النفس	بحسن الوثوق في آل طه
إنما حبهم يخفف عنك الوزر	إن أثقلت ذنوب مَطاها

حبُّ الوصي

بحمد الله عندي ملء قلبي	من الإيمان في حب الوصيِّ
لَئِن أُنزلت من نجد بعدلٍ	بُعَيد القرب منزلة القصيِّ
فلي قلب إلى داعي هواها	مطيعٌ حلَّ في جسم عصيِّ

ربِّ هبني لآلِ أحمدَ

ربِّ هَبني لآلِ أحمدَ إني	من سوى حبهم قطعت رجائي
فبهم نلت ما أنلت رخاءً	وإليهم عند البلاء التجائي

كفى بولائكم

كفى بولائكم يا آل طه	لمعتصم به حبلاً مَتينا
وقيتُ الداء لولاه لأمسى	بعدل قاطعاً مني الوتينا

بحبكم نلتُ المُنى

بحبكمْ يا بَني الزهراء نلتُ مُنَى الدنيا وفي الدين أرجو حسن منقَلَبي
لحا على حبكم لاحٍ فقلت له	إلى سفينةِ نوح منتهى طلَبي

أفضَل العالَمين بعد الرسولِ

أفـضلُ العـالَمين بعـد الرسـولِ سـيِّد الأوصـياء زوج البتـولِ
صـنوهُ مـن علـى معانيـه دلّـت محكَمـاتُ التَّنزيـل والتأويـلِ
كـانَ منـه مكـان هـارون مـن موسَـى وصـيّاً فخـلِّ قـولَ الجَهـولِ
قـد تمسَّـكت منـه بـالعروَة الوُثقَى ولاءً وذاك حسـبي وسـولي

حُبُّه من الجحيم لَرَدْءُ

إنَّ حـبَّ الوصـيِّ ثبَّتَـا الله عليـه مـنَ الجحـيم لَـردْءُ
فهْـوَ في البَـدءِ والمـآلِ مـلاذي يـا بنفسـي منـه مـآلٌ وَبـدءُ

وكل حديثٍ ليس في ذكرهم لغوُ

ولايـة أهـل البيـت لـيس لمـؤمنٍ إلى غيرها عنها عدولٌ ولا صَفوُ
هـوَ الـصمتُ عـينُ الـسهو إلاّ بحبِّهم وكـل حـديث لـيس في ذكـرهم لغـوُ

حبُهم معتَمدي

مـولايَ إنـي بمـا أسـرفتُ معترفـاً ولـيس لـي أمـلٌ أرجـوه في عَملـي
جعَلت حب بني الزهراء معتمدي وفـيضُ رحمتـك المـأمول متَّكلـي
فهـذه عبـدك المسـكين حالتـه يا مَن لدَى علمه التفصيل كالجُمَلِ

حبُّهُمُ الحبلُ المتين

سِـمَةٌ حبـك المقـدس يَمتـاز بهـا المؤمنـون دونَ الـسِّماتِ
وغـداً حزبـك المطهـرَّ حـزبُ الله أهـل الـيَمين والمكرُمـاتِ

وهـــوَ حبـــلُ الله المَـــتين كمـــا دلَّـــت عليــــه عـــزائمُ الآيــــاتِ
والــصراط الـــسوي والعــروة الـــوثقى لمَـــن يقتَفـــي آثـــار الثِقـــات
فعليـــه يـــا رب ثبِّـــت فُـــؤادي فهـــوَ ذخـــري وعـــدَّتي ونَجـــاتي

عسى بصدق وَلائي

لا عذرَ لي في خِلافي ما أُمِرتُ بـه هــذا وقابلـتُ نعمــاه بكفــرانِ
عَـسى بـصدقِ ولائـي أن أفـوز بمـا أرجوه في البعث من عفوٍ وغفرانِ

قدَّمتُ للمُهمين الوهَاب

دَعـني لمـا بـي فكفـاني مـا بـي قـد عظُـم الأمـرُ عـن العِتـابِ
وطـال يـا حـسرتي اغترابـي وجـدَّ وَجـدي بـيَ واكتئـابي
وليـتني أدري هـل انقلابـي لرحمـــة تُنـــال أم عـــذابِ
قـدَّمت للمهـيمن الوهـاب بـين يـدَي نجـواي واقترابـي
مُـتَـشفعاً بـصاحب الجَنـابِ محمـــد وآلـــه الأنجـــابِ
حـبَّ الـنبي المـصطفى الأواب وبابَـه الهَـادي إلى الـصوابِ
وسـر مـا أنـزل في الكتـاب وخـير مَـن يمـشي علـى الـتراب
بهـم أنـال العفـوَ في انقِلابـي والفَـوزَ في البـدء وفي المـآبِ

وإن ذكرت ولائي

إذا تــــذكرت حتفـــي والقلــــب ســـاهٍ ولاهِ
خـــشيت مـــا قدَّمَتـــه يَـــدي وعلمـــي وجـــاهي
وإن ذكـــرت ولائـــي لآل طـــه تِجـــاهي
ناديـــت غـــير مبـــالٍ «أهـــلاً بـــداعي إلهـــي»

إلاّ الولاء

دائي عضالٌ عنيت الجهل ليس له ... إلاّ الولاء ولطف الله من شافِ
يا لهفَ إن لم أنَل فيه الشفاء غداً ... من هول يوم خبايا السر كشافِ

ليس لي غيره

إنَّما الذخر حبكم آل طهَ ... ليَ عند المهيمن الرحمنِ
ليس لي غيره يقدم لله ... غداً شاهداً على إيماني

أخلِصَنْ حبّهم

أخلِصَنْ حبَّ آل أحمدَ في الله إذا رمتَ أن تعيش سعيدا
فإذا ما الحِمام حُمَّ عليه ... مت إذا شئتَ أن تموت شهيدا

دعاكم للهداية

دعاكم للهداية خير داع ... سماع لدعوة الهادي سماع
سماع لما به تحيا نفوس ... وألباب تَشَوَّفُ لاطِلاع
صدعتَ بأمر ربك غير خاشٍ ... وجئتَ بواجب الأمر المطاع
ففي يوم الغدير غدير خمٍّ ... وحجِّ نبيِّنا حج الوداع

ذرّة من ولائكم

ذرة من ولائكم يا بني أحمد خير من ملء دنيايَ درّا
وهو الخير منكمُ وإليكم ... فإذا لم يكن كذا عاد شرّا

قد استمسكت بالحبل المتينِ

أأنـــت لعــترةِ الهــادي مــوالٍ ... قـد استمـسكت بالحبـل المتينِ
بحمـد الله قـد أعـددتْ ذخـراً ... ولايــتهم لــدنيائي وديـــني

فزت وربِّ البلد الحرامِ

يــا مظهــر الهيــام والغــرام ... بحــي نجـــد مرتـــع الآرام
إن كنــت في حِلِّــك والإحْــرام ... وحــالتي نقــضِك والإبـــرام
مواليــــاً للعِــــترة الكـــرام ... فــزتَ وربِّ البلــدِ الحـــرامِ
بها ونلت غايــة المــرام

الولاية خير قُربَى

ثِقـوا أنَّ الولايـة خـير قربَـى ... وأفـضل زلفـة بـصِلات رحـم
وإنـي يـا سـراة بـني نمـير ... أخـوكم لا تحلُّوا أكـل لحمـي

خير الورى

أنـتمُ بـني أحمـد خـير الـورى ... من صامت منهم ومن نـاطقِ
مـن لم يكـن في حـبكم واثقـاً ... فلــيس بالإســـلام بـــالواثق

صح عقد ولائي

يــا بـــني فــاطم البتــول بكــم والحمــد لله صــحَّ عقــد ولائـــي
قد أتاني عامي الجديـد وعنـدي ... عن تلقِّيـه شـاغل مـن بلائـي

أنتمُ العروة الوثقى

يـــا آل طـــه أنـــتمُ عـــدَّتي	إذا قـضى الله بفـصل الخـصام
حـبكمُ الحبـل المـتين الـذي	قـد فـرض الله بـه الاعتـصام
وأنـتم أنـتمْ صـراط الهُـدى	والعروة الوثقى التي لا انفِصامْ
مـن لا يـواليكم فمـا فـاز ولـو	حـج وزكـى ثـم صـلّى وصـامْ

ولا أَخٌ كأخيه

مـا مثـلَ خـير المرسَلينَ محمـدٍ	بـين الأنـام ولا أخٌ كأخيـه
كـلاّ ولا مثـل البتـول البـضعة الزهـراء أو حُجَـج الآلـهِ بنيـه

أمَاناً يا بني الزهراء

أمانـاً يـا بَـني الزهـراءِ صـبٌّ	مـنَ الأوزار عـاذ بكـم ولاذا
فلـم يـرَ بعـد مبحثـه زمانـاً	بغيركـمُ معـاذاً أو مـلاذا

اعتقَدت ولاءَ آل محمَّد

هـذي مفكّرتـي بمـا آليـتُ مـن	قـسَم بإيمـاني وصـدق يقـيني
إنـي اعتقَـدت ولاءَ آل محمَّـدٍ	ديني ومن هَولِ المعاد يقيني

الفَوزُ كل الفَوز

إنْ كـان خـيرَ الأنبيـاءِ محمَّـدٌ	حقـاً فخـير الأوصـياءِ وصـيُّهُ
والفَـوزُ كـلّ الفَـوز نـال مطيعـهُ	والخسـرُ كلُّ الخسـر نال عَصيُّهُ

بكُم يا عِترةَ المختار

بكُمْ يـا عـترةَ المختـار أُمـسي وأُضحي مستهامَ القلب صبّا
رضيتُ بأحمدِ الهادي نبيّاً وبالله العليِّ الشأن ربّا

إليك أبا الزَّهراء

إليك أبا الزَّهراء يا خير مُرسَلٍ أُشيرُ بما يحويه صدق مَدائحي
عليك صلاةُ الله ثمّ سلامه ثناءً فمِنْ غادٍ إليكَ ورائحِ

(آل طه)

آل طه ولاؤكم وهو ذخري أولٌ ما له بقلبيَ ثانِ
أنتم ملجأي وغاية قصدي وملاذي من طارق الحدثانِ

فرض الله حبكم

فرضَ الله حبكم وارتضاه مصطفاهُ منّا على الذكر أجرا
وبه يعرَفُ الزنيم من الناس ومن كان طاهر الأصل حرّا
وَيحُ غُرّ لجَهلهِ آثَرَ الدُّنيا عليكم فخابَ دُنيا وأُخرَى
بفؤادي برد اليقين وعندي لكم مهجة من الشوق حرّى
إنَّ مدحي مقصر عن علاكم وكفى مدح ربكم لي عُذرا

يا أبا العترة الكرام

يا أبا العترةِ الكرام اعتقادي صح لي عن بصيرة ويقينِ
فإذا من يرى بذاك انتقادي ثقَتي أن يصونني ويَقيني

وعلى سر سرهم

بوركت ليلة خلوتُ فطالعتُ بأثنائِها كتاب الهدايه
مخلصاً للنبي والعترة الأطهار آل الرسول صدق الولايه
موقناً في سريرتي أنما الأمر إليهم نهاية وبدايَه
هم غياثٌ لنا وغاية قصدٍ يا إلهي وأنت للكل غاية
ربِّ فاجعل ولاءهم لنجاتي يوم ألقاهم لدى البعث آيه
وعلى سر سرهم ثَبِّتِ اللهم قلبي روايةً ودرايَه

يا بني الزهراء

يا بني الزهراء حبكُمُ واجب في الدين مفترضُ
ما لِمَن صحت ولايتهُ بسوى معناكمُ غَرَضُ

هم صخرة الروح

كم ليلة قضيتها عالماً أني بأفعالي عين الملّيم
لكن بحبي عترة المصطفى قد جئت مولاي بقلبٍ سليم
معتقداً بسر سري بهم نجاة مثلي من عذاب أليم
هم صخرة الروح عليها بنى بيعته العظمى ونار الكليم

ربِّ زدني بصيرة ويقيناً

رب زدني بصيرةً ويقيناً وهُدىً في ولاء آل الرسولِ
إنما صحة الولاية فيهم منتهى مطلبي وغاية سولي

بولائكم ترجو الغداة

ذكـــرَت قـــديمَ زَمانهـــا　　　فـــصبَت إلى أوطانهـــا
عــــودا إلى ذاك المكـــان ولـــيس في إمكانهـــا
مـــا شـــأنها وتعلَّقَـــت　　　مـــا لم يكـــن مـــن شـــأنها
بـــولائكم ترجـــو الغـــداة　　　الثقـــل في ميزانهـــا
وبغيركـــم مـــا إن تَنـــال　　　النفـــع في إيمانهـــا

اغفر لي اللهم حباً لهم

ولاؤكـــم يـــا عـــترة المـــصطفى　　　أفـــضل مـــا نلـــت وخُوّلـــتُ
إنـــي لنيـــل الفَـــوز مـــن خـــالقي　　　عليـــه في المرجـــع عوّلـــتُ
فـــلا رأيـــت الـــنجح في مقـــصد　　　إن حلـــت عنـــه أو تحولـــتُ
فـــاغفر لـــيَ اللّهـــم حبّـــاً لهـــم　　　مـــا قلـــت ســـهواً أو تقولـــتُ

أعزُّ عنديَ من مالي ومن ولدي

قد ساورَت مهجتي أوهامَها فخذوا　　　يا صفوةَ الله من بين الورى بيدي
إن لم يكن ليَ من إحسانكم مددٌ　　　ينجي فلا عدتي تغني ولا عُدَدي
يا رب فاجعل موالي آل فاطمةٍ　　　أعَز عنديَ مِن مالي ومِن وَلدي

حبُّ الأئمة في أُولى مفكرتي

هـذي مفكـرة العـام الجديـد بمـا　　　فعَلَـت في عـاميَ الماضـي مـذكرتي
جعلـت لله ربـي كلمـا صـدَرَت　　　حـب الأئمـة في أولى مفكرتـي

أفضل ما أرتجيه

أفـــضل مـــا أرتجيــــه ذخـــراً ... ولايــــــة الأنـــــزع الـــــبطينِ
والحـــب في ذاتـــــه تعـــالى ... لكـــــلّ ذي نحلــــــةٍ وديــــــنِ
وإنـــــني مـــا أردتُ ســـوءاً ... لـــــذي وفـــــاءٍ ولا ظـــــنينِ
أظـــــنني في المعـــــاد أنجـــو ... والظـــــن بـــــاب الـــــيَقينِ

ولاؤكم شرفٌ وفخرُ

قرعتُـــكَ بالعظـــات فلـــم تـــؤَثِّر ... أآنـــت فلَـم تلِـن يـا قلـبُ صـخرُ
لِنفـــسي حـــبكم يـــا آل طـــه ... غـــداة البَعـــث عنـــد الله ذخـــرُ
فـــإنْ يفخـــرْ بنـــسبته شـــريف ... فـــإنَّ ولاءكـــم شـــرف وفخـــرُ

حب الوصي أَقوَم جادَه

إنَّ لله في خروجــك مـــن نجـــدٍ ... ويـــا حـــسرتي عليهـــا إرادَهْ
ليـــت شـــعري هـــل إلى ظلـــها الفينـــان في روضـــها الأريـــض إعـــادَهْ
ويـــح نَفـــسي لـــشقوة تتمنَّـــى ... بعـــدَها ســـرمداً نَـــوال الـــسعادَه
إنَّ حـــب الوصـــي أيتُهـــا الـــنفس اطمئنِّـــي إليـــه أقـــوَمُ جـــادَهْ

الولاية خير وسيله

يـا نفـس تـبغين الرجـوع إلى حمى ... نجـد : مُنـىً عـزَّت ولـستِ هنـاكِ
يـــا ليـــتني أدري بأيَّـــة خِلـــةٍ ... وبـــأيَّ مُطَّلـــب تُنـــالُ منـــاكِ
لا ســيرة قــصداً ســلكت قويمــة ... كــلا ولا عمــلاً هنالــك ذاكـــي
إنَّ الولايـــة لهـــي خـــير وســـيلة ... بـــشروطها ثقلـــت ومـــا أدراك

كفى بولائكم

كفـــى بـــولائكم يـــا آل طـــه | لَمَـن يبغـي العلى شـرفاً ومجـدا
فلـــولا فيـــضُه لم يلـــف حيّـــاً | ولـولا حـبكم ما اشـتقتُ نجـدا

فكرت فيما يريح النفس

فكُرت فيما يـريح الـنفس من وصبٍ | وينقـذ القلـب مـن هـم ومـن حـزَنِ
فمـا وجـدت فتـىً يـصفو لـه زَمـن | ولا أخَـا منحـةٍ يخلـو مـن المِحَـنِ
ولم أجـــد راحـــةً للـــنفس كاملـــةً | ضـمنَ الـشرائع والأسـفار والـسُّنَنِ
إلا التقيـــــة والتـــــسليم يعـــــضدهُ | صـدق الـولاءِ يقينـاً في أبـي الحـسَنِ
حييـت في ذاك مرتـاح الـضمير كـذا | إن شئت تحيى حياتي ناعماً فكـنِ

ليت شعري

برجـــاءٍ ومـــع اليـــأس انقـــضَى | عـاميَ الماضـي ووافـاني الجَديـد
ليــت شــعري أيمــا قــدمتُ مــن | عمــلٍ فيـــه شـــقيَ أم ســـعيد
فـــإذا صـــح ولائـــي نلـــتُ مـــا | وعــد المــولى ووُقِّيـت الوعيـد

شرط النجاة

شـــــرط النجـــــاة بمـــــا أتَـــــت | فيـــه عـــن الهـــادي الروايَـــةْ
صـــــدق الولايـــــة للّـــــذي | فـــرض الإلـــه لـــه الولايـــه
هـــــذا هـــــو الإيمـــــان وهْـــــوَ | لكـــل شـــرع جـــاء غايَـــه
وبقيـــــــة الأعمـــــــــال للإيمـــــــــان عنـــــــــوان وآيـــــــــه

قوامُ الشريعة

إنَّ الشريعة مشروع التقوى ومنهاجُ الهدايَهْ
وقَوامُها الإيمان والإيمان إخلاصُ الولايَهْ
وبقيَّةُ الأعمال كالعُنوان وهو لهنَّ غايهْ
وبذاكَ قد صحَّت عن الهادي وعِترته الرِّوايَهْ

ذكركَم يا بني البتول

ذكركُمْ يا بني البتولِ صلاةٌ وزكاةٌ وحَجَّةٌ مبرورَهْ
وبإخلاصِ حبكم يطمئِنُّ القلبُ أمناً وتستنيرُ البَصيرهْ
وسيلقاكمُ المحبُّ اعتقاداً حين يلقاكمُ بعينٍ قريرَهْ

نفسي فداؤكَ

أخلَصتْ حبك للوصيّ تَيَقُّناً نفسي فِداؤك يا وليّ المُرتضى
أبشِر فقد أخرجت نفسك واثقاً بالفوز مِن ضيقٍ إلى سَعَةِ الفَضا

وسيلتي لله سبحانه

قضَّيتُ سبعينَ على حبكم يا آل طه عَن خلوص اعتِقادْ
مُقلِّداً في البعضِ منها وفي البَعضِ على بحثٍ بها واجتِهادْ
والكلُّ مِن فضلكمُ منحةٌ تهدي أخا القَصدِ سبيلَ الرَّشادْ
وسيلتي لله سبحانه وهْوَ معاذَ العَبد يومَ المَعادْ

ما لي سوى حبِّكُمُ

أنـــا عبـــدُكُمْ يـــا آلَ أحمـــدَ لا عِتـــاقَ ولا ســـآمَهْ
مـــالي ســـوى حـــبكمُ أمَـــلٌ غـــداً يـــومَ القيامَـــهْ

فاللّهُ يَجعلها لَنا

إنّ الوِلايَـــةَ خـــيرُ مـــا | يَـــدعو إلى سُـــبُلِ الهدايَـــهْ
فـــاللهُ يجعلـــها لنـــا | لِلْفـــوزِ يـــومَ البَعـــثِ آيَـــهْ

طاعةُ الله

إنمـا الحكمــةُ خــيراً يُؤتَهـا | مَـنْ يشاءُ الله مـن هـذا الأَنـامْ
وهْـيَ إنْ حاولتَهـا واضـحةٌ | طاعـةَ الله وعِرفـانُ الإمـامْ

فحبكم آل طَه

يا آل أحمدَ يا خيرَ الورى نسَباً | وأفضلَ الناس من عُجمٍ ومن عربِ
مَن كانَ في هذهِ الدنيا له أَرَبٌ | فحـبكم آل طـه منتَهـى أرَبـي
إن التقـرب للمـولى بحـبكمُ | يـوم المعادِ لَديـهِ أفضَلُ القُـرَبِ
فما توسَّلتُ عندا لنائباتِ بكَمْ | إلاّ تَجلَتْ همومي وانجلَتْ كُرَبي

مَع العُلماءِ المُجتهدين

مع الأئمّة المجتهدين

إنَّ هذهِ الرسائل تؤَرخ لحقبة من التاريخ بدأ فيه هذا الجبل (جبل العلويين) ينفض عنه غبار السنين ويزيح سدف الظلام ويبني الجسور بينه وبين إخوانه وجيرانه متحرراً من عزلته القاتلة ومطلاً برأسه على دنيا الحضارة والعرفان وكانت رحلته الأولى إلى بيروت وصيدا قبل مطلع هذا القرن مع أخيه بالله الشيخ إبراهيم عبد اللطيف باكورة مِن أجدَى وأعمّ البواكير. وستتحقق مِن ذلك بما تحقق من اتصال مع أكابر علماء جبل عامِل والعراق الذين شَغَلَتْ أسماؤهُم الضخمة الساحة العملية الأدَبية فترة حياتهم ولا يزال عبَق شذاها ونورُ عرفانها يؤرج المجالس ويشق الدياجر. وستتبين من مطالعتها كيف كانت الجهود تتركز على نشر العرفان في الأمة وبث روح الإخاء والألفة. ودفع التجنيات والأباطيل وكيف أن قسط الشيخ سليمان كان في السماك من هذا الجهد عرفاناً وتأييداً ماديّاً:

صُوَر مما كتبه العلماءُ الأعلام من مجتَهدي الشيعة والإماميَّة لسماحته

«قال»:

وهذه صورة ما كتبه إلينا الأستاذ الشيخ محمد الحسين النجفي الكاشف الغطاء.

العنوان

لمطالع صاحب الفضيلة والمزايا الجميلة الحبر الفاضل الشيخ سليمان أحمد دامت محامده.

وبطيه

بسم الله الرحمن الرحيم

عن بيروت ٢٤ رجب ١٣٢٢

لكُمْ سرائر في قلبي مُخبَّأةٌ لا الكتب تنفعني فيها ولا الرسلُ

من عبد الله محمد الحسين النجفي إلى أخيه في الله وصنوه من دوحة ولاية الله والحظوة بمعرفة أسرار الله الشيخ الفاضل الحر الشيخ سليمان أحمد دامت محامده.

أخي:

شوقي إليك على البعاد تقاصرت عنه خُطايَ وقصّرت أقلامي

واعتلّت النسمات فيما بيننا مما أحمّلها إليك سلامي

أكتب إليك كتابي هذا والشوق مبرِّح وروض الصبر مصوّح ذاكراً سجاحة تلك الأعراق ودماثة تلك الأخلاق وغزير ذلك الفضل وقد عاقتني الصروف والمحن (عافاك الله) طول ما مضى عن التحرير إليكم واستطلاع طلع سلامتكم (أدامها الله). وقد وردتُ حاضرة بيروت من أول هذا الشهر للتوجه إلى الوطن فما استتب لنا ذلك إلى هذا اليوم فها نحن الساعة على أهبة السفر إلى حلب ومنها إلى العراق بعونه تعالى وأنت (رعاك الله) تعلم ما للمسافر من قلق الفكر وتفرق الحواس وازدحام الخواطر ولاسيما في مثل هذا السفر الطويل الشقّة فلا جرم أنكم تمهّدون لنا العذر عما في كتابنا هذا من السذاجة أو عدم الكفاية على أنَّ المهارق مهما اتسع فيها مجال القول ولكنها دون أن تفي بشرح فذلكة الحقائق - إذاً -

فاسأل ضميرك عن هواي فإنه فيه جهينة

أخص بتسليماتي وتحياتي وأشواقي وأواخيّ[١] ودي الأخ الفاضل الأمجد الشيخ إبراهيم عبد اللطيف حرس الله سعادته وأسعد حراسته وإن شاء الله عند الوصول إلى الوطن أحرر له من هنالك حسبما اتفقنا عليه.

---

1 الأخية: الحرمة والذمة تقول لفلان أواخيّ وأسباب تُرعَى.

أرسلت إلى أحمد حبيب في المرقب بتوسط عبد القادر أفندي تحوف صندوق من الدين والإسلام فيه خمسون نسخة أعني ١٠٠ جزء وقد جلدنا الجميع تجليداً متقناً نظراً لتعسر التجليد في نواحيكم يكون ثمن الجزأين في مجيدي وربع وكرم أخلاقكم وشغفكم بنشر المعارف يغنينا عن حثكم على ما وعدتم من تصريفها إن شاء الله. ولدى العود إلى الوطن نستعين بالله جلت معونته نشرع في تهذيب رسالة إسلام أبي طالب عليه وآله السلام ونبعثُ بها أجزاءً إلى مطبعة العِرفان لتطبعها ونجهد بتوفيقه تعالى أن تكون وافية بالغرض المهم موافقة لاقتراحكم وما تحبون إن شاء الله.

أملي وثيق بالله عز شأنه وبناصع إخائكم أن سوف أجد جواب كتابي هذا قد سبقني إلى النجف تخبروني فيه عن سلامتكم التي هي القصد الأول عافاكم الله من كل سوء بسره الخفيّ ثم تعرفوني وصول صندوق الكتب وتجعلون المراسلة إلينا بالعنوان الذي سبق لكم منّا كما أني لا أستريب منكم في دوام المراسلة فإنها الصلة والمواصلة وبذلك أرجو أن يجعلنا الله من الملأ الأعلى ويجمع بيننا في الرفيق الأسمى. وفي الختام تحياتي غادية ورائحة منك إلي ومني إليك فدم بالعز والشرف والسلامة والسلام.

آل كاشف الغطاء

«النجفي»

جوابه

إلى حضرة الأستاذ الفاضل العالم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي أيده الله

يا ابن الذين لهم في العلم منزلة — عزت على النيّرين الشّمس والقمرِ
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم — بعد الممات جمالُ الكتب السِّيَرِ
إن لم تفقهم فقد وافقتهم شيماً — لما أتيتَ هُدَى موسى على قدَرِ

سلام عليك أيها الأستاذ الفاضل ورحمة الله وبركاته يشهد الله سبحانه (وكفى به شهيداً) أنّ تلك السويعات القليلة التي قضيناها بأنسكم قد أبقت لكم من الودّ بقلبي الصميم والحبّ الذي لا يريم ما لا تسعه العبارة (عبارتي) ولا توضحه بالإشارة ولست من

أرباب الأقلام وصاغة الكلام لأحبّر وأعبّر... إذا لم تستطع أمراً فدعه... ما كُل ذلك إلى طهارة وجدانكم وسحر بيانكم وقوة إيمانكم والحب في الله على قدر الإيمان به. فإذا أنتم أكثر منا حبّاً وأعلى في الصداقة كعباً.

مولانا بيد الاحترام والتكريم تلقيت كتابكم الكريم المؤرخ ٢٤ رجب ١٣٣٢ من بيروت وأجبت عنه بتحرير ضعيف العبارة (استعجالاً وامتثالاً لأمركم في أوله هذانِ البيتان:

يا ساكني النجف الشريف عليكمُ ... مِن ذي الجلال تحية وسلامُ

حبي لكم في الله يزكي غرسه ... بفؤادي الإيمان والإسلامُ

كتبتهما هنا لأنهما خرجا عن صدق نية وسلامة طوية وحرصاً على إثباتهما إن لم يصل ذلك الكتاب (وأنت أيدك الله) تعلم ما عندنا من ضعف الاستطاعة ومزجاة البضاعة فلا نعتذر عما بعبارته من الركاكة إذ الاعتذار يليق بمن يسيء طوراً ويحسن أطواراً. أما من لا يجيد مرةً في العمر فلا يحسن منه الاعتذار عن الإساءة وسنجهد إن شاء الله بسد هذا الخلل ونقدم بين يديه حسن الإخلاص وصدق النية والمثابرة على إتقان العمل بما يسركم والله سبحانه ولي التوفيق.

أحبّ التعارف مع المولى الشريف السيد صدر الدين الصدر والفيلسوف الكبير مؤلف نقد فلسفة دروين لنستفيد من عوارفهما ومعارفهما فهل لك أيها الحبر الجليل أن تكون الواسطة وتعلم ما وراءه من النفع المادي والأدبي ديناً ودنيا. إننا لفي أشَد الاحتياج إلى القيام بمثل هذهِ الوظيفة في مثل هذا العصر وقد تقدّمت إلى صاحب العرفان بهذا وما أراكم تضنون به علينا إن شاء الله تعالى.

وأرغب إلى الأستاذ الجليل أن يتحفنا من الفوائد بما تصل يده إليه ولا يكون به كلفة عليه وليكن ما يُرسَلُ إلينا بعد الآن إمّا بواسطة أحمد أفندي حبيب رأساً وإما بوساطة العرفان ومتى أتى جواب كتابي هذا وتطمنت بوصولكم إلى النجف الأشرف أقوم بما يجب إن شاء الله من حسن الفعال وصدق المقال بما وعدتكم (فأمدونا بالدعاء) ويسرني جداً أن أكون من ذكركم إياي وتلاوة رسائلكم على عهد جديد (فزدني من حديثك يا سعدُ).

أسأله تعالى أن يلحظكم وإيانا بعين الوقاية ويبلغكم من أمانيكم الشريفة غاية الكفاية وكفاية الغاية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البداية والنهاية وعلى جميع من قبلكم من أهل الولاية مولانا.

٢٥ شعبان ١٣٣٢

الفقير لله تعالى سليمان أحمد

(قال)

وكتب إلينا بعد كتابه الأول من حماة ٢ شعبان ١٣٣٢

أخي بل سيدي أدام الله معاليه

وصلت في سيري إلى الوطن إلى حماة وكل بلد أصل إليها أعزم على اللبث فيها يوماً فيلزمني أهلوها بالتعطيل يومين أو ثلاث (كذا) وقد اجتمعت في حماة بأحد إخواننا من أهل «العمرانية» فحبَّبه إليَّ معرفته بك وإنه من أهل المعرفة فأحببت تبليغ سلامي وتجديد ولائي إليك على يده وأقصى الغرض استطلاع طلع سلامتكم أدامها الله وقد كتبت إليك من بيروت وقدمت عدد النسخ من الدين والإسلام التي شافهتنا بإرسالها على يد «عبد القادر تحوف» و«أحمد حبيب» إن شاء الله وصلت وتكرمت بأعمال الهمة المأمولة في صرفها ولا أشدّ من شوقنا إلى الوقوف على أخبار صحتكم واغتنام تحريراتكم ولا ريب أنكم لا تشحون بها علينا جهد المستطاع ونأمل أن نجد شيئاً من كتبكم إلينا أمامنا في النجف.

بلّغوا ولو في مراسلتكم الأخ الصفيّ والعارف الوليّ الشيخ إبراهيم وافر تحياتي وتسليماتي العزم اليوم على التوجه إلى حلب ومنها إلى بغداد والنجف إن شاء الله دمتم بالسلامة والعز والتأييد والسلام.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(ويقول)

وكتب إلينا بعد وصوله إلى النجف الأشرف (تركنا العنوان وضخامته وفي ضمنه) باسم العلي الأعلى من النجف الأشرف ١٠ شهر رمضان ١٣٣٢.

لقــاؤك عنــدي لقــاءُ الحيــاة وبعــدك عنّــي بعــدُ الــنِّعَمِ
ســلام عليــك فكــم مِــن وفــاً أفــارقُ فيــك وكــم مِــن كــرَمْ

أخي بل مولاي وخليلي بل صفوة أخلائي حرس الله سعادتك وأسعد حراستك وأسعدك بألطافه ولطف بك في إسعافه ولازلت علم هدايه ومنهل جدايه وأُسَّ دعامة ورأس زعامة وسلام الله عليك ما هفا فؤادي إليك وحنّت روازح أشواقي عليك ورحمة الله وبركاته.

وردني منك أعزّك الله كتاب في سرائره سرور مناجيه من الأحزان ناجي فصافحته ثم تصفحته وقبّلته ساعة قابلته وفتحته عن جونة عطّار ونفحة أزهار ورغبت إلى ربي في طول سلامة أنامل سطّرَتْه وسحابة فكر أمطرَته ذكرت (أسمى الله علاك وأعلى سماك) أنك قد حُرِمتَ خدمة أمتك بقلمك وأنك ستبذُل في سبيلها ما لديك من الجاه والمال سائلاً هل تُعَد هذه خدمة. وهل يغرب عن عريف فضلك وغطريف نبلك أن تلك هي الأسس لكل مجد ومرقاة كل شرف والخطوة الأولى لكل سعي وما غاب عن ذاكرة الأخ أعزّه الله قول الشيخ البحراني:

لقـد بـان لـي أنَّ المفـاخر كلـها فـروعٌ وأنّ المـالَ فيهـا هـو الأصـل

وقد وجدت لبعض الفرس معنىً استحسنته فعرَّبته.

أفادتني تجاريبي كما جرَّب أمثالي بأن المال والعلم جماع الشرف الغالي
ولكن لا غنًى بالعلم عن صاحبه التالي فقدر المرء بالعلم وقدر العلم بالمالِ

فأي خدمة يا مولاي عظيمة النفع والجدوى كهاتيك على أنك (دام علاك) جد خبير أنَّ بذلَ المال في تلك السبيل أبقى وأحفظ.

ذهــاب المــالِ في حمــدٍ وأجــرٍ ذهــابٌ لا يُقــال لــه ذَهــابُ

وما أحسن قول فيلسوف الشعراء أبي الطيّب

فأحسن وجه في الورى وجه محسن وأيمن كف منهم كف منعم
لمن تُطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم

وهذا واسع كثير وأنت جد به خبير ولا أزيدك فيه بعد أن قتلته علماً وتجربة وخبراً. أما ما تكرمت به من مخابرة السيد هبة الدين في مجلته فقد فاتحناه القول ليلة أمس هو والشبيبي وأعطيناهما نخيلة رأينا في تساعدهما عليها ونهضتهما بها على خطة الروية والحكمة فواعدا بالحضور لدينا مرةً أخرى وإذا حصل الوجه الصحيح أشعرتكم بخلاصة مستقر الآراء وإلا فالإمساك عنه إلى حين ينضج وقته ويحين إبّانه خير من التسرع فيه على غير أساسٍ رصين وعمل متين.

رسالة إسلام سيدنا أبي طالب صلوات الله عليه سوف نقوم بها بعونه تعالى على ما تحبون ونرسل موادّها للطبع بعد شهر رمضان ونوعز للعِرفان بتقديم ما ذكرتم إلى مقامكم السامي أناره الله. أما ما ينفذ من كتبنا بمساعيكم المشكورة خلّدها الله فالأمل التكرم بإرساله إلى الحاج «يوسف بيضون» وأولاده في بيروت بواسطة «عبد القادر تحوف» وغيره لأن الرجل من إخواننا وله علينا حساب جارٍ والله والحقيقة يشكرانك عني والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وإذا دفعتم إليه شيئاً تعرّفونا. في طيه كتاب مفتوح رجائي ختمه وإرساله لحضرة الحبر الفاضل الشيخ إبراهيم عبد اللطيف دام علاه. وكل ملتمسي وأمنيتي من أخي في الله أعزّه الله أن لا يقطع عني كرم صنائعه إليَّ أعني دوام مراسلاته ومواصلاته فإنّها ريّ صداي ومنتعش مناي وروض جناي.

كتبت إليك ألوكتي هذه في حَمَارَّة الصيف وحصباء النجف وأطول نهار الصوم من الهاجرة فإن لم يرق لك فجلّله بصفحك وجمّله بصونك فإنه عن غير فكر مستريح ولا لب مستجمع ولا رأي حاضر فأسلم ودم كما يشاء المجد والكرم.

ولا زلت تسمو بكل صالحة ... بسعدي نصرة وتمكين
يرحم الله كل مستمع ... مشيّع دعوتي بتأمين

وسلام الله وتحياته غادية ورائحة إليك من عاقد الضمير عل ودك وصحيح لهج بجميل ذكرك وحسن ثنائك وصالح دعائك والسلام عليك وعلى كافة إخواننا من أهل المعرفة المتمسكين بالحجزة ورحمة الله وبركاته.

كتبه محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي

أخي أعزك الله

إذا رأيتَ من الجميل أن تعرف إدارة العِرفان أن ترسل ما لديها من أسماء المشتركين من إخواننا كان جيداً فإنه يوشك بتوفيقه تعالى ومساعيكم المشكورة أن يتم الاتفاق على إصدار ذلك المشروع على ما تحبون ويكون إحدى حسناتكم الغر النواصع وإرسالها إما أن يكون للشبيبي أو للداعي.

❖ ❖ ❖

وهذه صورة ما كتبه إلى الأخ الكريم الشيخ إبراهيم عبد اللطيف أيده الله

ـ العنوان ـ

لمطالع الحبر الفاضل الشيخ إبراهيم عبد اللطيف دام علاه ـ وطيه ـ باسمه العلي الأعلى

يا هداة الأنام أنتم نجوم ... بزغَت يهتدي بهِنَّ الأنامُ
فسليمان كعبة ولإبراهيم ... حجر مقدّس ومقامُ
يا حياة الإسلام دامت عليكم ... من بنيه تحية وسلامُ

أخي في الله وصنوي في ولاية مظاهر الله

سلام عليك من أخ لك يرعاك على الغيب ويودك على البعد ويهواك على الصفاء والصدق وتلفه بك وشائج المعرفة وتعطفه عليك ولائج الإيمان ودخائل السر ويسأل ربه المتعال أن يجمعَه بك أخرى ويسعده وإياك وبك في الدنيا والأخرى. أخي الوقت قصير والحر هجير وحديث الشوق شجون وشجونه فنون ولعمري لئن كنت بعيد الدار فلست ببعيد المزار فإنّ روحانيتي معكم وفكري على تشتته متى شاء جمعكم.

وإني ليدنيني اشتياقي إليكم ... ووجدي بكم لو أنَّ وجد الفتى يُدني
وأبعث آمالي فترجع حُسَّراً ... وقوفاً على ظنْ من الوصل أو ضن
فليت الصبا تسري بمكنون سرنا ... فتخبرني عنكم وتخبركم عنّي

نعم أخي لنطو هذا السجل على غره ونذره في سُنبلهِ ونكتفي منه بقراءةِ الأفكار ومطالعة الأسرار وليس الغرض في الحاضر إلا إعلامكم بوصولنا إلى الوطن العزيز سالمين نلهج لكم بالدعاء وصالح الثناء راغبين إليكم بمواصلة المراسلة التي هي نصف المواصلة وتجدونا حاضرين لكل ما يلزمكم في كل هذه الجهات القادسة والمشاهد الشريفة وأقصى ما ينبغي دوام إعلامنا بأنباء سلامتكم أدامها الله والسلام عليك وعلى كافة من عندكم من إخواننا العارفين وفّر الله عديدهم وعدتهم واسلم ودم لأخيك.

١١ رمضان ١٣٣٢

محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي

(ما تجدون من أثر المحو في الكتاب إنما هو من عرقٍ يتقاطر)

وهذا من الأستاذ جواب كتابنا المؤرَّخ ٢٥ شعبان في الصفحة الماضية (بعد العنوان وتسجيله تركناه لفخامته)

وَلَقَدْ آتَينا داوُدَ وسُليمانَ عِلماً

تحمَّل إسلاماً كتابي وإيمانا ... عساه يحيّي بالسلام (سُليمانا)
أميناً على سر الولاية والهُدَى ... وأشهد حقاً أنّه قَطّ ما مانا
لسَلمان أهل البيت سر لرمزه ... تفطّن إبراهيم ساعة سمّانا
وذي غيرة لله في مجد قومه ... يدل على سُبل السعادة غدمانا
دليل نرى فيه بأعيننا الهُدى ... إذا ما الهوى عن منهج الحق أعمانا
فيا منهلاً بالفضل ما زال طامياً ... كما لم أزَل منه إلى الورد ظمآنا
ألا دمتَ أزماناً وأسعدت منجدا ... ليسعد فيك الله قوماً وأزمانا

(ذيل لازمة الميم لزوم الوفاء للحب الكريم)

أي وسرك المستنير ويم فضلك الغزير وضميرك الطهر ووجدانك الحر وصنائعك الغر إنّ الله سبحانه قد أسعدك فليس بعزيز عليه أن يسعد بك قومك ويعضد بمساعيك أمتك فتكون قد أخذت السعادة بأطرافها وحللت من المجد بأجوازه وأثباجه وإنّ في انبعاثك إلى خدمة

هذه الأمة ونهضتك الجُلّى في إعلان مجدها وإعلاء مقامها لبارقة غيث تنعش الرجاء النضو والمنى المنَائِل ولو أن فينا (معشر أبناء الولاية) عدّة من أمثالك إذاً فزنا وسعدنا ولكن الواحِد مبدأ الآحاد ومنه تؤلّف الأعداد وإلى الله جل شأنه أرغب في أن يمدك بخَفيَ ألطافه وحفيّ إسعافه مغموراً بغاياته الجليلة ورعاياته الجميلة فدم ولتسلم على ذلك وفوق ما هنالك بمشيئة الله وبَرْم قضائه الذي لا يغيّر ولا يبدّل إن شاء الله.

ويرحم الله كل مستمع مشيّع دعوتي بتأمينِ

نعم وإنَّ لهوات هذهِ الأوراق لَتعص عن شرح اليسير من الشوق إليك بله الأشواق ألا وإن حديث الشوق وشجونه فنون فاطوه على غره وذره في سنبله وفي شهادة روحانيتك النقية ولطيفتك الإلهية غنًى وكفاية غير أني أهوى جميل الذكر فيك كأنما هو لي بثينة.

فاسأل ضميرك عن هواي فإنه فيه جهينة.

وقد وافاني كتابك الكريم أولاً مع البريد مؤرّخ ١٣ شعبان وقدمت مع البريد أيضاً جوابه ثم غبت يسيراً وأردفت الفضل فضلاً وجعلت جميلك شفعاً ومثلك من يُرْبي معروفه ويتعاهد غرسه فوافاني كتابك الثاني مؤرخ ٣٠ من الشهر الفارط ففتقته عن أشرف عواطفه وأجلّ لطائف يقعد الشكر عن القيام بحقه والنهوض بعبئها حيّا الله تلك المكارم ولازال منهلاً ودقها ساطعاً برقها وكانَ هذا الكتاب بتوسُّط العِرفان وإذا لم يكن كلفة عليكم في إرسال ألوكتكم رأساً إلى النجف فهو أسرع وأمنع وما تكرمتم به من المبلغ قبل وصول الكتب فهو مع غاية التشكر مما يعز علينا وما كان مترقباً منكم ولكني لا أريد أن أشق عليكم سوى أنك أبيت إلا كرماً. (وتأبى الطباع على الناقل) وتحويله إلى إدارة العرفان وإن كان موافقاً ولكن كنتُ أحبّ إرساله إلى الحاج يوسف بيضون وأولاده في بيروت لأنَّ لهم عليَّ مبلغاً وضعوه في سبيل الكتب من تسفير وغيره فإن تجز بعد ذلك شيء من هذه الكتب أو ما يرسل بعدها ويجد من غيرها وأحببتم تحويله إليهم فهو أيضاً موافق ومحبوب إلينا ورأيكم هو الموافق للسداد إن شاء الله.

طلبتم التعارف مع العلامة مؤلف نقد «دروين» والسيد صدر الدين والتعارف بين أفراد الأمة الواحدة أول حجر في أساس رقيها ومجدها ولاسيّما بين أفاضلها ومفكريها إذاً فما أعظم شغفنا بذلك ومسارعتنا إليه أما صاحب النقد فهو في هذه البرهة نزيل كربلاء أعني مشهد سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه وعلى أبنائه وآبائه السلام وللداعي عزم التشرف بتلك الأعتاب قريباً وهناك نجري اللازم مع ذلك الفاضل ولنا معه صداقة أكيدة ورَحِمٌ ماسة ومراسلة متواصلة وحريٌّ جداً تعارف مثلك بمثله وكل إنسان ينزع إلى شكله فحيّا الله هذه الروح وهذه الفكرة ثم حيّاها ألفاً ألفاً. أما الصدر فقد كان سافر إلى إيران ولا نعلم الآن هو في أي خطةٍ منها.

قد كانَ سبق ذكر مجلة العلم وأبدينا لكم أن السداد فيما ارتأينا جمع الشهرستاني والشبيبي معاً واشتراكهما في إصدارها وتحريرها ونكون على مرقب وإشراف عليهما خارجاً وبعد جلسات عديدة وإلقاء تقريراتٍ بليغة مقنعة ذهب عناؤها باطلاً وكنا كمَن حاول جمع الماء والنار لتبايُن مبادئهما وتباعد خطتهما والذي أحسست به أخيراً أنَّ كلاً منهما يحاول إصدار صحيفة باسمه وكنت أود غير هذا ولكن لا يطاع لقصير أمر. والمظنون أو المقطوع أنه سوف يراجعونكم رأساً في هذا الشأن والذي يخطر على فكري في صواب هذه الحركة وتعديلها أن لا تُجيبوهم إلى شيء بإطلاق العنان لهما أو لأحدهما فإنّ القوم (سددهم الله) لا يخلو سيرهم من إرقال ووجيف يحتاج إلى تعديل وتخفيف وإلا فالعمل يعود عقيماً ويسقط الحَمْل خداجاً أو تهب عليه عاصفة فتأتي عليه وهو في مهده وقد شافهتكم (أعزكم الله) بالإشارة في ذلك (إنّ العصا قرعت لذي الحلم) هذه زبدة ما لدي بهذا الشأن ولا حاجة إلى التفصيل فإنّ ضميرك الطاهر مما يوحيها إليك كما هي وفيما مضى لما بقي عِبْره والعرفان وإن خفت لهجتها كما أفدتم (حرسكم الله) ولكن لو أنّ لها مسدداً يشرف عليها ممن أنضجتهم العبَر والمعارف العارفين بوضع كل شيء موضعه وعدم التجاوز به عن حده لما كتبت في تأبين المحامي.

فكيف بنا معاشر الشيعة فإننا لا يسوغ لنا في شريعة العَدل والعقل أن نقول... ولكني أحب الاعتدال في كل شيء ولكن أين من يستقيم عليه ويهتدي السبيل إليه وهذه شطحة من القلم ما كنت في قصدها ولكن أردت بها ضرب المثل لك (أيدك الله) وأنت في غنىً عن التعهد

إليك بكتمانه أصلح الله الجميع إن شاء الله فإننا جميعاً في حاجة إليه ومن جبلة النقص وعدم الكمال لأحد سوى الأحد وجد علينا الأخ الفاضل ما وجد وأخذ ما أخذ في شقته الانتقادية التي في طي كتابه الأغر والأخ أعزَّه الله جد خبير بما منحه الله من نافذ الفطنة إنني أعتد هذه أفضل غنيمة وأبرّ ضيعة وقولكم لا أحب أن يراها أحد سواكم قد زادها جمالاً وكساها فوق الحسن تحسيناً وهو من الحشمة وغاية اللطف والأدب ولكني لا أكتمك أيها الأخ العزيز أنني سوف أذيعها نشراً وأطريها ذكراً وقد أطلعت عليها أخي وشقيقي الأكبر أحد مراجع الفضل والتدريس في النجف الشيخ أحمد وحضرة والدنا الشيخ الأعظم فزادوا عجباً كما ازدادوا حبّاً وسوف أتلوها على عامة من انضم إليه وينضوي إلي من أهل الفضل والأدب محفوفة تلاوتي بشكري وثنائي وترجمة شيء من حياة تلك الذات الطيبة والأخلاق الطاهرة والمساعي المشكورة مع علمي بأنك لا تحب الشهرة ولا تتطلب الصيت والعظمة ولكني لا أقدر على كتمان الفضيلة وسر المعرفة والاعتراف إلا بالحقيقة كل ذلك يدفعني من الوجهة العاقلة الشديدة إلى نشر حديثك والتلذذ به ولكن غب هذا أجمع فإن لنا شيئاً من المراجعة على بعضها من قبيل السؤال لا الجدال ولكن نرجي ذلك إلى غير هذا الكتاب خوف السأم من الطول.

أمّا ما ذكرت عافاك الله من الاستشعار من مقالة الشرقي وقصيدة الشبيبي بعض ما يوجب الأسف إلخ. فدع عنك نهباً.. ودع عنك حديثاً لا ينفع الخوض فيه سوى الوجد واللوعة والأسف والغصة اللهم إلا في سبيل إصلاحه ويشهد الله أنّنا لم نزل نسعى فيه ونحوم عليه طلباً للطريق الموصل إلى الغاية المقصودة والمستعان بالله وهاهنا شؤون وشجون لا تفي بشرحها المراسلات على أن ليس في شرحها كثير جدوى وعسى الله أن يحدث بعد ذلك أمراً.

واصلوني بكتبكم ورسائلكم واجعلوها صلةً عائدة غير مقطوعة ولا ممنوعة فإنها أبرّ يد عندي وأحظاها بودي وخالص عهدي ودمتم في سعود وجدود وجديد سعود وهلك عدو وحسود وسلام الله عليكم في البدء والختام ودم واسلم لأخيك.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي

(هذا الكتاب جاءنا غفلاً من التاريخ)

نفـــي الفـــداء ومـــا ملكـــتُ ... مـــن التليـــد أوِ الطّريـــفِ
لِمبلّغـــــــي أمنـــــــيتي ... بزيـــارةِ النجـــف الـــشريفِ

يـــا بـــني كاشـــف الغطـــاء ولاكـــم ... منتهـــى منـــيتي وقـــرة عـــيني
قـــد شـــرفتُم بجعفـــرٍ (يـــا بنفـــسي) ... وبموســـى وبالرضـــى (والحـــسينِ)

❖ ❖ ❖

من السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العلامة المجتهد الإمامي الثقة الكبير (بالحرف)

بسم الله تعالى

أيها الأخ الكريم والولي الحميم فدتك نفس ولهت بولائك وولعَت بصدق إخائِك ووقاك قلب أُشرِبَ الإخلاص لك فأخذت بمجامعه إلى الاختصاص بك ويفديك جسم باتَ فيك نضو سقام وصريع غرام يستوقد الشوق ضلوعه ويضرم أنفاسه يحييه وميض برق يتألق من ناحيتكم وينعشه وافد نسيم يهبُّ من جهتكم ولا غرو إن لجَّ بيَ الوجد والتَعَجَتْ نيرانه في أحشائي فأنت نور عيني ونفسي بين جنبيَّ ولله عائدتك بكتابك المصوغ من عسجد اللطف وإبريز الكمال فزتُ اليوم بتناوله وكنت متغيباً أتجوَّل في مهمات البعض من إخواني وبرجوعي الآن إلى صور استقبلوني به وقد أخذ بمجامع الأفئدة واتصل بنياط القلوب فما الدرّ المرصوف واللؤلؤُ المنضود إلا دون غُرَرِه ودُررِه وما الخز اليماني إلا دون أفوافِ وشيهِ وما خالص النضار وسبائك العسجد إلا دون فرائدهِ وقلائده فهل أحمد إلا أياديك وأشكر إلا مساعيك جزاك الله خير جزاء المحسنين والسلام عليك وعلى من لديك أخص منهم حجة العرب وقدوة أهل الأدب قرة الناظر شبلك الفاضل راجياً إفادتي عن أحواله بلغنا الله فيه الهناء والغبطة والحبور ومتّع الأمّة بوجودكمُ المبارك.

الأقل الأحقر

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

١٦ الحرام محرم ١٣٤٨

(والعنوان على الظرف)

❖ ❖ ❖

حضرة شيخنا ومولانا العلامة الجليل الشيخ سليمان أحمد الأفخم دام عزه ومن سيادته أيضاً جواباً لجوابنا على كتابه السابق رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي في الله تعالى ووليّ في سبيل أوليائه صلوات الله وسلامه عليهم ثبّتني الله وإياك بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وجمعنا في مستقر رحمته تحت لواء الحمد مع الذين أنعم الله عليهم والسلام عليك قرة عيني ونفسي التي بين جنبيَّ أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ومن يلوذ بجنابكم ويتشرف برحابكم ورحمة الله وبركاته.

تشرفنا بالكتاب المستطاب وطلع طالع اليُمن علينا بفصل الخطاب فحمداً لما أوليت من عطفك ولطفك وشكراً لله على ما منَّ به من سلامتكم وكرامتكم وإياه نرجو أن يلحظكم بعنايته ويحفظكم من بين أيديكم ومن خلفكم حفظاً عاصماً من معصيته هادياً إلى طاعته إنه أرحم الراحمين.

نزلت على حكمك في اجتناب العبائر الدالة على ما أنت أهله من التعظيم والتبجيل إيثاراً لرأيك وانزجاراً بنهيك أمّا رسم صورة الوضوء والصلاة فقد وكلتُه إليكم وأنتم أهل لذلك فاستخرجوه من العروة الوثقى وهي الحافلة بمسائل الطهارة والصلاة الكافلة لتفصيل ما سألتم عنه فإن لم تحضر فعرفونا نقدمها ونحن مستعدون لتقديم كل ما يلزم لكم مما يحضرنا من الكتب إن شاء الله تعالى.

وما كنتُ أحب تكليفكم بالفصول المهمة فإن كانت مطلوبة منكم مرغوباً فيها عندكم وإلا فلا أرضى بأن ينالكم بسببها أقل كلفة ويسوءني ذلك إلى الغاية وإنّ في حنانكم وعواطفكم الشريفة غنىً عن كل شيء. منّ الله علينا ببقاء ذلك الحنان ودوام تلك العواطف والسلام.

الأقل الأحقر

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

٢٢ صفر ١٣٤٨

والعنوان كسابقه تعظيماً أو أكثر

(لم أكن للوصال أهلاً ولكن   أهل تلك الخيام أكرم أهل)

❖ ❖ ❖

من العلامة المجتهد الكبير الثقة السيد عبد الحسين نور الدين

بسم الله تعالى

لسانَ الخطابة ويراعَ الكتابة وساحرَ البيان وقسّ الزمان منهج الصدق والصادع بالحق العالم الفاضل جناب الأخ الأبر الشيخ سليمان أفندي أحمد أيده الله ورعاه آمين سلام عليك ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد :

فإني أحمد إليك الله سبحانه وأسأله لك التوفيق والرعاية. لقد اطلعت على ما كتبته عن كتاب الكلمات وترويجكم له وتقديركم له حق قدره وماح به في كتاب جناب الأخ الشيخ عارف أفندي فلله تلك العاطفة الشريفة التي جبلت عليها لقد صافحت منها كفاً كريماً ونفساً عبقريةً وركناً من أركان الدين وعلماً من أعلام المسلمين يُناط به الأمل ويُرأب به الصدع ويُلَمّ به الشعث فأحر بك أن تكون أكبر مصلح وأقوم مرشد وأفضل داعية للحق وأقوى مسَاعر على نشر الفضل ويا ليت للفضل من أبنائه أمثالك ولو قليل فتزهو رياضه وتُحمى حياضه وتوثّق عروته وتسمو ذروتُه فأرجو منه سبحانه إعلاء ذكرك وإصلاح أمرك وأن يوفقنا لإتمام هذا الكتاب فإني واثق بالله بأنه سيكون آية في بابه ولكن زهد الناس في المعارف الدينية وقلة ذات اليد يخبّط عن السير والتوفيق بيد الله.

أخص بالتحية فخر العرب وإمام الأدب وعاقد تاجه وذبالة سراجه شبلكم الكريم بدوي الجبل محمد أفندي حرسه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر ٧ صفر ١٣٤٨

الأقل عبد الحسين نور الدين



بسم الله تعالى

أعزك الله (قرة عيني ونفسي بين جنبيّ) ورعاك وكلاك وحماك والسلام عليك وعلى من لديك من شائقٍ إليكم باحثٍ عن أحوالكم مبتهلٍ إلى الله بصحتكم وعافيتكم راجٍ منه سبحانه وتعالى أن يقرّ بكم ناظري كما سرّ منكم خواطري وقد مضت هذه المدة ونحن في ظمأ إلى

سلسال منهلكم العذب فعسى أن تثلجوا أوار غلتنا بسائغ سلسبيلكم فإني صاد إلى كلمة تعرب عن سلامتكم متعجب من تأخرها مضطرب القلب لذلك عسى أن لا يكون المانع لكم إلا خيراً والسلام.

«جمادى الثانية ١٣٤٨»

الأقل الأحقر

عبد الحسين شرف الدين الموسوي



بسم الله تعالى

أخي العلامة أدام الله أيامه فخر كل ذي عمامة والسلام عليه ما طار قلبي بأجنحة الشوق إليه ورحمة الله وبركاته

كتابك الكريم أمامي وكتبك كلها كريمة وهي ملؤ السمع والبصر فحمداً وشكراً وثناءً وبراً متّعنا الله بحفائظك العلوية وعواطفك الإمامية. أتينا بيروت لوداع ولدنا الرضى وسيتوجه عن شاء الله غداً أو بعد غدٍ إلى مهجره من العراق مهوى أفئدة المؤمنين محط رحال أهل العلم والدين (النجف الأشرف) فأرجوك الدعاء له ولإخوته وبمرورنا في صيدا قدمنا للجناب نسخة من العروة الوثقى وفي هامشها تعليقة الإمام الحجة خالنا السيد حسن الصدر دام ظله فعسى أن تكون وصلت مع عشر نسخ من الفصول حسبما طلبتم فألتمس أن لا تتكلفوا في سبيل تلك النسخ شيئاً ولا تعطوا منها إلا لمن يطلبها وإن تأخّرت عندكم مدة طويلة وأسعدونا بكل ما يلزم.

واذكرونا مثل ذكرانا لكم   رُبَّ ذكرى قرَّبت مَن نَزَحا

والسلام عليكم وعلى من لديكم ورحمة الله وبركاته

٧ ربيع الأول

الأقل الأحقر

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

❖ ❖ ❖

صورة ما كتبه إلينا السيد عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي (بالحرف مع الأمانة التامة)

(العنوان)

الكامل الأمجد والفاضل الأوحد الأجل الشيخ سليمان أفندي أحمد أعزه الله تعالى

بسم الله الحمد لله

سلام عليك من أخٍ صدقٍ ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد : فإني لا أدري كيف أبسط اللسان بثنائك وأصف مزيد فضلك ووفائك وكلما ذكرت رأيتني كمن يصف الشمس بالضياء أو يثني على البحر بغزارة الماء وما عسيت أن أقول فيمَن تحبب إلينا بالإحسان كرماً وابتدأ أهل ملته بالإحسان نِعماً فما ندري ما نذكر من معاليك أو نشكر من مساعيك أنذكر أخلاقك الفاضلة أم مزاياك الكاملة أم فضلك الجسيم أم إحسانك العظيم ونشكر إحياءك العِرفان أم تنشيطك لأهل الإيمان أما وهمتك السامية وعزمتك الماضية لتهزني منك نجدة حيدرية وتستفزّني منك حميَّةٌ علويّة فأنا هائم بسمتك عاشق لنعتك (والأذن تعشق قبل العين أحياناً)

أتحفني الأخ العارف بمألكتكم له المحررة ثامن الشهر فعرفت بها حقيقة الحكمة السائرة حتى تجسم لي جوهر كنهها ألا وهي قولهم (كتابة المرء دليل عقله وشاهدنبله) فلِلّه أنت أكثر الله أمثالك رأيتك تتطلع إلى مشارق أنوار اليقين فآثرتكم به على عدم وجوده في الديار العاملية فيما أعلم وهاهو مع هذه الشقّة ومجمع البيان يمكنكم الفوز به بكل سهولة نظراً لكثرة وجوده ولولا ذلك لقدّمناه أيضاً . أما طبع الذريعة وسبيل المؤمنين فليس بممكن فعلاً لوفور الموانع منه . وابن المسيب لا يدفع انحرافه على أهل البيت بعد أن خالفهم في كثير مما عُلِمَ مذهبهم فيه بحكم الضرورة القاطعة وتلك كتب الفقه تشهد بذلك وهو الذي روى عن أبيه موت أبي طالب صلوات الله عليه كافراً فيما أخرجه البخاري ومسلم بل صرّح النووي في ٣ أسطر من صفحة ٣٦٢ من الجزء الأول من شرحه المطبوع في هامش إرشاد الساري بأنه لم يروِ ذلك عن المسيب إلا ابنه سعيد وهو الذي صرف عن أمير المؤمنين آية المبيت على الفراش إلا وهي قوله تعالى : «ومِن الناسِ مَن يَشري نفسَه ابتغاءَ مَرضاةِ الله» فقال بنزولها في صهيب بن سنان الروميّ وحسبك ما اشتهر عنه من الرغبة عن الصلاة على جنازة زين

العابدين وسيد المتهجدين قيل له ألا تُصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالح قال صلاة ركعتين أحَبُّ إلي من الصلاة على الرجل الصالح من أهل البيت الصالح. وروي عن مالك أنه كان خارجيّاً أباضياً وهو الأشبه.

وذهب جماعة من علمائنا إلى تشيعه تمسُّكاً بأخبار أثبتنا في سبيل المؤمنين ضعفها والله أعلم بمطويات الضمائر والسلام عيكم وعلى سائر إخواننا من أهل الولاية قبلكم ورحمة الله وبركاته.

٢٣ ربيع الأول ٣٢

الأقل الأحقر ابن شرف الدين الموسوي



إلى الشبيبي

ليشهد أنَّ حبَّك في فُؤادي … عَلَيَّ الكون أجمَع والكيانُ

وسر عبارة الإخلاص منه … يضيق بشرح معناها البيانُ

ولي ثقةٌ بأن لو التَقينا … لصدَّق صحة الخبر العيانُ

فهذا السيل ينشأ من بخارٍ … (وينبت من نوى القسب الليانُ)

هذه الأبيات وجَّهتُ بها إلى الشبيبي محمد رضا. ونُشرت في العِرفان فأجابنا بما يأتي.

سيدي: لولا أن التفضل سبيل الكرام ومثلك وإن تعمد الإحسان عادتك الجارية لم يكن لي من الخطر ما أتوقع معه مثل ما تطولت به ولكنت بحيثُ لا تشملني عواطفك الفاضلة وإذا كنت قد اتخذت منزلة في قلبك فالآن علمت أنّ في عملي شيئاً من الصدق والإخلاص لأنَّ مثل ذلك القلب الطاهر لا يتَّسع لغير الصدق والإخلاص والشيم الكريمة.

ما أنا يا مولاي إلا كطالب المحال إذا أردت أن أصوّر لك كيف أن كلمتك تجبر وهن الأديب وتعالج داء لا يعالجه الطبيب فالسكوت أجْدَرُ بي أبقاك الله وأدام نعمتك والسلام.

النجف ٢٢ جمادى الأولى

محمد رضا محمد رضا الشبيبي

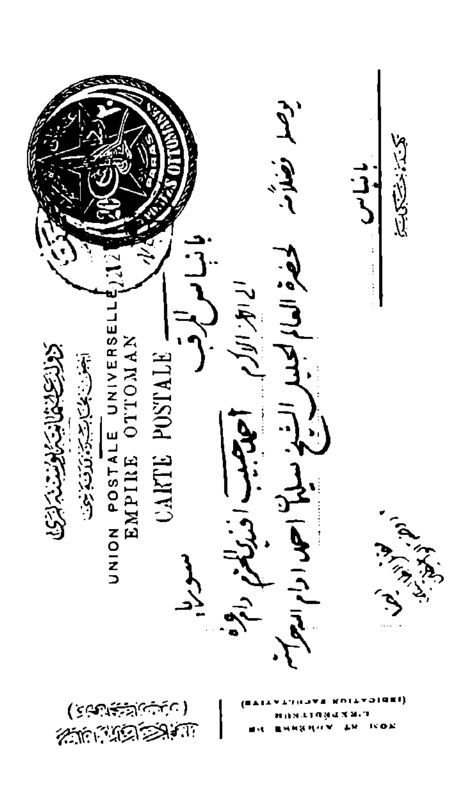
❖ ❖ ❖

«كتاب صادر عن النجف الأشرف»

مولاي سلام عليك ورحمة الله وبركاته غادية ورائحة وصلني كتابك الكريم مؤرّخ العاشر من الغابر وأحطت علماً بما تكرمت فيه أجمع أخَذنا لكم ما أوعَزتُم به من الكُتُب وقدَّمنا إليكم بعضها صحبة هذه البطاقة مخفورة مع البريد بتوسط الشيخ أحمد أفندي حفظه الله وسوف نقدم الباقي مما ذكرتم ومما يقع اختيارنا عليه لكم تباعاً بذلك المنهج ونحن نرتاح وتنشرح صدورنا للقيام بمثل هذه المهن لكم وإن لم تكن من شأننا ولكنها أيسر ما نتمنّاه من خدمة العلم والمعارف ونشرها عندكم وعند من حولكم من إخواننا حياهم الله بالكثرة والكرامة. والذي تقدم إليكم هذه الدفعة (مدينة المعجزات) تفسير (علي بن إبراهيم) (تفسير العسكري) والباقي يتلوها إن شاء الله مع القائمة. اليوم حررنا لبيضون في بيروت عن كتب الدين والإسلام التي لا أعلم ما صنع إهمال الوسائط بها وكنّا قدمناها منذ ثمانية أشهر أو أكثر أعني من شهر رجب لم يردنا من الأخ الأعز الشيخ إبراهيم دام فضله طول هذه المدة سوى كتاب واحد وقد تقدمت إليه مني بوساطتكم ثلاثة كتب وأنا في وحشة من مقاطعتهِ أرجو إبلاغه سلامي في تحريراتكم إليه وإبلاغه ذلك عني أعزكم الله وإياه انتظر دوام ما عودتموني عليه من إشفاقكم ومحبتكم التي تنطقُ بها رسائلكم الكريمة مع تكريمي بكل ما يقتضي أو يسنح لكم من خدمة والسلام عليكم بدءاً وختاماً مولاي.

٧ ربيع الثاني ١٣٢٧

محمد الحسين النجفي


UNION POSTALE UNIVERSELLE
EMPIRE OTTOMAN
CARTE POSTALE
POSTES OTTOMANES
PARAS

مولاي سلام عليك ورحمة الله وبركاته غادية ورائحة

وصلني كتابك الكريم المؤرخ العاشر من الغابر واحطت علماً بما ذكرت فيه

اجمع اخذنا لكم ما ادعزتم به من الكتب و وزعنا اليكم بعضها صحبة هذه

البطاقة مخفورة مع البريد بتوسط الشيخ احمد افندي حفظه الله وسوف

نقدم الباقي ما ذكرتم وما يقع اختيارنا عليه لكم تباعا بذلك المنهاج ونحن

نرتاح وتنشرح صدورنا للقيام بنشر هذه المهن لكم وان لم تكن من شأننا

ولكنها اليسر ما تمناه من خدمة العلم والمعارف ونشرها عندكم وعند من حولكم

من اخواننا حياهم الله بالكثرة والكرامة والذي نقدم اليكم هذه الدفعة

(هدية المجاهد) (تفسير علي بن ابراهيم) (تفسير العسكري)

والباقي نتلوها ان شاء الله مع القادم ليوم حرنا لبيضون في

بيروت عن كتب الدين والاسلام ليتها لا تمنع اعمال الوسائط بها

وكنا قدمناها منذ قليلة اشهر او اكثر اعني من شهر رجب لم يردنا من

الاخ الاغر الشيخ ابراهيم دام فضله طول هذه المدة سوى كتاب واحد

وقد تقدمت الينا بوساطتكم ثلاثة كتب وانا في وحشة من مقاطعته

ارجو ابلاغه سلامي في تحريراتكم اليه وابلاغه ذلك عني اعزكم الله [illegible]

انتظر دوام ما عود ترفه عليه من اشفاقكم ومحبتكم التي تنطق بها رسائلكم

الكريمة مع تكرمي بكل ما تقتضيه اوامركم من خدمة والسلام عليكم بدءاً وختاماً مولاكم

محمد الحسين ال [illegible] [illegible]

العالم الفاضل الكامل حضرة الشيخ سليمان أحمد المحترم

سلام عليكم

وبعد :

فقد وصل كتابكم الكريم تاريخ ٧ الحاضر وفهمت كلَّ ما ذكرتم سألتم عن قانون للقضاة الشيعيين يرجعون إليه عند اللزوم في إبراز الأحكام والأعلامات فلا يوجد سوى الكتب الفقهية لأن القضاة من الشيعة لم يكونوا إلا في هذا الزمن أما في بلاد العجم فالقضاة هم المجتهدون ويصدرون الأحكام ويكتبونها حسب ما يؤدي إليه نظرهم بمقتضى قواعد الشرع نعم إنني شارع في طبع كتاب التبصرة مع شرح له مختصر وعبارته سهلة فربما يكون فيه المطلوب وقريباً يمثل للطبع «إن شاء الله» بمطبعة العرفان يصلكم بالبوسطة «إنشاء الله» الكتب المحررة أدناه مع جواب المسائل أما الثمن فيمكنكم تحويله لنا على أحد التجار بالشام بواسطة أحد تجار اللاذقية أو على إدارة البوسطة أو على البنك السوري إن كان له شعبة بطرفكم أما التحويل ضمن مكتوب مسوكر بالبوسطة فيخشى فيه منَ السرقة والذي صار إرساله الآن هو أربع نسخ من الشرائع ونسخة من الروضة والباقي يصلكم قريباً «إنشاء الله» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٦ رجب ١٣٤١

حرره الأقل

محسن الأمين الحسيني

❖ ❖ ❖

جناب الأجل الأكرم صاحب الفضيلة حضرة الشيخ سليمان أفندي أحمد دام فضله أمين.

سلام عليكم وبعد

فقد ورد كتابكم الأخير وقدمنا جوابه وجواب السؤال وقد مضت مدة ولم تفيدونا عن وصول الكتب المرسلة بالبوسطة تشوَّشنا خوفاً من عدم وصولها الأمل أن تكون وصلتكم وأنتم بخير ثم حينما حضرنا لجبل عامل وجدنا نسخة من الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية التي قدمنا لكم منها في الإرسالية الأولى حسب طلبكم فأحضَرنا النسخة معنا

للشام إن كانت لازمة عرفونا حتى نرسلها لكم وعرفونا وصول النسخ السابقة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٠ رمضان ١٣٤١

حرره الأقل

محسن الأمين الحسيني



بسم الله تعالى

أخي الأغرّ الأبر العلامة لازلت فخراً لكل متوج بعمامة السلام عليك أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته أخذت كتابك الأخير وفيه حوالة بخمسين ليرة سورية وقد قبضنا هذا المبلغ وبضع الكتب التي ذكرتموها غير موجود عندنا منه إلا نسخة واحدة لا نستغني عنها ولذا تأخرنا في إرسال الكتب وقريباً تتيسَّر إن شاء الله فنقدمها لكم مع ما نقدمه من مكتبتنا بعنوان الهدية ولكم الفضل وحيث أن إرسالها مع البريد يكلفنا مصاريف كثيرة لذلك سنعتمد رأي آل بيضون أو غيرهم من تجار بيروت في إيصالها إليكم مع الحمل وإذا كلفتم من تعتمدون عليه منهم في هذه المهمة وعرفتمونا باسمه ليستلمها منا كان أولى فالمرجو إفادتنا عن رأيكم في كيفية إرسالها وسيأتيكم منا التفصيل إن شاء الله تعالى والسلام.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

في ١١ شهر رمضان ١٣٥٧



بسم الله الحمد لله

السلام عليك أخي في الله عز وجل ورحمة الله وبركاته وعلى من يلوذ إليك.

أسأل الله من فضله توفيقكم لما هو أرضا وأبتهل إليه سبحانه أن يدرأ عنكم بوائق الآخرة والأولى ويعصمكم من كل غاشم وطارق إنه أرحم الراحمين.

رجعنا من مشاهد القُدس ومهابطِ رحمة الله. بيوتٌ أذِن اللهُ أنْ تُرفَع ويُذكَر فيها اسمُه. والحمد لله على التوفيق للتشرّف بأعتابها والفَوز بالحَظ الوافر تحتَ قبابها. وقد

أشركتكم في عملي والله المسؤول في أن أبلغ من دوام سلامتكم وكرامتكم أملي . لم أتوفق الآن لتقديم الكافي وسأُقدّمه إن شاء الله تعالى . وهذا كتابُ الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقية متنها المتين للشهيد الأول وشرحها المُبين للشهيد الثاني وهما من أفضل الكتُب الفقهية كما تعلمون أرجو قبول هذه الهدية وإفادتي بوصولها .

والسلام على قرَّة العين والنفس بين الجنبين أديب الجبلين العلويّين وعلى سائر الأشبال وبقية الآل ورحمة الله وبركاته .

الأقل الأحقر

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

❖ ❖ ❖

حاشية :

كان بعض الإخوان طلبوا من المهاجر كميّة من المراجعات فقدّمناها

صيدا في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٤١ ١٢ شباط ١٩٢٣

مولانا الأستاذ المفضال دام فضله

سلام واحترام وتحية مباركة

وبعد :

فقد تناولنا الكتاب الكريم ومعه حوالة بعشر ليرات سورية فشكرنا همتكم الشماء وكنا قدمنا لكم كتاباً قبل الآن مع كتاب الشرائع واللمعة عساهما وصلا ونالا استحسانكم وقد كتبت لسيادة العلامة السيد محسن الأمين في الشام أن يقدم لكم رأساً ما يراه مناسباً منَ الكتب الفقهية لأنه جاءه قسم منها مجدداً وهو أقرب منا للعراق والعجم فيمكنكم مفاوضته دائماً بأمر الكتب الشيعية الفقهية والمسائل الشرعية وسترون من حسن معاملته ومكارم أخلاقه ما يرضيكم إن شاء الله .

الجزء الأول من سنة العرفان الحالية نفذ والثاني أصبح قليلاً فهل نرسل من الثالث فصاعد أم ننتظر لنحصل على نسخ من الأولين عرفونا رأيكم .

سلامنا واحترامنا لنجلكم الأديب الذي نعجب أشدّ الإعجاب في منظومه ومنثوره وكان لما كتبه عن الاتحاد وقع حسن في النفوس ولا غروَ فالولد سر أبيه وهذا الشبل من ذاك الأسد .

وكانَ طلب منا ثلاث نسخ من العرفان في المجلد السادس وقدمناها إلى آخر السنة لكن سكت المشتركون وسكتنا .

لا يهولكم ما ترونه أمامكم من العقبات الكأداء فلا بد دون الشهد من أبر النحل .

شرفونا بما يلزم من الخدم والسلام عليكم وعلى سائر الإخوان ورحمته وبركاته .

الداعي

أحمد عارف الزين



صيدا في ١١ شوال ٣٣٠

حضرة العالم الأوحد والمولى الأمجد دام علاه

سلام واحترام وبعد . فقد تناولنا كتابكم الكريم بيد التكريم ما تفضلتم به من الغيرة على انتشار العرفان شكرناكم عليه بكل لسان أدامكم الله للعلم عضداً وللدين ساعداً ومؤيداً قدمنا لحضرتكم حسب إشارتكم بواسطة دولة السيد سهيل باشا نسخة واحدة من الأجزاء الصادرة هذه السنة من العرفان حتى إذا عرفتمونا وصولها نقدم بقية النسخ مع المجلدات السابقة ويمكن إرسال القيمة حوالة على الوسطة العثمانية في اللاذقية أو في طرطوس واشتراك كل نسخة من هذه السنة ريال مجيدي وثمن المجلد الثالث بدون تجليد ريالان والمجلد الثاني مجلداً ريال مجيدي وللأول بدون تجليد ريال مجيدي وربع فتكرموا بتحويل القيمة كما أشرنا لنقدم هذه المجلدات حالاً ولكم الشكر سلفاً شرفونا بخدمتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته مولانا

الداعي

أحمد عارف الزين

الشِّعرُ السِّيَاسيّ

الشعر السياسي

لقد كانت مفاجأة لنا أن نكتشف بأنّ له شعراً يمكن أن نسميه شعراً سياسيّاً وقد كان يمكن أن نغفِلَه لولا أنّا وجدنا فيه نفعاً لِمَن يريد أن يعلم أثَر انعكاسات ما كان يجري من الأحداث في عقول وأفكار الناس في هذه الحقبة الغامضة من تاريخنا وأيضاً لو لم نجد فيها ومضات نيرة كشفَت لنا عن بعض نواحي بصيرته النفاذة إلى بواطن حقائق الأمور. وأن أول ما نسجل منها قصيدتان تكشفان لنا عن الهِّمات التي كانت تراود النفوس للاستقلال والتحرر من نير السلطنة التركية بزعامة المرحوم عبد القادر الجزائري والتي كان هواش بك أحد ضحاياها ولم ينجه من الإعدام إلا شفاعة كبرى من أحد أقاربه في طرسوس. فاستبدل حكم الإعدام بالنفي إلى رودس حيث توفي رحمه الله وبها ضريحه وفيها نَتَشف حنيناً دافئاً لذكراه وخِشية من البوح بما في حناياه ولوعة تكاد تنم عن الحسرة لإخفاق مسعاه وأمَلاً عريضاً أن تديل الأيام وينجح المسعى في مرة قادمة.

والآن قلبي حلّ في رودسٍ ... لا بالنَّقَا يصبو ولا البادِيَهْ

يا عم يا ويحي على نظرة ... بالدهر من طلعَتك الزاهيَهْ

إني لأبخل بالدموع لذكرها ... وبمهجتي منه يشب وقود

فكأنني بالدهر بعد تجهم ... يزهو على وجناته التوريدُ

وحِمى حماة موائس أغصانه ... طرباً وطالعه الأغر سعيد

أما قصيدته بالمرحوم محمد أرسلان سليل العائلة الأرسلانية اللبنانية الشهيرة والذي كان نائباً عن اللاذقية في مجلس (المبعوثان) كما كان يسمى برلمان تلك الأيام والذي اغتيل في حركة مضادة للدستور فنراه ينبري للنطق بلسان قومه.

آل رسلان دعوة من محب　　مخلص في الضمير منه الولاءَ
ناطقاً عن لسان قوم بحق　　شاطروكم عناءكم والهناءَ

وهو عندد شهيد الحرية والدستور واليتيمة العصماء في عقد مجد آل رسلان وإن الحسرة لن تزول إلا بإدراك العدل وِتْرهَ.

ثم يصف الثورة المضادة بأنها جاهلية جهلاء ويتوعد الجناة

إن تكونوا قتلتموه قُتِلتم　　فاستعدوا لكي تنالوا الجزاء
إن بيض الصِّفاح إن فُلَّت الأقلام فهي التي تجيد الرثاءَ

ويسجل لنا فترةً خدَعَتهمُ الآمال بنيازي وأنوَر فراح يتغنى بأحلام المستقبل

سنَرَى فوق ما نريد رجاء　　منهم حين يعقدون اللواءَ
علماً خُط باتحادٍ مساواةً　　وعدلا حريةً وإخاءَ

فكم أعشت الشعارات البراقة أعين المحرومين والمكبوتين

وإن في هذا البيت المفرد الذي وجدته في إحدى مفكراته لسنة ١٩١٠ إذ يقول: أنا حرٌّ من قبل حرية الناس التي نالها نيازي وأنورٌ ما يوحي بالتساؤل أهذا نتيجة لبدء الشعور بالخيبة فيهما أم هو تعبير عن الحرية الحق التي يمنحها الإيمان الصادق بالله: (وصرتُ مولى الورى مذ صرت مولائي) ولعلنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا بأن العاملين اشتركا في بعث هذه الصرخة.

ويستوقفنا في أبياته عند خلع عبد الحميد هذا الاعتدال في الغضب وهذه الدعوة المستبصرة للتروي والحكمة.

والآن يا أيها الأحرار فاتئِدوا　　واستعملوا العقل لا تبطركمُ النعمُ

وهذا التحذير

فإن تقم بيننا بالعدل دولتكم دامت وإلا فصرح الظلم ينهدمُ
تثبتوا فلعمري اندس بينكمُ للمستبدين قوم ما لهم ذمَمُ

وأما في قصيدته ماذا تريدين أمة الطليان فقد نفذ ببصيرته إلى كل مشاكل أمته واكتشف مواطن الداء وعرف الدواء وحذر وأنذر. إنَّ أول ما يكشفه لنا أن لا ننخدع بالكلام المعسول ولا أن نركن إلى إنسانية العدو فتلك شكوى الجريح للعقبان.

ثم يكشف لنا حقيقة ثانية طالما صدقها الاختبار وهي. أن كل دول الغرب واحدة في قصد أذانا وليس في أيّ منها عون لنا أو مساعد.

ليس يا قوم في بريطانيا العظمى عزاءٌ لنا ولا الألمانِ
ثم يكشف عن الداء الدوي ويصرح به: إنه تعصب الأديانِ
هل علمتم كيف الترفض والنصب بنا أدّيا إلى الأهوانِ

وهل لا نزال وا أسفاه اليوم كليلتنا البارحة.

ثم يحذّر من كل غوغائية وسفاه في مواجهة الأعداء ويحض على التدبر وحسن الرأي.

حاربوا ذلك العدو بحسن الرأي لا بالسفاه والهذَيانِ

ويرشد إلى العنصر الفعال في كل الحروب. الأصفر الرنان فكأنه يشير إلى كلمة نابليون: لكسب الحرب يجب أن تتوفر ثلاثة أشياء أولها المال وثانيها المال وثالثها المال.

في غِنًى عن دُموعِكم يالَقومي فانصُروهم بالأصفرِ الرَّنَّانِ

فالدموعُ لا جَدْوَى فيها أمَّا الذي فيه الغَناء أن نذرِفَ الدّماء ونُظهرَ المهابه.

فاظهَروا مظهرَ المَهيب تَنالوا ما تمَنونَه وفوقَ الأماني
أفلا نذرفُ الدموعَ دماءً من شبا صارمٍ وَحدِّ سِنانِ

ثمّ رمى برأيه الثاقب المقرون بالتجارب إلى المستقبل فتنبّأ بما حدث وكأنّه يَقرأُ في كتابٍ مفتوح.

فَهُمُ اليومَ في طَرابلُسَ الغَربِ وأمّا غداً فَفي البَلقانِ
ليس بيروت أو طرابُلُسَ الشام بأمنٍ منهم ولا بأمانِ
ورويداً تمتَدُّ منهم بَنانٌ لـ................ واليَمانِ

ولكنْ ويا للحسرة لم يتأخر تَحقيق هذه النُّبوءَة فما هي إلا بضع سنين حتى صاروا فعلاً في بيروت وطرابلس الشام.

ففي سنة ١٩١٨ بدأ احتلال الجيوش الفرنسية للساحل السوري فكانت صدمة كُبرى لمشاعره وآماله بلَغَت به لفترة حد الإحباط ولا أدلّ على ذلك من محاولته الهجرة بل شروعه فيها ولم يقطع سيرها إلاّ تسارُع الأحْداث وتَقويض الحكم الفيصلي في دمشق، وعقد الصلح بينَ الفرنسيّين والكماليين في تركيا مما سدّ كلّ المنافذ وأغلق أبواب الرجاء وصيّر الفخر والاعتِزاز بالثَّورة القائمة في جبال العلويّين توجُّساً وخيفة لما كانَ واضحاً من بونٍ شاسع بين قُوَّة الخصم وقوة الثائرين مما أثار في نفسه أمَضَّ الألم والإشفاق من هذا النزال اللامُتَكافِئ سيَّما وأن القائد لها المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي مِمَّن تربطه به أوثق. أواصر الودّ والحب في الله رَوابط تَمتّنَت عُراها منذُ عهد والده الوليّ الكبير الشيخ علي سلمان المريقب وكأنه كان يتَفاءلُ له بالدور المشَرِّف الذي قام به حينَ خصَّهُ وهو يمدح والده بهذه الأبيات.

الصالح الأفعال لا بَرِحَت لنا ... تروي رُواةُ الخير من أفعالهِ
في لفظه غُرَرُ السَّنى وبكفّه ... غيث الحيا والبحر في أنمالهِ
والعالم النحرير والغصنُ الذي ... غنَّت طيور الفقه تحت ظِلالهِ
كالي عُرى الدين الوثيق وحافظاً ... عقد العُهود وتلك بعض خِلالهِ

نِعمًا ما صدَّق له فراست بما قام به من جهادٍ في سبيل وطنه وكرامة دينه وعروبته حتى أعذر إلى الله بعد أن استنقذ شرفَ أمته وخلّف للأجيال المثالَ والقُدوةَ التي تُحتَذى، وكأنما انغَلقَت دون طرفه بعد القَضاء على الثورة كل آفاق الآمال فرجع راضياً إلى حكمه تعالى. في محكم كتابه بأن لكل أجلٍ كتاباً وأنّ الزمَن أصبح زمن إعداد لا مجابَهة فولّى وجهه شطر الدعوة للإخاء والإصلاح ونشر العلم والعرفان حتى تتأهَّل الأمة للمركز اللائق بها.

فَلْنَنتَقِلْ لنصاحبه في ميادينه هذه

❖ ❖ ❖

رثاء المرحوم محمد أرسلان

عظمت محنةً وجل بلاءَ ... بمصابٍ قد طبَّق الأرجاءَ
فقد فقدتمُ محمداً وهْوَ كالسيفِ مضاءً وكالشهاب ضياءَ
إنْ خطباً أصابكم فتَّتَ الأكباد حزناً ومزَّق الأحشاءَ
يا لخطب أفادنا البرق عنه ... فاستهلت سحب الدموع دماءَ
عينيَ أبكي محمداً ما تذكَّرتِ ... المحيَّا منه وذاك البهاءَ
من حليمٍ ملء الصدور وقاراً ... ومهيبٍ ملء العيون رُواءَ
عقد مجدٍ لآل رسلان منه ... قد فقدنا اليتيمةَ العصماءَ
عينيَ أبكي ذاك الشهيد فتى الأحرار صوناً لعهده ووفاءَ
والجَنان الجريء والهمة الشماء ... والأريحيةَ العرباءِ
يا شهيد الحرية الحر والدستور نلت المنى وحزتَ العلاءَ
إنما نفسك التي فدَت الأمة ... قلَّت لها النفوس فِداءَ
إنّ ذاكَ الدم الكريم سيبقى ... أبدَ الدهر لا يريمُ امّحاءَ
يتلقاه بالتجلة والإعظام ... مِن بعدنا صباحَ مساءَ
وترى روحك الشريفة في الأرضِ احتفالاً وفي السماءِ احتفاءَ
والذي حزتَه من الشرف الباهرِ ... فاق الإطنابَ والإطراءَ
إنَّ في القلب يا محمَّد من جرَّى نواك التبريح والبُرَحاءَ
عزَّ والله ما لقيتَ علينا ... وكفى محنةً وجلَّ بَلاءَ
حسرة لا تزال في النفس حتى ... يدرك العدلُ وِتره استيفاءَ
ويُبيدُ الجُناة قتلاً وصلباً ... وعذاباً مبرحاً وجلاءَ
أقدَموا ويلهم على الأسد الوردِ ... اجترامَاً وغيلةً لا اجتراءَ
ثورة أُظهِرت بمظهر دينٍ ... فانجلَت جاهليةً جهلاءَ

جـرأة سـودت لهـم صـحف التـاريخ كانـت لـه يـداً بيـضاءَ
جـرأة عجلـت إلـيهم ثبـوراً ... منـه بـاتوا بليلـة لـيلاء
ولقـوا غِـب مـا جنـوه وذاقـوا ... شِـرَّةً قـد نـسوا لـديها الرخـاءَ
أمَّلـوا بعـده حيـاةً ومـا الأحيـاء إلا قـوم مـضوا شـهداءَ
لا تقـر العيـون منَّـا إلى أن ... يتقاضـاهم العقـاب فنـاءَ
إن تكونـوا قتلتمـوه (قُتلـتم) ... فاسـتعدوا لكـي تنـالوا الجـزاءَ
إنَّ بـيضَ الـصفاح إن فُلَّتِ الأقـلام ... فهـي الـتي تُجيـد الرثـاء
لا نعمـتم فـإنّ في الحـي مـن لبنـان مجـداً وعـزة قعـساءَ
كـل شـهم ماضـي العزيمـة لا يخشى ... تـدانى منـه الـردى أم تَنـاءَى
ووراء الدسـتور مـن بعـد أُسْـدٌ ... لا تخـاف البأسـاء والـضراءَ
أُسُـدٌ تـصدع الـصدور عـن الألبـاب فتكـاً وتطـرحُ الأشـلاءَ
وإنِ استأسـدت فمـا أن تبـالي ... أتـوارى حمامهـا أم تـراءَى
فنيـازي وأنـورٌ صـاحبا الفـتح المـبين الـذي جـلا الظلمـاءَ
سـنرى فـوق مـا نريـد رجـاءَ ... مـنهم حـين يعقـدون اللـواءَ
علمـاً خَـطٌ باتحـادٍ مـساواةٌ وعـدلا حريـةٌ وإخـاءَ
آل رسـلان دعـوة مـن محـب ... مخلـصٍ في الـضمير منـه الـولاءَ
ناطقـاً عـن لـسان قـوم بحـق ... شـاطروكم عنـاءكم والهنـاءَ
عـن صـدور تجـيش غيظـاً وحزنـاً ... ونفـوسٍ تَـنَفَّسُ الـصعداءَ
أمـة سـاءها وعـز عليهـا ... مـا لقيـتم ومـن يـرد القـضاءَ
أنـتم أُسـرة يـسر الأخـلاءَ ... علاكـم ويكبـت الأعـداءَ
سـلف صـالح وأبنـاء صـدق ... تقتفـي في المكـارم الآبـاءَ
مـن مقـالٍ مـصدَّقٍ بفعـالٍ ... ومعـانٍ تطـابق الأسمـاءَ
مـا وهنـتم عـن اطّـلاب المعـالي ... أحـسن الـدهر صـنعه أم أسـاء

عظَّـــم الله أجـــركم بمـــصاب قــد خصــصتم بــه وعــمَّ الفــضاءَ
إن صـــبرتم فـــأنتمُ أهـــل حلـــم يـــــستخف الأهــــوال والأرزاءَ
أوجـزعتم (حاشــا) فلـيس ببـدع ذلــك الــرزء يــستحق البكــاءَ
فاحتِــساباً لمــا قــضاه تعــالى وامتثــالاً لأمــره وارتــضاءَ
قُدِّسَــت روحُــه وطــاب ثــراه ووُقيــتُم مــن بعــده الأســواءَ
وعليــه منــه الثنــاء ســلاماً وعليــه منــا الــسلام ثنــاءَ
وعليــه منــا الــسلام ابتــداءً وعليــه منــا الــسلام انتِهــاءَ

❖ ❖ ❖

تحية لهواش بك المَنفيّ في (رودس)

حُيِّيــتِ يــا رودُسَ مِــن بقعــةٍ رياضُــها زاهــرةٌ زاهيــةْ
كأنمــا الــوردُ بهــا جنــة كلُّــها فــرط الحيــا قانيَــه
والنــرجس الغــض عيــون بــدَت تَرنــو إلى خالِقهــا باكيــةْ
يــا عــاذِلي إنــيَ ميــت الجفــا فــلا تُــذقني الميتــةَ الثانيَــةْ
وَجــدي بهــا شــوق لمَــن حــلَّ في ربوعهــا الدانيــة القاصــيةْ
والبــدر أنَّــى حــل يُرنَــا إلى طلعتــه الزاهــرة الزاهيَــةْ
لــولا هــوى الأحبــاب بــين الــوَرى مــا مُــدحت نجــد ولا العاليَــةْ
قــد كنــت أشــتاق إلى نهلــة مــن بَــردَى بــاردةٍ صــافيَةْ
يطــربني ذكــر دمــشق الــتي تزيُنهــا أمواهُهــا الجاريَــةْ
والآن قَلــبي حــلَّ في رودسٍ لا بالنَقــا يــصبو ولا الباديَــةْ
ســقيا لهــا مــن جنــة أصــبحت قطوفهــا يانعــة دانيَــةْ
تــزدانُ في بهجــة بــدر الهُــدى بحــر النــدى ذي العــزة الــساميَةْ
سمــوِّ هــوّاش الأجــل الــذي عنايــة الله لــه واقيَــةْ

محمد والحمد من أوصاله نسبةُ صدقٍ في العُلى راقيَهْ
يدرك في الأفعال ما لم ينل سواه في أقواله الوافيَهْ
أحلّه الله تعالى من الفقه الشريف الرتبة العاليه
تلاوة الذكر شعار له فليدع من ناصَبَهُ ناديَه
كساه رب العرش سبحانه حِلةَ زهدٍ بالتقى حاليَهْ
أُجِلُّه إن لاح في خاطري كأنما عَيني له رائيَه
يا عمّ يا ويحي على نظرة بالدهر من طلعتك الزاهيَهْ
كيف مروري وأنا مِن ثَرىً في جنة زاخرةٍ طامِيَهْ
أحكام هذا الدهر في أهله قارعة تسبقها العادِيَهْ
في كل يوم نكبة مُرَّةٌ رائحةٌ في خطبها جائيَهْ
لا تنقَضي الأرزاء أو تنقَضي تلك الحياة المرة الفانيه
تحية الرحمن تُهدى لكم مشمولة بالعفو والعافيَه

❖ ❖ ❖

خطاب ثانٍ لهواش بك في منفاه برودس

الصبر ينقص والغرام يزيدُ والوجد يُبدي في الحشى ويعيدُ
كلَفاً بغزلان العقيق وما على كَلفي بغزلان العقيق مزيدُ
وبمهجتي من سرب نجد ظبيةٌ هيفاء آنسة الدلال شرودُ
إنّ الذي يسلو جمالك بعدما سفر الجبين لربه لكنودُ
سرعان ما مرّت ليالي وصلنا بالرقمتين فيا ترى أتعودُ
هيهات منك منىً ذهبن تعلُّلاً زمن الحمى إن الحمى لبعيد
سلَبَتْك لذتها الوشاة وقلما تلقى لبيباً لم يُضِرْهُ حقودُ
يا نجد لا برحت تحييك الصبا وعليك غادية الغمام تجودُ
حيث الشباب نضير برد والحمى زاهٍ يرنِّحُ بانَه الأملودُ

لا ماؤه رنِق ولا ثوب الصِّبا ... خلق ولا مَشْي السرور وئيدُ
وكأنَّ زهرَ الروض وهو منمنم ... درّ بمدح محمد منضودُ
قس الفصاحة قيسها سحبانها ... علم البيانِ لواؤه المعقودُ
ماضي العزيمةِ والمهنّدِ إن سطا ... فالهامُ غِمدٌ والدروع برودُ
لا بدع أورثه العلى سلَف مضوا ... قِدْماً وآباء له وجدودُ
عفّ الإزار نقي جيب همةٌ ... لله جل ثناؤه التوحيدُ
وتلاوة الذكر الحكيم شعارُه ... ودثاره الترتيل والتجويدُ
يا نجل إسماعيل من شهدت له ... بالفضل خل صادق وحسود
حققت دهرك حالتيه معرَّفاً ... ومنكَّراً فخفيه مشهود
فبنعمة لم تبتهج ولأزمة لم تبتئس والخطب ثم شَديدُ
يا عمّ. دعوة ذي ودادٍ مغرم ... والله رب العالَمين شهيد
الله يعلم ما لديّ صبابة ... وحنين شوق قاتل وهجودُ
ويلاه أية حيلة ووسيلة ... ودٌّ قريب والوصال بعيدُ
كيف السبيل إلى اللقاء ودونه ... بحر طويل وافر ومديد
يا ماء رودس هل لظامٍ نهلة ... أشتاقُ وردَك والقضاء يذودُ
لله رودس بقعة أزهارها ... بيض الدراري والبدور خدود
إني لأبخل بالدموع لذكرها ... وبمهجتي منه يشب وقود
كتمانَ سر أن يباح لكاشح ... فيُسَرُّ قالٍ أو يساء ودودَ
يا عم صبراً فالنوائب قُلّبٌ ... ولها صدور عادة وورودُ
فكأنني بالدهر بعد تجهم ... يزهو على وجناته التوريدُ
وحِمَى «حماة» موائس أغصانه ... طرباً وطالعه الأغر سعيدُ
والشمل منتظم الوفاق ويَشتَفي ... بالوصل من حر الصدود عميد
والسعد والإقبال قد قرنا معاً ... والعِزة القَعساء والتأييدُ
فهناك ينشدك ابن أحمد قائلاً ... وافَت لنا البُشرى وعاد العيدُ

ما تريدين أُمة الطليان

قيلت في احتلال الطليان طرابلس الغرب نكتب ما وجدناه منها مبعثراً على علاته

جيشَ «روما» فقدت كل حنانِ (أوَليس الإنسان كالحيوان)

أفلا نذرف الدموع دماءً لمصاب الإسلام والإيمان

قد بكينا لخطب «مسين» إذ أخنى عليها الزمان بالحدَثان

لا تَروموا من العدو حناناً تلك شكوى الجريح للعقبانِ

فاظهروا مظهر المهيب تنالوا ما تَمنّونه وفوقَ الأماني

أسمعتُم قول الحكيم وما تُغني الورى حكمة بلا أذهانِ

«وإذا لم يكنْ من الموتِ بدٌّ فعفاءٌ على حياة الجبانِ

ليس يا قوم في بريطانيا العُظمى عزاء لنا ولا الألمانِ

هل علمتُم كيف الترفض والنَّصب بنا أديا إلى الأهوانِ

قسماً ما رقوا وفاقوا إلى أن طرحوا من تعصب الأديانِ

قد تجلّى معنى الحياة عليهم وعلينا الألفاظ دون معاني

قلَّدونا فأحسنوا ثم فاقوا حيث تقليدنا بلا إحسانِ

حاربوا ذلك العدوّ بحسن الرأي لا بالسفاه والهذيان

في غِنًى عن دموعكم يا لقومي فانصروهم بالأصفر الرنانِ

قد بكينا لخطب مَسّين حزناً فاستهلت دموعنا بالجُمانِ

كان حسن الجزاء منهم لنا أن بدأونا بالبغي والعُدوانِ

قتَلوا الأنفس البريئة ظلماً بقلوبٍ فقدنَ كل حنانِ

سلطوا النار والحسام عليهم أين أين الحنان في الإنسان

لهف نفسي على أناملَ كاللؤلؤِ مطروحة على الصَّحْصَحانِ

فارقتها الأرواح فهي طعام لوحوش الفلاة والغربانِ

أفــلا نــذرف الــدموع دمــاءً   مــن شــبا صــارم وحــد ســنانِ
آن إظهــار عــزّة العــرب العربــاء   أهــل الــضراب أهــلِ الطعــانِ
نجـدة تنْقِــذُ الــولي مــن الــذل   وترمــــي العــــدوّ بالخــــذلانِ
ومــن العــار وصــمة أن ينــالوا   مــا تَمنَّــوه دون حــرب عــوانِ
أيهـــا المــــستغيث لبَّيــــك لبَّيــــك فــــلا تــــشك قلــــة الأعــــوانِ
غــنّ هــذا النــداء رُدد في الهنــد   صــــدى صــــوته إلى إيــــرانِ
رحـــم الله مـــن دُعـــي فأجـــاب الحـــق طوعـــاً بقلبـــه واللـــسانِ
فهـم اليـوم في طـرابلس الغـرب   وأمـــا غـــداً ففـــي البلقـــانِ
لـيس بـيروت أو طـرابلس الـشام   بـــأمنٍ مـــنهم ولا بأمـــانِ
ورويـــداً تمتـــد مـــنهم بنـــان   لـــ................واليمـــانِ
كيـف يـا قلـب لا تَلـين أجـبني   مـن حديـد فطـرت أم صـوانِ
ومـنَ الـصخر مـا يـبجس بالمـاء   فلـــم لا تفجـــر العينـــانِ
أنـــا أبكـــيهم بقلـــبي وعـــيني   ويراعـــي وصـــارمي وســـناني
وتِـــلادي وطـــار في وبلاغـــي   وبيـــاني ولهجـــتي ولـــساني
وإذا لم أُثِـــرْ ســـواكن ألبـــاب   فطاشـــت نُبلـــي وبـــان بَيـــاني

(انتهى ما وجد منها)

❖ ❖ ❖

في خلع عبد الحميد

فكان يا حضرة السلطان ما زعموا

كم صدْتَ منهم بأشراك الدهاء فتىً   والآن صادوك غيظاً منـك وانتقَموا
فكيـف حالـك في اليوم الرهيـب إذا   جاء القصاص ونال الناس ما اجتَرموا
كـم قـال فيـك فتـىً مـن لفظـةٍ سـفَهاً   لـو قالهـا قبـل هـذا اليـوم سـالَ دَمُ

والآن يـا أيهـا الأحـرار فاتَّئِـدوا ... واسـتعملوا العقـل لا تُبطـركمُ الـنِّعمُ
فـإن تقـم بيننـا بالعـدل دولـتكم ... دامـت وإلا فـصرح الظلـم ينهـدمُ
تثبتـوا فلعمـري انـدس بيـنكمُ ... للمـستبدين قـوم مـا لهـم ذِمَـمُ
تنمَّـوا كـي يعيدوا صولة سَلَفَتْ ... في ذلـك الـزمن المـسود لا غنمـوا
أقـسمت لولا يـد الأقدار تُـسعدكم ... لمـا اسـتقرت لكـم في عهـده قـدمُ

أصـفيتمُ الـوطن المحبـوب ودكـم ... العـرب شـاهدة في ذاك والعجـمُ
مـن كـان يحـسبُ أنْ الفـوز قـصرَكم ... وأنَّ عـروة ذاك العـصر تنفـصِمُ
ما ذلك الركن بالواهي فكيفَ وهى ... هـذا هـو النـور لا تقـوى لـه الظلـم
أعز من حصن تيماء الـذي ذكـروا ... ودون عزتـه بالمنعـة الهـرمُ
قد كنت أنظر والرحمن يشهد لي ... بعـين مستبـصرٍ بـالفكر لا يهِـمُ
بأننـا لا ننـال العـز دون أذىً ... ولـن نـؤَمَن حتـى يُـستباح دمُ

وهذا البيت المفرد في مفكرته لعام ١٩١٠

أنـا حُـرٌّ مـن قبـل حريـة النـاسِ الـتي نالَهـا نيـازي وأنـوَرْ

عَدُوُّ الخُرافَاتِ

عدو الخرافات

معَ الجنّ

قَد يستَغرب كثيرٌ من الناس أنَ نفردَ فصلاً خاصّاً للحديث عن الجنّ وأن يكون لها هذا الحيّزُ الكبير في تاريخ جهاده وقد يعُسر علينا ونحنُ نعيشُ في حقبة سادَت بها العقلانيةُ الأفكارَ والتصورات أن يكون لمثل نفي الجن وما يستَتْبعها من خرافاتٍ شأنٌ بعد أن أصبح ذلك من البَديهيات والقَول أو الاعتقاد بها من مخلّفات ماضٍ سحيق. ولكن لسنا نحن أصحاب الاختيار بذلك إنما يفرضه علينا واقع تاريخيٌّ لا يمكن أن نُغير منه شيئاً ولا أن نتجاهله لقد كان واقعاً أكيداً أن حربه للخرافات ونفيه للجن وحربه للدجَل المبني على الاعتقاد بها والذي كاد يطغى على كل مجالات الطب ويحتوي علم الغيوب.

تُرجّـونَ الحُـزاةَ لـدفع داءٍ ولا ترجـون مـن ربٍّ رحـيمِ
وقـد تخـشون تابعـةً وسـحراً ولا تخـشون مـن نـار الجحِـيم

وَ

هـيَ الأحـرازُ تـدفعُ كـل شـرٍّ ومـا سـيكون يُمنـعَ أن يكونـا
لقـد جعلـوا لخالقنـا شـريكاً تعـالى الله عمـا يُـشركونا

نعَم إنَّ حربَه للخُرافات ونفيه للجن انطلاقاً من هذَين المبدأين كانا من أكبر الأسباب التي طارت بصيته وكذلك موضوع أعتى الحملات والتَّهجمات عليه وكان لانتصاره في كشف

الغشاوة عن الأبصار أكثر الأثر في تمكينه من قلوب وعقول الناس مما فتَح أمامه السبيل ليقود جماهير شعبهِ في مختلَف مجالي الرقي وأن يتّبعوه مختارين.

على أنّا إن تأمّلنا القضية فسنكتشفُ أنه ليس صحيحاً ما يخيل إلينا من قلة شأنِ الخلاف فإنّ الأمر له جذور تضرب في أخطر خلاف قام في الفكر الإنساني منذ خط له تَجْد أن يتبع أيهما شاء، إما شاكراً وإمّا كفوراً.

لقد كانت الحجة الكبرى بيد أخصامه أن الجن مذكور في القرآن فكيف ينفي ما ثبت وجوده بآي الكتاب. ومعاذ الله أن يأتي منه ما يناقض الكتاب الذي يقرّ له بأنه تنزيلٌ من عزيز حكيم فلا بدَّ من كشف المغالطة في هذا الاحتجاج.

إنّا نلمح لهذه المغالطة أصلاً في حرب التوحيد للصنمية، إنهم لا يعبدون الأصنام لذاتها بل لتُقَرِّبَهم من الله زلفى فهم يقرّون أنّ الهدف الأخير هو عبادة الله فما هو إذاً سر الضراوة في حرب التوحيد للصنمية؟ السرّ في أنَّ التوحيد يريدُنا أن ننطلق من آياتِ الله وتجلِيَّاته إلى تجريد متسام في فهمنا لمعنى الربوبية أفضل ما عبَّر عنه ما قال الإمام: كل ما خطر في بالك فالله أعلى من ذلك. فلا نتوقف عند أيَّة صورة حسية أو ذهنية نبلغها في فهم معنى الربوبية العظمى التي تبقَى فوق أي تصوُّر أو حدّ في مجدها اللاّنهائيّ الذي ليس كمثله شيء - أما الصنَميَّة فإنها تغض بطرفنا إلى الأرض - وتجمد الحركة الصاعدة إلى الله فتَقف بنا عندما تبلغه عقولنا العاجزة لنقَعَ في ورطات التجسيد والحلول ووحدة الوجود وما شابه حتى تصير عبادتنا ليست عبادة للعلي الأعلى بل لذواتنا في نهاية الأمر وما تبلغه مداركنا ونقع في مجال سخريَّة الآية الكريمة: يَعبدون ما ينحتون.

وكما أنّ حرب التوحيد للصنَميَّة لم يكن يستهدف ما يُقرِبنا لله زُلفى فكذلك لم يكن في حربه للجن أيّة علاقة بالجن القرآني. لأنَّ هذا الجن لا نعرف له أي تعريف أو تحديد وكل ما يمكن أن يدلنا عليه هو إرشادنا إلى صورة من صور لا تُحصى ولا تُعَد الدالة على عظمَة الله وشُمول ملكه لعوالم ونشآتٍ لا تُحصى وأيضاً سمّو مقام نبيّه عنده حتى عمم رسالته على كل هذه العوالم والتي لسنا وكل ما في أكوننا إلا قطرة من بحاره وأن العلم بعد تقدمه الباهر أصبح يستشعر وجودَ عوالم موازية لنا ومتزامنة معنا ولكن لا نحس بها لأنها مركبة على غير ما رُكّبنا منه ولقد استشعر ذلك أبو العلاء حين قال:

لستُ أنفي عَن قُدرةِ الله أشباحَ ضِياءٍ بغير لحم ولا دَمْ

ويمكننا أن نستعمل في التعبير عنها ما نقله لنا الموروث من أسماء، كالملائكة والجن والشياطين أو يصوغه لنا الحديث من أسماء، كالعوالم الموازية وخلافه.

وهكذا يظهر جليّاً بأنه ليس للجن القرآني أي دخل أو علاقة في الجن الذي حاربه والذي يمكن أن نسميه الجن الخرافي الذي صغناه مما رشح إلينا من الإسرائيليات وأضفى عليه تصوّر متراكم عبر أجيال متعددة صفات ذوّقها وهوّلها الدجالون والمُشَعوذون والمستغلون حتى أبرزوها مستقلة عن الإرادة الإلهيَّة لا بل مبارزة لها ومبطلة للأسباب مما يجعل العقل الذي يقع في أسرها محجوباً عن أيَّة رؤية علمية أو تقدم حضاري.

لذلك لا نقول شططاً إن قلنا بأن حربه للجن والخُرافات فرعٌ من حرب التوحيد للصنمية فهذه تهدف إلى إطلاق عقولنا من أسر الجامد والحجر إلى سموات التجريد والتنزيه وتلك أي حرب الخرافات والجن تجري في ظلالها وتهتدي بهديها لتعيدنا إلى عالم الأسباب وتُفسحُ أمامنا أبواب العرفان مصداقاً لقوله تعالى: فليرتقوا بالأسباب.

في الصنمية عبادة للصفات الإنسانية وتصوراتها قادت للتَّجسيد وفي الجن والخرافة عبودية للأوهام والتصورات أيضاً قادت لإبطال الأسباب وخرق قوانين العِلل.

عبادة وعبودية: لم يزالا ولن يزالا يقيدان بحبالهما ويلفان بشباكهما بني الإنسان كلما بدَت لهما غِرَّة أو استشعروا منهم غفلة عن عبادة الله الحق أو اتِباع أحَب خلقه العقل وإنه لعبءٌ خطير ثقيل مُلقىً على كواهل الهداة المصلحين يتوارثونه جيلاً بعد جيل وفي قبيل إثر قبيل وهو أن يفكّوا العُقَد عن إخوانهم في الإنسانية وينتشلوهم من الوهاد ويرشدوهم إلى سبيل الرشاد صراط الله العزيز الحميد.

ومَن يتتبع تفصيل تاريخ نضاله في هذا الميدان وما لقي مَن عنَت الجاهلين والمغرضين مما يضيق عن حكايته سِفرٌ طويل عريض يجد أنه قام بأعباء ما شرفه به الله من هذه

المهمة أشجع قيام وصبر عليها أجمل الصبر حتى كافأه سبحانه بالفوز والتأييد وكانَ حقاً عَلينا نصرُ المؤمنين.

كفَرتُ بهم

أمِـن عـينٍ تُخـوِّفُني وجـنٍ ... وعِرفـانُ الحقيقـة لـي مُعـيني
ومـا باليتُ مذ كنتُ ابن سبعٍ ... بهـم أأخـافُ بعـد الأربعـينِ
وقائلـةٍ بهـم آمنـتُ دعـني ... فقلتُ لها كفرتُ بهم دعيني

التابعةُ الجانيَة

أتابعـةً جنيـتِ علـى بنـاتٍ ... إلى حسناء غانيـةٍ وَوُلـدِ
بحـق قـد دفعـتِ لحكـم فـظ ... غلـيظٍ سـيِّء الأخـلاق جلـدِ
أذاقـكِ حبُـه بـتراب قـبرٍ ... تقـادم عهـده أو وكـر خلـدِ
لِقسـوة قلبهـا مُنيـت بلقـبٍ ... قـا فكأنـه صَفوان صـلدِ

ما أَبقى لسليمانٍ وآصفه

إن كان في وسعكمُ جبر الملاك على ... إحضار ما ينبغي يوماً لواصفه
فـإنَّ سلطانكم عَمَّ الكيان فما ... أبقيتُم لِسُليمان وآصفهِ

أَبالإحراز تحفظني

أبـالأحرَاز تحفظـني رويـداً ... فـإنّ الله خـير منـك حِفظـا
طلاسم مـا عرفـتُ لهـنَّ معنـىً ... فكيـف ومـا قـرأتُ لهـنَّ لَفظـا

آمنتُ بالله

آمنتُ بالله لولا فيض رحمته ... ما كانَ في الكون تحريك وإسكانُ
ما عند جنيَّة أو سحر ساحرة ... أو تابع لأذى الإنسي إمكانُ
تلك الخرافات في ضَعفَى النهى ... كأنها عندهم للدين أركانُ

رُبَّ تدجيل

ربَّ تدجيلٍ على ذي بلَهٍ ... سلب الفضة منه والذَّهبْ
عرف العرَّاف أن لو سأله ... هبةً عن طيب نفس لم يهَبْ
ورأى مالاً مباح النهب فانتهز ... الفرصة منه وانتَهَبْ
فدع الإنسان يُؤتى رزقه ... رغباً من كل كدّ أو رهَبْ
كان للتنجيم والسحر معاً ... والرُّقَى والجن عصر فذهَبْ

تُرجُونَ الحُزاة

تُرجُون الحُزاة لدفع داء ... ولا ترجون من ربّ رحيمِ
وقد تخشون تابعةً وسحراً ... ولا تخشون من نار الجحيمِ

أخِفتُم كيدَ تابعةٍ

أخِفتُم كيدَ تابعةٍ وسحرٍ ... وجنّي وشيطانٍ خبيثِ
متى يا أيها الحازي أفدني ... أتاك الوحيُ بالخبر النبيثِ

رُوَيداً بعض هذي التُرَّهات

رويــداً بعــض هــذي الترَّهــاتِ | فقــد بلــغ الزُّبــى ســيل الحــزاةِ
أكـــلُّ خرافـــةٍ كتبــت بــسطر | كآيـــات الكتـــاب المحكَمـــاتِ
ومــا تــروون عــن زيـدٍ وعمــروٍ | يُعَــدّ مــن النــصوص القاطعــاتِ

دعوا الأكاذيب على النّسوان

هـــــدَّدها بَتــــابع جنّـــــيٍّ | مثلّــــث المـــذهب نـــصرانيّ
يـــسطو علــى الرشــيد والغــويّ | والـــساقط الـــضعيف والقـــويّ
ســـيان عنـــد بأســـه الـــوحيّ | شـــأن الـــذليل الـــنفس والأبـــيّ
وولـــــد الفـــــاجر والتقـــــيّ | والمحـــسن الـــسعيد والـــشقيّ
عنـــدي لـــه عزيمـــة الـــنبيّ | أســــرَّها إذ ذاك للوصـــــيّ
إذ خـــصه بـــسرِّه الخفـــيّ | ثـــم تلقّاهـــا عـــن الـــوليّ
كـــلُّ إمــــام قـــائم وفيّ | مـــن الإمـــام المجتَبـــى الزكـــي
إلى الإمـــام القـــائم المَهـــديّ | إن تعَجلـــي بـــدرهَم نقـــيّ
نلـــتِ حيـــاة ذلـــك الـــصبّي | أولا فـــإثمُ دمـــه الـــبريّ
يُلقَـــى علــى عاتقِــك الوضـــيّ | يـــوم القـــاءِ الملـــك العلـــيّ
ففكــــري في عمــــلٍ مرضـــيٍّ | قبـــل فـــوات الوقـــت والمُـــضيِّ
قبـــل حلـــول الأجـــلِ المقـــضيّ | ولـــيس مـــن ينفعـــه بـــشيّ

عَجبتُ للتابع العتيدِ

عجبـــتُ للتَّـــابع العتيـــدِ | وجـــنّ شـــيطانه المرَيـــدِ
لقـــوة تنـــسف الرواســـي | بـــأس ذي ســـطوة شـــديدِ

تنحتت من صخرها بيوتاً أعجب صنعاً بلا حديدِ
تقدر في زعم زاعميها تُخرجُ ماءً من الكديدِ
كيف رضوا البؤسَ في حياةٍ تطول عن عيشها الرغيدِ
وهُم على ما هُمُ عليه من المعداتِ والعديدِ
ما برحوا ساكني قفارٍ مهامهٍ موحشات بيدِ
أو موقد يصطلون فيه منه لظى حرة الوقيدِ
أو تحت أسكفةٍ تطاهم أرجُل قومٍ على الخدودِ
تباً لأحرارهم رجالاً أنفسهم أنفس العبيدِ
لولا الدناءات ما تراؤوا لنا على صورة القرودِ
إن يسرقوا يسرقوا بَوالٍ من خُرَقٍ في ذُرى الوصيد
أو إبَرا ما لها خيوط ترفو بها باليَ الجلود
أو يأكلوا يأكلوا طعاماً ليس بأحلى من الهبيدِ
نخاف منهم وما سمعنا سطوا على عاقلٍ رشيدِ
لكن على خاملٍ ضعيف مغفَّل أحمقٍ بليدِ
يقودهم بالصَّغار نِكس على مراد من المرُيدِ
يسومهم خطة الدنايا يا ذِلّة القائدِ المَقودِ
فإن يَشأْ جاءه ذليلاً أشرفهم ضارع الخدودِ
ومن عصاهُ أُذيق صفعاً بالنعل في أخدع الوريدِ
فهم يقاسون كل يوم سطوة ذي قسوة جليدِ
مسيطر الأمر مستبد ليس لهم عنه من محيدِ
فمن مليكٍ يعد ذلاً لنعله منه أي جيدِ
ومن عظيم يجيء طوعاً لأمره حامل البريدِ
ومن سجين طلا بقارٍ عليه في حبسهِ المديدِ

ومـــن مهـــان بـــذل نفـــي | مـــشردٍ بـــالفلا طريـــدِ
عجبــتُ مــن جهلكــم ومــنكمْ | مـن عـاش مـن قبـل عـصر هـودِ
ومـــن رأى صـــالحاً خطيبـــاً | يكـــرز بـــالوعظِ في ثمـــودِ
ومـــن غـــوى بالخـــداع قـــبلاً | آدم في جنـــــة الخُلـــــودِ
وغـــير ذا مـــن فنـــون مكـــرٍ | يـــضيق في حـــصرها نـــشيدي
وكلكـــم ويحكـــم رضـــيتُم | بحكمـــه الجـــائر الـــشديدِ
مـــا هـــو بالملـــك المرجّـــى | ولا ســـليمان ذي الجنـــودِ
ولم يطـــل ويحكـــم علـــيكم | برأيـــه الناقـــد الـــسديد
ولا بعلـــــم ولا بعـــــدلٍ | ولا بتقـــــوى ولا بجـــــودِ
إنّمـــا حظـــوة أتتـــهُ | مـــن خـــاتم المـــارد المريـــدِ
أتيتمـــوه بـــه فـــذوقوا | مـــا قدَّمَتـــه يـــد الكنـــودِ

لا تُغني التَّمائم

لا تَخـدعوني فمـا تُغـني تمـائمكم | عـني مـن الأجَـل المحتـوم قطمـيرا
لا أُم للجـنْ لـو كانـت مـسلّطةً | لأوسَـعت عـامر الغـبراءِ تـدميرا

تعالى الله

هـيَ الأحـراز تـدفعُ كـلَّ شَـرٍّ | ومـا سـيكون يمْـنعُ أن يكونـا
فقـد جعلـوا لخالِقنـا شَـريكاً | تعـالى الله عمّـا يـشركونا

سألناكم عن الغَيب

سـألناكم عـن الغيـب اختِبـاراً | لنَعلَمـــهُ فظلـــتُم تَمتَـــرون
شَـهِدتُ لقَـد علمـتُم دون شَـكٍّ | بـــأنكُمُ علينـــا تَفتَـــرونَ

إن كنْتَ تؤمنُ

إنْ كنـتَ تُـؤمنُ بـالرَّحمنِ مُعتَقِـداً ... حـبَّ الوصـيِّ بـرَبٍّ جـلَّ أنـشاكا
لا تخـشَ مِـن تـابع سـحراً وتابعـةٍ ... إذا بهـا الخـادعُ المختـالُ خـشَّاكا
أأنت ترضى مع العلم الشَّريف بما ... يرضى بـه الجاهلُ المغرورُ حاشـاكا

هَزلٌ يُرادُ به الجدّ

أيُّهـــــــا الجِـــــــنُّ ألا ... تتَّخـــــــذون الله ربَّـــــــا
قـــدَ غـــدا الجاهـــلُ فـــيكم ... مُـــستَهامَ القلـــبِ صـــبّا
وخـــــدمتُم فاختَـــــدمتُم ... للـــورى مكـــراً وخِبّـــا
وتـــــسلَّطتم علينـــــا ... ولنـــــا بُغـــــضاً وَحُبّـــا
فـــــاتَّقوهُ وذَرونـــــا ... واقـــصُدوا أهـــلَ أُوربّـــا
فَهنـــــاك الخـــيرُ عـــدّاً ... وهنـــاكَ الخـــيرُ غِبّـــا

كلَّما انحطّتِ المدارك

كلَّمـا انحطَّـت المـداركُ تَربـو ... بـين أربابهـا فنـونُ العَرافَـة
إنَّمـا الجِـنُّ والتَّوابـعُ والتنجـيمُ ... في مـذهَبي حـديثُ خُرافَـة
غَلَـبَ الجهـل بافتِراهـا علـى ... العِلـم شُـيوعاً والجَهـلُ للعِلـم آفَـة

أعوذُ بالرَّحمن

تاالّـهِ مـا عنـديَ عِلـمٌ بمـا ... يـأتي ولا غَـيري مـنَ النّـاسِ
أعـوذُ بـالرَّحمن مـن خـادم ... يُعلِـنُ سـرَّ الغَيـب خَنَّـاسِ

جنَى عليها

هــــدَّدَها بتـــابع نَـــصراني مثلَّـــثٍ مذهبـــه فَتّـــانِ
جنَـى عليهـا وهـو بئس الجاني علـى البنـاتِ وعلـى الـصِّبيانِ
لقَـد لقينـا مِـن بَـني الإنسـان مـا لم نُـلاقِ مـن طُغـاةِ الجـانِ
قـد جـرَّدوا النـاس مـن الإيمان بزخـرف الخـداع والبُهتـانِ

غضبَ الله

هــــدَّدَها بتـــابعٍ مِـــن بـــني الجِـــنّ كـــثير الأذى قليـــل الحنـــان
يخنـــقُ البنـــات والـــصبيّ ولا رأفـــة فاسْتعـــصَمَت بلـــثم البَنـــان
غـــضب الله والنبيّـــونَ والرســـلُ علـــى مَـــن أضـــلَّ هـــادي الجنـــانَ

يا ربّ سُبحانك

يــا رَبِّ سُــبحانكَ لا علــمَ لــيَ بمــا غــداً يــأتي ولا خِبَــرهْ
يـــــزعمُ هــــذا أنَّ جُنِّيَّــــهُ يُلقـــي عليـــه أمـــره صـــبرَه
وجـــاءَ ثـــانٍ يـــدْعي علـــمَ ذا بنقـــشه علـــى الغـــبرهْ
مـــانوا وإن قيـــل اتقـــوا ربكـــم كـــلٌّ تَـــولّى مـــنهمُ كِبَـــرهْ
فلـــي علـــى حـــالتهم عَبْـــرةٌ تَهمـــي وفي مـــسلكهم عِـــبرَهْ

المَواعظ

المواعظ

لقد أحببتُ أن أُفرِدَ هذه المَقطوعات وأخُصها بعنوان المواعظ لِما فيها من المواعظ الصادقة أوَّلاً. وثانياً لما تحويه من نموذجٍ مثاليٍّ يمكن أن يستفيد من الاقتِداء به كل محبٍّ للإصلاح.

فهو ينبِّهنا ويُحذّرنا كيلا نيأس فتُقعِدنا هذه العطالة التي يقابل بها الناس كل دعوةٍ للحق.

أكلّما قامَ بالإصلاح داعيةٌ — بين الأنام مُناواةً له قَعدوا

وهو يكتشفُ ما في النفوس مِن صدوفٍ عن الإنقياد والتعلم فلا يأتيهم معلّماً ومرشداً ولكنه يطرق بابهم حزيناً يستدّر الشَّفَقة.

يا شيعةَ المرتضَى الهادي نِداء فتىً — يستلفتُ الطرف منه دمعَه الهامي

وبعد استِلفات النظَر يمدُّ لهم يد السُّؤال لا يد الإرشاد

طرقتُ بابَكُمُ والبرّ شيمتكُم — بطارقٍ وافدٍ للخيرِ معتام

ولكنْ أيّ بر يريدُه منهم.

جداً إلى طَلَب العلم الذي دَرَسَتْ — آثاره ثمَّ إلا رسم أعلام

ثم يستَدرجهم مُطرياً إنَّهم خير حزبٍ للخير الأوصياء فليأخذوا إذاً بقوله:

فلو رأيتُ فتىً من شيعَتي عَطِلاً — علَوتُ هامتَه ضرباً بصَمصام

ثم يَستحِثُّهم بالقُدوةِ والمثال:

واهاً لكم قد أفاق الناسُ كلُّهمُ ... وأنتُمُ بين أيقاظٍ كنوامِ

ثم يبيّن لهم مَعرَّة ما هم فيه ويُبَصِّرُهم بمكانهم الذّريّ

عارٌ على الشَّعْبِ أن يَبقى بغفلته ... مُستعبَداً لخرافاتٍ وأوهامِ

أكلما جاءَ دجّالٌ بمخرَقةٍ ... صدَّقتموه ولا تصديق إلهامِ

ويتشوق إلى اليَوم الذي ترتفع به حجبُ الوهم عن أفهام قومه

دون الحقيقة حُجبُ الوهم مُسدَلَةٌ ... متى يميط دُجاها نورُ أفهامِ

ثم يستعين عليهم بأقدس ما لَديَهم من حُرُمات:

بحُرمةِ قُربى بيننا وولايةٍ ... ينزّهها الدّين الحنيفَ عن الحِجبِ

أناشدكم للهِ أن تَتَعَطّفوا ... سَماعاً لنُصحي بالقَبول بلا عُجبِ

هلمُّوا إلى العلمِ الرفيع مكانةً ... وموردِه الصافي ومنهله العَذبِ

وأمام ما يَرى مِن تلكؤٍ وقُعودٍ عن المُبادَرة لا يُقَرِّع ولا يثور بل يبعَث هذه الشكوى الناعمة التي تلين لها القُلوب «وأدعوكم قصد الغياثِ فلم أُجَبْ» ومَن أحق من المستَغيث بالإجابة فيرسلُ هذا العتاب الحيّ..

وذاك لَعَمري مُوجبُ اللَّوم والعَتبِ

ثم يُيَمّمُ بأمَله شطرَ باريه طالباً عونه وباسطاً بين يدَيه سريرَته:

فيا ربِّ تَدري ما تَضُمُّ جَوانحي ... إلى أُمَّتي في الله من خالص الحُبِّ

أعنّي على أمرٍ أرَدتُ لهم به ... رُقيّاً على هام السِّماك من التربِ

ثم يتَسامى ويتسامى وفي خيفته من الإخفاق لا يجدُ مَن يلحي عليه باللائمةِ إلاّ نفسه.

فإنْ سُدِّدَ المَرمَى وبُلِّغتُ مُنيتي ... فمِن فيض نُعماه وإلاّ فَمن ذَنبي

ولا ينسى معالَجة فرقَةِ قومه وتَناحُرِهم فيصرخ فيهم:

بَـني نُمَـيرٍ وقلـبي لاتِّحـادِكُمُ ظـامٍ ومِـن حـبكم في الله ريَّـانُ

ثم يستَعين بكل الوسائل ليحملَهم على نبذ الفُرقَة بتذكيرهم بما جاءَ في كتابه.

إنّـي أذكّـركُم والمتَّقـونَ إذا مـا مـسّهم طـائفٌ يوحيـه شَـيْطانُ
تـذكروا فـإذا هـم مبـصِرون كمـا يـنصُّ في سـورةِ الأعـرافِ فُرقـانُ

ويبصّرهم بأنَّ في الخير مندوحة عن الشر كما وردَ في الحلالِ غنًى عن الحرام.

أتـسلكون سـبيل الـشرِّ في أرَبٍ لنيلـه عـن طريـق الخـير إمكـانُ
ولـو تعـصَّبْتُمْ للحـق عُـصبَتكُم لغـيره مـا شـآكُم قَـطُّ إنـسانُ

ويبلغ قِمَّة الإقناع بإضافته سبباً حسِّيّاً لا سبيل لِتَجاهُله.

إذا نـسيتُم إخـاءَ الـدِّين فـادّكروا بـأنكُم يـا بَـني الإيمـان جـيرانُ

وإنَّ في قصيدته «وصيَّة» لَخطةً متكاملةً للسلوك والعِرفان في السَّير بالإصلاح.
كما أنك تستَطيع أن تستنتِج من قصيدته:

«أيـن الإخـاءُ وأيـنَ الحلـمُ والرَّشَـدُ» وإن كانـت أقـدَمهنَّ أُطروحـةً تامَّـةً تُثـار فيهـا كـلّ أسـبابِ التخلُّـف وأنـواع الاعتراضـات ووصـف الأدويـة

فالدّينُ الحق لا يُنصرَ بالتَّعصُّب والعلمُ الصادقُ لا يُكابَر.

هيهـاتَ لا ينـصُرُ الـدينَ الحنيـفَ فتـىً علـى تَعَـصُّبه والجَهـل يـستَندُ
إنْ يثبـتِ العلـم شـيئاً لا أكـابرُه والـدين مَنهلـي الأحلـى الـذي أرِدُ

ويَستَشِفُّ أنّ التطورات العلمية وتَبَدُّل النَّظَريات لا تُضير الدين في شَيء ما دامَت كلُّها تَؤولُ لمبدع واحد.

لا ضَـيَر إن طالـتِ الأكـوان أو فـصانع الكـل منهـا واحـدٌ أحَـدُ

وإنَ خير من يُلخِّص لنا سيرةَ حياتِه هو ذاته إذ يخاطِبُ قومَه:

فَعَلى حبكم وقفتُ حَياتي ... حيطةٌ عن حقوقكم ودِفاعا

ويُعذِر إلى الله والناس قائلاً:

هذه جهد ما استَطعتُ ويكفي المرء إن كانَ فاعلاً ما استَطاعا

لنا في معرض تَحليلها وتَقييمها. لذلك نقول اقرأها أيها الأخ الكريم كلها متَمعِّناً فإنَ الإخلاص الذي أوحاها لا يمكنُ أن تنقلَه عبارةٌ مثلما تنقله عبارته فليس فيها كلمةٌ إلاّ وهي صادرةٌ عن شعور أصيل وإحساسٍ مُرهَف وحسرةٍ حرَّى... لقد عانى كل مشاكل قومه واستفدها تَشخيصاً ومداواةً وحَمل كل همومهم.

لقَد سطَّرتُها والعَينُ عَبْرىَ ... وضمن حَشايَ مضطرباً لهيبُ

فلَكَ الله أيها القلبُ الكَبير وكفاك أنَّكَ فَعَلت المُستَطاع.

هذه جَهد مَا استَطَعتُ ويَكفي المَرء إنْ كانَ فاعلاً ما استطاعا

أينَ الإخاءُ وأينَ الحِلمُ والرَّشدُ

أيـنَ الإخـاءَ وأيـن الحلـمُ والرشَـدُ ألا يجيـبُ سـؤالي مـنكمُ أحـدُ
دعـوتُكم وفـؤادي ملـؤُه شـجَنٌ لِمـا دَهـاكم ونفسـي ملؤهـا كمَـدُ
أكلّمـا قـامَ بالإصـلاح داعيـةٌ بـينَ الأنـام منـاواةً لـه قعـدوا
وإن أتـتهم علـى دعـواه بيِّنـة ولم يـروا قـوةً في ردّهـا اضـطهدوا
بـني نُمَـير ونفسـي إن ذكـرتكم طـارت شُـعاعاً لبلـواكم بمـا أجـدُ
أمـا لكـم بكتـاب الله معتـصَمٌ أمـا لكـم برسـول الله معتقَـدُ
أمـا لكـم بـبني الزهـراء فاطمـة وتـابعيهم مـن الإخـوان معتَمـدُ
ديـن شـريف وأفعـال مغـايرة لمـا يُقـال ودعـوى مـا لهـا أمـدُ
كـأنّ كـل فتـىً مـنكم لنفرتـه بمـذهب غـير هـذا القـول يعتقـدُ
جـاوزتمُ حـدكم فيمـا يـسير بكـم إلى الهـوان تسـاوى الشـيخ والولـدُ
أكلكـم يـا بـني الإيمـان ذاهلـة أحلامكـم وازدهاهـا اللـهو والفنَـدُ
الله يـا قـوم في ديـن تعلّقـه منكم يـد ولكـم في الهـدم منـه يـدُ
هيهات لا ينصر الدين الحنيف فتًى علـى تعـصبه والجهـل يـستندُ
واهاً لكـم كـل أهـل العصر قاطبـة تيقظـوا مـن كـراهم بعـد مـا رقَـدوا
الا يعـزُّ علـى نفـسي قعـودكمُ عـن المعـالي وكـل النـاس قَد نَهـدوا
ومـا تـأخرتُم إلا لأنكـمُ ونيـتمُ عـن طـلاب المجـد واجتَهـدوا
نـصحتكم فاستَغَـشَّتني بـه فئَـة ما إن يُبالون ضلوا القصد أم رشَـدوا
والله يعلـم أنّ الخـير مـا أنفـوا والنكـر مـا عرفـوا والحق مـا جحـدوا
من سـوءِ حظي أم من سـوء حظهم عمـا أردت مـن الحسـنى لهـم مـردوا
تقولـوا بـيَ مـا شـاؤوا فمعـذرة مـني إليـه لعمـري بئسـما قَـصَدوا
قـالوا نـسبت إلينـا العـار مفتخـرا لـشدّ مـا محّـصوا الألفـاظ وانتقَـدوا

فلا وربك ما برَوا بما نطقوا ... ولم يصيبوا به المرمى الذي اعتمدوا
ولا وربك ما عندي لهم ضغن ... ولا وربك ما عندي لهم حسدُ
والله يعلم لا فخر ولا أشَر ... ولا رياء ولا عجب بها وجدوا
لكنها حسرة بالنفس كامنةٌ ... مالي على حملها صبر ولا جلَد
لم أدرِ ماذا دعاهم للخلاف وقد ... قلت الصواب فصدوا عنه وابتّعدوا
هذا وما حلت عن حبي الصريح لهم ... ولن أحول وحالي مثلما عهدوا
إن سرّ يوماً فؤادي ما يسوؤهم ... فلا عدَت سريَ الأحزان والكمدُ
إن يثبتِ العلم شيئاً لا أكابره ... والدين منهَليَ الأحلى الذي أرِدُ
لا ضير إن طالتِ الأكوان أو ... فصانع الكل منها واحدٌ أحدُ
ماذا أتيت من الفعل القبيح وما ... هذا اللجاج وهذا الغيظ والحَردُ
أكل ذاك لقولي كل حادثةٍ ... تُعزى إلى سبب حتما وتستند
وإنما السحر والتنجيم شعوذةٌ ... وثَمّ أصناف خدع مالَها عدد
والله يشهد أني ما خدَعتُهم ... ولا كذبت وقَولي ما به فنَدُ
هذا المقام الذي أدى بنا قِدَما ... إلى الحلول بدار الهون فاتئِدوا
وما افتخرت بأني عالم ثقةٌ ... ولا تقي بفقه الدين مجتهدُ
بل غاية الأمر عانيت اختلافكمُ ... فاشٍ فقلت اتقوا يا قوم واتّحِدوا
لا يعرفون سياساتٍ ولا ورعاً ... يصدهم عن أذاهم إن همُ حقَدوا
ليسوا من الدين في شيء وإن ... جُلّ الدياجي وإن صلوا وإن سجَدوا
هيهات ليس بدين ما ترون به ... سفك الدماء مباحاً فاصدروا ورِدوا
مالي وآل نمير قد شقيت بهم ... وما أُبالي به لو أنهم سعدوا
بذلت مالي وجاهي في سبيلهمُ ... وليتَهم بعد لا ذمُّوا ولا حصَدوا
نشدت آل نمير واستغثت بهم ... فانظر بماذا أجابوا حينما نُشدوا
حسبي لقوميَ حب لا يرَون به ... نفعاً فإن رمت أنساً منهم شرَدوا

إن يزهــدوا الآن في وعظــي وفي ... فربَّمــا رغِبُــوا فيمــا بــه زهــدوا
مــالي وللــوعظ لا علامــة ورِعٌ ... ولا فقيــه ومــالي في البيــان يَــدُ
أقَمتُ نفسـي مقاماً لسـتُ صاحبه ... أيـن الـيقينُ وأيـن الهَـدْيُ والـسددُ
إنـي امـرؤٌ لـستُ إلا مـن غزيَّـة إن ... زلـوا زللـت ومجـدي إن هـمُ مجَـدوا
سـبحانَ مـولاي مـا أقـوى تـسرعنا ... لخَـوض فيمـا لـه الألبـاب ترتعـدُ
أهـذه حالـة يُرجـى الـصلاح بهـا ... هُنِّـتم فـاطمئِنّوا واعمـروا ولِـدوا
حقّـاً علـى المَـرء أن يـسعى لغايتـه ... جـداً ومِـن ربنـا التوفيـق والمَـدَدُ

❖ ❖ ❖

يا شيعة المرتضى

يا شـيعة المرتضى الهادي نـداء فتىً ... يـستلفتُ الطرف منـه دمعه الهامي
يـا خـير حـزب بخير الأوصـياء لـه ... ضـياء نـورين إيمـانٍ وإسـلامِ
طرقـتُ بـابكم والـبر شـيمتكم ... بطـارق وافـد للخـير معتـامِ
أأنـتم مـوالي أمـير النحـل حيـدرةٍ ... لقـد سـعدتم وذاك المنـصب الـسامي
فالحمـد لله نلـتم بـالولاء لـه ... فضلاً على النـاس من عرب وأعجام

إذا دعـاكم إلى الإصـلاح داعيـة ... نـادى بكـل جـريء الجـأش مقـدام
جداً إلى طلب العلم الـذي درسـت ... آثـاره ثَـمّ إلا رسـم أعـلامِ
خـذوا بمـا قـد رويـتم عـن إمـامكمُ ... قـولاً تـنزه عـن عيـب وعـن ذام
فلـو رأيـت فتـىً مـن شـيعَتي عطِـلاً ... علـوت هامتـه ضـرباً بصَمـصام
وإنمـا أنـتمُ مثـل الـورى بـشر ... لـن تـدركوا المجد عفـواً دون إقدام
كونوا كمـا أوضـح المولى صفاتكم ... تـستوجبوا كـل إجـلال وإعظـام
إخوان صدقٍ صفت مـن كـل شـائبة ... قلـوبهم فـسناها مـشرقٌ نـام

واهاً لكم قد أفاق الناس كلهمُ | وأنتمُ بين أيقاظ كنوّام
قد أقدموا لمساعيهم ووقتكمُ | مضيَّع بين إقدام وإحجام
يسعون للعلم من حلٍّ إلى حرَم | ونحن فوضى بإحلال وإحرام
أتطلبون مساواة بهم بعدت | مسافة بين ذي جهلٍ وعلامِ
فازوا براحة أجسام كما طلبوا | والفوز راحة أرواح وأجسام
عارٌ على الشعب أن يبقى بغفلتهِ | مستعبداً لخرافات وأوهام
أكلّما جاء دجال بمخرقة | صدّقتموه ولا تصديق إلهام
جن وسحر وتنجيم وشعوذة | وتابع لأيامَى أو لأيتام
أضحت حقائق علم الدين عندكمُ | مضاعة بين تخييل وإيهام
أوضَحتُ من أمرها ما كان ملتبساً | فكان يا لهف إيضاحي كإبهامي
دون الحقيقة حجب الوهم مسدلة | متى يميط دجاها نور أفهام

يا أيها الفتيةُ الناجون أنشدكم | بما يُناشَد من قُربى وأرحام
ألا يذيب فؤاد الحر رؤيته | نور الهداية مغموراً بإظلام
هنتم ولذ لكم للهون ذلّكُم | يا لوعة الحر من ذالٍ ومن لام
أين الإخاء الذي جاء الكتاب به | وأحكمَ الأمر منه أي إحكام

لو اعتبرتم بما أدَّى تفرقكم | إليه في الدين من ذلّ وإرغام
إذاً لكنتم إذا نادى النصيح بكم | لبيْتُموه لزاماً دون إلزام

يا ويح نفسي أراكم دون غيركمُ | مكانةً فيثير الفكر آلامي
وإن تذكرت ماضيكم تضاعف بي | وجدي وهمي وتبريحي وأسقامي
ذكرى تكاد تذيب القلبَ من أسفٍ | على ليالٍ لكم مرت وأيام

وتلك عن حسرة بالنفس دائمةٌ — تُصمي الفؤاد وجرح بالحشى دام
أنجدت أنا وقد اتهمت آونةً — نُصحاً فلله إنجادي وإتهامي

لا تعذلوا واعذروا فالحق كم خُذِلت — دعاتُه بين عُذّالٍ ولوّام
أعربت عما بقلبي من مودتكم — فلا يكوننَّ إعرابي كإعجامي
فهذه عِظتي لله خالصة — وما أريد عليها نيل إكرام
والله يشهد أني قد صدقتكمُ — حبي ويعلم ربي صدق إقدامي
فإن أجبتُم ندائي فهو حظكمُ — وإن أبيتُم فوِردُ جازه الظامي

حنانيك حزب الله

حنانَيكَ حزب الله بوركتَ من حزبِ — فقد آن يلقي السمع من كان ذا قلبِ
أهاب بكم داعي الفلاح مذكّرا — أطلتِ الكرى يا شيعة المرتضى هبي
يعز على الدين الحنيفي أن يرى — بكم سُبّة تدعو إلى العار والسبِّ
أيرضى وصيّ المصطفى ونجيه — وعترته الأطهار ذاك من الشعبِ
بحُرمة قُربَى بيننا وولاية — ينزهها الدين القويمُ عن الخبِّ

أناشدكم لله أن تتعطفوا — سماعاً لنُصحي بالقَبول بلا عُجبِ
أخوكم بحب المصطفى ووصيه — دعاكم فلو لباه من كان ذا لبِّ
فكم ليلةٍ أحييت لا أنس لي بها — سوى الشجو والتبريح والنحب
أفكر في الحال التي أنتم بها — فأزدادُ ما فكرت كرباً على كرب
يُلازمني للذكر سهد ولوعةٌ — تقلّبني للهم جنباً إلى جنبِ
ومنذُ بدا لي من سنا العقل بارق — فما بت يوماً آمناً بعدُ في سربي
أينعم بالي والبلاء بأمتي — إذاً لا صفا عيشي ولا راق لي شربي

هلمّوا إلى ما يقصر الطرف دونه … من الشرف السامي على هامة
هلمّوا إلى العلم الرفيع مكانةً … وموردهُ الصافي ومنهله العذب
إلى ما يُعزّ النفس بعد مذلّةٍ … وينقذ من ضنك مضيق إلى رحب
إلى الغاية القُصوى التي أصبح الورَى … يسير إليها الركب في أثَر الركبِ
إلى العز في الأولى إلى الفوز في غدٍ … إلى نعم الدارين والأمن والخِصبِ
سرى العلم مسرى البرق يا شيعة … فطبّق من شرق البلاد إلى الغربِ
وعمّ الجهات الست صيّب ودقهِ … بعارضهِ الهامي ووابله السكبِ
عجبتُ لكم يدعوكمُ المرء للردىَ … فتسعون زحفاً للعوانِ من الحرب
ويعتد كلّ طرفه وسنانه … وصارمه للكرّ والطعن والضربِ
أفي الحق أن أدعوكم فتخيبوا … رجائي وعن جدي تميلون للّعبِ
وأدعوكم قصد الغياثِ فلَم أُجَب … وذاك لعمري موجبُ اللوم والعتبِ
مُنحتم ضياء العقل بالذات فليكن … به صفة للعقل عن شأنكم تُنْبي
أعوذ بكم أن يرجع الجد عندكم … سُدىً ونصيبي من نصائحكم نُصبي
أُسَرُّ بأن يسمو على النجم قدركم … وإن كنت ضمن اللحد مضطجعاً
عسى قائلاً يا قدَّسَ الله رُوحَه … فقَد فازَ في إخلاصه برضى الربِّ
فيا ليت شِعري هل أراكم بمقلتي … قُبَيل وفاتي حسبما يشتَهي قَلبي
ولست أبالي إن قضيتُ لُبانتي … بما أبتَغي يوماً قضيت به نَحبي

فيا ربِّ تدري ما تضُم جوانحي … إلى أمتي في الله من خالص الحبِّ
أعنّي على أمر أردت لهم به … رُقياً على هام السماك من التُّربِ
وَخُذ بيَدي فيما عزمتُ موفقاً … فأنت لنيل المبتَغى والمنى حسبي
أردتُ به الإصلاح ما اسطَعتُ … وتوفيق من أدعو وإياي من ربي
فإن سُدِّد المرمى وبُلغتُ مُنيتي … فمِن فيض نُعماه وإلا فَمِن ذنبي

❖ ❖ ❖

بَني نمَيرٍ

بَــني نُمَـــيرٍ وقلــبي لاتحــادِكمُ ... ظــام ومــن حـبكم في الله رَيــانُ
إن ســرَّ يوماً فـؤادي مـا يــوؤكمُ ... فلا عدَت سـرّه مـا عشـتُ أحـزانُ
إنـــي أذكـــركم والمتَّقـــون إذا ... مـا مــنهم طـائف يوحيـه شـيطانُ
تــذكّروا فـإذا هـم مبـصرون كمـا ... يـنصّ في سـورة الأعـراف فرقـانُ
أرى أفاعيــل إن أبـديتُها جرحَــت ... وإن كتمــت أذاع الســر كتمــانُ
وا حـــرتاه لجهــلٍ زادنــا ســفهاً ... زيــادة كلـها في العقــل نُقـصـانُ
يـرى الحليم بهـا الـداء العيـاء فـلا ... يـدري الـدواء فيغـدو وهـو حـيرانُ

مــا بــالُ آل نُمــير بعــد إلفــتهم ... في الــدين فـرقهم بغـي وعـدوانُ
مــالي أرى يــا ولاة الحـق حـالتكم ... حالــت فــلا أيــن يجلوهــا ولا آنُ
أضحت على الـدينِ عاراً وهـو كـان ... مِـن قبـلُ يـزدادُ إجـلالاً ويـزدانُ
أتــــلكون ســـبيل الشـــر في أُرَب ... لنيلـه عـن طريـق الخـير إمكـانُ
فــيمَ التقــاطعُ بالأرحــام بيــنكمُ ... وأنــــتمُ يــــا عبــــادَ الله إخــوانُ
إذا نــسيتم إخـاءَ الـدين فـاذّكروا ... بــأنكم يــا بــني الإيمــان جـيرانُ
ألم يقُـل صـادقُ الوعـد الأمين على ... ســـر الإلــه وللأســرار خــزّانُ
مَــن لا يـوالي موالينـا فلـيس لـه ... فـوزٌ وعُقبـاه حـين الـربح خسـرانُ

لله أنـــتمُ ألا تَقـــوى ألا ورَعٌ ... ألا حنــانٌ ألا صــفح ووجــدانُ
أمـا لكـم زاجـر في الـدين يـردعكم ... فطالَمــا زجــرَت ذا البغــي أديــانُ
مَــن لم يكُــن لأخيـه منـه مغفـرةٌ ... أنّــى لـه عنـد رب العـرش غفـرانُ
بتنـا بحـالٍ بهـا سـيءَ الصديق كما ... أمســى العـدو لـديها وهـو جـذلانُ

كـأنَّ مـا جاءنـا في نقـل سـادتِنا عـن الأئمـة تزويـر وبُهتـانُ
إن كان هذا هو الدين الحنيف فما على البسيطةِ بين الناس ديّانُ
أو كـان كـل حليم طوع ذي سفَهٍ فـالحلمُ مـسخرة والعـرف نكـرانُ
تـالله مـا عـزَّ منـصور بباطلـه ولا امـرؤٌ دأبـه للحـق خـذلانُ
وحقكـم لم يكـن لـولا تخـاذُلكمْ علـيكم لعـدوّ الله سـلطانُ
ولـو تعـصبتمُ للحـق عُـصبتكم لغـيره مـا شـآكم قـط إنـسانُ
فوازروا مـن يَـرى الإصـلاح غايتـه فـالمؤمنون علـى الخـيرات أعـوان
وإن أتـتهمُ بحـقٌ للهـدى عظـةٌ مـن مخلـصٍ فلـهم للحـق إذعـانُ
هـذا خِطـابي لأهـلِ الحـق وجهتُـه والجـاهلون لهـم شـان ولـي شـانُ
نـصيحةٌ وفـروض الـدين توجبُهـا علـيَّ والـشرط إخـلاصٌ وإيقـانُ
فـإن أصـبتُ الـذي حاولتُـه فيهـا وإن أسـأتُ فـإن القـصد إحـسانُ

وصيَّة

أي هـذي العـصابة (المهديَّـه) دعـوة مـن أخ سـليم الطويَّـه
منـشداً بـالأُخوَّة الدينيـه أن تحـاموا حميـة الجاهليـه

باطِرّاح الشقاق والعصبيه

أنـتمُ شـيعة الأمـام الوصـيّ ومـوالي محمَّـد وعلـيّ
قـد سـلكتم على الصراط السـويّ وبحبـل الله المـتين القـويّ

قد تمسكتُم وعمَ المزيَّه

لم يكـن أمـركم علـيكم بغمَّـة فالوِفـاقَ الوفـاقَ يـا خـير أُمَّـه
طاعـةً مـنكم لأمـر الأئمـة فَبهـا نـدفع الخطـوب الملمَّـه

وَبصدقِ الإخاء والوطنيَّه

وَدعوا الفخر بانتساب قبيح من صريح منه وغير صريح
أي قُربى ما بين جسم وروح حسبنا نسبة الولاء الصحيح

للموالي والعترة الأحمديه

أمَرونا بالحبِّ بعضاً لبَعضِ فأنيبوا وذاك أكبر فرضِ
هكذا الذكر والنبوَّة تقضي وبه الحق والحقيقةَ نُرضي

وننالُ المراتب العُلويه

فكأنَّا مع اليقين حيارَى وسكارى ولم نكن بسكارَى
انظروا مَن تجاورون اعتبارا من يهودٍ وفِّقتُمُ ونصارى

والأُولى ينتمون للوثنيه

ندعي أننا على الحق حزنا عن يقين وبالولاية فُزنا
بصدورٍ ملائ حقوداً وضغنا ذاك مما يفطر القلب حزنا

ويثير الكآبة المخفية

ولقد ساءني وإن سر غيري أن أرى الخلف بين آل نُمَيرِ
أي شر أصاب معدنَ خير بفنونٍ شتَّى بضيم وخَيرِ

أبلاء نعده أم بليَه

أدّعي مخلصاً أداءَ الأمانة بُهدىً واستقامةٍ وصيانه
كذب الزعمُ تلك أيُّ ديانه أن أرى أوليــاءه بالإهانه

ثم أغدو والنفس غير شجيه

إنما المؤمنون يا قومُ إخوه ولَنا في أئمةِ الحق أُسوَه
كلّنا يجذب المنافع نحوَه طارحاً أمر دينه الحق نجوَه

طامعاً في نوال دنيا دنية

أيها العالم الفقيه سلاما أبحق قد قمت فينا إماما
عظ بلطف لا قسوة لا ملاما فإذا الجاهل الغبي استقاما

ثم آبت للحق نفس أبيه

حبّبِ الناس بعضهم كيف أمكنْ ... مِن فصيح أخي بيان وألكَنْ
وتلطف بضعفهم وتحنّن ... وأدفع الشر بالتي هي أحسنْ

فإذا الخصم خدن نفس رضيه

أنصفوا الناس من مقيم وباد ... عاملوهم بعدلكم والودادِ
وليكن سركم بطي الفؤاد ... وتواصوا فالصبر خير عتادِ

لنوال المنى وحفظ التقيه

إنما القول باعتزال ورفض ... يقتل الوقت بين رفع وخفضِ
هو للشك في الديانات يُفضي ... هكذا الحال والحقيقة تقضي

وسجايا الجبلة البشريّه

ربَّ فدم مرآه والقلب أعمى ... يتباهى عليك خالاً وعما
وجدوداً مضوا إلى الله قدما ... ولقوا ربهم فإمّا وإمّا

سلَف ما وبئستِ الذريّه

أيها العابد الفقيه تبتّلْ ... واسألِ الله لطفه وتوسّلْ
يا أخا الزهد هل وعظت المغفَّل ... أيها الآمر المطاع ستُسأَلْ

أفأديت حق تلك الوصيه

شيعةَ المرتضى وأهلَ اليمين ... أَوَشكاً بالدين بعد اليقينِ
لكمُ الأمر بالكتاب المبينِ ... واعتَصمتُم منه بحبلٍ متينِ

فاسمعوا وارعووا وراعوا الوصيّه

ما تجيبونه إذا ما سُئِلتُم ... بالمقام الرهيب عما فَعلتُم
أعلمتم مكانكم هل عملتُم ... أعقلتم ما قلته أم جهلتُم

أم دعتكم إلى الخلاف الحميّه

لـو أخـذتم معنـى الكتـاب بقـوه ... وحفظـتم بالـسـر عهـد الأبـوَّه
ورعيـتم بــه حقــوق الأخــوه ... لترامــت للغايــة المرجــوَّه

بكمُ والسعادة الأبدية

بــولائي يــا شـيعة الحـق دنـتم ... وعلــى ســريَ المـصون أؤتُمِنـتمُ
فاســتقيموا عليــه لله أنــتم ... منـذ أُخـذ الميثـاق للفـوز كنـتمُ

فاقدروا حق هذه الأمنيه

لَــوْ أقمــتم أوامــرَ التنزيــل ... وســلكتم إليــه نهــج الــدليل
واســتقمتم علـى ســواء الـسبيل ... لــوردتُم مــوارد الـسلـسبيل

ونهلتم منها بكأسٍ روية

فمتــى تبلغــون شــأوَ الكمــالِ ... بارتقــاءٍ علــى مراقــي المَعــالي
وتقومــون في مقــام الرجــال ... تلــك أمنيــة بنفــسي ومــالي

لو رأتها عيناي قبل المنيه

إنمــا المؤمنــون لفــظ ومعنــى ... قــولهم إن دُعــوا لحــق سمعنــا
وأجبنــا داعــي الهـوى واتّبَعنــا ... وامتثلنــا لأمــره واطعنــا

فسلامٌ عليهم وتَحيه

❖ ❖ ❖

من خطاب للإخوان في حالٍ أوجبَت

بقلـبي مِــن مـصاب بَـني نُمَـيرٍ ... جــراح لــيس يبرئُهــا الطبيــبُ
وهـــمٌ لا يبارحــــه وغـــمٌّ ... يحــار بــشرحه الفطِــنُ اللبيــبُ
فيــا أهــلَ الـيَمين أخٌ محــبُّ ... لحــسرته دعــاكم فاســتجيبوا
أنيبــوا للهُــدى ودعــوا عنــاداً ... «يثـبطكم» فمــا خــسر المنيــبُ

ويـــا أهــلَ الــيمين ألا رشـــيدٌ إذا داعــي الــصلاح دعــا يجيــبُ
يبكــيِّني لغيبـــتكم ضَــميري علــى ذنــب ولــي منــه ذنــوبُ
أكـــلُّ أوامـــر المـــولى بـــصفح نـــسيناها ليرتـــاب المريـــبُ

بـــودي أنـــني في الـــسجن ملقـــىً عَلـــيَّ نوائـــب الـــدنيا تنـــوبُ
وأن أشـــقى وأنـــتم في نعـــيم وكلكـــمُ إلى كـــلّ حبيـــبُ
يَعـــز علـــيَّ مـــا تلقـــون منـــه فـــدمع العـــين منهـــلٌّ يـــصوبُ
وإن فكـــرت في الحـــال اعتبـــاراً يكـــاد القلـــب مـــن كَمـــد يـــذوبُ
أخـــاطبكم ومـــا لنـــداي واع (كـــأني بيـــنكم رجـــلٌ غريـــبُ)

أمـــا للـــدين وا أسَـــفاهُ مـــأوىً يـــؤوب إليـــه مـــنكم مَـــن يـــؤوبُ
أمـــا للحـــق ســـلطانٌ مـــبينٌ ينيـــبُ إليـــه بـــالتقوى منيـــبُ
لقـــد ســـطرتُها والعـــين عَبْـــرى وضـــمن حـــشايَ مـــضطرماً لهيـــبُ

نـــصحتُ لكـــم بـــلا فخـــر وربـــيَّ بـــإخلاص علـــى نفـــسي رقيـــبُ
لقـــد ســـلك اللجـــاج بكـــم طريقـــاً أقـــلّ ســـلوكه عـــارٌ وحـــوبُ
إلا حـــرٌّ يعـــين علـــى صـــلاح يخـــافُ الله أو غـــرٌّ يعيـــبُ

❖ ❖ ❖

« مِن أبيات »

معـــشرَ الـــشيعةِ الكـــرام دعيـــتمُ فـــأجبتم داعـــي الـــيقين ســـراعا
كنـــتمُ للوصـــي حزبـــاً مطيعـــاً حـــين قلَّـــدتموه مـــولىً مُطاعـــا

قــــد تلقبــــتمُ بأهـــل ارتفــاع أَفَترضـــون بعـــد ذاك اتِـضاعا
فَعلــى حـــبكم وقفـــت حيـــاتي حيطـــة عـــن حقـــوقكم ودفاعـــا
ومـــنَ الله وحـــده لا مـــنَ النـــاس علـــى خطـــتي أريـــد انتفاعـــا
مذ تنازعتمُ فشِلتم وراحت ريح نصرٍ به وعدتم ضياعا
قد تركنا لجهلنا من يرانا هازئاً منظَراً بنا وسَماعا
قائلاً عَن بلوغ أوج المعالي إن ذاك الفريق أقصر باعا
بأسهم بينهم شديد خصاماً يستجدون بينَهم ونِزاعا
هذه جهد ما استطعت ويكفي المرء إن كان فاعلاً ما استطاعا

أيُّها الفتيةُ

أيهـــا الفِتيـــةُ الكِـــرامُ ســـلامٌ رائــحٌ في رِضـــى المهـــيمنِ غـــادِ
يـــشهد الله أنـــني باشـــتياق لائـــتلافٍ مـــا بيـــنكم واتحـــادِ
لـــو عَلِمـــتم عَلمـــتم مـــا بقلبـــي مـــن حنـــانٍ ورأفـــة ووِدادِ
هـــذه الغايـــةُ الـــتي كنـــت أرجوهـــا لكـــم في تـــضَرُّعي وجهـــادي
فاجتنابـــاً طـــيش الـــصِّبا وســـلوكا مـــستقيماً علـــى ســـبيل الرشـــادِ
والـــولاءَ الـــولاء للعِـــترة الأطهـــار عـــن صـــفو نِيَّـــةٍ واعتقـــاد
إنمـــا شـــعبكم أيهـــا الـــدعاة لعمـــري خـــير شـــعبٍ بفطـــرةٍ ومَبـــادي
لـــو رأى قـــادةً إلى طُـــرُق الحـــق ثقـــاةً لكـــان ســـهل القيـــادِ
فيُـــوالي في الله حـــين يُـــوالي ويُعـــادي في الله حـــينَ يُعـــادي

شكاة وتبْصِرَة

إلـــيْكم يـــا ثقـــاةَ بـــني نمـــير شـــكاةٌ مـــن أخٍ صـــافي الـــوَداد
شـــكاة أخٍ يبيـــت حليـــفَ هَـــمٍّ قـــريح الجفـــن مـــسلوب الرقـــادِ

يفكّـــر في أمـــوركم فيُمـــسِي — حـــزين القلـــب مُنكَـــسِر الفـــؤادِ
قـــد انحلّـــت عـــرى الإيمـــان حتّـــى — غـــدا الآســـادُ منّـــا كالنّقـــاد
نـــرَى الغـــيَّ الـــصُّراحَ فنقتفيـــه — وننبـــذُ جانبـــاً نهـــج الرشـــادِ
واقـــبح مـــا بنـــا حَـــسَدٌ ذَمِـــيمٌ — رمـــى سُـــوقَ النّباهَـــةِ بالكَـــسَاد
إذا نَبَـــغَ الـــذكي بنـــا ســـعينا — لجعـــل صـــلاحه عَـــيْن الفـــساد
ونغمـــط فـــضله حـــسداً وبغيـــاً — ونَـــسلُقُه بألـــسنة حِـــدَاد

فـــلا والله مـــا هـــذا بـــدينٍ — رَوَتْـــه ثقاتُنَـــا عـــن آل صـــاد
فـــوا عجبـــاً لنـــا وبنـــا ومِنّـــا — علـــى هـــذا التخـــاذل والعنـــاد
حنانـــاً يـــا أُلـــي التقـــوى حنانـــاً — فقـــد بلَـــغ الزّبـــى سَـــيلُ التمـــادي
لكـــم في الـــدين حـــالاً خِفْـــت منهـــا — علـــيكم منـــه عاقبـــة ارتـــداد
أبيـــتُ الليـــل في أرق وهـــم — كـــأنَّ بمقلـــتي شـــوك القتـــادِ
أرى الـــداء العـــضال ولا دواءٌ — ســـوى دمـــع أبـــلّ بـــه وســـادي

إلى مـــن اشـــتكي همّـــي وكربـــي — إلى مـــن أســـتغيث ومـــن أنـــادي
نـــصحت لكـــم ولم أقـــصد ريـــاءً — ولا الـــدنيا الدنيـــة مـــن مُـــرادِي
فقـــد وهـــب الكـــريم كفـــاف عـــيشٍ — وطَيِّـــب ســـمعـــة فـــوق المُـــرادِ
وذلـــك منحـــة منـــه تعـــالى — وفـــضلاً لا بجـــدّي واجتهـــادي
فـــأن نَجَعـــت بكـــم عِظـــتي وإلا — فأثقـــال تُحَـــطّ عـــن الهـــوادي(١)

---

(١) الهوادي ج هادي: العنق وسمّي بذلك لتقدّمه.

نماذجُ من نثرِه

نماذجُ من نثره

تجد فيما يلي نماذجَ مِن نثره. يعرض فيها لمواضيع شتى. ويعالج بعمقٍ وحرّيةٍ مختلف الآراء ببيانٍ ناصع ووضوح رؤيَةٍ ومَن يطالعها بإمعانٍ سيتعرَّف على ناحيةٍ جليلةٍ من شخصيَّته.

أبرَزُها هذا التسامي فوق كل عصبية أو هوىً والإذعان للحق أينما وُجد. وشجب الخطأ من حيث ما يكون ودون ممالأةٍ لصديق أو جور على خصم ـ مما يفتح لك باباً واسعاً إلى شتى مجالات العرفان.

من نثر الإمام العلامة وكلامه ورسائله

قلب معذب وجسم مستريح

هكذا يظن الناس. وهمُ القاصرو النظرِ طبعاً. يرون شيخاً وادعاً على فراشةَ الوثير في خفضٍ منَ العيش لا يعوزه من لوازم الحياة شي، يكلف له عناء إلا الأمر المطاع فيغبطونه على هذه النعمة بل يحسدونه وهنيئاً له ولَنعم ما قيل:

مـاذا لقيـتُ مـن الـدنيا وأعجبـه ... أنـي بمـا أنـا شـاكٍ منـه محسـودُ

وأي راحةٍ والقلب معذَّب والفكر مضطرب مشوش والبال في بلبال.

كيف بك لو رأيتَ ولداً نضير العود جميل الطلعة على شفا جرف هار أو على غصنٍ في شجرة عالية متمسكاً بغصنٍ ضعيفٍ لا يلبث أن ينقصف في يده فيَهوي إلى الأرض قطَعاً متمزقة الأشلاء لا تملك له نفعاً ولا تستطيع للضر عنه دفعاً أفلا يحزنك هذا المنظر الذي يذيب

الفُؤاد ويفتت الأكباد. والله إن هذا المنظر المفجع الموجع أراه لشعب عظيم لا يلبث وهو على شفا جرف هار أن يهوي في هاويةٍ ليس لها قرار.

أمة بنيت على الولاء والإخاء ورابطة الإيمان التي هي العروة الوثقى وليس لها من مقوّمات الحياة التي تؤهلها لأن تعيش على وجه هذه البسيطة إلا ما فُطِرت عليه من الحنان والإلفة وصدق اليقين وحسن اليقين بأهل اليقين. تصبح تلك الروابط منقطعة بينها لا تصلها ببعضها واشجة إيمان ولا قرابة حنان إلا ما توحيه الدنيا الغرور وتقتضيه الحزبية المسيَّرة بأيدي العدو. أفلا يُعذَر الحزين على ما لا يدَ له بدفعه من مثل تلكَ الفاجعةِ الكبرىَ. أعلى ذلك يوجد في القلب سرور وراحة. لا بدع أن يكون عذاب القبر من هذا النوع يعذَّب المرء ولا يحس بعذابه. ناظر ولا سامع. إنا لله وإنَّا إليه راجعُون. كل الأمة ذاهبة إلى الفناء لا يُستثنى الشيخ الهمّ ولا الشاب النشيط المثقف ولا الزعيم المتغطرس ولا من يتشبث بأذيال التقوى.

الدين غير التديُّن

إنَّ معرفةَ الدين غير التدين فقد ترى من يسرد لك أصول الدين سرد عالم بفروعهِ وأصولِه وهو في السر لا يعبأ بتعاليمه. ولمثل هؤلاء يقول فيلسوف المعرة:

دنـتُم بـأنْ سـيجازيكم إلهكـمُ   فمـا لأعمـالكم أعمـال إهمـال

ومهما تنطّس[1] المتفلسفون في مدح العلم وأطنبوا في تَعداد فوائده فإنه لن يغني عن الدين ويا ويح العلم الذي يخالف الدين بل ويا ويح أهله فإنهم شقوا به أولاً وسيشقون آخراً...

«من كتاب أرسله لنجله في باريس ١٩٣٣»

تألفت جمعية في طرابلس الشام. تحت رعاية الحكومة باسم الجمعية الخيرية العلوية. غايتها إعانة البائسين من هذهِ الطائفة. ومتى توفقت وكان لها من مدد المحسنين ما توده سعت لبناء جامع ومدرسة خيرية صناعية إلى ما هنالك من الآمال والأقوال.

1 تنطّس: بالغ في البحث.

ومنذ أسبوع من تاريخه ذهبت إلى هنالك لأنظر أحوال القائمين بها وكيفية ترتيبها وهل يرجى منها الخير المطلوب أم لا وقد استقبلنا أعضاؤها وبقية الإخوان بحفاوة واحترام فوق ما نستحق واحتفلوا وخطبوا وأمّلوا من زيارتنا خيراً وقد شجَّعناهم كثيراً ووعدناهم أن نبذل الجهد في مساعدتهم وأوضحنا لهم تاريخ طرابلس المجيد وما للعلويين الساكنين بها من المكانة العظمى في الدين والدنيا إلى آخر ما اقتضته الحال من التشجيع وبعد يومين ودعناهم قافلين إلى اللاذقية محل العائلة وحين وصولي ناولوني كتابك. تلوته مسروراً منشرحاً بتلك الأفكار الطاهرة والغيرة والسعي لما به خير الأمة. وعلى الأخص تلك الفلسفة فلسفة الحياة وجهادها والعمل لخير المجتمع. فالحمد لله الذي أراني من يقدِّر الأعمال حق قدرها من ذريَّتي.

أنا لا أعتذر أيها الحبيب عن تقصيري. وأعترف به. ومن ذا الذي أدَّى الواجب دون إفراطٍ ولا تفريط. على أنك أيها الولد العزيز لو اطلعتَ على تاريخ حياة أبيك وكيف نشأته وبيئته والمحيط الذي تربَّى به وكيف استطاع مع ذلك إيجاد مركز كمركزه لَعجبت إما منَ الأقدار كيف ترفع من يحق له الاتضاع أو لعَذَرته في أعماله وعلمت أنه قام بما يجب على أمثاله.

لقد كان سيدنا الوالد غفر الله له وجزاه عنا خير الجزاء غنياً بالعلوم الدينية ولم يدّخر وسعاً دونَنا. كانَ يغتنم فرصة الشعر يقع له والدعاء يستكتبه لنا كي نحفظه وإذا وجد خطاطاً يكتب لنا خطّاً جميلاً لنقتفيه على بلاط الرخام لأنّ الورق كان معوزاً أمّا أن يكون لنا كتاب نقرأه فهذا من النوادر. وإذا علمت أنني حفظت قصة يوسف شعراً نظمه الشيخ «رجَب عنّاب» أوله.

أقول ودمعتي على الخد سالي ... وناري بالحشى زادت شعالي

وهو كتاب طويل علمت عوَز الكتب. وقد كنت مولعاً بالقراءة في صغري إلى حد أنني أتطفَّل على من عنده كتاب من إخوان العائلة وأسأله النظر فيه ولو ساعة وقليلاً ما كانت تُجاب طلبتي اللهم إلا عند المقدس المرحوم العم الأكبر في العائلة الشيخ «إبراهيم صارم» فكان يسمح لي بالكتاب أقرأه بشرط أن لا يخرج من البيت. وما أنس في حياتي لا أنسى مرةً اغتنمت الفرصة وانسَلَلت من البيت سراً لأجتمع «بكتاب» عنده فلما خرجتُ من

البيت إذا بعارض مطرٍ قويّ يندفع كأفواه القِرَب والمحّل قريب فركضت فزلّت رجلي وأصابت أخمصي سلاّطة محددة جرحتني جرحاً بالغاً أثره باقٍ إلى الآن. فلما وصلتُ إلى البيت غرقان ووقفت أمام المرحوم عمي رأى الدم يسيل في أرض البيت بكثرة قال: ما هذا؟ ولم يشعر ولم أشعُر إلا وقد غلبتني الصفرة وغشيَ عليّ لكثرة ما نزف منْ الدم.

أما عقلية الأمة يومئذ فلا أدلّ من تكفير من ينبذ خرافات الجن والسحر والشعوذة أو يزعم أنّ المطر من بخار الماء إلى ما هنالك. وأما العلم فبقطع النظر عن كلمة الشهادة لم يكن في الأمة مَن يفرّق بين رأيت زيداً عالماً ورأيت زيداً راكضاً ورأيت رجلاً راكضاً من جهة الإعراب.

وقد والله أيها الحبيب اجتهدت وتعلمت اللغة بالمطالعة لا على معلم حتّى فقت أمتي كلها فيها وحفظت عدة رسائل عن ظهر قلب وتضلعت من إشارات القوم وإن كنت لم أميّز بين الغث والثمين يومئذٍ. وجاهدت ببث الروح العلمية بين الأمة بكل ما عندي منَ القوة والنشاط حتى لولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لأثبتُّ لك أنه ولا أحد في هذه الأمة يعرف شيئاً إلا مَن أخذ عني أو حملته الغيرة على مجاراتي والتشبه بي ومع ذلك فقد عشت ولله الحمد منقطع النظير عند مَن يقدر المرء قدره ويقيم للإنصاف وزناً. والمنة بذلك لله سبحانه إذ لولا فضله ورحمته ما صفت منا النية ولا بلغنا الأمنيه ومما أعتده لنفسي بتوفيقه تعالي أنني أول مجاهد بنبذ التعصب وبث روح الإخاء والرجوع إلى أصول الدين البسيطة الطاهرة وكم جادلت وخاطبت وكاتبت وقد أثمر هذا الغرس عند كل من عاشَرني وأخذ عني. وإنني أول مَن نهج للشعراء مِنّا الترنم بالولاية وأنها العروة الوثقى اللهم بين هؤلاء النشء الجديد إلى ما لا أقدر على شرحه ولو تعلم ما لقيت من عصبية الإخوان والإشاعات الباطلة ومباراة المقلدين لكي يسقطوا مقامي لرأيت عجباً ولعلمت أنني لولا فضل الله ورحمته لما وصلت إلى هذا المقام.

إنني سأُقيِّد اسمك من أعضاء الشرف بهذه الجمعية ولا بأس أن تكاتبها وتشجعها.

«من رسالة كتبها لنجله في «تولوز» سنة ١٩٣٢»

أرسلنا لك كتاباً وفيه تعريض بما ذكرت عن كتاب الأستاذ «لويس ماسينيون» وقد ذكرت لك أنّ التفصيل عن أحوال عصر الشيخ «خليل النميلي» ومَن عاصره غير ممكن لأنه

نتيجة عصرين مضَيا قبله كان الشيخ الديِّن يقاطع من ذكر اسمه من المقدمين عند أحد الحكام فلا يدخل بيته ما عاش ولا يأكل من زاده. ذلك ما سبَّبه التعصب الديني بين أهل السنة والشيعة. وقد أوقد هذه الفتنة الشيخ «نوح الحامدي» في فتياه التي ذهب بها أربعون ألفاً من الشيعة طعام السيف والبارود.

فكان الشيخ يفر بدينه ملتجئاً بتلك الجبال المانعة والتبسط بمثل هذه الأمور لا يشرف الشرق ولا الشرقيين وربما أثار دفائن كامنة نحن الآن في غنىً عنها.

ويكفي من يكتب عنا مثل الأستاذ أنّ هذا العصر تفرد به مشائخ الدين بالعبادة والزهد وترك الدنيا والإقبال على الآخرة وبذلك حفظوا على العامة عقائدها. وضبطت أمور العشائر وقل شرها بوساطتهم لحُسن اعتقاد الأمة بهم فقد كان أحدهم يأخذ القاتل لبيت المقتول فيعفي عنه إكراماً له ويسمح بديته. إلى كثير من نوادر الكرامات التي كانت تُسنَد إليهم بعقوبات من يخالفهم. وليس في أشعارهم وتآليفهم ما يفخر به إلا ذلك الإخلاص العجيب واليقين التام بمُعتَقدهم وذلك الانشراح بما لديهم من حسن الولاء حتى كان أحدهم يستقبل الموت وهو على ملء اليقين بالفوز وصدق ما وعد به أهل الولاية...

«من رسالة كتبها إلى نجله في باريس سنة ١٩٣٥»

ذكرتم أنَّ الأستاذ العلامة أبدى لكم بعض الشك في أن يكون عضد الدولة فاطمياً ولم يجر ذكر لعضد الدولة في كتبي إليكم وإنما هو عصمة الدولة فلعل الغلط سبق قلم. أما أن عصمة الدولة فاطميّ أو عَربيّ فلا مرية فيه. وكون كويلج أو كوينج اسماً تركياً أو أعجمياً لا ينافي ذلك فإنّ الضغط الذي جَرى على أهل هذا البيت لم يجر على أهل بيت على وجه البسيطه فلا يبعد أن يكون في حال اختفائهم من وجه العباسيين بين البربر وغيرهم تلقبوا بهكذا اسم استتاراً.

وقد أحلت الأستاذ إلى كتاب الشيعة وفنون الإسلام لأنكم ذكرتم أنّ مراد الأُستاذ أن يبيّن ما لهذه الفرقة من المكانة في الملة الإسلامية وهذا الكتاب أُلّف بيان أن جميع العلوم الإسلامية مما سبق الشيعة إلى وضعه أو التأليف فيه ولم يطرق هذا الموضوع غيره من مؤلفي الشيعة من الصدر الأول إلى وقتنا هذا فلذلك أحَلته عليه...

أما الطالقان فهو المدينة والإقليم الفارسيّ المنسوب إليها وقد جرى ذكره كثيراً في كتب الشيعة وخصوصاً في الأحاديث التي تدل على ظهور المهدي وإن لله فيها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ولكنها رجال مُختارون لصاحب الأمر. ولا يجوز أن تكون مثنّى طالق لأن هذه الصفة خاصة بالإناث مثل طالق وحامِل «من حمل الولاده» مما لا يشاركها فيها الرجال فإذا ثنّيت رجعت التاء، فقلت طالقتان وحاملتان حسب الإعراب فإذا كانت الصفة مما يشتركان فيها وجب تأنيثها بالتاء يقال رجل حامل (من الحمل على الكتف أو غيره) وامرأةٌ حاملة ورجل طاهر وامرأة طاهرة. فإذا كانت الصفة مما لا يشترك فيها الرجل كالحمل والطمث والإرضاع قيل امرأة حامل وطامث ومرضع وطالق بدون التاء، وهذه الصفة (طالق) لا تطلق على المذكر بمعناها المشهور وإنما هي للأنثى خاصة. وكان يجب أن يقال كتاب الطالقين. فليكن عندك علم من هذا. وهذا الكتاب سبق الغربيين فيما يسمونه (الرومان) أعني القصص الأخلاقية المشهورة. فلا نظير له عندنا

«من رسالة إلى نجله في باريس سنة ١٩٣٥»

زارنا العلامة المستشرق «لويس ماسينيون» الأستاذ في كلية اللغات الشرقية في باريس والعضو في الأكاديمي على ما فهمنا. وقد سرد لنا ترجمة حياته وأنه قضى السنين الطوال في خدمة اللغة العربية والمذاهب الإسلامية وأن أعماله هذه خدمة للعلم والإنسانية مجردة عن السياسة إلى غير ذلك ما لم نر فائدةً من سردِهِ وأهدانا من تأليفه كتاباً عنوانه «سلمان باك» يبحث فيه عن سلمان الفارسي ولو أنه في العربية لأبدينا رأينا فيه وقد قلت له أنكم (أي المستشرقون) تخدمون الإنسانية إذا أُخلصتم النية لأن فلسفة الشرق روحية بحتة وفلسفة الغرب مادية محضه. وكلتاهما فيها بعض النقص من الوجهة الاجتماعية. وقد قال أعدل المصلحين مزاجاً: «إعمل لآخرتك كأنك تموت غداً واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً. وقد أوردت له بهذا المعنى بيتي المكزون:

حتّامَ بالأغراض عن جوهري القدسيّ بالحسّيِّ إعراضي
وكل مستقبل أمرٍ به (أي بالحسّي) بحاله يدخل في الماضي

وشـرحت له معناها وأن اللذة الحسية مهما كانت بحال نوالها تذهب كأن لم تكن بخلاف اللذة المعنوية فقد تبقى الأيام والشهور والسنين والظاهر أنه فهم ما شرحت فسُرّ بذلك سروراً كبيراً على ما ظهر لي وأظهر اعتباراً عظيماً لكلامنا معه فيما بعد . وحين فراقنا رفع قبَّعته فلم يلبسها حتى نزل المدرج كله ومسرح الطابق السفلي وخرج من الباب إلى طريق السوق . وأعطانا عنوانه لنعرفك به وأنه مستعد لخدمتك في كل ما يمكنه فيجب أن تتعرف به فعسى أن لا يضرك في غربتك والذي فهمت من شرح حاله أنه متديّنٌ جداً ويدين بدين الإنسانية والله المتولّي سرائر العباد وإليه المرجع والمعاد ...

«من كتابٍ مُرسَل إلى أحَد تلاميذه في المهجر»

لا أحمل الهمَّ لي يوم يغيِّبني ... ولو حللتُ مع الجوزاء والحَملِ

(أبو العلاء)

حقاً إنَّ العاقل لجدير بأن لا يهتم لهذه الحياة وما هيَ لو عمَّر ألفاً إلا مدة لحظة أو مدى لفظة فلماذا الاهتمام والإغتمام وما النفع منهما وإذا كانَ الشيء لا يفيد فلماذا التشاغل به . ولكن أثناء ذلك خطر بفكري ذلك النائي الوحيد في بلاد الأجانب وأولئك الصغار الذين لا يعرفون للكون مدبراً إلا مَن يعولهم وقلت فيما قلت ما حال ذلك المخلص الوفي إذا بلغه ما يقطعُ أمله بلقاء أستاذه الذي كان يرى منه أباً عطوفاً فلم أتمالك أن حزنت وهنا سألت نفسي هل أولئك الفلاسفة أصحاب هذه الأقوال سالكون بموجبها تماماً أُحقّاً أنهم غلبوا الطبيعة وتملّصوا من ربقتها أم هم كالشعراء يقولون ما لا يفعلون .

جرَت خيل رسول الله صلى الله عليه وآله في الحلبة فأتى أحدها سابقاً فسُرَّ به وقال : إنه لَبَحر إنه لبحر فقال أحد الصحابة كذب الحُطيئة بقوله في ممدوحه : وإنَّ جياد الخيل لا تستفزّه . يعني إن الرسول صلى الله عليه وآله استفزّته جياد الخيل فكيف لا تستفزَّ ذاك . وأقول : قد قال صلى الله عليه وآله : «تدمعُ العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يُرضي الرب وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون» . وهو أكمل المخلوقات وأعدلها مزاجاً أدَبه ربه

فأحســن تأديبه. فهل يصدق بعد من قال: لا أحمـل الهم «وهـل في إمكانـه أن يخرج عن كيانه أليــس هو القائل:

أتَضَحَى بالهمَ أو أتمسَّى...

إنَ التـاقض بين قوليـه ظاهر فهل هو كـاذب فيما قـال: لا أقسو في الحكم فأزعم أنـه والجهلة سواء، ولكني أقول إنها أحوال تعرض فالقائل:

إنْ كــانَ في قَلـبي لغــير جمالهــا حــظ فلـــستُ علـى الهـوى بــأمين

إن أحســنا به الظن نقول إنـه كـل على تلك الحال حينمـا قـال ما قـال ليس إلاّ. أمـا أن نعتقد أنه في سـائر أحواله على تلك السـجية فلا وإذا لم تخرّج هذهِ الأقوال على هذهِ المعـاني لا تخرج عن التناقض الصريح.

كل هذا الطويل العريض جرَّنا إليه فكـر بـسيط في علة بـسيطة لا خطـر منهـا في ظـاهر الأمر ولكن إليها المآل في آخر الحال وإلا ههنـا مصير الفلاسـفة والجهال. أجل لقـد طلـب راحـة الضمير العلماء والحكماء والعبّاد والزهّاد واختلفت الوسـائل ولم يظفروا بطائل وليـس تـشفى بالتعاليل العلل. إنما أقرب ما وصلوا إليـه علاقة بالمطلوب التــسليم بقلب سـليم.

مُنىً إن تكن حقّاً تكنْ غايـة المُنـى وإلاّ فقـد عـشنا بهـا زمنــاً رغـدا

من خبايا الزوايا

من سرَّته حسنته وساءَته سيئته فذلكم المؤمن

رُسِم على لوح القلب (أو الضمير) بـالفطرة الإلـهية مـا يحـسن ويقـبح (جبلّه) صبـغة الله ومَن أحسنَ من الله صبغةً وعُبّر عنه بلسـان الشـرع بأنه جوهرة نقية فكلمـا قـارف المـرء ذنبـاً (أو أتـى عمـلاً يخالفُ الفطرة) نكتَ في قلبـه نكتـةً سـوداء تَخِزُهُ وتُؤلمـه وتـدعوه إلى النَّدم والتوبَةِ والإقلاع عن مقارفةِ مثلِها فإن وُفّق وأقلع فالحسناتُ يُذهِبنَ السَّيئات وإذا أراد الله بامرئٍ أمراً هيّأ له أسبابه فتزول تلك النكتة وإلا فلا تـزال النكتـة تـزداد حتى يُصبح القلبُ حمةً سوداء فلا يعودُ حينئذٍ يُسَـر لفعل حسـنَة ولا يُسـاء لفعل سـيِّئَة وَفي ذلـك دلالـة على

مَوتِ الشعور بالواجب. وعبَّر عنه الموحدون «بجوهر السبيل» الذي يفارقُ المؤمن حين مقارفَة الذنب وغلبة الحس الشهواني على العقل فإذا قضى ما أراد رجع إليه جوهر السبيل مؤنِّباً مبكتاً حسبما قيل له الفعل قبل الدخول فيه فإن أقلعَ وندم وإلا فلا يزال يعاوده المرة بعد المرة حتى إذا استولى عليه ظلم الذنوب فارقه فلا يعود ما يبكته على ذنب ولا ما يوبخه على معصية فلا تسره طاعة ولا تسوؤه معصية ذلك لأنه فارقه نور الإيمان وفقد الحسّ والشعور «أوَمَن كانَ ميتاً فأحيَيْناه وجَعَلنا له نوراً يمشي به في الناس كَمَن مَثَلُه في الظلمات ليس بخارج منها».

وفي النهج لِمولانا الأمام «سيئةٌ تسوؤك خير عند الله من حسنةٍ تعجبك» قال الشراح: إن السيئة التي تَسوء ربما دفع التفكير فيها إلى حسنات، والحسنةُ المعجبة ربما جرَّ الإعجاب بها إلى سيِّئات. ومن هنا أخذ أبو العلاء المعرّي تلك الفكرة الشريفة في لُزومياته فقال:

لعلَّ ذنوباً كنَّ للدين سُلَّماً

ولا يحس المرء بالظلمة المحدقة به لولا فيض النور وشعورهُ بالضعف دليل على قوة كامنة ومَن عرف داءهُ رُجي له الدواء ونفعه العلاج إن شاء الله.

الولد سر أبيه

إذا لامسَ المرءُ زوجته وقدّر الله في ذلك الاجتماع إيجاد نسمة حياة كانت جميع أفكار الوالد وهواجسه مرتسمة به ومطبوعة فيها إن خيراً وإن شراً فكأنها تمثل حالته للعيان. فهل كانَ إذ ذاك طاهر الأخلاق صافي النية مفكراً في الخير أو عكس ذلك.

نَرى جملة أخوة لأبٍ واحد وأم واحدة وكلا الوالدين طاهر من كل وصمة ولكنَّ الأولاد مُتباينو الطبائع من لطافة وشراسة ولين وفظاظة وأناة وتهوُّر ووداعة وسوء أخلاق وغير ذلك فنعرف حالة الوالد النفسيَّة والمزاج الغالب عليه حين (الغرس) مهما كانت فالإنسان إنسان لا ملاك.

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقُل خلوتُ ولكن قل علَيَّ رقيبُ

الغزاليّ

عالم من علماء الإسلام وفيلسوف من فلاسفتهم الكبار عرف الأوروبيون له مكانته وأثنوا عليه أجمل الثناء وذكروا أنه توصل إلى ما توصل إليه من الحقائق بالبحث ونَبْذِ التقليد وأنه استبطن جميع الآراء والنحل وتعمق بها حتى الزندقة والتعطيل (يريدون الغُلو والرَّفض). إلى أن استقر فكره على آراء اطمأنَّ إليها بعد التسليم بقلب سليم والاستمداد من مفيض الجود على كل موجود وانظر ما حكى عنه شارحوه ومحلِّلوه. هذا الحبر العظيم الذي باهى به النبي صلى الله عليه وآله موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قائلاً لهما:

هل في أمتيكما حبر كهذا - قد طرح التقليد كما يقول ولكنه ارتطم في وحلته من حيث لا يشعر ذهاباً إلى ما وعاه العقل الباطن من مذهب الأشعري وغلب على كل ما مرَّ بمخيلته من مثل (كتاب الله وعترتي أهل بيتي والكثير من نوعه) فأتانا يبرر يزيد ويبرئه من دم الحسين وأنه لا يجوز عليه اللعن بل بالغ بإيجاب الترحم عليه والدعاء له وأنه داخل في جملة من نستغفر له ونترحم عليه ختم الصلاة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

أليس ذلك لأن الماء تكدرَ من ينبوعه وانصراف عن مجراه النقي فتسربت إليه الأكدار ومرنت النفوس على اعتياد ذلك وتقليده فصار ملكةً راسخةً لا يحس صاحبها بحسن ولا قبح إلا ما أورثته إياه. يقول بعضهم في حق ابن سيناء أعظم فلاسفة الإسلام ومن سبق الغزالي بنبذ التقليد وطلب المدد من مفيضه والإلتجاء إليه في الصلاة عند كل اصطدام بمشكل أو عويص. سئل عنه النبي صلى الله عليه وآله (في الرؤيا طبعاً) فقال: هو رجل أراد أن يصل إلى الحضرة بغير واسطتي فدفَعتهُ بيدي هكذا فأهوى إلى النار. هذا ما يقوله غلاة النصب ولعل بعض غلاة الرفض يقول عن الغزالي انه أراد الدخول إلى بيت الحكمة من غير الباب فضُرب دونه الحجاب وانقطعت به الأسباب ولعلّ من هذا النوع ما وقع للرازي حين تفلسف برد «حديث الغدير» مَن كنت مولاه فعلي مَولاه فزعم أنَّ مورده لخلاف حدث بين على وبين زيد بن حارثة مع أنّ زيداً قتل يوم مُوْتة والحديث وقَع في حجة الوداع وبينهما مدة طويلة لا أعرفها بالضبط ولكن أظنُّها لا تقل عن سنة فهل أوقعه في غلط النقل مع تبريزه في العَقل إلا التقليد الموروث والمران عليه حتى لم يعد يحس به مع مصادمته للبداهةِ والعقل والنقل معاً.

فالحق أنَّ الشرق جامد مقلد إلى أقصى ما يبلغ معنى التقليد سواء في ذلك موحدهُ وملحُده وعالمه وجاهله وهذه الكلمة جارحة ولكنها حقيقة ثابتة والحقيقة يجب أن تقال مهما كانت والحق ثقيل وهو أفضل ما قيل. ومن كتم داءَه أعانه على نفسه.

❖ ❖ ❖

لكل حادث حديث
وفي كل وادٍ بنو سَعد

في مقدور من آتاه الله مَلَكَةً بيانيَّة أن يتخِذ منَ الدقيق الحقير موضوعاً للعظيم الجليل.

قرأت في تاريخ الكنيسة انشقاق الطوائف التي تربو على الألف واختلاف اللاهوتيّين الذين هم بمثابة علماء الكلام عند المسلمين وكم منَ العقائِد حمي فيها وطيس الجدال على وفرة ما فيها من الحكماء والعلماء والأحبار الذين يُعدون بالملايين لم يمنعهم ذلك عن الانقسام إلى فرق ونُحَلُ. وجال فكري في ملل الشهرستاني ونُحله وفصل بن حزم وقيام الفرق العديدة في الإسلام واستنتاجهم العقائد الكثيرة من القرآن والآثار حتى وصل بي الفكر إلى التأويلات التي اتَّبعها بعض فرق الرافضة فوقفت مندهشاً متحيراً متعجباً من تلك الأفكار كيف تُعلّل وتُحلّل ثم ذكرت قَول ذلك: العلم المفرد «أنَّ الطرق تختلف باختلاف السالكين» والذي فتح عليَّ من التعليل الطبيعي لذلك إن الإنسان بتركيبه مشارك الحيوان فلا يفوقه إلا باختلاف الكم والكيف (لسانُ الفتىَ نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ) البيت. فالإنسان مركب من ملايين الملايين التي لا تحصى من الجواهر الفرده فكلما اتفق قراب التأليف بين شخصين اقتربا في الأفكار والآراء وقلّما تَرى خالجة فكر مهما قلّت أو جلّت مرت بقوم عادٍ وَثمود والقرون التي بينهما أو قبلهما إلا وقد تمر بمَن هنا.

وقد شبه الطبيعيون بعض الإنسان بكثير من الحيوان ولا بدع فالإثنان مشتركان في التركيب من الأكوان الستة فالذي جسمه مؤلف من ذرَّات أقرب إلى الحمار أو الأسد أو غيرهما فهو أقرب شبهاً بهما وهكذا قل عن جميع ما تعرف من الحيوان من أشرسها إلى ألطفها فإنك ترى المماثل لها من الإنسان ماثلاً بأكثر أخلاقه ولا إنكار فهذا نفس ما يقوله علماء الدين عن المزاج واختلاط القَبضتين ومَن غلب عقله على حسّه كانَ ملكاً والعكس

بالعكس ومنه قول القائل[1]: «وحقائقُ الأشياء لا تتبدل» فمن كانت الجواهر الدميمة غالبة على تركيبه لا ينجع فيه البرهان ولا حجة التوراة والإنجيل والقرآن.

حول أبي العلاء

محاورة بين تلميذ متعصب على أبي العلاء هرباً من عار التقليد وليدسّ نفسه بين الباحثين المفكرين. وبين أستاذٍ متعصب له ليظهر بمظهر الغيرة للعلم وتحاشياً للحسد.

التلميذ: ما رأيك أيها الأستاذ في أبي العلاء؟

الأستاذ: أمثل أبي العلاء يسأل عن مكانته ورأيي فيه؟ هو فيلسوف الشرق الذي سلك بمقتضَى فلسفته وطبق العلم على العمل ولا أدلُّ على منزلته من قوله:

لعمرك ما غادرت مطلع هضبةٍ　　　من الفكر إلا وارتقيتُ هضابها

ألا تراه قد انتقد الفلاسفة وعلماء الكلام والقراء والفقهاء حتى الأديان والمشترعين.

التلميذ: وما في ذلك من الفلسفة والمكانة العظيمة

الأستاذ: وماذا تكون الفلسفة إذاً؟ أليس هي البحث عن الحقيقة في نفسها والانقياد إليها ولو خالفها العالم جميعاً. أما سمعت قول أرسطو حين نوقش في مخالفته أستاذه أفلاطون:

«إنا نحب أفلاطون ونحب الحق ولكن حيثما اختلفا فالحق أحق أن يُتَّبَع».

وهذا شأن فيلسوفنا فإنه نبذ التقليد واتبع الحقائق غير مبالٍ بخلاف من خالف مهما جلّ ولو كانَ في عقلك متّسَع لهذهِ المباحث الدقيقة لَشرحتُ لك الكثير مِن اعتراضاته على ما يظنه الناس حقائق راهنة وما هو عند التحقيق إلا أوهام في أوهام.

التلميذ: إذا كانت هذه هي الفلسفة فإني أريد أن أكون فيلسوفاً

الأستاذ: فيلسوفاً؟!

1 هو العلامة الشيخ سليمان الأحمد.

التلميذ : أجَل. وفيلسوفاً كبيراً.

الأستاذ : وماذا أعددت لهذهِ المهمة من الأدوات.. الوسواس وحب الشهرة؟

التلميذ : كلا. وإنما هو حب الحقيقة.

الأستاذ : أُحب أن أعلم أولاً كيف تكون فيلسوفاً

التلميذ : أنتقد أبا العلاء وغيره من الفلاسفة

الأستاذ : صَهْ. ومن سوغ لك هذا الهذَر

التلميذ : مهلاً أيها الأستاذ لا تنظر إلى مَن قال وانظر إلى ما قيل وإنما سوغ لي هذا أبو العلاء نفسه فإنه انتقد واعتَّرض على من لو قيس به لما كانت نسبته إليه فوق نسبتي إليه هو. وقد شهد على نفسه.

بالنقص إذ قال:

«أشهد أني رجل ناقصٌ» فلا تدع له الكمال

الأستاذ : اذكر مآخذك عليه لأفندها وأعلمك أنك من جهلك في غرور

التلميذ : ما معنى قوله: «ومن قال اللهم اجعل (...) بازيا كان قوله للسفه موازياً»

الأستاذ : معناه ليس لمخلوقٍ أن يتجاوزَ فطرته فليس في وسع الإنسان الخروج عن بشريته ولا الملاك عن روحانيته ولو كلفت البرق الخاطف أن يقطع القيراط الثاني من الذراع قبل الأول لما استطاع.

التلميذ : تبارك الله! وقد سمعت أنّ الهم لا يفارق العقل وقرأت هذا المعنى في فلسفته حتى أنّ النجوم لو كان معها عقل أشعرَت بالهلك وكان ذلك منغصاً لحياتها.

إن كانَ للمرّيخ عقلٌ فما يستر عنه أنه بائدُ
أتدري الشمس أنَّ لها بهاءً فتأسف أن يفارقها الأياء

الأستاذ : هذا حق لأنَّ العقل يبعث على التفكير في عظمة الكون ومتى فعل المرء ذلك أوقفه البحث في أسرار الحياة وما إليها على مشاكل لا يُستطاع حلها بعلم ولا فلسفة ولا دين فيرجع خاسئاً وحسب ذلك مدعاة للهم.

التلميذ : هنا نقطة الخِلاف يا أستاذ إذاً فكيف يقول :

لا أحمل الهمَّ لي يوم يغيّبني ... ولو حللت مع الجوزاء والحَمَلِ

أُخَرج عن الفطرة؟

الأستاذ : كلاّ . وإنما هي حال عرضت . رجل قتل الأشياء خبراً فلم يَرَ نفعاً من الاهتمام أليس قد قال «أتضحّى بالهم أو أتَمسَّى»

ولم يكف هذا الدهر ما حملَ الفتى ... من العبء حتى ردَّه يحمل الهما

وحسبه صراحةً عما عنَّ له ولم يجمجم به كالمدلّسين . وكفى بهذه الجرأة دليلاً على وثوقه من نفسه .

التلميذ : قد عرَضَت لي هذهِ الأحوال وتناوبَني الشك واليقين في كثير من مسائل الحياة . وأصابني الهم المفرط بمقتضى الطبع وسرَّى عني الهم ما وردَ في الكتاب «لكي لا تأسوا على ما فاتكم» وفي السنَّة «لو اطلعتم على الغيب لاخترتُم الواقع» أفَلستُ بذلك فيلسوفاً؟ بل من ذا الذي لا يكون كذلك؟ نعم لو أتانا بفائدة تخفف بعض الأعباء لحمدناها له . أمّا والأمر على الفطرة فلا أدري ما هذهِ الأقوال ففي وسع كل أحد أن يكون متفلسفاً وفيلسوفاً معاً ما دام كل ذلك محمولاً على توارد الأحوال ، ولكل مقام مقال ، وما الفائدة من الوعظ والفلسفة والمرء لا يقدر أن يتحول عن كيانه أليس كل ذلك أعاليل بأضاليل؟ يا ضيعة الوقت وا رحمتاه للعلم والفلسفة .

الأستاذ : إنك لا تهدي من أحببت . ألم يقل :

سلكتُ طُرق المعالي ثم قلتُ لهم ... سيروا ورائي فلما شارفوا خنسوا

التلميذ : ولكننا سمعناه ينادي بملء فيه .

الله يشهد أني جاهلٌ ورِعٌ ...

فخفنا أن يقودنا ذلك الأعمى الجاهل إلى حفرة وقد قال :

وإن شئتما أن تخلصا في أذاتها ... فحطّابها الأثقال واتّبعاني

وإلى أين؟ أليس:

إلى هوَّة لا الماء فيها ولا الخمر... ودّعاني

ثم يتبجح قائلاً:

غدوت مريض العقل والدين فالقَني لتسمع أنباءَ الأمور الصحائح..

ماذا تريدون لا مالٌ تيسر لي فيُستماح ولا علم فيُقتَبسُ..

أقررت بالجهل وادّعى فهمي قوم فأمري وأمرهم عجَبُ

فإذا سكتنا عمدَ إلى تقريعنا:

بَني زَمني هل تَعلمون سرائراً علمتُ؟..

وما هيَ تلك السرائر؟...

غلب المين منذ كان على الناس وماتت بغيظها الحكماءُ..

كم وَعظ الواعظون منّا وقامَ في الأرضِ أنبياءُ

فانصرفوا والعناءُ باقٍ ولم يزَل داؤك العياءُ

هبِ العلم والفلسفة قد اجتمعا لي من لدن طاليس الحكيم إلى سيادته أفلا أموت ميتة راعي الضان في جهله.

الأستاذ: (وقد ضاقَ صدراً) لقد دلَّ هذا الهذيان على خللٍ في دماغكَ أو تلبك في معدتك أو لعلك تريد الشهرة من باب «خالف تُعرَف».

ولقد نُهينا (معشر العلماء) أن نماري السفهاء والمتعنتين وإذا خاطبنا الجاهلون (وينهض الأستاذ مغاضباً)

التلميذ: لعل ما يحصِّله المتدين على بلهه ووله هو كلّ ما أفنى الفلاسفة أعمارهم في نشدانه فيالهذه الحذلقة والتشادق.؟ إن دون الغيب لسراً محجوباً مضروباً دونه بالأسداد لا يبلغ إليه البصير بَلْهَ الأعمى

«فارجع البصرَ هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كَرتَين ينقلبْ إليك البصرُ خاسئاً وهو حسير»

١٣٤٨هـ.

خاطرة

تجلّى لي فجلاني لعيني كما لي صورتي المرآة تجلو

... إذا أشرق النور الإلهي على قلب مختار استنار وأضاء بتلك الفيوضات اللدنية فأدرك نفسه وظهرت له خبايا سريرته وعلم ضعف قابليته أو قوة استعداده فكأنَّ الحق جل جلاله مرآة يتراءى بها فيرى كما يرى الناظر في المرآة محاسنَ خلقته وعيوبها ويعرفها بها (فكذلك يعرف العبد نفسه بربه) فكذلك هذا الفيض الرباني والتجلي الرحماني يعرف به الإنسان نفسه وهل هوَ من أهل الحضرة والمثول بها أم من المبعدين يستبين ذلك لصفاء المرآة وإظهار الشيء على ما هو عليه

« كلٌ يراك كعينه إذ كنت مرآة الوجود »

إذ كلٌّ بواسطة الفيض والإمداد يدرك ما يدرك ولولا ذلك لكان كالفاقد الحس.

«يا نُعم لولا انبعاث الفيض منك كل الوجود بإحسانٍ وإنعام»

«لما تحرك فيه ساكنٌ فغدا مميزاً بين إنسانٍ وأنعام»

فإذا رأى هذه الرؤية من سبقَت له الحسنى شكر الله على قوة الاستعداد وسأل الله المزيد وإن رأى ضعفاً استمد من مشكاة الأنوار وتوسلَ بأقرب الوسائل ليصله بالسبب الموصل إلى العمود الذي يستمد منه من له صلة بالكون السابع قدس المعرفة.

المروءة

إحدى خصال الإيمان. (ونحن نبيِّنُ معناها لغةً وهيَ الإنسانة الكاملة أي كون المتصف بها امرءاً كاملاً كالرجولة والإنسانية صفة الرجل والإنسان الكامل)

مُزجت الطينتان ووقع الجمع والازدواج واختلطت الجبلتان فمن تهذبت أخلاقه وصفتْ نُسب إلى الإنسانية بقدر ذلك التهذيب والصفاء وبعد عن الوحشية بنسبة ذلك القرب لأن الإنسان من الإنس والإلفة. والوحش من التوحش والنفرة فذو الإنسانية والمروءة هو الإنسان والمرء الكامل العاري عن صفات الوحشية الناقصة. قاعدة تعرف بها من تعاشره على بينة وبصيرة مما معه من الإنسانية وضدها ومقدار مروءته وذلك أن تلحق هذا بمعنى

القبضتين فالإنسان برزخ بين الوجوب والإمكان وبين عالم العقل وعالم الحس فمن غلب عقله على شهوته الحق بعالم الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله ألحق بعالم الحيوان (غير الناطق) ومنه القول القائل[١]:

ثلاث مراتب ملك رفيع وإنسانٌ وجيلٌ غير أنس

ميزانٌ تزنُ به الإنسان فتعرف زِنَةَ ما به من الطينة الطيبة وضدها وإلى أي الجهتين هو أقرب وعليه إذا قيل في وصف إنسان أنه الرجل وكان قائلها يدري ما يقول فإنه يصفه بأعظم صفات المدح الدالة على الكمال تخريجاً على (لأعطينّ الراية غداً رجلاً)

إذا عرفت هذا وتحققته عرفت الاتحاد بالله وقرب المؤمن منه مع بعده. وأي نور وهدىً وعلم ويقين في قول القائل[٢]:

إلى الرحمن نسبة كل عبر ظهور صفاته الحسنى عليه

ويجري هذا المجرى

وقرأت رقم صحائف الأبرار والأخيار والفجار في ديواني[٣] ومن هذا المعنى ويُخرَّج عليه:

صحيفة المرء في أعماله رسمت فإن نسيت فليس الله بالنَّاسي[٤]

كأنني إذ أعيبُ الغير مفتخراً أتلو صحيفة آثامي على الناسِ

الكتابة

(لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس)

كأني بك أيها القارئ المُعجَبُ بنفسه تتمثل بهذا البيت وأنت تتلو ما بعده ضاحكاً مستخفاً قائلاً أليس من نكد الزمان أن يكون لكتابةٍ مثل هذه حظ من تضييع الوقت بتلاوتها.

1 هو أبو العلاء المعري.
2 هو الأمير المكزون.
3 من شعر المكزون.
4 من شعر العلامة.

ولكنّي على يقين من أنك قرأت ما هو أسخف منها لمن يسميهم معاصروهم بالكتّاب المجيدين وهذا ما يحملني على المسير إلى غايتي والدخول في الموضوع الذي أقصده غير ملتفت ولا مكترث.

رسالة الغفران

حيرة العلَماء والأدباء والشعراء والفقهاء والفلاسفة والمتفلسفين والمتصوفين (وخربقُ[1] النشء الجديد إلا الذين تذوقوا لذة العلم الحقيقيّ منهم وقليل ما هم).

فأبو العلاء عالم بين العلماء وشاعر.... وفقيه... وفيلسوف بين الفلاسفة ولغويّ متضلّع ونحوي متقعّر وليست الفلسفة التي عُرف واشتهر بها في مشارق الأرض ومغاربها بأظهرَ في آثاره من اللغة التي يذهلك تحقيقه وتدقيقه في حوشيّها وغريبها وتصريفها وإعرابها ولا من الأدب الذي يخلب لبك في محاوراته ومساجلاته ولا من الحذلقة التي تملّ وتُسئم من أم جزء وحُوّارَى بكشيء أو بوزء أو بنيء إلى أم شري فتتلمّظ حواري باري بعد أن تكون على وشك طرح الكتاب بحيث لا تعود إليه لتخرج إلى الخلاء فتعطس وتتنحّم لتتنشق النسيم المطهر للرئتين من جراثيم السأم والملالة.

إذاً فهو آية في كل فن من فنونه وطورٍ من أطواره ومسلكٍ من مسالكه فلا غروَ أن اعتاص[2] فهمه على الباحثين عن عقلياته واختلفت مآربهم ومشاربهم بين من جعله ماديّاً صرفاً أو إلهيّاً بحتاً أو لا أدرياً مشككاً وكل يحتج لرأيه بما بدا له من بعض أقواله ولم يزل هُوَ هُوَ وهم هُم.

ففي هذه الرسالة (رسالة الغفران) من التنويه والتقديس والتمجيد لله العزيز الحميد ما لا يصدر إلاّ عن متألّه متدله ومن النزعات والسخر بالأديان ما لا يتأتّى إلا عن ملحد شب

1 الخربق: نبتٌ كالسّم يغشى على آكله ثم لا يقتله.

2 اعتاص وأعوَصَ في المنطق: غمّضَهُ ولم يهتد إلى الصواب.

وشاب على نظريات دروين ونيتشه ومن الغمز واللمز في الشريعة الإسلامية ما لا يبدو إلا من تلميذ تخرج في مدارس الجزويت على الأب لويس شيخو أو لا منس أده ومن الاستخفاف في الملة المسيحية وعقائدها ما لا يأتي به إلا مسلم جاهل متعصب. وبينا هو يثلج صدر الشيعي بما يذكره من المقام المحمود لأهل الولاية إذ به يقرّ عينَ الناصبي بمساوئ الشيعة وكل ما أوردناه يهون الاستشهاد عليه وإثباته من هذه الرسالة ورجل هذه صفاته هل يصح عليه حكم عامّ لا شذوذ به فما علينا أن نقول به كلمة كغيرنا.

قد ظهر لي من تَتَبُّع أقواله أنه يعمد أحياناً إلى بعض الآراء التي يعتقدُها فيبالغ في نفيه إذا كانَ منافياً لآراء الجمهور كقوله:

قال قومٌ ولا أدين بما قالوه ... أنَّ ابنَ آدَمٍ كابنِ عرسِ

زعم الفلاسفة الذين تَنَطَّسُوا ... أنَّ المنيةَ كسرها لا يُجبَرُ

قالا وآدم مثل أوبر والورى ... كبناته جَهِلَ امرؤٌ ما أوبر

وهو وأيم الحق رأيه الذي دلّه عقله عليه وهو لا يرتضي إماماً سواه.

كذبَ الظن لا إمام سوى العقل ... مشيراً في صبحه والمساءِ

إذاً فما على الشيعي إن استنتج تَشَيّعه مما يوهمه من أقواله كما استنتج الملحد إلحاده والمتدين تدينه ولا قدرة لأحد فيما أراه على إثبات ولا نفي وأقسم أن الدكتور طه حسين حين حكم بإخراجه من الإسلام والمسلمين لم يكن فكره إلا مرآة تجلّت بها نفسه هو بأوضح مظاهرها فصدر حكمه عن بصيرة وتحقيق وبقي أبو العلاء بحيث هو من الدين والغموض والمكانة والمقام. ولو أردنا الإطالة بمثل هذه السّفاسِف لبحثنا وحلّلنا ولم نخرج عن سَنَن مَن كتبوا فيه ولم نكن أكثرهم سَفْسَطةً فلنترك البحث فيما قالوه نفياً وإثباتاً وندَع لكل رأيه... على أنّ مَن يطالع رسالة الغفران هذه باختصار كامل كيلاني يتبيَّن له صدق ما قلناه ويحكم به إن كان من المنصفين.

بيان حقيقة[1]

قرأتُ كتاباً لبعض التلامذة ينعت أستاذه بالعالم العلامة والحبر الفهامة فشوّقني علم الله وما وصَفه به منَ النعوت الضخمة والألقاب الفخمة إلى الوقوف على ترجمته والإلمام بسيرته لأنّ الفائدة من سِيَر الرجال العظام إنما هي القدوة وعليه فالمؤرخ الذي يذكر المحاسن ويغض عن المساوئ يخون التاريخ ويموّه الحقيقة ولكنّي بعد البحث عن هذا العلاّمة التحرير سأنشر ما له وبعض ما عليه (لأننا لم نتعود الإجهار بالحقيقة المجردة) مما تحققته بنفسي بعد البحث المدقق المنَزّه عن التحيز بزعمي.

وهاك ما علمته عنه (دون ذكر اسمه ونسبه وتاريخ مولده مما لا فائدة للمقتدي به.

سيرته

الظاهر من سيرته أنه سليم النية صافي الطوية يحب الخير لأمته حبّاً جمّاً (وإنما قلت الظاهر لأنّ هذه الأحوال لا تعرف بالحقيقة إلا بحسب ما يظهر لأنّ المدعين والمرائين أكثر عدداً من المخلصين فعلينا ما ظهر وعلى الله ما بطن) وهو مع ذلك الحب يسعى بأعمال خيرية جليلة فإذا وقف في وجهه بعض العراقيل نكص مستسلماً للقدر (وهذا كما لا يخفى من ضعف الإرادة مهما بالغنا في المدح) ولا ينكر فضله في محاربة الخرافات وبث روح النشاط في مريديه قليل الاغتياب إلا ما يفلت منه بحكم الطبيعة وعادة المعاشرة (وجل من لا عيب فيه وعلا).

علومه

إذا كانَ من يعرف أنّ الكلام اسم وفعل وحرف ولا خفض في الأفعال كما لا جزم في الأسماء وأنّ مرفوعات الأسماء كذا ومنصوباتها ومخفوضاتها إلخ (نحوي) ومن يعرف أن

1 يمكن التعرف بسهولة على أنه يسرد لنا ما يمكن أن يُسمى سيرة حياة ذاتية ومنها نتعرف على أصالة سجية التواضع في نفسه الكبيرة.

تصريف الفعل إنما يكون بتحويله من الماضي إلى المضارع إلى الأمر والاسم من المفرد إلى المثنى فالجمع فالنسبة إلخ (صرفيّ) ومن يقسم الكائنات الأرضية إلى جماد ونبات وحيوان (طبيعي) فهو عالم علامة كما ينعته تلامذته المغترون بشقشعة اللسان ولكن إذا كان العلم أمراً وراء ذلك فلا أعرفه له إلا ما أقصه عليك له إلمام متوسط بالنحو والصرف والمعاني ومطالعة غير قليلة في الآداب العربية بدون تضلع جيد المحفوظ من لغة العرب كثير المطالعة في المجلات العلمية مع معرفة سطحية بالتاريخ والجغرافيا وفيه من الذكاء وقوة الحافظة ما يحمد أو يحسد عليه ممّن لا خبرة له بالحقائق. هذه علومه لم أبخسْه فيما علمتُ شيئاً منها.

شعره

يجيد الشعر في البيتين أو الأربعة من كل مائتي بيت وله قصيدتان أو ثلاثة من متوسط الشعر (أعني شعر عصره) وله قصيدة واحدة جيدة جداً بالنسبة إلى شعره وما عدا ذلك فجُل شعره إن لم نقل كله من سَقط المتاع.

نثره

وشعره على ما به فَفوق نثره بكثير وهو من النوع الساذج إن لم يكن كهذا النثر أو دونه فليس بفوقه.

(آثاره)

أكبر أثر له (بل لا أثر له سواه يعتد به) شرحه لبعض الدواوين الشعرية وهو بالحقيقة لا يُعدَ شرحاً معتبراً لذاته من حيث إصابة المعنى وبيان المقصود ولكنه يُعَدّ خدمة جلّى لهذا الديوان المعتبر لاستنقاذه من عَبْثِ التحريف وعبَث النساخ وفتحه للطالبين إليه باباً مقفَلاً فمِن هذه الجهة يجب أن يُعترفَ له بالفضل الذي يستحقه...

أساتذته

لم يقرأ على أستاذ علماً من العلوم إلا ما أخذه من كلمة الطريقة كبعض العامة وربما كانت هذه العلة أكبر سبب لشهرته.. وقد أخذ عنه جملة تلامذةٍ لو عملوا بما علّمهم وحضّهم عليه من الاجتهاد لفاقوه بدرجات ولكنهم (بلا استثناء) أخلدوا إلى الراحة واكتفوا بالسمعة شأننا الشرقيين في هذه الخلة التي نسألُ الله إنقاذنا من ورطتها. وقد تركت كثيراً مما على هذا العلامة ولكني لم أترك مما له شيئاً مذكوراً.

هذه ترجمة علامة عصره وفيلسوفه فاعتبر أيها القارئ الكريم كم أضلّ التاريخ بغشه والسمعة بغرورها والشهرة بباطلها فحملت البسطاء على تقليد من وسم بالعلم وهو ليس منه في قبيل ولا دبير فكم سمِّيَ بشيخ الإسلام ومفتي الأنام وحبر الأمة وحجة الإسلام والإمام الكبير وغير ذلك من ليس أهلاً لهذه الأسماء فاقرأ ما يمرُّ بك من التراجم متمعِّناً وسلِ الله أن يهبك مزاجاً معتدلاً يربأ بك عن التقليد (لا كمزاج الدكتور طه حسين)..

قرأت ديوان ابن الرومي من فاتحته إلى خاتمته سطراً سطراً وكلمةً كلمةً فاستهجنتُ ما به من المجون الفاحش والقذع بالسوءات مما يدل على عدم براءته من الوقوع في تلك الحمأة وهاك ما كتبت بعد التفكير في ذلك..

بثَّ معاوية مذهب الإرجاء (أي أن المسلم لا خوف عليه مهما عمل) لعلمه بأنه لا حجة له ولا عذر عند الله ولا عند الناس في مخاصمة الإمام الحق. ونشرَه في أتباعه.

وساعده القراء المراؤون والمحدثون الوضاعون بما أذاعوه من فضل الصحبة المطلقة وغيرها فسهلوا لأهل البساطة والمولودين على الفطرة فعل العظائم واقتحام الجرائم وجرّأهم (الضمير للبسطاء) على ذلك ما رأوا من كثرة المنكرات التي أتاها الأمويون فقالوا إذا كان هؤلاء من الناجين فما لنا نحن ولا نسبة بين أفعالنا وأفعالهم من جهة القبح والشناعة. ففَشت المنكرات مع الزندقة والإلحاد فتلوث بعض من عاشرهم من أفراد الشيعة بتلك الرذائل مع طهارة المولد وطيب المحتد وإنما هم بشر لا ملائكة ولعلهم قالوا وما على من يحب آل البيت وإذا كانَ هؤلاء واثقين بالغفران فأي ذنب لغيرهم لا يُغفَر...

أقول هذا ما يكتبه الشيعي أمّا لو كتبه ناصبي لعزا ذلك إلى ما اختلقه رواة الشيعة من فضائل أهل البيت من أنّ حبهم حسنة لا تضر معهم سيئة إلخ .. وما أشبه فلا يكون مَن نَظَر من جهةٍ واحدة من المنصفين... فليتروَّ من أراد الحقيقة ويترك التحيز جهده وعلى الله قصد السبيل.

فهل تُقَلّد أيها التلميذ النجيب أستاذك بَعدُ مَيْلاً مع الهوى أم تقول ما قاله أرسطو في معلمه أفلاطون. إننا نحب أفلاطون ونحب الحق ولكن حيثما اختلفا فالحق أحق أن يُتَّبَع وأرجو أن يكون لك في هذه المقالة (مع تفاهتها) درس أخلاقي مفيد..

وسلام الحق على من رآه فاتَّبعه ورحمته وبركاته

١٤ شعبان ١٣٤٦



رسالة وعظ وإرشاد لم يذكر اسم الموجهة إليه

سلام أيها الأخ الكريم ورضوان وروح وريحان

وبعد: فقد رأيت باختباري أنّ هذه الدنيا هي التي تكيّف الأديان وتمقها فتبرزها بالصورة التي تروق أهلها من رغبة أو رهبة مستشهدة لكل حالة بما يروجها من الكتب الإلهية والآثار النورية وما زال حب الدنيا رأس كل خطيئة وإلا فما الذي فرّقَ كلمة الإسلام وسائر الأديان أليس الإِثْرَة ولذة الأمر والنهي رانا على القلوب فنبذَت الدين ظهريّاً بمعناه الحقيقي فصرفت الحق عن أهله وأخضعَته حاجته إليه لإرادتها فَسّرت على ما يفسره ويشرحه لها هواها ليس إلا والزمان هو هو اليوم وأمس والغد شيء واحد بذاته.

وكما أنَّ الدنيا تكيف الدين فكذلك الفطرة تكيف الحكمة والموعظة الحسنة فهي تأمرك بالصفح عن أخيك إلى سبعين مرة سبع مرات في اليوم كما أنها هي التي تأمرك بردّ الحجر من حيث جاءت فإنّ الشر لا يدفعه إلا الشر وهنا يبقى العقل متردداً بين الجبر والتفويض... والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم... فهنيئاً لمن يوفق إلى وضع الأشياء في مواضعها

فيلين من غير ضعف ويقسو من غير عنف بمثل هذا تعمر الأرض ما دام لله في أهلها حاجة وقليل ما هم.

ثم المِران يخدِّر النفوس فترتكب العظائم وتجترح أكبر الجرائم غير متأثِمة ولا متحرجة ولَنِعمَ ما قيل:

إذا أُلف الشيءُ استهان به الفتى ... فلم يَره بُؤسَى تُعَدّ ولا نُعْمَى

كإنفاقه من عمره ومساغه ... من الريق عذباً لا يحس له طعما

فقد كانَ المؤمن إذا بدَرت منه بادرة صغيرة في حق أخيه المؤمن تقوم قيامته فلا يَهنَأ له طعام ولا شراب ولا ولا حتى يستحله خوفاً من الوعيد الوارد «مَن أعان على مؤمن بشطر كلمة لقيَ الله وبين عينيه مكتوب آيسٌ من رحمتي» فما بالنا الآن فضلاً عن الإعانة بشطر الكلمة نَبهَته ونقترف الإثم ثم نرميه به ونستجيز أكل لحمه ميتاً واغتصاب ماله حيّاً.. فأنى ذلك لولا المِران وتخديره الحواس.

ما أرى يسلم منّا إلا مثل حمر النعم.

وقد خطر في بالي حين قرأت كتابك ما في النهج مِن أنْ رجلاً شكا إلى مولانا أمير المؤمنين ظلامته فقال له ما معناه أو لفظه ظُلمت حتى أنّ أخي عَقِيلاً إن كان لِيُعطى الدواء فلا يشربه حتى يلدّني به.

وإن العاقل ليعتب على من تجرد لخدمة الدين وهي حرفته التي يعيش بها وقوته التي يسيطر بها على العُقول والقلوب ثم يستعمله آلة لأغراضه الدنيئة (فيأخذ بالله ما لا يُعطي به) كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون.

ولولا التأثم وإن المكثار لا يأمن العَثارَ لأسهبت وشرحت وصرحت بما لوحت فلندع ما يريب لما لا يريب.

فأنا من رأي أيها السيد الكريم التمسك بعروة الولاية الوثقى والسلوك على منهجها القويم «إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزلُ عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعَدون».

فإنّ الولاية (مثل الصلاة إذا أقيمت أصلحت ما بعدها من سائر الأعمال ولن تتم الولاية الصادقة إلا بموالاة أولياء الله فليكن حرَم الله (وهو قلب المؤمن) مطهراً من كل دنس صالحاً لسكنى الحق جل جلاله ليتذوق العبد لذة المناجاة التي تفوق كل لذة وما حياة المؤمن إذا فقدها.

وأنت ولله الحمد على بصيرة من أنّ صلة الرحم تزيد في الرزق وتنسأ في الأجل وهي رحم الإيمان التي مَن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعُه.

ومن التنطّع[1] سرد الأحاديث الواردة في ذم الدنيا وأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة. وأنها أحقر من أن نتعادى لها وأن نتفانى وفي النهج متى أشفي غيظي أحين أقدر فيُقال لو غفرت أم حين أعجز فيقال لو صبرت (وفيه أيضاً) ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم وإنك أيها الأخ لجد عليم بأنه لا جرعة أحلى عاقبة من جرعة الغيظ وكفى بالحلم ناصراً على أنّ جميع ما أوردتُه تحصيل حاصل وفهمك الذكي في غنى عنه ولو شرحتُ ما جرى عليّ في حياتي من التحامل والأراجيف لعُددت من رجال التاريخ أو لظُنّت بيّ الظنون والقاعدة الفقهية (استَفتِ ضيرك وإن أفتوك) باب علم واسع فاشدد يديك بها عسى أن يجمع الله بيننا فأبثك مشافهةً ما لا أقدر على بثه مكاتبة وفقك الله وإيانا لما يحبه ويرضاه.

إلى الفيلسوف لبيب الرياشي بمناسبة كتابه عن محمد صلّى الله عليه وآله

إنَّ مِنَ البيـانِ لَسِحراً

وعلى تَفَنُّنِ واصفيه بحُسنه   يَفنَى الزمانُ وفيه ما لم يُوصَلِ

تبارك الله. ما هذا البيان الساحر والأسلوبُ المبتكَر والتحليل العميق بالمعنى الأنيق واللّفظ الرشيق تلك السيرة القدسيه ملكَت على الكاتِب المنصف مشاعرَه وشعورَه وأشرقَ نورُها على مرآةِ قلبه الصقيلة فحكَت ما قابلَها امتلأ به الجنَان وأشرقَت على الجوارح والأركان فعبَّر عنها اللسان بذلك البيان الخلاب.

1 التنَطّع في الكلام: التعمق فيه: وفي الحديث: هلك المتنطعون.

فكـانَ منبَـتُ روضِ الحَـزْنِ بـاكرَه　　　غيـثٌ بغيـر سـباخ الأرض هطّـالُ

فظهر هذا العبير الفواح والأرج الأريج

وزكـيُّ رائحـةِ الريـاض كلامهـا　　　تَبغـي الثنـاءَ علـى الحيـاة فتَفـوحُ

ليس في كتاب الفيلسوف الرياشي ما نستغربُه ويحملنا على الدهشة والابتهاج مثل ذلك الإنصاف النادر والاعتدال في الحكم والجرأة والصراحة بذلكَ الأسلوب الجَذّاب الذي يفتنُ العُقول ويخلُب الألباب.

نحن معشرَ المسلمين نَعتقدُ أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم أعظمُ مشترع وأكمل إنسان قام في العالَم وأن شريعتَه مستوعبة جميع ما يُحتاج إليه في كل مكانٍ وزمان من العِبادات والمُعامَلات وحسن الآداب مع الحق والخلق. قد ألِفنا ذلك لكثرة ما فصَّله لنا الرُّواة من سيرته الشريفة المقدسة المشتملة على جميع حركاته وسكناته فلم يعد يَحدثُ بنا من الروعة والعِبرة والعِظة بتحليل نفسيته القدسيَّة لو كتبها أحَدُ علماء الأزهَر أوِ النجف الأشرف مهما أتقَن وتفنَن ما يحدُث لنا منها لو كتبها عالم غربيٌّ أو فيلسوف أوربي أو مفكر عربي غير مسلم.. سجية في النفوس تلك الغريزة وهذا الإعجاب ولن يعدمَ الحق نصيراً ومن كان حُقه القرآن المجيد يَسخط لِسُخطِه ويرضى لرضاه فهو أكمل أخلاقيٍّ لتربية بني البشر.

أفاض رواةُ السيرة وأكثروا من ذكر مُعجزاتِه المعنوية والحسِّيَّة ونرى أنّ ما حدا بأولئك الفلاسفة المنصفين ومنهم اللبيب المفكر الفيلسوف (لبيب) إلى تقديس مآثرهِ وتحليل نفسيته من ذلك الغَيض الإلهي الذي ظهر فبهر وأشرَق على نفوسهم الصافية مستولياً عليها حتى تغلبَت بنوره على ظلمة التقاليد والعادات الموروثة وأتت بذلك الإبداع الذي يبهر الأبصار والأسماع نرى أنّ ذلك من أعظم مُعجزاته وأبهر آياته... فليشكر لهم الإسلام والحقيقة ذلك الإنصاف والاعتدال ومن شكر فقد أدّى حق الصنيع ولن يضيعَ الله أجر من أحسن عملاً.

وأنت أيها المفكر الحر قد وجدتَ مكانَ القَول ذا سَعَةٍ فقلت وتخيلت عالم الغيب مشاهداً فخلت. ومثلك من تخيَّل، فخال ووجد مكان القول ذا سَعَةٍ فقال. فقد قُمتَ بما يجبُ عليك للضمير الحر. والوجدان الطاهر. وللعروبة والعربية. المسيحية المنصفة، والإسلامية المعتدلة، وخير الأمور الأنسب الوسط. فهنيئاً لك أيها اللبيب تلك المكانة المكينة من قلوب المسلمين عامة ومن إخوانك العرب خاصةً.


تأمُّلات

تأمُّلات

فكَّرتُ فيما يُريح النفسَ مِن وَصَبٍ ... ويُنقِذُ القلبَ من هَمٍّ ومِنْ حزَنِ

ما من عاقلٍ إلا ويَجري في فكره التأمُّل في حوادث هذه الحياة ويفتِّشُ عن المخرَج من همومها ولَقَد زوَّدَنا مفكِّرو الإنسانيَّة وحكماؤها بحَصيلةٍ ضَخمةٍ عبَّروا بها عن هذه المعاناة بأدَقِّ الوصف واستَنبطوا لنا أشفى الدواء من آلامها وأحزانها وإنك لتقرأ فيما يلي طائفةً من هذه التأمُّلات التي جرَت في خاطره وهو يُعاني أحوال الحياة فيصفُها الوصف الذي يجلوها لك حتى لَتحسَب نفسَك أنتَ الذي يُعانيها وفي غمرة الضِّيق والبَرَم من أثقالها يمنحك ما يدلُّك على المخرج ويفرِّج عنك الضيق.

مَن لم يُقِم من نفسه واعِظاً ... لم يُغنِهِ وعظٌ ولم ينجَعِ

إن تَرهبِ الموتَ فما بعدَهُ ... أسَرُّ للأنفُسِ أو أرهَبُ

فاغتَنِم الوقتَ لفعلِ التُّقَى ... فإنما عمرُ الفتى يُنهَبُ

لا تُنكِروا كلَّ ما لم تعلَموا فلَكَم ... أُضيعَ بالجحد معنىً جدّ مبتكَرِ

والدين مهما كانَ حقّاً فلا ... يُثمِرُ إلا بهُدَى تابعيه

تَعاوَوا يستَقِم الأمرُ لكم ... لا يعجزُ القومُ إذا تَعاوَنُوا

غيرَ أني رَجوت حسنَ يقيني ... أنْ يَقيني غداةَ يأتي اليَقينُ

فلنترككم تسرحون معه في تأمُّلاتِه ويأخذْ بيدكم إلى وِجهة الفَوزِ والنجاة.

❖ ❖ ❖

تأملات وحكم

راحة النفس

فكّرتُ فيما يريحُ النفسَ من وصبٍ ... وينقذُ القلبَ من همٍ ومن حَزنِ
فما وَجدتُ فتىً يصفو له زمَنٌ ... ولا أخا منحةٍ يخلو من المِحَنِ
ولم أجد راحةً للنفسِ كاملةً ... ضمن الشرائع والأسفار والسُّنَنِ
إلا التقيةَ والتسليم يعضُدُهُ ... صدق الولاء يقيناً في أبي حسَنِ

أما آن الاعتبار

ويحكِ يا نفسُ أما آن أنْ ... تعتَبري إن كنتِ أهلَ اعتبارْ
قدِ اختبرتِ الدهرَ أطوارَهُ ... لو كان من مثلِكِ يغني اختبارْ

ما وعظك مثل نفسك

ثابَ لِنفسي مرةً رشدها ... ففكَّرَتْ في وحشةِ المضجَعِ
وطلعةِ الحشر وأهوالِها ... والدهشةِ الكبرى لدى المرجعِ
فاعتَبَرَتْ واستَعبَرَتْ ساعةً ... حنَّتْ حنينَ الهائمِ الموجَعِ
قد آن يا نفسُ عن الغيِّ أن ... تزدجري حيناً وأن ترجعي
من لم يُقم من نفسه واعظاً ... لم يُغنِه وعظٌ ولم يَنجعِ

إنصافُ الموت

يا موتُ قد أنصفتَ بين الورى ... ولم يكونوا أهلَ إنصافِ
يُسوّوني مع زَللي أنَّني ... مُمَدَّحٌ في غير أوصافي

عيبُ المدح الكاذب

أمـــا والمعـــالي إنّــه لَيــــسوؤني   بأن يَنْحُلُوني الزهدَ مع حبيّ الدنيا
وأن يَـصِفوني مَـع قُـصوري بـأنني   بلَغـتُ مـنَ العَليـا إلى الرتبـة العُليـا

عجائب الدهر

عجبـتُ والـدهرُ مازالـت عجائبُـهُ   تُـترى فتُـدهِشُ ذا لـبٍّ وتُذهلـهُ
مِـن جاهـلٍ مُـدَّعٍ مـا لـيسَ يُحسِنُه   وعـالمٍ منكِـرٍ مـا لـيس يجهلـهُ

أين طيِّبُ السريرةِ

مَـن لـي بـذي خِلّةٍ طابَـت سـريرتُه   لا تعـرفُ الـذمَّ في حـالٍ مواطنُــه
تكــون مــرآةَ أفعــالي خلائقُــه   سِـــيّانِ ظــاهرُه لطفــاً وباطنُـــه

أطوارُ النفس

فكَّـــرتُ في نفـــسي وأطوارِهـــا   فأصـــبَحتْ موضـــوعَ إعجـــابي
لوامـــةً - قلـــبيَ مـــن أمرِهـــا   حـــيرانَ في ســـلبٍ وإيجـــابِ

لا تغرَّن بالمظاهر

لا تغرَّنـــك نُـــضرةُ العَـــيشِ إذا أنـــتَ لبُـــرد الـــشبيبة الغـــضّ ســـاحبْ
قـــد يبيـــتُ الأســـيرُ يمـــرَحُ بالقَيـــد وذو التـــاج كاســـفُ اللّـــونِ شـــاحبْ

الأعمار بيد الله

لا تجزعـي ربَّ أخـي علّـةٍ   أبكَـى لِمـا يَلقَـى أحبّـاءَهُ
راح سَـقيماً وغـدا سـالِماً   واختَـرمَ المـوتُ أطبـاءَهُ

اغتنم الوقت

إن ترهـبِ المـوتَ فمـا بعـدَه   أسَـرُّ للأنفـسِ أو أرهـبُ
فـاغتنِم الوقـتَ لفعـلِ التُّقـى   فإنمـا عمـرُ الفتـى يُنهـبُ

كل شيءٍ نيط بسبب

لا تنسبوا إن جهلتم أصلَ حادثةٍ   إلى القضاء لضعف الفهم والفِكَرِ
فقـدرةُ الله جـلَّ اللهُ صـالحةٌ   أن يُولَدَ الناس من أنثى بلا ذكَرِ
لو كانَ في الكون شَيء لا نظام له   إذاً لجـازَ استِواءُ العُرف والنكُرُ
ولم يكُن مِن دعاءٍ يستحيلُ ولو   قلنا بجَعل رواح الوقتِ في البُكَرِ
وإنما كلُّ شيءٍ نيْطَ في سَببٍ   فقِسْ منَ العالَم العُلوي وافتكرِ
فمَنْ رأى الضَّبَ في لُجِّ البحارِ له   حِلٌّ أو الحوت يقفو مسرَح العكر
لا تنكِروا كلَّ ما لم تَعلموا فلَكَم   أُضيع بالجُحد معنىً جد مبتكَرِ

هنيئاً لنفس لا عليها ولا لها

هـذا نهـاري كلـه قـد مـضى   فالحمـدُ لله علـى مـا قَـضى
إن كـانَ لا خـيرَ ولا شـرَّ لـي   فـإنّ لـي «فيهـا» تمـام الرضـى

أما آنَ الفِطام

نُــبت للزهـد وعمـري انقـضَى | في هــذهِ الــدنيا بجمــع الحُطــام
رضـعت منـذ المهـد أخلافَهـا | حبّــاً أمــا آن أوان الفِطــام

لا تخدَعنك الظواهر

ما كـل ذي ثـروةٍ في النـاس نغبطه | بهـا يعـيش سـعيداً نـاعم البـالِ
قد يكتسي حُللَ الديباج جسم فتىً | وتحتهـا القلــب في هــمٍّ وبلبــالِ

الذنب ذَنبي

الـذنبُ ذَنـبي وَمنـى مـا مُنِـيتُ بـه | تشنيع جاري أو العِصيان من ولَدي
إذا امـرؤٌ سـاءَ بـي ظنّـاً ففعلتـه | كانـت لـسَيِّءِ ظـن دار في خلَـدي

لا ترجُوَنّ غدا

لا ترجــــوَنَّ غــــداً إذا | مـــا كنـــتَ يومــك غــير فـــائِزْ
فمِــــنَ الجـــوائزِ أن تـــروحَ غــــدا علـــى ظهــــر الجنــــائِزْ

لا ثواب بلا عَمل

مــا قــدمَت نفــيَ خـيراً فمِــن | أيــن تنــالُ الخــير في العاقبــه
بـالعلم أم بالعمـل الـصالح المخلص | أم بالفطنـــــــــة الثاقبَــــــــه

حب الدنيا

أقــول لحبِّــيَ الــدنيا ذهابــا | وفي طبعــي أقــولُ لــه تعالَــه
وإنــك لــو وُصــفت بكــل زهــر | بمطلبهــا . لأحيَــلُ مــن ثُعالَــه

الله المُعِزُّ

يـا مبتغـي العـزة عنـد الـورَى | مـن لم يُعِـزَّ الله فهـو الـذليل
رب جليـلٍ في عيـون الـورَى | وهـو حقـير وحقـير جليـل
تفخـرُ في الأصـل لـضعف النُّهـى | وأنـت مـن مـاءٍ وطـينٍ سـليل

الحقد يطفئُ برد اليقين

يـا طالـب الجنـة أيـن التقـى | أُعِـدَّت الجنـة للمـتَّقِين
مـن تـكُ نـار الحقـد في قلبـه | هيهـات أن يعـرف بـرد اليَقين

خير الزاد التقوى

قـد تعـودتُ مـا يخـل وكـلٌّ | فاعـل دهـره بمـا يتعـوَّدْ
خـير زادٍ هـي الولايـة والتقـوى فمـا اسْـطَعْتَ منهمـا فتـزوَّد

وماتت بغيظها الحكماءُ

كـن صـموتاً أو مـت بغيظـك | فالناسُ كما قد رأيت جيلاً فجيلا
غلـبَ الجهـلُ نيِّـر العلـم والعقِـل جميعـاً فـصدقوا التـدجيلا
فتراهـم مِـن قبـل أن ينكـروه | ينكـرون التـوراة والإنجـيلا

لكَ الحمد

ربِّ لـك الحمـد علـى نعمـةٍ | منحتِنيهـا لـستُ مِـن أهلـها
أخـشَى علـى نفـسيَ مـن علمهـا | أضـعافَ مـا أخـشاه مـن جهلِهـا

الجمود منقَصَة

إنَّ الجمود بكهل الشرق منقَصةٌ   تحول دون ارتقاءِ الناشئِ الحدثِ
وتركه طلب العلم الشريف حياً   فليطلب العلم منذ المهد للجَدَثِ

الراجي بلا عمل

إني لأعجب منك من ذي غرة   لا يرعوي لمعنف ومؤنِّب
يرجو بلا علمٍ ولا عملٍ له   عفوَ المهيمنِ وهو عينُ المذنبِ

طلب الدنيا

يا نفس في الدنيا وتطلابها   عن طيب نفسٍ تحملين الألم
منك بجمع الصخر تدمى يد   بنانها يأنفُ لمس القلَم

الشغل بالدنيا عن الدين

أعوذ بالرحمن سبحانه   من شر أقوالي وأعمالي
شغلت عن ديني بدنياي من   جهلي وبالأهلين والمالِ

السبق في العَمل

تقدموا وتأخرنا وراءَهُم   مسافة فدع التفصيل والجُملا
ظلنا ننازعهم هذي الحياة فقد   نلنا بها القول لكن أحرزوا العمَلا

الدين بهدى تابعيه

ذو الحرص لا يربح من وعظه بالزهد إلا اللوم من سامعيه
والدين مهما كان حقاً فلا يثمر إلا بهدى تابعيه

أيُّها المعجَب

يا أيها المعجَبُ في شُهرَةٍ قد نالها جَداً بدون اجتِهادْ
سوفَ يفيق الناس من نومهم فيفرقوا بين الرُّبى والوِهادْ

مالي وللناس

مالي وللناس منهم من ينافقني والحال تضطرني أني أنافقه
أهمُّ بالخير حزماً لا يوافقني فكيف والشر مغزاهُ أوافقُه

الحياء بها

مَن كساه الحياء ثوب بهاءٍ لا يَرى الناس منه ما عاش عيبا
أنبأت عن سريرة القلب حقّاً سيرة لم تدَع بمعناه رَيبا

يا رب منّاً بالسكينة

يا ربِّ مَنّاً على المسكين موهبة مِن فيض عفوك ألطافاً وغفرانا
سكينة يسكن القلب الخفوق بها وعنه تنزع للأهواءِ ما رانا

في التعاون الفوز

إنَّ سبيل الخير قصد فاسلكوا منهاجه بالجد لا تهاوَنوا
تَعاونوا يستقيم الأمرُ لكم لا يعجز القومُ إذا تعاونوا

حسن اليقين جُنَّة

إن تظنوا بيَ الصلاح فكم فأل | لزيدٍ رأى وخابَت ظنون
إنَّ بيني وبين نيل الأماني | حجباً سرُّهُن عني مَصونُ
غيرَ أني رجوت حسن يقيني | أن يقيني غداةَ يأتي اليقينُ
فإذا صحَّ لي وقلبي سليم | بولاني فكل صعب يهونُ

الشعر

إذا صفا الطبع جاء الشعر مشتملاً | على الحقائق إبهاماً وإيضاحاً
فليغنم المتَحلّي من فرائده | سمطاً يضيف إلى الأحجال أوضاحا
والشعر أفضله ما كان مبتعثاً | منَ الشعورِ إلى الأشباح أرواحا
فإن أفاد اتحادا أو حوى حِكَماً | غراء كانَت له الألباب ألواحا

الصدر أو القبر

ما أمَلُ الإنسان إلا حلُمٌ | يذهب أدراج الرياح ذاهبا
قد يَهَبُ الدهر الفتى لكن متى | يُحْمد وهَاباً يُذَمُّ ناهبا
دع كلها إن لم تنَلها كلها | وكن لديها ملكاً أو راهباً

كن معرضاً

إذا هيَ جادت باليمين تعجَّلَت | يسارك حالاً باليسار لها نهبا
فكن معرضاً عنها وإن هي أقبلت | ولا تولها ما عشت رغباً ولا رَهبا

نصيحة

نـصحتك فاتركهـا بتاتـاً ولا تَبـتْ — حليـف اكتئـابٍ مـستهاماً بهـا صَبّا
فمـا أنـسها لطفـاً ولا هجرهـا قِلـىً — ولا صـدها بغـضاً ولا قربهـا حُبّـا

التقوى هي الربح

سَـيأتي عليـك اليـوم لا ليـل بعـده — أوِ الليلـة الليـلاء لـيس لهـا صبحُ
فمَن ربح التقوى ولـو خـسر الدنى — فإفقـاره يـسر وخـسرانه ربـحُ

أنا المَلوم

شـهدتُ أنـي ملـومٌ لا بـراءة لـي — فعنِّفـيني خـلاكِ الـذم أو لـومي
نفـسي ظَلَمْـتُ ومـا الـدنيا بظالمة — وكـم تظلَّـم منهـا غـيرُ مظلـوم

عسى بارقٌ

تبـدَّلت مـن نجـد وبَـرد زلالـه — بمـنخفض غـورٍ وحـرٍّ حمـيم
فيـا قلـبُ هـل تـدري بأيَّـة محنـةٍ — وقعـت وكـم خـيرٍ تركـتَ عمـيم
عـسى بارقـاً مـن حيّ نجد تَـشِيمه — وتظفـر مـن أزهـارِه بـشميم
فـإن أكُ قـد فارقـتُ نجـدا وأهلَـه — فمـا عهـد نجـد عنـدنا بـذميم

لو أنَّ التلهف يجدي

سـلام يـا صَـبا هبَّـت بَلـيلاً — أثـرتِ صـبابَتي لريـاض نجـد
نعَـم أشـجيتِ قلبـاً غـيرَ سـالٍ — ولكـن زدتِ وجـداً فـوقَ وجـد
علـى أيامهـا يـا لهـف نفـسي — لَـو أنَّ تَلَهـفَ المـشتاقِ يُجـدي

أيُّ خير

أيُّ خـيـر بحيـاة تنقـضي عَبَثـاً بيـن فـراقٍ وأرقْ
نفعُهـا ضـرٌّ وعُقبـى طعمهـا غُـصص والـورد غِبّـاد شـرقْ

حسّن الظن

حسّنِ الظن ما استطعت فكم حسَّن لطف الأخلاق خلقاً قبيحا
لستُ أرضى لك الحياة لَعَمري خُلُقاً سيئاً ووجهاً صبيحا

السيرة عنوان السريرة

لقد أطَلتُم على زيـد ثنـاءَكمُ والمرء يرفعُ منه مدح جيرته
دعوا المغالاة إن صدقاً وإن كذباً فسيرة المرء تُنبي عن سريرته

كفى ما ضمَّ جيبي

تركتُ البحث عن عيب البرايا كفاني شاغلاً عن ذاك عيبي
فلا فتشتُ عن جيب لأدري خفاياه كفى ما ضمَّ جيبي

أحقا

أحقّاً فقتَ هذا الخلق علماً كما بشهادة الجم الغفيرِ
لقَد غرَّ الورى فعددتَ منهم ولا في العير أنتَ ولا النفيرِ

لا تُشوِّش

لا تُشوِّش فكر البسيط أخي الدين برأي المعطِّلِ الفيلسوفِ
طاهر القلب بالولاءِ فدعه من خسوفٍ يجري غداً وكُسوفِ

لاح لي بارق

أصدقيني الوداد يا هند يسري ... منكِ سر الوداد في أحشائي
ضاق سرّي ذرعاً بعبء هوى الدنيا فأنحى عليه بالإفشاء
أين منّي البيانُ يعربُ عمّا ... ضمّه أو بلاغة الإنشاء
لاحَ لي بارق تنوَّرتُ منه لمحةً وامتُحِنْتُ بالإعشاء

طالتِ السِّنة

نُهاكَ ينهاكَ ولا تنتهي ... طالت على عينيكَ هذي السِّنَهْ
أنتَ بدنياكَ ولم تعتبر ... على نعيم اليوم تشقى سَنَهْ
يا جبلاً في زعمهِ شامخاً ... بعوضةٌ أنت غداةَ الزِّنَه
دانٍ وفي زعمك نلت العُلَى ... آهاً على حالتك المحزِنَه

اتصحَبُني يا قلب

أتصحَبُني يا قلب بعد رحيلهم ... قضاءً لحق الإلف أم لستَ صاحبي
ألم يكف نفسي عن فراق فؤادها ... عناءً وتبريحاً فراقُ الحبائب
لقد مُنِيَت للطبع منهم بدافعٍ ... وللحب عن شوق إليهم بجاذبِ

ازهد بها

قضيت بحُبيها ثلاثين حجةً ... حريصاً على الإخلاص لم آلها جهدا
فما نلتُ منها مطلباً من مطالبي ... ولم أرَها راعت ذماماً ولا عهدا
فأعرضتُ عنها راغباً غير آسفٍ ... ولا بدع إن أظهرتُ في حبها زُهدا

الدنيا غادةٌ خلوب

إن تَــكُ دُنيــاك قــد أظلَّــت   حجــاك أفناؤهـــا الظليلـــة
فإنّهـــا غـــادةٌ خلـــوبٌ   تقطـــعُ بالعاشـــق الوســـيله
فَعَـــدِّ عـــن حبهـــا هوانـــا   تجنْـــكَ منقـــادةٌ ذليلـــه
عـــزّت علـــى طالـــبي مرامـــاً   بنيلـــها لم تُفِـــدهُ حيلـــه

التواضع سلّمٌ للرُّقيّ

تواضَـعي يـا نفـس كـي ترتقـي   فـذاك خـيرٌ لـكِ لـو تعلمـين
آليـتُ لا تـدرين مهمـا سمـا   علمك يـوم البعـث هـل تـسلمين

الجهل الداء الأكبر

أسـيتَ لـداء جـسمك وهـو ممّـا   يعـالِجُ بالعقـاقير الطبيـبُ
وداءُ الـنفس وهـوَ الجهـل داءٌ   يحـار ببُرئِـه الفَطِـنُ اللبيـبُ
وَوِرْدُ الحتـف لا أَسَـد هـصورٌ   يجـاوزه ولا ظـبيٌ ربيـبُ

الوقتُ أغلى

جزعـتَ لان رُزقـتَ قليـل مَـالِ   فـلاحَ علـى ملامحـك الـسقيمه
وهـذا الوقـت يـذهبُ وهـو أغلـى   لعارفـهِ مـن اليـاقوت قيمـه

ما غرك إلا الشره

حـذركَ العقـل وقـد جـاء مَـن   حـذَّر إنـساناً كمـن بـشَّرَهْ
تـزعم أن غرتـك دنيـاك وأيـم الحـق مـا غـركَ إلا الـشَّرَه

عساه خيراً لمثلي

قد كانَ عصر شبابي الغض مشتعلاً بليلـه لاقتـباس العلـم نبراسـي
فما تنبَّهت مِن نومي بـه كـلاً حتى تبلج شعر الشيب في رأسـي

الشَّيبُ ناعٍ

نعـى إليَّ مـشيبي دون توريـة نفـي فأصدق به يا نفس من ناع
عـاهُ خيراً لمثلي من زمانِ صبىً للمـرء عن عمـل الخيرات منّاع

لا تدن من عقلي

يا سقمُ لا تدن من عقلي كفاك بما خولتـه لصروف الدهر من بـدني
أوْ أنتَ كالمرء لا يرضى بقسمته لـو حاز في الكـون من مصرٍ إلى

لا أتهم العدل

جسمي سليم وقلبي لا أكاتمكم مقسم بين أتراح وأفكارِ
ولست للعدلِ فيما نلت متَّهماً فكفُر الله بالإقرار إنكاري

السقم واعظ

يا أيها السقم قد أحسنت صُنعكَ وإن أسأت بما أتلفت من جسدي
ذكّرتني واعظاً ما قدمَتْه يَدي وما أتى القلب من حقدٍ ومن حسدِ

لا تجزْعي

قلـتُ لأهلـي قبـلُ لا تجزعـي فكـل حـالٍ لليـالي تَحـول
والآن قَد حلّ ركـابُ الـردى في حيِّ جسمي والدليل النُّحول

زمان الصبا

مـــاذا لَقينـــا مــن زمـــان الـــصبا ... حتـــى تواطَأْنـــا علـــى حبـــه
إغـــراؤه الـــنفسَ علـــى غيهـــا ... أم جـــرأة العبـــد علـــى رَبـــه

لكل طور أحواله

إن تقـرإ اليـوم أشـعاري فلـهجتها ... عـن الـذي قلتـه مِـن قبـل تمتـازُ
علمـتُ أنـي مـنَ الـدنيا علـى سـفر ... وأنـــني في طريـــق القَـــوم مجتـــازُ

لولا فيض الوجود

أنـــتَ لـــولا فـــيض الوجـــود هبـــاء ... في هـــواءٍ ينبـــثُّ ضـــمن الخـــلاءِ
لا تقُـل مـا الـذي جنيـت مـنَ الأوزار ... حتـــــى امتحنــــت بـــــالأرزاء
بـــل تَبَـــيَّن مـــاذا فعلـــت مـــن الخـــيرات حتـــى خصـــصت بالنعمـــاءِ

لا كفرانَ للنِّعَم

يـــا نعـــم لا كفـــران للـــنِّعَم الـــتي ... بفَريـــدها الـــدريِّ طـــوّقَ جيـــدي
هـــيَ فـــوقَ منـــزلَتي ودون نـــوال مـــن ... شـــرفت عـــن التحميـــد والتمجيـــد

الدنيا تخاطب أهلها

مللـــتم يـــا بـــني حـــواء ذمـــي ... وكلكـــم يحـــن إلى دلالـــي
علمـــتُم حـــالتي وعلـــى يقـــينٍ ... فكـــانَ لكـــم مـــآل الـــذم لالـــي

ويحكِ يا نفس

ويحك يا نفس ما جنيتِ ... وما كسبت وما قنيت
بنيت داراً لتسكنيها ... سيهدم الدهر ما بنيتِ
فما عجلت إلى جميل ... وعن قبيح فما ونيتِ
كم قرعَ الوعظ منك سمعاً ... فما وعيت ولا ارعويتِ
غرقتِ في لجة الخطايا ... وفي هوان الهوى هَويتِ

سيذكرني

سيذكرني مَن جاء بعدي بماله ... يَرى أنني أهل كذكريَ مَنْ قبلي
فلا تصفوني بالجميل وتطنبوا ... فيعرف نقصي من ثناكم على نبلي

فوائد الدنيا

جل ما يستفاد من هذه الدنيا ... لباس ومطعم وشرابُ
شهوات لأجلهنَّ التوى العقال ... والسيفُ ندَّ عنه القرابُ
ولعمري لو تعقلون لَما ثارَ ... طعان ما بينكم وضِرابُ
كل هذه الأشياء عما قليل ... لترابٍ تغدو وأنتم ترابُ

التساوي في الموت

علمتُ أنَّ الحسود لم يسر ... ذاك ولا راحة مع الحسد
والهم في القلب لا يفارقه ... حتى تناءى روح عن الجسد
والموت عدل فلا امتيازَ به ... ما بينَ أهلِ الصلاح والفُسُر
فلا على سوقة ولا ملك ... يُبْقِي ولا ثعلب ولا أسد

الجهل أعضل داء

الجهـــــــــل أعـــــــــضلُ داءِ   والحلـــــــــم خـــــــــير دواءِ
ومنظـــــــر الحلـــــم أســـــنى   مـــــــن منظـــــــر ذي رواءِ

هيبَةُ الله ونقمتُه

العقـلُ والـدينُ والإيمـان موهبـة   يختص فيهـا إلـه العـرش مـن شـاءَ
والجهـل والكفـر والإلحـاد مجلبـة   للـهون قمَّـصها الجبَّـارُ مـن سـاءَ

لو عقلت

رضـيت عـني فقلـت المين في مَـدحِي   وإذا سـخطت نطقـت الـصدق في ذامـي
لا خـير لـي فكـلا الحـالين منقـصَة   فعَـدِّ إن شـئتَ عـن ذمـي وإكرامـي
فكـل مـا لـيس يغنـيني تكلُّفـه   شـر وتركـي لـه مـن حسـن إسـلامي
ولـو عقلـت لمـا فُهْـت الكـذابَ ولا   خطت سـوى الصدق في القرطاس أقلامي

العقل هادٍ

العقل يهدي الفتى ما لم تـشذ بـه   عــن مــنهج الحــق آراءٌ وأهــواءُ
وذاكَ خـير دواءٍ يُـستطَبُّ بــه   لكــن بنــا ويلتــا للحُمــق أدواءُ

آية الموت الحياة

وســوء تربيــةِ الإنــسان مُفْـسدةٌ   أخلاقــه والــورَى بــالطبع أشــواءُ
وكـل شـيءٍ لـه في حكمـه سـبب   يجـري عليـه وللأمطـار أنـواء

أســرار قدرتــه في الكــون ســارية   بفيــضها لاحَ للأنــوار أضــواء
وآيــة المــوت تبــدو في الحيــاةِ بهــا   تــشاكل الكــل أزواد وأذواءُ

الدنيا طيف كرىً

طيف الكرى أنتِ يا دنيا ولــتِ   فإنــه قــد يــسر المــرء أحيانــاً
كـم غـرَّ حــسنك أعياناً بـه فتنـت   لم تتركـي مـن معـانيهنَّ أعيانــا

لا عذرَ لي

لا عذرَ لي في خلافي ما أُمرتُ بـه   هــذا وقابلــتُ نعمــاه بكفــرانِ
عـسَى بـصدق ولائـي أن أفـوز بمـا   أرجوه في البعث من عفوٍ وغفرانِ

ما غرني عصرُ الصِّبا

أدنيـايَ وأيـمُ الحق ما إن خدعتني   فلم يخف عـني منـكِ خيرٌ ولا شـرُّ
ومـا غرنـي عـصر الـصبا بغـروره   ولكـنني مـذ نـشأتي جاهـل غـرُّ

نجد غاية القصد

إذا ذكـر المحـزون حـزوى صـبابة   وشوقاً فنجد غاية القصد لا حزوى
ويَـشدو بـأروى والهــاً متغــزلاً   هياماً وليلى (مقصد الصب) لا أروى

أعوذُ بالله

قـالوا نَـرى كـل شـيء فـوق سـالفه   منا ارتقى قلت حتى الحقد والحسـدُ
أعــوذُ بــالله مــن علــم تعلّمُــه   قـد يفــسد الـروح كيمـا يَـصلحُ

نبذت هواك

نبـذتُ هـواك ظهريّـاً لعلمـي ... بـأني منـك لم أنعـم بـوفر
سـعيتُ لِما قَضى لي فيـك ربي ... ولم أطلبـه مـن رمـلٍ وجفـرِ
وجـدت العـدلَ مـع كـل البرايـا ... ولم يعلـق بإيمـانٍ وكفـرِ

الحياة عذاب

إنمـا هـذه الحيـاة عـذاب ... وهـي للمـوت لـو تفكـرت آيـه
عجـبٌ حالهـا واعجـب مِنهـا ... كـل مَـن نـال غايـةً رام غايَـه

أبكي عمري المُضاع

ظنّـت سـعاد وقـد رأتـني باكيـاً ... حُزنـي علـى تفريـق مـا جمّعتـه
لم أبـكِ شـيئاً فـاتَ منهـا إنّمـا ... أبكـي علـى عمـري الـذي ضـيَّعتُه

أينَ الحريَّة

هيهـات أيـن النـاس مـن حرّيَّـة ... والحـر مـذ كـانَ الأنـام قليـلُ
كثـر ادعـاؤهم بهـا فعزيـزهُم ... في أعـيُنِ الحـق اللبـاب ذليـلُ

لا يُدفَعُ المَوتُ

لا يُدفع المـوتُ بـالتقتير عـن رجلٍ ... ولـيـس يدنـيـه للإنـسـان إسـرافُ .
وكـل نفـسٍ وإن كانـت مرهَّفـةً ... لَهـا علَـى وردهِ لا بـدَّ إشـرافُ

حلاوةُ الدنيا

يـــا لَـــدنيا حلَـــت بقلـــبي | حـــــلاوة غِبُّهـــــا مـــــرار
غرقـــتُ في حبهـــا ببحـــر | لـــــيس للجَّتـــــه قـــــرارُ
متـــى لعـــيني يلـــوحُ بـــدري | فلـــــيلَتي كلـــــها ســـــرارُ
كـــل الـــذي نلتـــه غـــرور | وهـــو علـــى نـــزره غـــرارُ

هل عودٌ إلى الحمى

بعـدلٍ لقـد فارقـتُ نجـداً وأهلـها | شـهدت لقد قصرت في واجب الحبِّ
فيـا نجد هل عـود إلى ذلـك الحِمى | ويا هند هل عطفاً على الهائم الصبِّ

ماذا تؤمِّل

مـــاذا تؤمّـــل مـــن حياتـــك | بعـــــد والعـــــيش المَديـــــد
ونوائـــــب الأيـــــام تربـــــو | مـــا علمـــت علـــى العديـــد
هـــل عـــشتَ يومـــاً لم تبـــت | منـــه علـــى هـــمٍّ جَديـــد

نذير الشيب

حـــلَّ نـــذير الـــشيب في لمـــتي | وقـد دعـا عـصر الـشباب الرحيـل
مـا الجـسم للـنفس إذا مـا الـصِّبا | فارقـــه إلا محـــل محيـــل
أصـبحت كالـشيءِ اللقـا مهجـةً | يُـــذيبها الهـــمُّ وجـــسم نحيـــل

اغتنم فرص الليالي

هـو الوقـت الـثمين أجـل شـيء | يـــروغ عـــن البريـــة أو يُـــراغُ
نـصحتُك فـاغتنم فـرَصَ الليـالي | علـى عمـلٍ يُـسَدُّ بـه الفـراغُ

القلبُ الكئيب

كلّما جال في البريَّةِ طرفي ينثني قلبيَ الكئيب كسيرا
باطلٌ مطلَقُ السَّراح كما شاء وحق بالقيد أضحى أسيرا

العَقلُ كالنَّار

العَقلُ كالنَّار لا ينفكُّ في عملٍ تُفني قُواك به ما دمت مُنشِيها
كذلك النَّار تُفني ما به علقت فإنْ تَصرَّفتَ بالحُسنى انتَفَعتَ بها

فعلُ الواجباتِ من العِباده

لا يفخرنَّ أخو النُّسُكِ بالعِبادةِ والزهاده
أنا في اعتِقادي كلّ فعلِ الواجباتِ من العِباده
مَثَل الفقيه بدينه مستَنبطاً بذل اجتهاده
شهمٌ يسود قبيلةً أدّى بها حق السيادة
وأميرُ جيشٍ باذلٌ دمه يصون به بلاده
ومعلّمُ الأولاد يُكثِرُ في رُقيِّهم اعتداده
وكذاك راعي السرب يدأبُ مخلصاً عنه زيادة
كلٌّ يُوَفّى حسب منزله غدا أجر الإجاده
ومنَ السّعادة أن تكوِّن مُلهَماً طلب السَّعاده

لم أقل للشباب

لم أقل للشباب في دعة الله ولا حفظه غداة تولّى
زائرٌ زارنا أقام قليلاً سوَّد الصحف بالذنوب وولّى

علم الكلام

بَحــثُ علــم الكــلام صَــعبٌ وإنمــا يــسهل انتقــادُهْ
يــسير بالــسَّالكين طــراً كــلاًّ إلى مــا جــرى اعتقــادُهْ

أَحسِنِي يا نفس

أحــسني مــا حييْــتِ في هــذه الــدنيا فــإنَّ الحيــاة فيهــا قليلَــهْ
لــيس فيهــا خِــلٌ صــديق ســوى العلــم فكــوني لــه هُــديتِ خليلَــهْ
أخلــصي ذا الجــلال في قــصده النيَّــةَ تُمــسي وإن حقــرت جليلــهْ
لا تكــوني إلا لــذي العــزة العظمــى علــى مطلــب المعــاش ذليلَــهْ

التَّنَطُّع صنو الإلحاد

كم عصبة قد أوغلوا في نُسكهم فتنكَّبــو سَــنَنَ الطريــق وحــادوا
فدَع التَّطرُّف في الأمور تَعَقُّلاً إنَّ التَّنطُّــع صــنوُه الإلحــادُ



مَكانته اللغَويّة

مكانته اللُّغويَّة

لَقَد بلَغَ بجَدِّه وذكائِه وقوَّةِ حافِظَته من عُلوم اللغةِ العربيَّة ـ بمفرداتِها ومَعانيها مبلَغاً قلَّ نظيرُه يعرفُ ذلك كلّ مَن كانَ له به صُحبَةٌ فلم يكُن لهم بحضرته حاجةٌ لقاموسٍ ليضبطوا عين الفعل الثّلاثيّ ولا لمعرفة معنى كلمةٍ غريبة حتى لأطلقوا عليه اسم القاموس الحيّ. وقد اخترنا ممّا خلَّفَ لنا للتدليل على ما بلغ ـ بَعضاً مِن مآخذه على شَرح ديوان أبي تمام للشيخ «محي الدّين الخيّاط» وعلى بعض الشارحين لديوان «الشّريف الرضي» وتركنا الحديث عن تضلُّعه بالمعاني وأسرار البيان لِفصلٍ خاصٍ تحتَ عُنوان.

ـ مع أبي العلاء ـ

حيثُ لا حدُّ لاتّساع المِضمار

المآخذ على شرح الشيخ «محي الدين الخياط» لديوان «أبي تمّام»

الشيخ محي الدين الخياط ـ رحمه الله ـ كان من جهابذة اللغة المتضلعين وقد أطلق عليه مريدوه «حجة اللغة» كما أطلقها البعض على اليازجي والشرتوني وقفتُ على شرحه ديوان أبي تمام الطائي يقول في مقدمته «وأجيز من ينتقدُ التفسير مبيِّناً مظانَّ الخطأ المخالفة لأصل وضع اللغة أو مقصَد الشاعر «المتَجَوِّز فيه» بخمسين نسخةً من الديوان نفسه بشرط أن تعلوَ تلك المظانَ على العشر ولا تنزل عنها فكان في هذا التّحدي إغراءٌ لي على مطالعته والنظر فيه متَتَبّعاً وهاك ما عثرتُ عليه فيه من الأغلاط التي لا مجال فيها للتمَحل والتأويل حسب شرطه:

كم أحرزَت قُضبُ الهنديّ مُصلتَةً تهتزُّ من قُضُبٍ تهتزُّ في كثُب

قال في شرحه: الكُثب ـ القُرب

والصواب: الكُثُب هنا: جمع كثيب من الرمل، والمراد بالقُضُب والكثب في البيت. القدود والأرداف، ولا مدخل للقرب هنا.

يا عَقبَ طوقٍ أيُّ عُقبٍ عشيرةٍ	أنتمُ، ورُبَّتَ مُعقِبٍ لم يعقِبِ

الشرح: العقب الأولاد، ويرادُ به الأتباع. المِعقَب كمِنبر: الخِمار أو القراط.

والصواب: مُعقِب بالضم: اسم فاعل مِن أعقبَ. أي: ورُبَّ مُعقبٍ كأنه لا عَقِبَ له. وأيُّ مناسبَةٍ لذكر الخمار أو القراط.

وَقَدْ علِمَ الأفْشِينَ وهو الذي به	يُصانُ رِداءُ المُلكِ عن كُلِّ جاذبِ
بأنك لما استخذلَ النَّصر واكتَسَى	أهابيَّ تسفي في وجوه التجاربِ

الشـرح: إهابي: جلدي.. وهو خطأ كبير من مثله.

والـصواب: أهـابيَّ بـالفتح جمـع أهبـاء جمـع للـهَبـاء: الغُبـار ودقـاق الـتراب سـاطعةً أو منـشورة على وجه الأرض. والشيء المبَثّ الذي تَراه في البيت من ضَوء الشمس. ويدّل عليه قوله: تسـفي. من سـفَتِ الريح التراب إذا ذرَتهُ. كما في الشـرح.

وقَـد قـرَّبَ المرمـى البعيـدَ رجـاؤُهُ وسـهَّلَتِ الأرضَ العِـرار كتائِبُـه

الشـرح: العِرار المتبادَر أنه الوعر. ولم أرَهُ في كتُب اللغة إلخ... والصواب: العَزاز: وهي الأرضُ الصُّلبـه.

خفَّت دموعُك في إثر الحبيب لَدُنْ خفَّت من الكتب القضبان والكتب

الشـرح: الكثُب: الماء القليل. القضبـان: النوق التي لم تُرَضْ.

الصواب: المراد بالقضبان والكُثُب. القدود والأعجاز على حدّ قوله: قُضُبٌ تهتـز في كثُب. وقوله: خفت: مِن خفّ القوم ارتحلوا مسـرعين ومِن بديع قوله: أجَلْ أيها الربعُ الذي خفَّ أهلُهْ. والمعنى جليٌّ.

لا شَـرْبَ أجهَـلُ مـن شـربٍ إذا هـذا اللُّجَين، فدارَت فيهمُ العُلَـبُ

الشـرح: اللُّجَين: زَبَد أفواه الإبل.

الصواب: اللُّجَين بضم فَفَتح: الفضّة. والعُلَب: جمع علبة: قدحٌ ضخمٌ من جلود الإبل. أو من خشَبٍ يُحلَب فيه. يَستجهل مَن يؤثرُ على أقداح اللجين هذه العلَب التي تكون غالباً مباءَة الأقذار والأدناس.

يُشبّه قصائدَه بأقداح اللجين وسواها من أقوال الشعراء بالعُلَب والمعنى ظاهر.

تأتيـه فـرًى طنـا فـتحكمُ في لُجَينِـهِ تـارةً وفي ذهبِـه

الشـرح: فرًى منهزمة. الطنى: الفجور. أو داءٌ يصيب الطحال.

والصواب: فُرّاطنا جمع فارط من يتقدم القوم إلى الورد لإصلاح الحَوض وهو لطالب الماء كالرائد لطالب الكلأ ومنه: «أنا فَرطكم على الحوض» وقول أبي تمام «غدا فارِطي فيها صدوقاً ورائدي» فانظر هذا الغلط الفاضح

أبا اللّيث لولا أنتَ لانصرَمَ النَّدى   وأدركتِ الأحداث ما قَد تَمَنَّتِ

الشرح: الأحداث الصغار: المراد بالأحداث هنا نوائب الدهر لا غير.

وسطوا على أحداثِه أحداثاً فانظر عدم التروّي
إنَّ الهمومَ الطارقاتِ مَوهِناً   منعَت جفونَك أن تذوقَ حثَاثا

الشرح: مَوهِن ضعيف، حثاثاً قليلاً...
الصواب: المَوِهِ، نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه، ولا مدخل للضعف هنا... وإن كان من معانيه.

أبِلُهُ باستماعِكه محلاً   يفوتُ علوُّه الطَّرفَ الطَّموحا

الشرح: الطِّرف: الفرس الكريم
الصواب: الطَّرف بالفتح. والطماح. كنايةً عن تَطلُّب المعالي.
كُنتُ عن غرسه بعيداً فأدنَتني إليه يداكَ عند الجداد.
الشرح: الجِداد: الماء في طرف الفَلاة.. أبعدَ المرمى
الصواب: الجِداد: صِرام النخل وهو له كالقطاف للعنب..
يُقري مُرَجّيهِ مُشاشَةَ ماله وشَبَى الأسنَّة ثُغرةً ووَريدا
الشرح: الوشي - النقش... هذا غلط، صوابه. وشبا الأسنَّة ثُغرةً
ووريدا. الشبا: جمع شباة الحد.

فَما قُلْبي فيها لأوّلِ ماتِح   ولا سَمُري فيها لأوّل عاضد

الشرح: السَّمُر هنا الشرب ليلاً، والعاضد: القريب. من عضد الحوض وهو جانبه.
الصواب: السَّمُر - العضاة. واحدُه سمرة «لدى سمرات الحي ناقف حنظل» يا ساهر البَرقِ أيقِظ راقدَ السَّمُر» والعاضد: اسم فاعل من عضد الشجرةَ قطعها. ومثله الخاضد لمهذّب السدر.

واستيقَنوا إذ جاشَ بَحرك وارتقى   ذاك الزئيرُ وعزَّ ذاكَ الزَّارُ

الشرح: الزئير والزار صوت الأسد... الزأرَة الأَجَمة فالزار مخفّفاً اسم جمع لها.

فكـان لهـم جَهـرٌ بإثبـات حقّـه   وكـان لهـم في بـزهم حقّـه جَهـرُ

الشـرح : بزّهم حقّه صدقهم حقّه «كرّم الله وجهه»

الصواب : في بَزّهم حقّه : أي سلبهم إياه وصواب البيت هكذا .

فكـان لـه جَهـرٌ بإثبـات حقّـه   وكـان لهـم في بَـزّهم حقُـه جَهـرُ

يُريد أنَّ النبيّ - صلى الله عليه وآله - كان له جهر بإثبات حق عليّ في قوله : مَن كنتُ مولاه .... وكان لهم جهرٌ في بَزّهم إياه هذا الحق وسلبه منه قهراً . والمَثَل مَن عزَّ بزَّ مشهور .

يُـصبحُ الـداعريُّ ذو المَيعَـة المُـر   جَـمُ فيـه كأنـه مـأبوضُ

الشـرح : المأبوض المقيَّد .. المأبوض المصاب بمأبَضه وهو باطن الركبة كما فسَّره الشارح عند شرحه . مهاة النقا لولا الشوى والمآبض

أخَـذتُ بحبـلٍ منـه لَمـا لويتُـه   علـى مِـرَرِ الأيـام ظلـت تَقَطَّـعُ

الشـرح : مَرَر - جمع مرَّة وهي خلطٌ من أخلاط البَدن ...

والصواب : المِرَّة القوَّةُ والشـدَّة . وطاقةُ الحبل «تقبَّضَت منه بالمستحصد المِرَرُ»

أمّـا الـدموع فقَد أذكَـرن مـا سـلفا   فـلا تكُفُّـنَّ عـن شَـأنَيك أو يكِفـا

الشرح : الشـاني - المبغض . يكفُ : يسكب الدمع ....

الصواب : شأنَيكَ مثنى الشأن . أحَد مجاري الدموع من العين «أصبَحت وشَأني معربٌ عن شاني» وانظر عدم التروي إلى ما يؤول .

لـو لم تُفـتَّ مُـسِنَّ الجـود مُـذ زَمَـنٍ   بالجودِ والبأس كان المجد قد خَرِفا

الشـرح : تفتّ تدقّ . البأس الشدة ...

والصواب : لو لم تُفَتِّ مسِنّ الجود . أي تصيِّره فتًى لكان قد خرف . ظاهر .

وعَـززتُ بالـشُبع الـذي يـزنيره   أمـسَـت وأصبَحتِ الثغـور عزيفـا

الشرح: العزيف. صوت الجنّ والرمال..

الصواب: غَريفا. والغريف غابة الأسَد.

وهـي كالظبيـة النُّـوار ولكـنْ ربمـا أمكنَـت جُنـاةَ السَّحوقِ

الشرح: الجُناة. القاطفون..

الصواب: جَناة بالفتح، كل ما يُجنَى أي أنها وإن كانت كالظبية النوار «النفور» فربما أمكنت جناة النخلة السحوق ووجه التمثيل ظاهر.

يـوم حلْـقِ المُلمَـات ذاكَ وهـذا في الـروم حـزَ الحُلـوقِ

الشرح: الملمات. النازلات... غلط

الصواب: اللّمات جمع لمّة. ويوم تحلاق اللّمم مشهور. ولولا تفسيره الملمات بالنازلات لاحتمل كون الغلط مطبعياً.

أتتـك أمـير المـؤمنين وقـد أتـى عليهـا المـلاَ أدماثُـه وجراوِلُـه

الشرح: الملاَ: القوم. الأدماث: اللطفاء. الجراول. الغُلظاء... أبْعد كثيراً.

الصواب: الملا: جمع ملاة: فلاة ذاتُ حَرٍّ وسَراب. والأدماث: الأراضي الليِّنة ذوات الرمل. والجراول: الأراضي الغليظة ذات الحجارة يخاطب ممدوحه واصفاً ناقته بأنها أتتْه وقد أتى عليها الملا سهولُه وحُزونُه.

أي أذهبَ شحمها: أتى على الشَّيء: أنفَده... وعليه الدهرُ أحلكَهُ وقد اتضح المعنى. ولسنا بصدد إطالةِ الشرح.

بمحمَّـد صـارَ الزمـانُ محمَّـداً فينـا. وأعتَـب بعـد سـوء فِعالـهِ

الشرح: أعتَب تَركَ العِتاب.

الصواب: مِن أعتَبه. أزالَ عتبه أي أرضاهُ.

بالراقـصاتِ كأنهـا رُسـلُ القَطـا والمقربـات بهـنَّ مثـل الأفكـلِ

الشرح: المُقرَبات: الإبل المحزومة للركوب. الأفكل: طائر.

الصواب: الراقصات: وصف للإبل. والمقربات الخيل. والأفكل الرعدة.

كالأجدل الفطريف لاح لعينه　　خُزَزٌ. وأنتَ عليه مثلُ الأجدلِ

الشرح: الخزَز: الحساء من الدسم.

الصواب: خَزَزٌ بزايين وهو الذكر من الأرانب.

ما زالَ يُبرِمُهنَّ حتى إنّه　　لَيُقال: ما خلق الإله سَجيلا

الشرح: السجيل: الصُّلب الشديد....

الصواب: سَحيلا بالحاء المهمَلَة ضد المبرم «على كل حالٍ من سحيل ومُبرَم»

رأيتُك للسَّفْرِ المطَّرِدِ غايةً　　يؤُمُّونها حتى كأنكَ منهَلُ

الشرح: السَّفر «سكنَ الفاء ضرورةً» المطرَّد: الطويل.

الصواب: السَّفر: جماعة المسافرين. كالشَّرب للشاربين والمطَّرِّد المطرود كثيراً كالنَعام المطرَّدِ فلا ضرورة هنا بلا زَعمُ وجودها غَلَط «- ومضى السَّفر - فسَّر - هو» السَّفر بالمسافرين هناك.

لمَّا وردنا ساحة الحسن انقضى　　عنا تَعَجرُفُ دولةِ الأمحالِ

الشرح: الأمحال: الأباطيل.. الإمحال. مصدر أمحل المكان ضد أخصَب فذكر الأباطيل هنا من الأباطيل.

كالغَيث ليس له - أُريد نوالُه　　أو لم يُرِدْ - بُدٌّ من التهطالِ

الشرح: البُدّ الفراق.

الصواب: البُدّ هنا المَحيد والمعدَل - أي هو كالغيث لا بُدَّ له من التّهطال السكب «أريدَ نوالُه أو لم يُردْ». فانظر.

لم يُكسَ شخصٌ فيأه حتى رمى　　وقتُ الزوالِ نعيمَهم بزوالِ

الشرح: الفيء الغنيمة.

الصواب: فَيءُ الإنسان ظلُّه فهو غلَطٌ كبيرٌ على صِغَره.

أتَعدو به في الحرب قبل اتّفاره | وفي الحرب قد أعيا الورى مُصمئِلَة

الشرح: اتفارُه: اشتدادُ حرِّه.

الأقرب للصواب: أن يكون اتفارُه.

مصدر اتَّغر الغلام أُلقي ثناياه أي منذ صِغَره.

ما دام هرونُ الخليفةَ فالهُدى | في غبطةٍ موصولةٍ بدوامِ

الشرح: الغِبطة، تَمَنّي مال الغَير.

الصواب: الغبطةُ هنا الفرح والسرور ولم تردِ بمَعنى ما فسَّره.

مستَسلِمٌ لله سائسُ أمَّةٍ | بذوَى تَجَهضُمِها له استِسلامُ

الشرح: الذَّوَى: النعاج الصّغار. تَجَهضُمِها: تعظمها..

الصواب: بذَوي تَجَهَضُمِها أي بأصحاب التَعظم منهاله استسلام «واضح» جمع ذو بمعنى الصاحب.

مَلأ المَلا عُصَباً فكاد بأن يُرى | لا خلفَ فيه ولا له قُدَّامُ

الشرح: الملا: الناس. العُصَب الجماعات..

الصواب: الملا جمع ملاة تقدم ذكرها كالفلا جمع فَلاة وما أكثر الأوهام في مثلها بهذا الشرح.

سَفَعَ الدؤوبَ وجوهَهم فكأنهم | وأبوهُمُ سامٌ أبوهم حامُ

الشرح: السُّفع: السود. الدؤوب: الخلق...

الصواب: سَفَعَ الدؤوب: أي سودها الاجتهاد وغيَّرها.

فاسلَم فما سلِم الأعداءُ منك ولا | فاتوك في الدهر بالأوتارِ والدِمَنِ

الشرح: الدِّمَن: آثار الدار...

الصواب: الأوتار والدمن: الأزحال والحقود

هذا بعض ما وقفتُ عليه في النظرة الأولى من الأغلاط التي لا مجالَ فيها للتَّمحل والاحتمال وأما ما وقع فيه من الإخلال والتصحيف والتحريف والتساهل فحدِّث ولا حرجَ. وإليك نموذجاً عنه.

ولَطابَ مرتَبعٌ بطَيبةَ واكتَسَتْ   بُردَين بُردَ ثرىً وبُردَ ثراء

الشرح: فسَّر الثرى بالأرض والثراء بالغِنى...

والصواب: أنه مِن ثريَتِ الأرضُ تَثرى ثرىً نديت ولانت بعد الجمود.

والثَّرى أيضاً الندى والغِنى كالثراء بالمدّ.

جهميَّةُ الأوصاف إلا أنهم   قد لقَّبوها جوهَرَ الأشياءِ

الشرح: جُهمة الليل قريبٌ من السَّحَر قال الجُعدي:

وقهوةٍ صهباءَ باكرتُها   بجهمةٍ والديكُ لم ينعَبِ

والمراد هنا مظلمة الأوصاف أوغليظتُها انتهى ولم يُرد إلا المعنى الأخير.

وإذا تشاجَرت الخطوب فريتُها   رأياً يفلُّ مضاربَ الأعداءِ

الشرح: الفَري: القطع

الصواب: قريتُها من القِرى الضيافة.

رجلٌ بدا فملا المشارقَ نورُه   متهلِّلاً كالجونةِ البيضاءِ

الشرح: الجُون يُطلق على الضوء والظلمة، والأول هو المقصود هنا، والجونة من أسماء الشمس.

سَلي هل عمَرتِ القفرَ وهيَ سباسِبٌ

والصواب: عمرتُ بضم التاء للمتكلم.

لو اقتسَمَت أخلاقه العزَّ لم تجدْ   معيباً، ولا خلفاً من الناس عائِبا

الشرح: الخلف من الناس السقط الرديء.

الصواب: ولا خلقاً ولا معنى للخلف هنا.

لا رقّــة الخَــصر اللطيــفِ غــذَتْهمُ   وتباعَــدوا عــن فطنــة الأعــرابِ

الصواب: لا رقّة الحَضَر. يصف جماعةً من قوم الممدوح خرجوا عن طاعته فهو يستعطفه عليهم معتذراً له بأنّهم غير محنكّين وقد ظهر معناه.

فلـم توقِـدي سُـخطاً علـى مُتَنَـصِّل   ولم تُنزلـي عتبـاً بـسـاحةِ مُعتِـب

الشرح: مُعتِب: بريء من العتاب والحق أنه اسم فاعل مِن أعتبه أي أرضاه. يعني أنه لا يبالي بسخطها ولا يُعتبها.

وخوطيّــةٍ شمــسيّةٍ قمريَّــةٍ   مهفهفَــة الأعلــى رداح المُحقَّــب

الشرح: المحقب: المشدود بالحقاب وهو شيءٌ تعلق به المرأةُ الحليّ وتشدُّه في وسطها.
الصواب: المحقب: مكان شدّ الحقاب.

وأرادوك بالبَيــاتِ ومَــن هــذا   يــرادي متالعــاً أو عَــسيبا

الشرح: يرادي: يناضل.
الصواب: يرادي من المراداة المراماة بالمرادي وهي الصخور. جمع مرداة.

فـإذا مـا الأيـام أصبحن خُرسـاً   كُظُمـاً في الفَخـار قـام خطيبـا

الشرح: الكُظَّم: الإمساك والكتم
الأحسن أن يقال كُظُماً جمع كاظم الساكت.

هو الإضحَيان الطّلق رقّت فروعه   وطاب الثرى من تحته وزكا التُربُ

الشرح: الإضحَيان: اسم نبات. ولا بأسَ أن يُزاد. ويوم أضحَيان: مضيء لمناسبة الطلق.

كـأن بـلادَ الـروم عُمَّـت بـصيحةٍ   فضَمَّتْ حشاها أو رغا وسطها السَّقْبُ

الشرح: السقب: ولد الناقة الذكَر... وكان ينبغي الإشارة إلى قضية فصيل ناقة صالح التي بسبب رغائه على أمه هلكت ثمود.

ولا اجتليَتْ بكرٌ من الحرب ناهدٌ ولا ثَيِّبٌ إلاّ ومنهم لهَا خِطبُ

ولعل الأصح خِطبُ بالكسر. والخِطب: الرجل الذي يخطب المرأة فهو خطِبها وهي خطِبه «فهو كفؤٌ لها وهي كفؤٌ له».

إذا افتخرتْ يوماً ربيعةُ أقبلَتْ مجنَبتي مجدٍ وأنت لها قلَبُ

الشرح: مجنَبتي مجدٍ أي على جانِبَيها المجد. المجنَبتان: ميمَنَةُ الجيش وميسَرتُه.

بجودك تبيَضُ الخطوبُ إذا دجَت وترجع عن ألوانها الحُجَجُ الشُّهبُ

الشرح: الحجج: السنون. والشُّهب: البيض: .... إلخ.. ويُعبرً بها عن سنيّ الجَدب والمحل، فعدم بيان هذا المعنى إخلالٌ.

فاستنبطت مديحاً كالأري في لصابهْ

الشرح: لصابه التصاقه أو بيوته الضيِّقة.

الصواب: اللِّصاب جمع لصب. الشِعب الصغير في الجبل والعسل في شهده. مثل يُضرَب لشدَّة الحلاوة.

ومُصيب شواكل الأمر فيه مشكِلاتٌ يُلِكنَّ لبَّ اللبيبِ

الشرح: يلكنَّ: يمضَغنَ

الصواب: يُلِكنَ. يجعلْنه لكِناً

كلُّ شِعبٍ كنتم به آل وهبِ فهو شِعبي وشِعب كلِّ أديبِ

الشرح: الشَّعب: الحي العظيم

الصواب: الشِّعب: بالكسر المَسلَك والطريق

لو رأينا التوكيد خُطَّةَ عجزٍ ما شَفَعنا الأذان بالتثويبِ

الشرح: التثويب: تَرديد الصوت...

والصواب: ثوَّبَ المؤذّن دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله: «حيّ على الصّلاة» مرتين. أو قال في أذان الفجر «الصلاة خير من النوم» مرتين ففي الشرح إخلال.

خـــذهُ وإن لم يرتجـــع معروفـــه   محـضٌ إذا غلـث الرجـال مهـذَّبُ

الشرح : الغلث : شدة القتال .

الصواب : غلث الرجال ، خلطوا أي هو محضٌ مهذَّبٌ لا خلطة فيه إذا غلث الرجال .

دعيني على أخلاقي الصمل التي   هي الوفر أو سِربٌ ترنَ نوادبُه

الشرح : الوفر . الكاملة . . .

والصواب : الوَفر المال الكثير أي هي الغِنى أو الموت .

إليك جزعنا مغرب الملك كلما   وسَطنا مَلا سلطِ عليك سباسِبُه

الشرح : ملا سلطِ ، اسم موضع

والصواب : كلما وسَطنا ملاً صلّت عليك سباسبه أي قالت : اللهم صلّ عليه . استعمل الشاعر هذا التعبير في غير مكان .

أرىَ الناس منهاجَ النَّدى بعدما   مهايعُه المُثلىَ ومجّت لواحبُه

الشرح : مجّت : رُميَت .

والصواب : محُت بالمُهمَلة أي درست . والعبارة ظاهرةٌ

سقيت صداهُ والصفيح من الطلى   رواءٌ نواحيه عِذابٌ مشارِبُه

الشرح : الرُّواء ، حسن المنظر

الصواب : والصفيح من الطلى رِواء نواحيه ، من الرّي ضد العطش

كانَت بناتُ نصيب حين ضنَّ بها   على الموالي ولم تحفل بها العربُ

الشرح : ضنَّ بخل لم تحفل لم تهتم هذا كل ما قاله على هذا البيت وكان ينبغي أن يشير إلى بنات نصيب الشاعر التي مثل أشعارَه بها وأنه لولا عطف هذا الممدوح لَنا لَها من الكساد ما نال أولئك وهو إخلال قبيح .

قد جَلَبَتْه الجنوب فالدين والدنيا وصافي الحياة ومن جَلبه

الشرح : الجنوب : ريح الجنوب

والصواب : قد حلَبَتهُ ومن حلَبه بالحاء المهملة . يصف غيثاً في الأبيات السابقة .

لــــه جـــلالٌ إذا تـــسَرْبَلَهُ   اكـــتَبَه البـــأر غـــير مُكتَـــسَبه

الشـرح: البَأر: الإدّخار.

ولعل الصواب: البأو. وخير بدل غير والبأو العُجب والزهو.

فــلا تَغيــبُ محلــك كــل يــوم   مــن الأنــواء ألطــاف الـــسحابِ

الشـرح: تَغيب تتردد ... غلط

الصواب: تَغبب من الإغباب وهو المجيءُ يوماً والتَّركُ يوماً ومنه «زُر غبّاً تـزدد حُبّاً» يدعو له بملازمة الأنواء محله على الدوام

بمفعمــة الأنـــاع مؤجَــدة القــرى   أمون الــسرى تنجو إذا العِيــسُ كلَّتِ

الشـرح: مؤجدةٌ. تامَّة

والصواب: مؤجَدَة القرى. قوية الظهر.

وأحيــا ســبيل العــدل بعــد دثــوره   وأنهــج سُــبل الجــود حــين تَعَفَّــتِ

الشـرح: أنهجَ: قوم. ولو قال: أوضح منهاجَها. لكان أحسن

ألقــى عليـــه نجــارَه فـــأتى بـــه   يقظـــانَ لا وَرِعـــاً ولا ملثاثـــا

الشـرح: الملثاث المتردّد

والصواب: ولا ملتاثاً من التاث الأمر اختلط والتبس واللُّوثة حماقة اختلاط في العقل وإذا كان الغلط في «ملتاثا» مطبعياً فتفسيره بالتَّردُّد ليس كذلك.

مـا سـرَّ قومَـك أن تبقـى لهـم أبـداً   أو أنَّ غـيرك كـان اسـتنزل الكـذِجا

الشـرح: الكذج. المأوى «مُعَرَّب»

والصواب: استنزَل الكذج حمل أهلها على النزول. قسراً على حكمه وهي من حصون الخرَّمِيَّة أصحاب بابك. ووقائعه التاريخية مشهورةٌ وصواب (أو أن) وأنَّ

وأصبَحَت فحمةَ جأواء ليـس تَـرى   في نظـم فرسـانها أمتـاً ولا عِوَجـا

الشـرح : جأواء .. كدراء اللون في حمرة.

والصواب : قحمة بدل فحمة من الاقتحام. والجأواء هي الكتيبة يعلوها لون السـواد لكثرة الدروع.

قـد حـلّ في صـخرةٍ صـمّاء معنقـةٍ فانحَـت برأيـك في أوعارِهـا درجـا

الشـرح : معنقة. منعطفة...

والصـواب : مُعنِقَةٌ. مرتفعةً جداً والمعنق من الأرض ما صلب وارتفع وحواليه سـهل.

فكــأنَّ المُغِــدَّ فيهــا مقــيمٌ وكــأنَّ الســاري علـيهِنَّ عَــادِ

الشـرح : المُغِدّ : الذاهب.

أصلُها المغذ بالمعجم أي المسـرع فإذا كان زوال النقطة مطبعياً فحق الشـرح أن يكـون المغذّ الذاهب مسـرعاً وإلا فلم أجد المُغِدّ بمعنى الذاهب.

أنــتَ ناضـلتَ دونهـا بعطايــا عائــداتٍ علــى العُفــاة بــوادِ

الشـرح : بوادٍ : ظواهر

والصواب : عائدات بَوادي من العود والبدء لا من الظهور

متــى تحلُــل بــه تَحلُــل جنابــاً رضــيعاً للســّواري والغــوادي

الشـرح : السواري، سراة الليل، والغوادي : السـائرونَ في الغداة

والصواب : السّواري والغوادي : السحب المنتشرة مسـاء وصباحاً والشرح عجيب.

وأيـنَ يحـورُ عـن قـصدٍ لسـاني وقلــبي رائــحٌ برضــاك غــادِ

الشـرح : يحورُ : ينقُص أو يَحار أو يرجعُ...

والصواب : يجور. والجَورُ عن القَصد معلوم.

وأرَّت بــينَ حــيّ بَــني جــلاحٍ شَــبا حــربٍ وحــيّ بَــني مــصادِ

الشـرح : أرَّت أو قدَت كذا

الأصح أرَّث بينَ القوم أغرى وأفسد وأرَّث النار أوقدَها.

ولــو كـــشَّفتَني لَوجَــدت خرقــاً　　يُــصافي الأكـــرمِين ولا يُــصادي

الشـرح : يُصادي ، يعارض

الصواب : يُصادي ، يداهن

يـا أحمـدُ بـنَ أبـي دُؤاد حططـتني　　بحيـــاطتي ولـــددتَني بلـــدودي

وصوابها : إمّا حُطتّني وإمّا احتطني . وحططتَني لا تعطي المعنى المقصود من البيت .

حـــذّاء تمـــلأُ كـــلَّ أذنٍ حكمـــةً　　وبلاغـــةً . وتـــدُرُّ كـــلَّ وريـــدِ

الشـرح : حذّاء . قارصة أو طاعنة

والصواب : قصيدة حذّاء سائرة .

وقـر النفـوس إذا كواكـبُ قـصعبٍ　　أردَيــن عِفريــتَ الــوغى المِرِّيــدا

الشـرح : الوقر الحمل الثقيل

وصواب الشطر : وُقُرُ النفوس إذا كواكب قصعب . جمع : وقور ذو الوقار مثل صَبور وصُبُر وغيور وغُيُر وقعضب اسم القبيلة

ومكارمـــاً عتـــقَ النجـــار تليـــدةً　　إن كـــان هـــضبُ عمـــا يـــتَين تليـــدا

الشـرح : عما يتَين جَبلَين

والصواب : اسم جبل .

مـــا خطبـــهُ مـــا دهـــاه مـــا غالـــه　　مـــا نالـــه في الحـــسان مـــن خـــرَدِه

الشـرح : خرده . طولُ سكوته حياءً

والصواب : مِن خُرُدِهِ جمع خَريدة البكرُ لم تُمَسّ

فهـــم يمـيـــــون البختَّريـــةَ في　　بُـــروده والأنـــامُ في بـــرَدِه

الشرح : برودة ، ثيابه ولم يزد وهو إخلالٌ كبير فالبرود الأثواب المخطَّطَة والبُرد أيضاً جمع بُرد كساءٌ أسودٌ من الصوف فلعلهما كانا يومئذٍ نوعين متمايزين ولا مناسبة لِبرَده بالفتحتين كما هو مرسوم .

مـــا رنـــه لَدنِـــه مثقفِـــه عِراضِـــه في الأكـــفّ مطّـــرِدَه

الشرح : عراضه صفحته

والصواب عرَّاصِه . يصف الرمح

يـــا مـــضغناً خالـــداً لـــكَ الثكـــلُ إنْ خلَّـــد حقـــداً عليـــك في خَلَـــده .

الشرح : المضغِن الحاقد .

الصواب : أضغنه جعله يحقدُ عليه .

أصـادفتَ كنـزاً أم صـبحت بغـارة ذوي غـرةٍ حـاميهم غـير شـاهدِ

الشرح : ذوي غِرة : غافلين .

الصواب : ذوي عزة كثيري المال والعزّة خيار المال .

فرعت عقاب الأرض والشعر مادحاً لـه فـارتقى بـي في عقـابِ المحَامِـد

الشرح : رعت أفزعت عقاب جمع عقبه وهي المرقى الصعب من الجبال

الصواب : فرعت من فرع العقبة ارتقاها لا منَ الرّوع الفزَع وكيف يفزع العقَبة .

هـذا علـى كتِدَيـه كـل حادثـة تخـشى وذاك علـى اكتـاده اللّبَـدُ

الشرح : اللّبد الصوف .

الصواب : اللّبدَة شعر الأسد جمعها لِبَد

فتـىً يـوم بَـزّ الخُرَّميَّـةِ لم يكـن بهيابـــةٍ نكـــسٍ ولا بمَعـــرَّدِ

الشرح : بَذّ الخرَّميَّة اسم الأرض

والصواب : بَذّ الخَرَّميَّة القلعة التي كانت حصناً لهم .

لَعمري لقد حرَّرت يوم لقيته ... لو أنَّ القضاءَ وحدَهُ لم يبرَدِ

الشرح : يبرّد من برد إذا مات أو ضعف أو وقع أسيراً... ولا شيء منها يناسبُ مقصدَ الأبيات ذاك لأنّ المحارب نجا من الممدوح فهو يقول له لعمري لقد حررت «مَن الحرّ» للعَدو لولا أنَّ القضاءَ برَّد عنه فالأَجَلُ حصنٌ حصينٌ وكفى به حارساً فهو يعتذر عنه إذ أفلته الخصم بدفاع القضاء.

تخب بنا أدمُ المهارَى وشؤمُها ... على كلّ نشزٍ متلَئِبٍ وفد فَد

الشرح : متلئب من اللوبة أي الحرّة. وهي الأرض ذات الحجارة السود

الصواب : متلَئِبٌ طويل مستقيم ممتدّ. لا منَ اللاّبة واللوب.

لها من لوعةِ البينِ التِدامٌ ... يعيد بَنَفسجاً وردَ الخُدود

الشرح : الالتدام ضرب الصدر في النوح... والمتبادَر هنا أنّ اللّدم هو الضرب على الخد وإن كانَ ذاك من معانيه

إذا خرجَتْ من الغمرات قلنا ... خرجتِ حبائساً إن لم تَعودي

الشرح : الحبائس - المحبوسة عند البيوت... ماذا فهمنا.. بل الحبائس جمع حبيسة مؤنث الحبيس وهو من الخيل والإبل الموقوفة في سبيل الله فهو ينذرها لله إن لم تَعدْ يَهدّدُها بالذبح».

أما وأبي الرَّجاء لقد ركبنا ... مَطايا الدَّهر من بيضٍ وسودِ

قلائص شوقهنّ يزيدُ شوقاً ... ويمنَعْن الرقادَ من الرقودِ

الشرح : القلائص، النُّوق الرقاد والرقود النوم.

الصواب : يريد بالقلائص الأيام والليالي والرقود جمع راقد

فهَب وَهلاً لخيلك والمنايا ... تُشَذّبُ مُهجَةَ البطل النجيدِ

الشرح : الوهل : الفزعَ

والصواب : هب وهلا زجر للخيل لا مِنَ الهبة والوهل.

حتى لقد ظنّ الغُواةُ وباطلٌ ... أني تجسّم فيّ روح السيّد

الشرح: الضّالون. وباطلٌ أي ظنهم انتهى وأخلّ بعدم شرحهِ

لفظة السيّد هنا وهو السيد الحِمْيري المنقطع في شعره إلى أهل البيت وهو أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ومغزاه بَيّنٌ.

ومُزَحْزِحاتي عن هواك عوائق ... أصحَرن بي للعنقفير الموبد

الشرح: العنقفير: الداهية والموبد: الأبديه ولا يوجد هذا المعنى في مادة «أبد» من المعاجم فالصواب المؤيد بالياء وهو الأمر العظيم والداهية أيضاً يُؤتى بها للتأكيد كالضِلم الخنفَقيق.

وما زال منشوراً عَلَيَّ نوالُهُ ... وعندي حتى قد بقيتُ بلا عند

الشرح: العند القلب والمعقول... تركَتني أصحبُ الدنيا بلا أمل

«وفي القاموس» ويُقال عندي كذا فيُقال ولك عند استُعمل غير ظرف. ذكرت المعاجم هذا المَعنى. وظني بل يقيني أنَّ أبا تمّام لم يردهُ إنما أراد «عند» التي هي الظرفية على حد قول القائل: قال المتنبي:

ويمنعني مما سوى ابنِ محمّدٍ ... أيادٍ لهُ عندي تضيق به عند

وهذا كقول الراجز: ليتَ وهل تنفع شيئاً ليتَ «فالمسألة سَهلة».

وناديتني التَّثويب لا أنني امرؤٌ ... سلاكَ ولا استثنى سواكَ برافد

الشرح: التثويب: تكرار الرجوع.

والصواب: تكرارُ النداء

تَلاقى بكَ الحيّان كعبٌ وناهدٌ ... فأنت لهم كعبٌ وأنت لهم نَهدُ

الشرح: النهد: الثدي.. لم يرِد

كَعبٌ ونَهدٌ علَمان لأبَوي قبيلتين: وتصور كيف يكون الممدوح لهم كعباً وَثدياً.

فَعُوجا صدورَ الأرحبي وأسهلا بذاكَ الكثيبِ السهل والعلم الفردِ

الشرح: الأرحبي - يُراد به الفرس الكريم

والصواب: الأرحبيّ من الإبل لا من الخيل.

فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موتٍ في اليدين مجرَّدِ

الشرح: الفراش: موقع اللسان من قعر الفم.

والصواب: فراش الدماغ وهي عظامٌ رقيقةٌ تبلغ القحف واحدتها فراشة وهي المقصودةُ هنا لا سواها.

خلائق لو كانت من الشّعر سَّمحت بدائعها ما استحسن الناس من شعري

الشرح: سمَّحَت، ذلّلَتْ أو ثقفَت.

الصواب: سمَّجَت «بالجيم» من السماجة ضد الحسن المستحسن.

إذ لا صدوقَ ولا كنود اسماهما كالمعنَيَيْن ولا نوار نُوارُ

الشرح: الكنود، كافر النعمة. نَوار امرأة.

والصواب: أنّ صَدوق وكَنود ونُوار أسماء نساء.

ضمنَت له أعجامها وتكفَّلت أوتارُها أن تُنقَضَ الأوتارُ

الشرح: الأوتار «الثانية» جمع تِرَه وهي الثأر.

والصواب: جمع وتِر وهو الثأر:

والناس بَعدك ما تغيَّر حبوتي لفراقهم إن انجَدوا أوغاروا

الشرح: الحبَوة العطاء، واسم من احتَبى بالثوب إذا اشتَمل به

وهي هنا أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوبه أو بيديه فإذا قالوا فلانٌ تحل له الحُبَى أرادوا أنه عظيم يُهتَمَ به وبالعكس إذا أرادوا تَهوين الأمر قالوا فلانٌ لا تُحَل له الحُبى... أليس هذا مقصود الشاعر. وهل يُستفاد هذا المعنى من الشرح.

بُــدُرَّةٍ حفَّهــا مــن حولهــا دُرَرٌ   أرضــى غرامــيَ فيهــا دمعــيَ الــدُّرَرُ

الشرح: الدُّرَّة، اللؤلؤة الكبيرة والدُّرر جمع «يشبّه الحسان ودمعه بالدُّرَر».

الصواب: الدَّرِر بفتح فكسر نَعت من درَّ الدمع وغيره: سال بكثرة فهو دَرِرٌ «صفة مشبَّهة».

ولِذاكَ شعري فيك قد سَمِعوا به   سحرٌ وأشعاري لهم إشعارُ

الشرح: إشعارٌ إعلامٌ.

والصواب: بالفتح للإسمين «وأشعاري لهم أشعارُ» لا غير.

والهاشميّون استقلّت عيرُهم   من كربَلاءَ بأوثق الأوتار

الشرح: أوثق: أقوى وأثبتَ.

والصواب: أوسُق جمع وسَق.

يروح ويغدو بالبَيان لمعشرٍ   يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر

الشرح: الغمر، الكريم الواسع الخلق «ومَن لم يُجرّب الأمور» وإنما هو الحقد والغِلُّ هنا لا غير.

لِلمَجد مستشرفٌ وللأدب المجفُوّ تربٌ وللنَّدى حلَسُ

الشرح: المستشرف، المنظور. الحلس الكبير من الناس... كلاّ. بل الحلس بمعنى الملازم يُقال: فلانٌ حلسُ خيل وحِلسُ بيته ويصفون الفارس بأنَّه من أحلاس الخيل.

أو الصواب: جلس بالجيم وهو الجليس بمعنى المُجالس.

والمستشرف مَن يرفعه نظره عن شرف بخلاف ما فسَّره.

مخلَّق وجهه على السَّبق تخليف عروس الأبناء للعِرسِ

الأبناء قوم سكنوا اليَمن فالكلمةُ تحتاج تفسيراً.

خلائق فيه غضة جدد   ليس بمنهوكةٍ ولا لبسِ

الشرح: لبس مختلطة. بل لُبَس ملبوسة جمع لبيس وهو الذي لُبِس كثيراً فصار بالياً كما علق الشارح على قول الشاعر

وجديـدة المعنـى إذا معنـى الـتي ‌ ‌ ‌ ‌ تـشقى بهـا الأسمـاع كـان لبيـسا
نـافس أهـل العـلا فاحتـاز عقلـهمُ ‌ ‌ ‌ ‌ منهم فأصبح مُعطَى الحق منفوسـا

الشـرح : نافس . فاخر . العلق والمنفوس الشيء الثمين .
والصواب : منفوساً مغلوباً بالمنافسة .

ولَـرُبَّ كِفـلٍ في الحـروب تركتـه ‌ ‌ ‌ ‌ لـصعابها حِلسـاً مـن الأحـلاسِ

الشـرح : الكِفل وهي فرجة صغيرة . . .
والكِفل هنا مَن لا يثب على ظهور الخيل فانظر

وحـائن أخـرق داويتُـه ‌ ‌ ‌ ‌ ردّاعـةً داهيـةً دَرْدَبـيس

الشـرح : الحائِن والأخَرق الأحمق الردّاعة مِن ردع فلان إذا وجع جسده كله . الدردبيس العجوز .

والصواب : الحائن الهالك ردّاعة طعنةٌ تردع جسمه تلطخه بالرداع وهو الدم . والدردبيس . صفة للداهية ولا معنى هنا للعجوز .

أقـرم بكـرٍ تُبـاهي أيهـا الحفَـضُ ‌ ‌ ‌ ‌ ونجمهـا أيّهـذا الهالـكُ الحـرضُ

الشـرح : القرم السيد الحفض الجمل الضعيف الحرض الرديء .
والصواب : القرم فحل الإبل والحَرضَ المشرف على الهلاك «حتى تكون حَرَضاً» الآية .

تنحي على صخرة صمّاء تحسبها ‌ ‌ ‌ ‌ عضواً خلوت به تبري وتنتحضُ

الشـرح : تنحي تأتي تنتحض يقل لحمها .
الصواب : تبري من برى السهم نحته وانتحض : أزالَ النحض وهو اللحم

سهمُ الخليفة في الهيجا إذا اسـتَعَرت ‌ ‌ ‌ ‌ بالبيض والتَفَّتِ الأحقابُ والغُرُضُ

الشـرح : الأحقاب : السنون الغُرض معظَم الناس . . وإنما هي الأحقاب والغُرض الأحقاب هنا جمع حقب الحزام يلي حقو البعير أو حبل يُشَدُّ به الرحل في بطن البعير والغرض جمع غرضة للرحل كالحزام للسرج كنى بهما عن اشتداد الأمر والتفّت يجوز أن تكون «التقت»

أرادَت بـأن يحـوي الغِنَـى وهـو وادعٌ　　وهل يفرس الليث الطلى وهو رابضُ

الشـرح : الطلى الأعناق

والصواب : الطلى جمع طلا . ولد الظبي .

إليـكَ سـرى بالمـدح قـوم كـأنّهم　　على الميـس حيّات اللّصاب النّضائضُ

الشرح : المَيس الميل . اللصاب شقوق الجبل . النضائض المحركة لسانها .

والصواب : الميس شجر تُتَّخذ منه الرحال والنضائض تحريك الحية لسانها لا النضائض بالهمز .

يـا أحمـد بـنَ أبـي دُاؤدِ دعـوةً　　ذلّـت بـشكرك لـي وكانـت ريّـضا

الشرح : الريّض السهلة ذلّت صارت ذلولا والريّض الجامح «كما يتوقى ريّض الخيل حازمه» فانظر .

قـد كـان صَـوَّح نبـتُ كـل قـرارةٍ　　حتـى تـروح في ثـراك وروَّضـا

الشـرح : تروَّح طال روّض لزم الرياض .

كـلا : بـل تـروّح مـن الـريح　　وروّض صـار كـالروض

حلـة سـابريَّةٌ ورداءٌ　　كـسحا القَـيض أو رداء الـشجاع

الشرح : السحا النواحي القيض القشرة اليابسة على البيضة

والصواب : سحاء القيض ما يُقشر عنه .

بجـوده انـصاعت الأيـام لابـسةً　　شـرخ الـشباب وكانـت حلة شـرفا

الشـرح : الحلة ثوبان من جنس واحد

وإنما هي جُلّة «بالجيم» شـرفاً أي نوقاً مسنّه

ولـو يُقـالُ أقـر الـسيف شـرَّهما　　ما شـام حديـه حتى يقتل الخلَفا

الشرح : شام نظر بل شام السيف سله وأغمده من الأضداد .

ولَـــوا وأغــــشيتهم غطارِفَـــةً لغمـرة المـوتِ كـشّافين لا كـشفا

الشـرح : كشف منهزمون
كشف جمع اكشف من الترس

فـإن ألَظّـوا بإنكـارٍ فقـد تركـت وجـوههم بالـذي أوليـتهم صُـحفا

الشـرح : ألَظّوا ألَحّوا وإنما هي ألطَوا «بالطاء» ستروا وجحدوا

ولَـئِنْ ثـوى بـكَ ملقيـاً أجرامـه ضيف الخطوب لقد أصاب مُضيفا

الشـرح : أجرامه ذنوبه
والصواب : أجرامه جُمْلَةُ جسمه كالأجلاد «كقاذفٍ يوماً بأجرامه»

يقظـان أحـصدَتِ التجـاربُ عقـده شـــزراً وثقـــف حزمـــه تثقيفـــا

الشـرح : الشـزر المائل
الصواب : الشزر شِدَّة الفتل

وَلـئِن أطلـتُ مـدائحي لنبائـلِ لـك لـيس محـدوداً ولا موصـوفاً

الشـرح : النبائل الخصال الحسنة.
وإنما هي لـنائل أي لِبَعطاء .

يـؤوب إلى شمائـل منـه ميـثٍ قلــيلات الأمـــاعز والبُـــراق

الشـرح : الأماعز الغزلان البُراق الحملان من الضأن
والصواب : الأماعز : الأراضي الغليظة جمع أمعُز

إذا الأمعـز الصوّان لاقى مناسمي تطـاير منـه قـادح ومفلّـل

والبُراق : جمع برقه غلظ فيه حجارة ورمل وطين وانظر تصرف الشارح .

ثـم ألقـى علـى درولـيّـة البُـركِ محــــلاً بـــاليمن والتوفيـــق

الشـرح : درولِيَّة البرك موضع
والصواب : درولية اسم مدينة والبرك ما ولي الأرض من جلد صدر البعير يقولون هذه العبارة إشارةً إلى طرح الثقل على المبروك عليه.

أورثــت صــاغري صــغاراً ورغمــا وقـضـت أو قـضـى قُبَيــل الـشـروقِ

الشـرح : صاغري : رجل . الصغار : الذل . صاغري وأوقضى مكانان يذكر أنّ سيوفه أو خيله أورثت صاغري ذلاً وصغاراً وقضت دين أو قضى عليها قبيل الشروق .

كـم أفـاءَت مِـن أرض قـرّة مـن قــرَّة عـــين وربـــرب مومـــوقِ

الشـرح : الموموق المحبوب

والصواب : هنا : مرموق منظور إليه لحسنه والموموق يأتي بعد ذلك ببيتين .

لاذو الحقـود اللقـح اللاتـي تـرى كـشـح الـصديق ولا العـداة الحيَّـل

الشـرح : اللقح المزدوجات الكشح إظهار العداوة العداة الأعداء الحيل غير المزدوجات .

والصواب : اللّقّح جمع لاقح خلاف الحائل من النوق وجمعها الحيَّل أي أنه صفوح لا تلقح حقوده ولا تحيل عداته جمع عده فانظر كيف ذهب الوهم مذهبه وكشح الصديق عداوته كشَحَهُ كشحا عاداهُ الكاشح العدو .

تَـروى بـأروع يغتـدي ويـروح مـن زوارهِ وضـــــيوفه في جحفـــــل

الشـرح : الجحفل : الشجاع .

والصواب : الجحفل الجيش الكثير

وبنفـــسَي القمـــر الـــذي بُمحَجَّـــرِ أمـــــى مـــصوناً بـــالنّوى مبـــذولا

الشـرح : المحجّر الدائرة . . محجَّر اسم مكان بعينه

قد قلتُ وهي تنـال مـن عـرض الفلا بملاطـــس في الوخـــد غـــير أوالـــي

الشـرح : الأوال . الأوائل الأوالي هنا جمع أليَّه من ألايـألو قصر يقال لا آلوك نصحاً أي سأجتهد ولا أقصر وما استفدنا من الأوالي ولا الأوائل

وكانَت كناب شـارف الـسن طرَّقَت بـــسقب وكانـت في مخيلـة حائـل

فــر النـاب والشارف والسقب وترك طرّقت والتطريق وجع الولادة «إلى بطن أمٍّ لا تطرّق في الحمَل» والحائل خلاف اللاقح أي كانت فيما يخال حائلاً فطرَّقت بسقب فهي من هذه الوجهة ما يلفتُ النظر .

كـلابٌ أغـارت في فريـسـة ضـيغم　　　طروقـاً وهـام أطعِمـت صيد أجدلا

الشـرح : الضيغم الأسـد الهام جمع هامه الأجدل الصقر ماذا اسـتفدنا كان يجب أن يقال : الهام جمع هامة طائر من طير الليل وهو الصدى أي البوم ليصح إنها أطعمِت صيد الأجدل.

ووردنـا موقانـاً عليـه شـواذباً　　　شُـعثاً بـشُـعثٍ كالقطـا الإرسـال

الشـرح : الشُعث المنتشـرون.

كانَ عليـه أن يقول شُعثاً أي الخيل بشعثٍ أي فرسانها والأشـعث المتلبّد شـعر الرأس لقلة الدهن يعني همهم المعالي لا الزينـة.

فليـشكروا جـنح الظـلام ودروزا　　　فهـم لـدروز والظـلام مـوالِ

الشـرح : دروز رجل...

كلا بل دروَز هي القلّة التي اعتصَموا بها فلعلها اسـم قلعة

وسـروا بقارعـة البيـاتِ فزحزحـوا　　　بقـراع لا صـلف ولا مختـال

الشـرح : القارعة على الطريق والصواب القارعة الداهية.

أبنَـى بكـل خريـدة قـد أنجِـزت　　　فيهـا عـدات الـدهر بعـد مطـال

الشـرح : أبنى دخل.

الصواب : أبنا أي رجعنا يريد السبايا التي أخِذَت من بابك.

أرض مـصردّة وأُخـرى تجـشـم　　　تلـك الـتي رزقـت وأخـرى تُـرحَمُ

الشرح : مصردة لا شجر بها... التصريد السقي دون الريّ

المجـد أعنَـقُ والـديار فـسيحة　　　والعـز أقعَـسُ والعديـد عرمـرم

الشـرح : أعنق أسـرع. أعنق أطول عنقاً.

عمـرو بـن كلثـوم بـن مالـك بـن عتـاب بـن سـعد سـهمكم لا يـسِهمُ

الشـرح : لا يسـهم. لا يتغير. لا يسـهم لا يغلب من ساهمه فـهمه يـسهمه قارعه فغلبه.

مَنْ شـرّد الإعـدامَ عـن أوطانـه ... بالبـذل حتـى اسـتطرف الإعـدامُ

الشرح: استطرف صار مالاً طارفاً أي جديداً.

استطرف عد طرفة يتحف بها لندرته.

كـل فَـدْم أخـاف حـين أراه ... مقـبلاً أن يـشجني بالـسلام

الشرح: السلام الحجارة

السلام: التحية هذا كقول العامة كلامه كالضرب على الرأس من أبلغ ما يُعبر به عن الجلف الجافي.

كما كـاد ينـسى عهـد ظميـاءَ ... ولكـن أملّتـه عليـه الحمـائمُ

الشرح: أملته أطالتَه

أملته وأمَلّته من أملى الكتاب وأملَّه على الكاتب لقنّه إياه فكتبه.

رأت قسماتٍ قد تقسَّم نضرها ... سرى الليل والأسـاد فهي سـواهم

الشرح: سواهم: ضامرة... سواهم: متغيرة شاحبة.

وما هو إلا القول يسري فيغتدي ... لـه غُـررٌ في أوجـه ومواسـم

الشرح: المواسم علامات الحسن كلا بل العكس أي القول له غررٌ في أوجُه.

وهو الثناءُ الحسنَ، ومواسمٌ في أوجُه وهو القول السوء تشبيهاً بوسم الإبل.

فالمواسم هنا جمع ميسم المكواة. لا علامات الحسن.

أعطيـتَني دِيَـةَ القتيـل ولـيس لـي عقـلٌ ولا حـقٌ عليـه قـديمُ

الشرح: العقل الدية.

العقل: ما تدفعه الأقارب عن القاتل ومنه القوَد على القاتل والديّة على العاقلة يقول إنه أعطاه ديَةَ القتيل وليس من عاقلتِه وليس له عليه حق قديم يصفه بزيادة الكرم.

لامَتــه لام عـــشيرها وحميمهـــا منهـــا خلائـــق قـــد أبَـــرَّ ذميمُهـــا

الشـرح: أَبَرَّ فعل خيراً... الصواب أبر كثر وضبت لفظة لام بالفتح وهي لامُ بالضم فاعل لامته. اسـم عشيرة وعشيرها وحميمها بدلان من لام.

إليك حاربت يـوم الليـل منصرفاً بالداعريـــة حـــسرى شـــختة البـــدن

الشـرح: الداعرية يريد بها الخيل الكريمة الداعرية يريد بها الإبل نسبة إلى داعر فحل كريم.

وقالت عـزاءً لـيس للموت مـدفع فقلـــت ولا للحـــزن إذ بـــات مـــدفع

الشـرح: المدفع آلة الدفع وهو هنا مصدر لا اسم آلة.

جُدعت لـئِن صَـدَّقت أنَّ غيابـه تكـــشَّفَ إلا عـــن وجـــوه الأهـــاتِم

الشـرح: الأهاتم جمع أهتم وهو فاقد مقدم الأسنان. ولـيس المراد هذا بـل الأهاتم قبيلة تنسب إلى الأهتم. منها الممدوح

فقد هتم النّعمى هميم بـن غالـب بمـــا ســـار مـــن أقوالـــه في الأهـــاتِم

قتلتـــه ســـرّاً ثـــم قالـــت جهـــرةً قـــول الفـــرزدق لا بظـــبي أعفَـــر

الشـرح: الفرزدق الشـاعر الظبي الغزال الأعفر الـذي يعلو بياضه حمرةٌ انتهى طار في مسـكين الدراميّ أحد من يبغضه الفرزدق «وظنّي أنه خالـد بـن عبـد الله القسـريّ أو زيـاد بـن سُمَيَة» أجابه الفرزدق بأبياتٍ منها:

أمـــسكينُ أبكـــى الله عينـــكَ إنمـــا جـــرى بـــضلالٍ دمعُهـــا فتَحـــدَّرا

أقـــول لـــه لمـــا أتـــاني نعيُـــه بـــه لا بظـــبي في الـــصريمة أعفـــرا

فكان يجب التمليح إلى هذه القصة ففي الشرح إخلال كبير كما ترى.

لما فككتُ رقاب الشـعر عـن فِكَـري ولا رقـــابهم إلاّ وهـــمُ حـــيض

الشـرح: حيض جمع حائض «حرك ثانيةً ضرورةً» ولا معنى لها هنا فالصواب: حُبُض بالباء من حبض الرجل مات. يقال ما به من حبض ولا نبض. والحيض من صفات النساء لا القوم.

إذا خُراسانُ عن صِبّْرِها كثـرَت كانـت قيـاداً لنـا أنيابـه العـضل

الشـرح : العضل الغليظة هي العُصَل بالصاد جمع للناب الأعصل وهو المعقوف ، يصفون به ناب الصل .

وشبيه الذي استقلّت به العير مـن الجـبّ خاضـعاً كـالطلّيح

والصواب : الجبّ يشـبه بيوسف الصّديق عليه السلام يَجوز أن يكون التصحيفُ مطبَعيّاً .

وليس هذا كل ما وقفت عليه في النظرة الأولى من الأغلاط الصريحة والتصحيفات المخلّة التي تحتمل المماحكات والتعليلات الضعيفة بل بعضه .

وإذا كان مثل هذا اللُّغوي الضليع يُؤخَذ عليه مثل هذه المآخذ فما ظنك بمن دونه . والعذر لكل متعرض لمثل هذه المباحث أنّ اللغة بحر لا قرار له «وجلّ من لا عيب فيه وعلا» .

على أنه لا غضاضةَ عليه بذلك فقد أُخِذ على صاحب «الصحاح» و«القاموس» و«اللسان» وغيرهم من أئمةِ اللغة ، كما أُخِذ على أبي تمام والبُحتُري والمتنبيّ من فطاحل الشعراء . وإنما البلية أن يتعاطى المرءُ ما ليس بأهلٍ له . وقد يجوزُ عليه ما جازَ على غيره فكيف بمثلنا والضعيف أحقُّ بالعذر كما قيل :

ما هيَ الفائدة من هذا البحث الضّافي الذيول . إن الإدّعاء من غرور النفس وهو دليلُ الضّعف وآفةُ العلم وإنّ التربية المدرسية «الحاضرة» قلّما تخرّج مُحقّقاً في العربيّة . وأخشى أن تكون كذلك في غيرها .

فلَنا منه درسٌ أخلاقيٌ مفيد ويا حبّذا لو أنّ تسعةً وتسعين في المئة مِمّا تخرجه المطابعُ منَ التأليفات الأدبيّة العَصرية ، لا يعودُ إليها مرّةً أخرى . . . ولا أسىً ولا أسف .

الشريف الرضيّ رضي الله عنه

أشعر الهاشميين الذين هم أفصح العرباء ، فَرع الشجرة الطاهرة النبوية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء (كما قيل عنه) فشعره عربي بحت في أسلوبه ومتانته ونصاعَة ألفاظه وخلوّه من الهجنة فهو من هذه الوجهة يفوق شعر الطائيَين والمتنبي (في مذهبي) .

فلو قُيِّض له من أئمة اللغة المعاصرين من يشرحه ويبيّن دقائقه ونكاته اللغوية والبيانيه لكانَ مرجع المتأدبين بكل ما يتطلبه الفن من المناحي الأدبية هذا المطلب يعزالان على من رامه مهما كان متضلعاً من اللغة والأدب فبين عصرنا وعصره نحو من ألف سنة ومعلوم أنَّ لكل عصر اصطلاحات في المخاطبات والمحاضرات والمعاشرات لا يتيسر لغيرهم فهمها ولا يحتاج هذا البحث لكثرة الإستشهاد يدلك على صحة هذه النظرِيَّة ما ستَراه من المآخذ على شرحه الذي قيل فيه إنه صحّح على عدة نسخ معتبرة وشرحت ألفاظه اللغوية بكمال الدقة والاعتناء (الجزء الأول) بقلم الشيخ أحمد عباس الأزهري العالم المشهور والجزء الثاني بقلم محمد بن سليم اللبابيدي (مأمور الإجراء في بيروت) وقد تتبعت المتن والشرح باحثاً فوجدت هفوات تفوق العد بعضها من غلط الطبع وبعضها سهو من الشراح أو غلط لبعد ما بين العصرين كما ذكرنا آنفاً (ويغلب على الظن أنهما وجداه في نسخة عليها بعض التعليقات إذ في بعض هذه الشروح متانة قلما وجدت عند المتأخرين.

(وإليك بعض المآخذ التي وجدتها مشيراً إلى الصفحة بعددها لسهولة المراجعة).

ص٥ إذا ما جررت الرمح لم يَثْنني يُليح ولا أمٌّ تَصيح ورائي

الشرح: يُليح من ألاح بثوبه أشاربه... والحق أنَّ يليح هنا بمعنى يُشفِق (ألاح وقد رأى برقاً مليحاً) لا من ألاح بثوبه.

ص٦ ومعلي حنين القوس في كل غارةٍ بسهم نضالٍ أو بسهم غَلاءِ

الشرح: الغلاء البعيد المرمى... النضال المباراة برمي السهام. والغلاء مصدر غَالى بالسهم رفع يديه لأقصى الغاية فلا بأس ببيان سهم النضال وسهم الغلاء فالنضال المباراة بالإصابة والغلاء المباراة بأبعاد السهم.

ص٨ وإن طلب الندى خرجت يداه خروج الودق من خلل الغماء

الشرح: الغماء الغيم... هو العماء بالعين المهملة لا بالمعجمة تصحيف مطبعي العماء السحاب المرتفع أو الممطر أو الكثير أو الأسود إلخ..

ص٩ ومن هاوٍ ترنَّح في العوالي وعارٍ قد أقام على العراءِ

الشرح: هاوٍ المراد به الرمح عارٍ المراد به السيف... المُراد بالهاوي الساقط منَ الفرسان بالعاري المجرد من ثيابه على العراء (الأرض البراح) يقول بعده (وآخر مال كالنشوان مالت بهامته شآبيب الطلاءِ) فهما صفتان لموصوفين محذوفين ظاهر.

ص١٠ برأي ثقف الإقبال منه فأقدم كالسنانِ إلى اللقاءِ

الشرح: ثقف أدرك... التثقيف تقويم الرمح بالثقاف (إذ عضّ الثقاف بها اشمأزَّت) فلا محل للإدراك هنا.

ص١٠ إذا أشر القريب عليك فاقطَع بحد السيف قُربى الأقرباءِ

الشرح: أشر كفر النعمة... والأشِر البَطِر أيضاً قريبة.

ص١٠ فجرّبني تجدْ في سيف عزمٍ يصمم غربه وزنادُ راءِ

الشرح: زنادُ راءِ صاحب رأي مضيء... يُقال رأى الزند رأياً فرأى

أي أوقده فوقد لازم متعدٍّ فَرَاءٍ هنا اسم فاعل من هذا فكان يجب ذكره.

ص١٨ قوم إذا مرهوا بأغباب السّرى كحلوا العيونَ بأثمد الظلماء

الشرح: مرهوا أبيضت حماليق أعينهم والأغباب جمع غب وهو الغامض منَ الأرض انتهى... الأغباب مصدر أغبّ الزائر والحمىّ معلوم والمَرَه فساد العين لعدم التكحل هنا يريد أنهم كثيروا التشوق للسرى فإذا مرهت أعينهم بقلته كحَلوها بأثمد الظلماء واضح.

ص٢٢ يسقي هوىً للقلب فيه ومعهداً رقَّت منابتُه ورقَّ هواؤهُ

الشرح: هوىً بمعنى مهوىً إلخ.. لا أدري لماذا هذا التوسع والله يريد أن يخفف عنكم (الهوى هنا مَيل القلب ليس إلا).

ص ٢٤ ناديتُه فخفى عليّ جوابه بالقول إلا ما زقَت أصداؤه

الشرح: زقَت صاحت والأصداء جمع صدى وهو ذكر البُوم... بل هذا مبني على الخرافة الشائعة عند العرب مِن تحوّل روح القتيل إذا لم يُؤخَذ بثأره إلى صدىً يلازم القَبر (اضربك حتى تقول الهامة اسقوني) وعليه قول توبة...

(ولوَ أن ليلى الأخيلية سلّمت عليَّ ودوني جندل وصفائح)
(لسلّمتُ تسليم البشاشة أوزقا إليها صدىً من جانب القبر صائحُ)

ص٢٦ خطوبٌ لا يقاومُها البقاءُ وأحوال يَدب لها الضرَاءُ

الشرح: الضَراء الموت... عجباً قد فسر قوله (ولا مشيه في فتكه بضَراءِ) بقوله الضَّراء بالفتح المشي مستخفياً فيما يواريه منَ الشجر وهذا معناها هنا. لا الموت.

ص٢٧ أرى خلقاً سواسيةً ولكن لغير العقل ما تلدُ النساءُ

الشرح: السواسية ساسة الناس... سواسية متساوون في الشر لا في الخير (الناس سواسية إلا ما كانت له يدٌ مواسيه) وإنما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدنِ فلا أدري مِن أين جيء بهذا المعنى.

ص٧ أعنّى على دهر رماني بصرفه وردَّ عناني وهو في الغُلَواءِ

الشرح: الغُلَواء بضم الغين وفتح اللام أول الشباب(٥١) إنما هي شدة السرعة والنشاط لا غُلواء الشباب.

ص٧ ألَذ بقلبي مِن مُنايَ تَقنُّعي وأحسن عندي مِن غِناي غنائي

الشرح: الغَناء الاكتفاء (٥١) غنائي نفعي وكفاءتي من أغنى عنه غَناءً ناب عنه وما يغني عنه أي يجدي وينفع. فهو رضي الله عنه يفضل كفاءته وقيامه بالمهام وغناءه عن مؤمليه على غناه وثروته

ص٩ تنكُس كالأميم فإن تسامى مضى كالسهم شذَّ عن الرِماء

إنما هيَ ينكسُ أي يطرق برأسه إلى الأرض.

ص١٠ كفاكَ نوائب الأيام كافٍ طرير العزم مشحوذ المضاء

مشحوذ المضاء: يريد به الإقدام على معالي الأمور والنفوذ فيها.

ص١٥ ماذا نؤمِّلُ في اليَراع إذا نَشَت ريحٌ تدقّ الصَّعْدة الصمّاءَ

الشرح: نشى بالشيء عاودهُ مرةً بعد أخرى.

والصواب: نَشَت مخفّف نشأت مِن نشأ نمى وارتفع واليَراع القصب أو الضعيف منه - أي ماذا نؤمّل من اليَراع إذا كانتِ الرّيح تكسر الصعدةَ الصمّاء - ولا مناسبة بين نشأت ونشى بالشيء كما في الشرح إلى آخره.

كأنَّ قلبيَ يومَ البَين طارَ به من (الرفاع) نجيب الساق عدّاءَ

صوابها: الزّماع.

- سالت (محارمُها) عليك بأوجهٍ مثل السيوف مهابةً وضياءَ

إنما هي مخارمها أي فجاجها ونواحيها جمع مخرَم.

ليس دون أُسفٍ شديدٍ أن نقِف عند هذا القدر لأنّ المقام هو مقام بيانِ مكانته اللغويّة وما بَلَغه من واسع الاطلاع وإنّا لو أردنا أن نَستقصي ما أُثِر عنه في هذا المجال لبلغ سفراً كاملاً بحد ذاته وإنّ من يريد أن يتَتَبَّع هذا الميدان من نشاطه سيحصل رغم قلّة الحرص على آلاف التصحيحات والتّصويبات مبثوثةً في مِئات الكتب التي طالعها وإذا قُيِّض لذلك المدرَّب الدؤوب فسيخرج منها بأمالي جديدة تذخر بالفوائد اللغوية وبالمعاني الذوقية التي لا يمكن أن يحصل عليها من المراجع والقواميس.

وإنّا نسأل الله أن يبلّغنا إتمام هذه الأُمنية بفضله ومعونةِ تلامذَته المخلصين. ومِنَ الله التيسر.

مَع أبي العَلاءِ المَعرّي

مع أبي العلاء المعري

لقد كانت صحبة الشيخ سُليمان لأبي العلاء صحبة طويلةً وكلّما طالت ازداد إعجابهُ به وإكبارهُ لسعة اطلاعهِ ودقة معانيهِ وعميقِ غوصه على الحقائق.

وخير معبر عن ذلك ما أجاب به أحَدُ تلامذتهِ «وقد أراد أن يغمز من أبي العلاء ويخطِّئه في جَمع قَريب الوارد في بيتِه الشهير:

أولو الفضل في أوطانهم غُرباءُ   تشذُّ وتنأى عنهمُ القُرباءُ

محتجاً بأن جمعها بهذه الصيغة لم يرد في القاموس» فقال له يا بني إن أبا العلاء حجةٌ على صاحب القاموس وليس صاحب القاموس حجةً على أبي العلاء.

وكانت لزومياته أحد الكتب الأثيرة عنده يُقرِئُها لتلامذته ويفاوضهم في معانيها ابتداءً من تفسير عويصها من حيث اللغة والمبنى وانتهاءً بشرح معانيها ومراميها وكان مولعاً بالاطلاع على كل ما وصل إليه مِمّا نُشر أخيراً عنه من دراسات وشروح.

أما الشروح فقد هاله ما كان في النسخ من تصحيف وتحريف وبصورةٍ أكبر ما كان يسبق لأذهان الشارحين من فهم ينأى بهم بعيداً عن المعنى الحق.

وأما الدارسون فقد اطلع منهم على اختلافٍ كبيرٍ في وجهات النظر ذهب بكل واحدٍ منهم المذهب الذي اختارهُ فاهتدى للسبب في كل ذلك وهو أنهم كانوا يحللون أنفسهم ويكشفون عن النواحي الخفية فيها لا عن نفس أبي العلاء فمنهم من عدَّه في صف الموحدين ومنهم من حشره في زُمرة الملحدين إلى غير ذلك مما تدفعه إليه الغريزة الأكثر تسلطاً على مشاعره فكأنه مرآةٌ مَجْلُوة تتراءى بها صورة الناظر لا المرآة.

وقد ذكرني ذلك بما قرأته من تقييم للأستاذ «امرسون» للفلاسفة عندما يدرسون «إفلاطون» إذ قال: تعرفُ قيمة كلٍ منهم بقدر ما فهم من «إفلاطون» ويبقى «إفلاطون» اللغز الذي لم يُحَلّ كما بقي أبو العلاء.

غير أن الشيخ «سليمان» بما كان له من سعة إطلاع في اللغة والأدب وعلى الفكر الشيعي الذي ترعرع في أجوائه «أبو العلاء» قد قدم لنا خدمة جليلة تعيننا في حل بعض رموز هذا اللغز فنصبح أكثر فهماً له.

أولاً: بما خلّف لنا من نماذج لشرح كان يريدُ أن يخرجه عن أبي العلاء تَلبيَةٌ لرغبة العديد من تلامذته ومُريديه الذين كانوا يحسون بالفرق الشاسع والبون الكبير بين ما كان يكشفُ لهم من معانيه وأسراره وبين ما كان بأيديهم من ثمرات المطابع... وقد حال دون إتمامه عوائق لا تحصى واعتلال صحته.

ثانياً: بما أخذ على الناشرين والشارحين الذين سبقوه من تصحيفاتٍ ومن شذوذٍ عن المعنى حتى ليحار المرء كيف أمكن ذلك فيعيد للكلمة مبناها ولِمَعناها صوابه فيعودُ للقولِ مغزاهُ بعد الشطط البعيد.

ولما كان لأبي العلاء ما لَهُ من المكانة السامية في أدبنا. ولما كانت عليه معانيه من العسر في المنال فقد رأينا أنه من الفائدة أن نُثبت هنا جُلَّ ما وصلَنا من أحكام له عنهُ وشروح وتصويبات واستدراكاتٍ على من سبقوه مما لا نشك بأنه سيكون موضع شكر وتقدير الدَّارسين لأبي العلاء وأفضل شهادة له بعلوِّ الكعب في اللغة والأدب والمعاني.

نماذج من شرح «لزوميات المعري» والتعليق عليها للعلامة الإمام الشيخ سليمان الأحمد

أبو العلاء المعري

لغز من الألغاز الغامضة ومُعَمىً من الأحاجي المبهمة التي لا تُفسَّر فهو فيلسوف مدقق وعالم محقق وفقيه متنطع[1] ولغوي متحذلق[2] ثم عروضي ونحوي وروائي قصصي طويل الباع واسع الإطلاع على جميع المذاهب كتابيّها ووثنيِّها والنحل المشهورة منها في عصره إجمالاً وتفصيلاً . يضم إلى ذلك خرافات العرب من عيافة وقيافةٍ وزجر وعرافَة مضافة إلى مثيولوجيا اليونان وأساطير الهنود والزرادشتية والروم فليس شرحه من الهنات الهينات بل يحتاج إلى عدة اختصاصيين في كل فن من فنونه أضف إلى ذلك البحث عن تحليل نفسيته وبيئته والحالة الاجتماعية في عصره التي كيفته هذه الكيفية وكل من لم يعلم صلته بإخوان الصفا والبيت الذي ولد فيه والمذهب الذي ارتضعه مع الحليب ونشأ عليه في الصغر فهو مقصر للغاية في تحليله.

لو رجع الأمر إلى شرح معاني أبياته حسبما تقتضي اللغة والمعاني الظاهرة لكان فيه بعض السعة ولكن هذا لا يكفي في بيان مرامي فيلسوف مثله جاء نادرة زمانه والفذ في أقرانه.

انظر قوله:

---

1 تنطَّع: في كلامه تكلم بأقصى حلقه تكبراً. وتنطع: تعمق فيه وغالى.

2 من التحذلق اللغوي قوله: اهجر ولا تهجر ثم لا تهجر فيذهب ماءك الإهجار: وقوله: فأجدِ واجد وآجد واجد من صمد غفرانه واخش واخشش نفسك الطُّلَّعَه.

الحذلقة هو أن يظهر الرجل الحذق أو يدعي بأكثر مما عنده.

جبلّــة بالفســاد واشــجة إن لامهــا المــرء لام جابلــها

ظاهر المبنى والمعنى. ولكن القول في الجبر والاستطاعة هو العقدة التي لا تُحل فقد انشطر الكتابيون فيه إلى قسمين وأُلِّفَتْ فيه ألوف الكتب واشتد النزاع فيها إلى أقصى ما يمكن بلوغه. وبعد التدقيق الدقيق بقيت المسألة حيث هي لم تزدها كثرة الشروح إلا غموضاً ومَن بلغ السُّهى ونظر إلى نفسه وجدها في الحضيض. فهي من المسائل التي لا تحل بالعقل والقياس (إن لامها المرء لام جابلها) لأنه ليس بإرادة المرء واختياره كونه على ما هو لا زيادة ولا نقصان؛ ولد في أرقى المدنيات أو أدنى منازل التوحش والهمجيات. وإن لم يلمها المرء سقطت الحدود وارتفعت التبعات وتعطل الكون من مدبر قَدير وكانت البعثة عبثاً والكتب السماوية لغواً أو يصبح المكوَّنُ العظيم في ملكه كالعضو الأشِلّ لا يقدم ولا يؤخر والعياذ بالله يقولها المستنيم إلى ظاهر (جف القلم بما هو كائن) وينهانا عن قبول هذا الرأي التورع والخوف الذي نهاه عن قبوله حين رجع إلى تدينه بعد أن أثبت الجبر ونفى الاستطاعة بقوله:

مــدبرونَ فــلا عتــب إذا خطئــوا علــى المُســيء ولا حمــد إذا برعــوا

وقــد وجــدت لهــذا القــول في زمــني شــواهداً ونهــاني دونهــا الــورعُ

وهذا الورع إنما هو من رجوعه إلى تدينه بأن خالق الكون فاعل مختار يمحو ما يشاء ويثبت حسبما صحَّ وروده عن أهل الذكر. وإلا فشواهد هذا القول في كل زمنٍ كثيرة كما هي في زمنه والأخذ والرد فيهما يحتملان أقصى ما يستطيع المرء والعلم أن يحملهما.

فإذا شرح المفسر كتابه وتتبع آراءه بالإثبات أو النفي احتاج إلى موسوعة لا تقل عن دائرةِ المعارف الكبرى وفي ذلك ما فيه من التكليف فوق الطاقة. وإذا سردها كما هي بلا تعرض لما فيها كان تركها على أسلوب واضعها أوضح وأصرح وأفصح.

لاحقة: يُخَيل إليّ أن أبا العلاء حينما قال هذه الكلمة (إن لامها المر لام جابلها) كانت في مخيلته كلمة ذلك الأسود لمن أزرى عليه (أتعيب الصبغة أم الصابغ).

١

أُولـوا الفـضل في أوطـانهم غربـاءُ تـشذ وتنـأى عـنهم القربـاء

شُذوذ الكلمة خروجها عن القياس. وشذوذ المرء مخالفة الجمهور في رأيه أخذاً من شذوذ الكلمة والفعل شَذَّ يَشِذُّ والنأي البعد أي أن أهل الفضل غرباء في أوطانهم يبعد عنهم أقرباؤهم وإخوانهم إنما كان ذلك لتبايُن الطباع (والجاهلون لأهل العلم أعداء).

وبمعناه قوله:

والحـر في أوطانـه متغـرِّبٌ فكأنـه في مـصرهِ بوبـار

ولابنُ الرومي:

غرَّبَتْـهُ الخلائـق الزُّهـر في النـاس ومـا أوحـشَتْهُ في التَّغريـب

ومنه أخذ المتنبي (إنّ النفيس غريبٌ حيثما كان) وكل ما جاء في هذا المعنى فإنما هو من كلام سيد البُلغاء (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).

٢

فمـا سَـبأُوا الـراح الكميـت للـذةٍ ولا كـان مـنهم للخـراد سِبـاءُ

يقال: سبأ الخمرة إذا اشتراها ليشربها. وسبى المرأة سبياً وسباءً إذا أخذها سبيَّةً ومذهب أبي العلاء شهير في كراهية الخمر وقد تفنَّنَ في ذمها وتحريمها وفي تحريم سفك الدماء حتى دم البرغوث فما ظنك بما يتأتى عن سبي النساء فهو يصف أهل الفضل بأنهم لا يستحلون شرب المدام ولا سفك الدم الحرام أي لا يفعلون ما يحظره العقل كما علل تحريم الخمر في غير موضع وغير مرة. والخراد جمع خريدة. العذراء من النساء تشبيهاً لها بالخريدة وهي اللؤلؤة التي لم تثقَب. والكميت سواد وحمرة في اللون وإذا اشتريت الخمرة لتحملها إلى بلد آخر قلت سبيتها بالياء وهذا خاص بالخمر.

٣

وحسب الفَتى مِن ذلة العيش أنه ... يروح بأدنى القوت وهو حباءُ

حباء . أي عطاء . يعني مع تفاهته يعد حباء واليد السفلى ذليلة فلا يستأهل هذه المكانة .

أُفٍ لها جُلّ ما يفيد بها ... من فازَ فيها الطعام والباءُ

ما زالَ العلماء الذين يخشون الله يحذرون من الاغترار بالدنيا ويصورون لذائذها المتمناة بأقبح وأبشع الصور . وأفضل ما علمته في بيان هذه المعاني هذه الأبيات :

أي طب لداء دارِ جماها ... ورِدُه يورد الحمام الطّبيّب

ولذا ذاتها فتسكين الآم ... ولولا الآلام لم تُلف طِيبا

لولا ألم الجوع لكان ألذ المطعومات والمشروبات من المهوّعات وكانت لذة الباءة من أقبح المستقذرات ويشير المعري إلى أنّ أخذ العطاء الجليل دناءَة فكيف بالأخَسّ الأحقر .

٤

إذا ما خَبَت نارُ الشبيبة ساءَني ... ولو نُصّ لي بين النجوم خِباءُ

خبت خَمدت وانطفأت والخِباء البيت من صوف أو وبر ونُصّ رُفع يقول إذا خَمدتْ نارُ الشبيبة ساءَني خمودُها ولو رُفِعت لي قبّةٌ بين النّجوم وذلكَ لأن خمودَها مؤذِنٌ بقرب الأجل وما الفائدةُ معه من الرِفعَة . كأنه يشيرُ من طَرفٍ خفي إلى بيتَيّ المتنبي :

ليتَ الحوادثَ باعَتني الذي أخذت ... منيّ بحلمي الذي أعطَتْ وتجريبي

فما الحداثةُ من حِلمٍ بمانعةٍ ... قد يوجَدُ الحِلمُ في الشبان والشيب

٥

وفي هذه الأرضِ الركود مَنابتٌ ... فَمِنها عَلَنْدَى ساطعٌ وكِباءُ

العَلَندَي . شجر كثيرُ الدُخان . والكِباء عودٌ يتبخر به . حكمة ترددها أفواهُ كثيرين . ولكنّ الكلامَ إذا كان من قلبٍ ذهبَ إلى قلبٍ . والناسُ كالنبتِ فمنه حنظلٌ . . .

٦

وَزادكَ بُعداً مِن بنيكَ وزادهُم عليكَ حُقوداً أنهم نُجباءُ

لأن التِّرة تعْظم والحقدِ يربو بقدر العلة التي أوجدتها وكأنه خافَ أن يُمنَى بالعقوق على ما به منَ الحاجة إلى البر فاعتَزل الغَزَل.

وما حلَّ سرّي قَطُّ في أُذنِ سامع وشِفَاهُ أو قِرطاسُهُ يَستمعانِ

ومنه:

هذا جناهُ أبي عليَّ وما جنيتُ على أحَد

٧

وما أدَبَ الأقوامُ في كلِّ بلدةٍ إلى المَين إلا مَعشرٌ أدباءُ

أدَبَ. دعا إلى مأدُبةٍ. والمَين الكذب. وقد بيَّن العلةَ في ذلك بقوله: وإنّ شرارَها شعراؤُها (كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون الآية)

٨

يبيئونَ قَتلاهُم بأكثرَ منهُم وإن قَتَلوا حراً فليسَ يُباءُ

يذكرني بُعْنجهيَّة الجاهلية وقول بعض زعمائها لأبناء عمه من كلمكم فاشتموه ومن شتمكم فاضربوه ومن ضربكم فاقتلوه ومن قتلكم كلفته إمَّا أن يحييكم ويدفع الدية أو يدفع الديَّة واقتله.

٩

كيف لا يُشرِك المُضيقينَ في النِّعمةِ قومٌ عليهمُ النعماءُ

اجتماعيٌّ. بل داعية إلى الاشتراكية التي تستمدُّ من الوحي.

إن شِقاً يلوح في باطنِ البُرة قسم بيني وبين الضعيف

وقد سمعت هذا المعنى من بعض عامة الفقراء.

١٠

علّمـــوهُنّ الغَـــزلَ والنَـــجَ والـــرَّدنَ وخَلُّـــوا كتابـــةً وقِـــراءَة

شرقي جامد.

١١

إذا كـان علمُ النـاس لـيس بنـافع ولا دافـــع فالخُـــسرُ للعُلمـــاء

ومثله:

فقد زعموا الأفلاكَ يـدركها البلى فـإن كـانَ حقـاً فالنَّجاسَـةُ كـالطُّهر

لأن ذلك ينفي وجود الصانع ويكون هذا القول حينئذٍ حقاً لا مريةَ فيه.

١٢

وهـل يـأبَقُ الإنســان مـن ملـك ربّـهِ فَـيخْـرجَ مــن أرضٍ لــه وسمــاءِ

كلاَّ.

فلـــو طـــارَ جبريـــلٌ بقيـــةَ عمـــره من الدَّهر ما اسطاع الخروجَ من الدهر

مقتَبسٌ من الآية: (يا معشرَ الجنّ والإنس إن استَطَعْتُم أن تَنفذوا من أقطار السموات والأرضِ فانفُذوا - لا تَنفُذونَ إلاّ بسُلطان).

١٣

يرتجـــي النـــاسُ أن يقـــومَ إمـــامٌ نـــاطقٌ في الكَتيبـــةِ الخَرســـاءِ

يورده من يتهكم على الشيعة من أهل السنة. وقد رأيتُ كلاماً طويلاً في الردّ على ما يتهمون به الشيعة وحدهم بهذا القول وأنه معتقد سائر الفرق الكتابية وإنما يلهج به الضعيفُ أكثر من القويّ فقد كثر اللهج عند اليهود في أيام سَبْيهم وغُربتهم بالمُخلّص ملكِ السلم دانيال وفي أيام الضغط على المسيحيين في أوائل نشأتهم ومثلهم الشيعة (لَتَّبعنَّ سُنَنَ الذين قبلكمُ الحديث) فالتَّهكُّم عليهم بأن هذا قولهم وغلتهم ليس من الإنصاف في شيء وله بهذا المعنى كثير:

١٤

يُقـال إن زمانـاً يـستقيدُ لهـم حتـى يُبَـدلَ مِـن بؤسـى بنعمـاءِ
ولـستُ أحسَب هـذا كائنـاً أبـداً فـابغ الـورُودَ لـنفسٍ ذات إظمـاءِ

يستقيدُ لهم أي يقتَصُّ لهم و(لَستُ أحسبَ) كلمة يقولها المرء لضيق الصدر فلا تدل على الاعتقاد . وقد يعترض المظلوم أحياناً بأن العدل غير موجود .

١٥

مـا أطيـبَ المـوتَ لِـشُرّابه إن صَـحَّ للأمـواتِ وَشُـكُ التِقـاءْ

وردت آثار كثيرة بملاقاة الأموات وبتسليم الأحياء عليهم وتسليمهم على الأحياء فهو يقول ذلك على سبيل التمني . والشكُّ الذي هو أول أبواب اليقين لا إنكاراً للبعث كما زعم بعضهم ودلائل الإقرار في البعث مستفيضة في كل ما أثر عنه وخاصةً في اللزوميات ومن تتبعها رأى الشواهد الكثيرة عليها .

١٦

إن ظهـرت ناركمـا خَبّـروا في كـل أرضٍ فَعَلينـا العَفـاءُ

يقال أن سوف يعمُّ أهل بغي وحسدْ
طوفان نار كائنٌ يخرجُ من قلبِ الأسد

رأيٌ قديمٌ يؤيده الجديد وقالوا إن الأرض خُلقَت في برج الأسد . ولما ذكر الفلكيون اصطدام الأرض بإحدى ذواتِ الأذناب وتحولها بخاراً لشدة الصدمة أخذ بعض الناس يؤيدُ ذلك مستشهداً بقوله تعالى : (إذا رُجَّتِ الأرضُ رَجّاً . فكانت هباءً مُنْبَثّاً) فاعجب لغرائب الأفكار واختلاف الأنظار .

١٧

فهـل هـبَّ مِـن جـدَث ميِّـتٌ فيخـبر عـن مـسمع أو مـرَى
ولـو هـبَّ صـدقهُ مَعْـشَرٌ وقـال أُنـاس طَغَـى وافـترى

عرضت لي هنا صورة ما في الإنجيل الشريف من مخاطبة الغني لإبراهيم وطلبه إليه أن يرسل لعازرَ إلى أهله يعظهم لئلا يصيبهم ما أصابه. وجواب إبراهيم عليه السلام له عندهم موسى والأنبياء إلى قوله فإن لم يصدقوا موسى والأنبياء ولا إن قام ميتٌ من الأموات يصدّقون. فكأنه كان يتلو تلك الآيات معتبراً بها وذلك دليلٌ على سعة الإطلاع. وهنا محل الاعتبار بقول ذلك العالم لبعض الناس في تشييع جنازة: أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا عمل خيراً واعتبر فقال أظن فقال له ما معناه: إذا لم يكُنْ هُو فلنكن نحنُ. يعني كذلك ما كنّا.

١٨

وأمسِ ثوى راعيكَ وهو مودّعٌ ولو كان حيّاً قام في يَدهِ قَعْبُ

يشير إلى قلة الاعتبار مع كثرة العِبَر. كلنا يقول مثل هذه المقالة ولكن من يعرف وضعها في موضعها منا نادرٌ.

١٩

حملت على الأولى الحَمام فلم أقل يُغَنّي ولكن قلتُ يبكي ويندبُ

قالوا إذا كان طبعك للزهراء فكل شيء عندك جميل وإذا كان لِزُحَل فبالعكس وكلٌّ يؤول الألفاظ إلى معنىً ما يلائم طبعه لكن شاعر الحقائق ينتقي حكمة سليمان وإن الدخول إلى بيت الأحزان أولى من الدخول إلى بيت الأفراح وإذا حمل الطرب سجع الحمام على الغناء حمله الحزن على البكاء والندب: وهو الأولى بمعانيه.

٢٠

إذا رام كيداً في الصّلاة مُقيمُها فتاركُها عمداً إلى الله أقربُ

أي شرح يلزم لمثل هذه الأبيات إلا الشرح المسهَب في بيان ما ورد في الرِّئاء وأنه يحبط الأعمال وإن العمل منه مثل أحد لا يزن عند الله بعوضة ويذكر هنا قول الخيام تعريب الزهاوي:

قال شيخ لِمُومِسٍ أنتِ سكرى كلّ يوم قرينةٌ لِخدين
فأجابت إني كذاك فهل أنتَ كما أنت ظاهرٌ للعيون

ويعتلج في فكرك التفضيل بين مقيم الصلاة رئاءً وكيداً وبين تاركها عمداً فتنقاد إلى رأيه بها هذا أفضل لأنه لا يغش ولا يخدع به أحداً وذاك ربما أضل أُمَّةً عدا ما يسلبه من كل شحيح صحيح. وما بعده من الأبيات فيه حقائق علمية اكتشفت أخيراً فتبجَّح مكتشفوها مع أنها قد وردت عن الموالي قبل أبي العلاء بنحو ثلاثة قرون وفيه دليل كبير على اتصاله بالنصيرية والإسماعيلية فقد نُقل كثير من هذه المعاني في كتبهم القديمة.

٢١

وقد كذبوا حتى على الشَّمسِ أنها تُهانُ إذا حانَ الشروقُ وتُضربُ

إذا قرأتَ هذا وما شاكله.. من أقواله علمتَ أي ثروة من الأساطير في كنز قلبه وتخيلتَ أمية بن أبي الصَّلت يتلو أبياته في هذا المعنى. والمفسرون.. يتوسعون بالنقل عن كعب الأحبار لِيُبَيِّنُوا سعة علمهم بمثل هذه الأخبار الواهية التي لا حقيقة لها في الإسلام ولكن أعداء الإسلام من الأوربيين يتخذونها أعظم دليل على الخرافات في الإسلام ويبنون من الحبة قبَّةً.

٢٢

وما نَفسٌ ألا يُباعِدُ مولداً ويُدني المنايا للنُّفوس فتقرُبُ

أتعلم أن هذا منقول من كلام أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - نَفَسُ المرءِ خُطاه إلى أجله.

٢٣

أعيَّبوني حياً ثم قامَ لهم مُثنٍ وقد غيَّبوني إنّ ذا عجَبُ

هذه طبيعة الكون وطبعُ الكائن.

ترى الفتى ينكُر فضلَ الفتى في عصره حتى إذا ما ذهبْ
لجَّ به الحرصُ على نَكَتِهِ يكتُبها عنهُ بماء الذَّهب

ولعل العلة في ذلك المنافسة والحرص على التفوق الذي يعلله «الدروينيون» بتنازُع البقاء.

٢٤

لا تسألِ الضيفَ إن أطعمته ظهراً ... بالليلِ هل لك في بعض القرى أربُ

فإن ذلك من قولٍ يلقنه ... لا أشتهي الزاد وهو الساغب الحربُ

قدم له ما تأتَّى لا تؤامره ... فيه ولو أنه الطُّرثوثُ والضَّرَبُ

عربيٌ كريم الشمائل وحرُ الخصائل يلقي عليك درساً في أدب الضيافة والمضيف والتمدن الشريف في الإنسانية الحقة والمروءة الكاملة.

٢٥

وقد أساء رجالٌ أحسنوا فقلوا ... وأجملوا فإذا الأعداءُ أحبابُ

يُسيء المحسن إذا منَّ بإحسانه فيقلى ويجمل الرد فيجب. ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. فللخير مكافئ إن لم يكن هنا فهناك.

٢٦

ما لي أرى الملك المحجوب يمنعهُ ... أن يفعلَ الخيرَ منّاع وحجّابُ

مأخذ البيت هو الآية الكريمة (لا تتَّخِذوا بطانةً دَخَلاً بينكم).

٢٧

ما قرَّ طاسك في كفّ المدير لها ... إلا وقرطاسك المرغوبُ مرغوبُ

صورةٌ خياليةٌ سينمائية تمثّل السكرين وشرههم وعُقبَى خمارهم وأبو العلاء عدو الخمرة قد تفنن كثيراً في ذمها لأنها عدوة العقل أكبر هبة منحها الله للإنسان حتى أن الشرع الشريف لو لم يحرمها لأوجبت قِلاها أصيلات النهى والتجارب. ولنعم ما قيل:

وَلَعُ الخمرِ بالعقولِ رمى الخمرَ بتنجيسها وبالتحريم

٢٨

في البـدو خُـرّابُ أزوادٍ مُـسَوَّمةٍ   وفي الجوامـع والأسـواق خـرّابُ

بيان عن فعل الرياء والمكر في كل عصر ومن هو في عرفك الفقهي شر من أخيه؟ أذلك الذي يبذل نفسه ويعرضها للقتل والسجن وغيرهما من مُستقطات الشرف والمكانة الاجتماعية ليسدَّ جوعته أو جوعة صغاره أو ليقضي بعض ديون الشرف بزعمه. أم ذاك الذي يمتص دماء الأرملة والمسكين بواسطة التقوى والمداهنة وإظهار التنسُّك الكاذب مزدوجاً على الله وعلى الناس. ما أظنُّك تُماري في صحة قوله. إذ يحضرك الشاهد حالاً. إذا رام كيداً في الصلاة مقيمها فتاركها عمداً إلى الله أقرب.

٢٩

نفوسٌ للقيامة تشرئبُّ

كثرة أمل وقلة عمل دَالَّة على الله كما يفعل الجهلة. من كل مِلَّة والضاحك المعترف بذنبه خير من الباكي المدل على ربه. يقول لك المسيحي (آمِنْ. فتخلص أنت وأهل بيتك) والمسيح يقول ما كلُّ من قال يا ربِّ يا ربِّ بل الذي يعمل إرادة أبي. ويتلو المسلم. ولَسَوف يُعطيكَ ربُّك فترضى. ولا يَرْضى. صلى الله عليه وآله وواحد من أمُته يدخلُ النار والمحدِّث يروي عنه(يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً) ومثلُها عند غيرهم: لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من حبِّه. ولكنَّ الحب يعرف بحسن الاتباع. قل إن كنتم تُحبون الله فاتَّبعون يُحببْكُم الله. وكم ورد أعينونا بعِفَّةٍ وورَع. يورد هذه الدعاة فيغتنمها أهل البطالة بدون العمل بشروطها أي يأملون الوعد ولا يبالون الوعيد.

إذا رجونـا نـوال وعـدٍ   فكيـف لا يُرهَـب الوعيـدُ

والفقيه كل الفقيه من لم يؤَمِّن الناس مكر الله ولم يُونسهم من روح الله.

لقد فزتَ أن كنتَ تعطى الجنان بمكة إن زرتها أو مِنى

٣٠

أقـــــرّوا بالإلـــــه وأثبتــــــوهُ   وقـــالوا لا نــــبيّ ولا كتـــــابُ

أسهب في رسالة الغفران بذم هذه النحلة وأكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله المبعوث بالسيف وحبذ الحكمة في معاملتهم به . مع أن القتل خلاف نحلته . فهل هذا الاعتراف بالحق الفطري وأن العضو الفاسد الذي لا يقبل المداواة يجب بتره من الجسم .

٣١

تُــــراع إذا تحـــــن إلى ثراهـــــا   إيابـــاً وهْـــو منـــصبها القُـــرابُ

الثرى منصب الجسم لا منصب الروح ، فروعتها من الثرى تصورها الهبوط الذي هو ضد طبعها . وبناؤه على أن العقاب على الروح لا على الجسم وقد بحث الفلاسفة عن الروح كل بحث منذ آلاف سنين إلى يومنا هذا فلم يتجاوزوا (قلِ الروح من أمر ربي) فهل كان في مخيلته قول المتنبي :

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس   أن الحِمام مُرُّ المذاق . وهل يَمُتُّ

بيت المعري إليه بسبب .

٣٢

كــأنّ الـــسيفَ لم يعطــل زمانــاً   إذا كُــــسي الحمائـــل والقرابـــا

من يحوله الحال فيغيره عن إخوانه ولم يعتبر بما كان عليه من الصفة أكثر الناس . أما الذين تبقى صداقتهم على اليُسر والعسر فقليلٌ ما هم .

٣٣

ولـــو ســـكنت جبـــالَ الأرض روحٌ   لمـــا خلــــدت نــــضادِ ولا إرابُ

منه أخذ القائل :

والمـوت تجلبـه الحيـاة فلـو حـوى روحـاً لمـات الهيكـلُ المرسـومْ

فيها التنازع النحوي. فالحياة عنوان الموت أو سببه الأكبر.

فيـا ليتنـا عـشنـا حيـاةً بـلا ردًى يدَ الـدهر أو مُتْنـا مماتـاً بـلا نَـشْرِ

٣٤

غـداً يتوكَّـفُ الأخبـارَ غِـرٌّ وصَـاحَ بيـنهم داعٍ أريـبُ

يـستجهلُ الـسائل ضاحكاً منه. أي أن الذي يتوقع أخبارهم غِرّ جاهلٌ أما الذي صاح بينهم فأريبٌ عاقل. ويا بعد ما بينهما. فأي المخبرين أحق بالتصديق.

٣٥

إذا هبَّـت جنـوبٌ أو شمـال فأنـت لكـل مُقتـادٍ جنيـبُ

صفة المقلد الذي مع كل ريح يميل ومع كل هجام يشيل ويكاد الناس كلهم يكونون بهذه المثابة.

٣٦

تنـادوا طـاعنينَ غـداةَ قـالوا أصـابَ الأرضَ مـن مطـرٍ مـصيبُ

إشارة بالتُّؤَدَة والرفق والنظر في العواقب والإجمال في الطلب فكلٌ مُيـسَّرٌ لِما خُلق له ومهما جَدَّ واجتهد فلن يدرك إلا ما قُدر له كما في الأثر ومصداق البيت الثالث من الوضوح والإحكام بمكان فكم كان الغِنى سَبَباً للهلاكِ. كما كان الفقر مجلبةً للنجاة ومظَنَّة لوجود الراحة.

قـد يـدركُ المتـأني بعـضَ حاجتـه وقـد يكـون مـع المُـستعجلِ الزَّلـلُ
وربمـا فـات قومـاً جُـلَّ حـاجتهم مع التواني وكـان الحـزم لـو عجلـوا

٣٧

وكيــف يــصول في الأيــام ليــثٌ وقــد وهــتِ المخالــبُ والنَّيــوبُ

يذكرني هذا البيت حكاية البهلول الذي كان يجاور في المقابر فقيل له في ذلك فقال أجاور قوماً لا يغدرون لأنهم لا يقدرون (أوردها البديع الهمذاني في رسائله).

٣٨

عَلِــمَ الإمــام ولا أقــولُ بظِنَّــةٍ أنَّ الــدُّعاةَ بــسَعيها تتكــسبُ

أحرجه فأخرجه ما فعله الدعاة الذين يأكلون الدنيا باسم الدين من المختار ابن أبي عبيد الثقفي إلى داعي الدعاة الذي كان في عصره ووجوه حِيَلهم وتلاعُبهم في عقول الناس وكيف كانوا يخدعون السُّذَّج بما يظهرونه من التَّقوى والغيرة على الدين وأظن مثل هذه الأفعال منهم هي التي أخرجته عن أناته حتى قال:

أفيقــوا أفيقــوا يــا غُــواةُ فإنمــا ديانــاتِكُمُ مكَــرٌ مــن القُــدماءِ

لا يريد بها إنكار الدين الصحيح والله أعلم بالسرائر.

٣٩

وسَــيُقفِرُ المِــصرُ الحــريج بأهلــه ويغص بالإنــسان الفضاء السَّبسَبُ

إذا قرأتَ قوله فكأنك تذاكر بعض أهل التقية والتقوى من الشيعة القدماء وهو يحدثك بما في الصراط والأظلة والأشباح من الإدالة ورجوع البر بحراً والبحر بَرّاً إلى ما هنالك من الحقائق التي يثبتها العلم الآن وتُعَد في ذلك الأوان من الغرائب التي لا يكاد يصدقها العقل مما يدل على ما قلنا من تربيته الشيعية واتصاله بمن ينتمي إلى أئمة أهل البيت.

٤٠

ألم تــرَ أنَّ الهــاشمين بلَغــوا عَظَــامَ المــساعي بعــد مــا ســلكوا

أي بعد الشدة وحصْرِ قريش لهم في شعب أبي طالب بلغوا الأمل وقرنِ ذكرهم بذكر الله (القصة شهيرة) كما أن كعباً بن أمامة المشهور تخيَّر رفيقه النمري فكان سبباً لهلاكه فالخيرة فيما اختاره الله. ولو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع.

٤١

خَط استواءٍ بدا من نُقطةٍ عجَبٌ أفنَت خطوطاً وأقلاماً وكتَّابا

خط الاستواء وهمي يفرضه المهندسون يعني إن تَعَلُّق الناس بالوهميَات أفنى الخطوط والأقلام والكتّاب ولا مُحَصَّلُ في اليد.

٤٢

أثرى أخوك قلم يسكب نوافله

يعني يجود المرء بما لا كلفة فيه ولا فائدة منه ويبخل بما فيه النفع وما ندب إلى السماح فيه. وقد قالوا:

لا ألفيَنَّك بعد الموت تندبني وفي حياتيَ ما زوَّدتَني زادي

مرَّ بخاطري هنا خطاب أمير المؤمنين لمعاوية في شأن عثمان: إنك خذلته حين كان الخُذلان له ونصَرته حين كان النصر لك. أو ما بمعناه.

٤٣و

وما رُويتَ بعذب حَلَّ في قُلُبٍ حتى تَكَلَّفتَ إعناتاً وتعذيبا

هذا مثل (حُفَّتِ الجنة بالمكاره) يعني إن طريق الخير ضيق وطريق الشر فسيح متسع.

٤٤

لا تثبت الأقلام زلة راقد

فقيه يحدثك رفع القلم عن ثلاثة: المجنون، والنائم، والسكران وهو يريد بذلك أن الناس أجمع كذلك.

٤٥

وابـــن جحـــش لمّـــا تنـــصَّر لم تـــركن إلى مـــا يقـــول أم حبيْبـــهْ

أم حبيبه بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وآله وهي من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وبها كان يفتخر معاوية بكونه خال المؤمنين ويتبجح مؤيدوه بهذا الفخر حتى أحرج الصاحب بن عباد فقال من أبيات: قلت خالي لكن من الخير خال كانت تحت عبد الله بن جحش فلما تنصر في الحبشة فارقته. فهو في هذا قاصّ يحدثك بأسماء النوادي وكيف تُبَدَّلُ الأحوال.

٤٦

نـــامَ في قـــبرهِ ووسِّـــد يُمنـــاهُ فخِلنـــاهُ قـــامَ فينـــا خطيبـــا

هذا البيت أحسن تفسير لقوله:

أرى حسنَ الشمائلِ منك حثت ... عليـــه الأيمـــن المتوســـداتُ

وهي من الأبيات التي تفسر بالذوق العربي والسليقة لا بالمعاجم.

٤٧

والنجاشـــيُّ صـــار ملـــك أنـــاسٍ ... بعـــدما كـــادَ أن يُعـــدَّ جليبـــا

كان عمه أراد أن يبيعه ليستبد بالملك فأبى القَدرُ أن يكونَ إلا ما أراد.

٤٨

والنـــزع فـــوق فـــراش ... أشـــق مـــن ألـــف ضـــربه

يؤثر هذا في تفضيل الجهاد وكون الميتة على الفراش أشد من ألف ضربةٍ بالسيف وألف طعنة بالرمح وأن الجنة تحت ظلال السيوف فكأنه مجاهد في الرعيل الأول.

٤٩

بـــدت فِـــتَنٌ مثـــل سُـــودِ الغمـــام

وصفٌ للحال الاجتماعية في عصرهِ وسوءِ السياسة مُلمِّحاً إلى غدر أهل زمانه باختلاف القرشيين وما جرَّ على جندب بن جنادة الغِفاري وهو أصدق الناس لهجةً وكأنه يقول كل بني آدم في كل الأدوار عبيدُ الدنيا والهوى إلا من عَصَم الله فياويح الدنيا الغرور.

٥٠

إذا جُولِسَ الأقـوامُ بـالحق أصبحوا ‏ ‏ عُداةً فكـل الأصفياءِ على خِبِّ

الحق ثقيل وهو أفضل ما قيل والتقيةُ واجبةٌ وقلَّ من خرج عن دائرتها وما زالت المداراة مما تفرضهُ الشريعةُ والطبيعةُ شاء المرء أم أبى ومن ذا الذي إن وصفته بالحق الصَراح يَرضَى.

٥١

نُـشاهِدُ بيـضاً مـن رجـالٍ كـأنهم ‏ ‏ غرابيبُ طيرٍ ساقطات على حبِّ

ما أقبح هذه الصورة وما أجلى ما مثَّل الطَمع والدناءة يتلوّث بها أهلُ الشرف.

٥٢

فمِـن لـي بـأرض رَحبـةٍ لا يحُلُّها ‏ ‏ سِـوايَ تـضاهي دارةَ المتقـارب

عَروضيٌ مدقق.

٥٣

جـلا فَرقَديـهُ قبـل نـوحٍ وآدم ‏ ‏ إلى اليوم لمَّا يُدعيا في القراهبِ

الفرقد ولد البقرة الوحشية فإذا أسَنَّ قيل له قرُهب فانظُر:

٥٤

لقد ترفّع فوقَ المشتري زُحَلٌ فأصبح الشرُّ فينا ظاهرَ الغَلَب

لما في رأيهم أنه لا يقع في عالَم الكون والفساد أقلَ حركة إلا بتأثير الأفلاك وزُحَل عندهم هو النَّحس الأكبر أو رمزٌ له وضده المشتري إذ هو السعد الأكبر وفلك زُحَل في الرأي القديم هو الفلك الأعلى ويليه المشتري وقد ظهر معنى البيت وما يُراد منه.

٥٥

ما الركنُ في قول ناسٍ لستُ أذكرهم إلاّ بقيةُ أوثانٍ وأنصاب

معارضة للقول بأنه من جواهر الجنة ولا أبرئهُ أن يكون من هذا الرأي.

٥٦

والشَّرّ ينشرُ دون الخير ميتَتهُ كما أصابَ عُميراً ما جَنَى ضابي

عُمير بن ضابئ هو الذي قتله الحجَّاج بما فَعل والدُه ضابئ مع عثمان وقوله:

همَمْتُ ولم أفعل وكِدتُ وليتني تركتُ على عُثمان تبكي حلائِلُهُ

فالأباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون ومراده أنَّ عمل الخير قلَّ من يكافئ عليه. أما عَمل الشّر فإنه لا يُنسى ويُكافأ عليه ولو بعد حين وفيه تقريعٌ للناس بلؤم العنصر.

أستغفر الله واترك ما حكَى لهم أبو الهَزيل وما قَال ابنُ كلاب

الأول متكلم المعتزلة والثاني متكلم الأشاعرة وقد علمت رأيه في علم الكلام والبيت يُؤتَى به شاهداً على قوله:

وأعلمُ أنَّ ابنَ المعلم هازِلٌ بأصحابه والباقلاني أهزَلُ

٥٨

كلُمتُ باللحن أهلَ اللحن أفهمهم لأنَّ عيبيَ عند القوم إعرابي

كأنك تسمع المتنبي يقول:

وكلمةٍ في طريقٍ خفتُ أعربها   فيُهتدَى لي فلم أقدر على اللّحن

وإن كان المغزى بينهما مختلفاً . ومازال الحكماء يوجبون مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

٥٩

كأنني كل عام محدِثٌ حدثاً   يَرى به مَن تولّى المصر إغرابي

في هذا دليل على ما كان يعانيه من ولاة السوء . وإن زعم الشيخ محمد عبده خلاف ذلك .

٦٠

أن تجعل اللجة الخضراء واقيةً   فالملك يُحفظ بالخضر اليعابيب

الضمير في أن تجعل للروم واللجة الخضراء كناية عن البحر ومعنى البيت أن المعاقل والحصون لا تغني إلا بالرجال . قالها أيام كان المسلمون يغزون الروم فأين عصرنا من ذلك العصر .

٦١

ظلّت مُلاحية في الشيء تفعله   جهلاً ملاحيةٌ من بعد غربيب

ملاحية من لاحاه لامه وعابه والثانية من البياض والخمرة الملاحية أي بعد ذهاب القوة وحلول العجز . (تحاول التنصل) والتوبة بعد أن يقال ـ الآن وقد عصيت قبل ـ فأي فائدة لها .

٦٢

أحُوبي صاحبي فأعير فضلاً   عليَّ أم انتقصت لأجل حوبي

أورد هذه المسألة في الاحتجاج على إثبات التناسخ بعض علماء الباطنية وهي مسألة علمية ليس حلها بالأمر السهل على مثبتي عدل الحكيم في بريّته .

٦٣

يا ثلة في غفلة وأُويْسها   القرني مثل أُويسها أي ذيبها

أويس القرني الزاهد المشهور الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر وفسّر أويسها الثاني وهذا من باب التحذير من الاغترار بأهل التظاهر بما ليس في الواقع لا يعني ظاهر اللفظ .

٦٤

بَنَتِ النصارى للمسيح كنائساً كادت تعيب الفضل من مُنتابها
وإذا ذكرتَ محمَّداً وكتابَه جاءت يهود بجحدها وكتابها

حكاية حالٍ واقعية يتشبث بها المقلدون حتى الآن ويظهر الغمز من طرف خفي.

٦٥

فلتَفعلِ النفس الجميلَ لأنه خيرٌ وأحسنُ لا لأجلِ ثوابها

ألا تتيقّن من أنه مأخوذ من قول سيد البلغاء إذ يصف عبادة الأحرار والتجار والعبيد وأنّ الفضيلة واجبةٌ لذاتها لا لشيء آخر وإن هذه ستكون المِلّة التي تَنهَجها الإنسانية كافّة متى تم ارتقاؤها.

٦٦

في بيتِه الحكَمُ الذي هو صادق فأتُوا بيوتَ القوم من أبوابها

هذا مما وَرَدَ من أمثال العرب على لسان الحيوان ومن لم يأت البيت من بابه عُدَّ سارقاً عند أرباب الحديث. وهو واسع الاطلاع على كلمة الهند والعرب.

٦٧

يا تَرِبَ الحالة كلٌّ إلى التُّرب فجنِّبْ حسَدَ المترِب

التَّرِب الفقير والمترَب الغني. أدبٌ عالٍ لو تمسك به الفقراء لفَضَلوا الأغنياء راحةً وهناء عيشة وحسنَ عاقبةٍ.

٦٨

وكل ما أذهَب العقولَ وإن خالفَها فَهو من أقاربها

فقيه يعلّل بأنّ ما أُسكر كثيره فقليله حرام. والعبرة بالفعل لا بالتسمية وهذه القطعة كلها في ذم الخمرة والنهي عن شربها وبيان مضارِّها.

٦٩

سـيرَ بنـا فـانظر إلى رفقـةٍ لا تـضع الإكـوارَ عـن نُجبهـا

يحضُّ فيه على مصاحبة أهل الخير فالرفيق قبل الطريق. ومن صحب الأشراف راح مشرَّفاً. البيت. وقديماً قيل: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه.

٧٠

اتبـع طريقـاً للهُـدى لا حبـاً وخـلِّ آثـاراً بملحـوبِ

حكمة بدوية تتفق مع «يد الله مع الجماعة» والشاذ عن الجماعة للشيطان كما أن الشاذة من الغنم إلى الذئب فاليمين والشمال مَضَلّةٌ والطريق الجادة.

... فدعني من بُنَيَّات الطريق

وملحوب يعرفه من يعرف عبيد بن الأبرص.

٧١

والبرايـا لفـظُ الزمـان ولا بـدَّ لـه مـن تغيُّـرٍ وانقـلابِ

اسمع المازني وابن جني يتفنَّنان بتصريف الأسماء والأفعال وتغيرها بالقلب والبدل من مالك إلى ملك ومن أأمَه إلى أئمة جمع إمام.

٧٢

ويـشجب كـل امـرئ في الزمـانِ مـن آل عـدنان أو يَـشجَب

عدنان تُنسب إليه العرب المستعربة ويشجبُ جد العرب العرباء والشجب سيعم الجميع.

مـا بـين موسـى ولا فرعـون تفرقـةٌ عنـد المنـون بإكبـارٍ وإصـغارِ

٧٣

متـى ذُكِـرَت عنـده مـومِـنٌ فلـيس حـذاراً بمغتابهـا

ما قرأت هذا البيت إلا وذكرت النادرة المعزوة إلى السيد المسيح حين رأى جيفة كلب فقال ما أنقى بياض أسنانه فقيل له في ذلك فقال تعودنا أن نقول أحسن ما نرى فلينزه المرء لسانه عن الغيبة كما ينزه سمعه عن استماعها وإذا تأدَب المرء مع من يستحق فكيف يكون مع من لا يجوز ذكره بسوء، ومتى تنزه اللسان عن الكلام بمن هو هكذا فهل يعقل أن يُشان بمَن هو مبرَّأ من كل وَصمةٍ وإذا أوجب الصيانة مع مثل هذه فكم هو مع غيرها أوجَب.

٧٤

يا أيها المغرور لَبَّ من الحجى وإذا دعاك من التقى داعٍ فلَبْ

الأولى من لَب كان لبيباً والثاني من لبى الداعي أجابه بلبَّيك.

٧٥

والعَقْل أنفسُ ما حُبيت وإن يضع يوماً يُضِع فغوى الشراب وما جَلَبْ

يضع الأولى من الإضاعة ضد الوجدان والثانية من الضَّعَة وهي نقصان القدر والمكانة. فغوى الشراب دعاء عليه بالهلاك.

٧٦

وطبعُك الشرَّ فإن أمكَنت توبةُ ليلٍ من سوادٍ فتُبْ

يعني أن ذلك ليس في الإمكان: جَبْريٌّ مَحض.

٧٧

آهٍ لضعفي كيف بي هابطاً في الوادِ أو مرتقياً في العقاب

تصوير لما يقص من أودية جهنم وكون المرء يهبط فيها سبعين خريفاً إلى أن يصل إلى قَرارها ثم يكلَّف الصعود فيها ثانياً دواليكْ. وتصور شيخاً هرماً عاجزاً يُكلَّف ذلك. وما الذي يريد من هذا التمثيل من يحسن الظن يقول أراد العظمة وغيره يقول أراد الغَمزْ.

٧٨

جعلتُ لهم عِشرَ سقي الغَمام وأعطيتُهم ربع عشر الذهَبْ

فقيه يفتي في أداء الواجب عليه من مال الله وهل يسقط عنه ذلك دفع الضريبة المفروضة للدولة أم لا.

٧٩

ومَن يُحْصي ونِسوةُ آلِ كِسرى وقوفٌ بالعَراء مسلباتُ

قاص يروي لنا في وعظه عِبر التاريخ ولولا فُتيا الإمام الوصيّ لبُعنَ كما يُباع عامَّة السَّبي. ولكن قضى الله أن يكون لهنَّ في ابن الخِيرتَينِ صِلَةٌ.

٨٠

لقد عابَتْ أحاديثَ البرايا شكولٌ في الزمان مولَّداتُ

لا يعلم أحد ما ينطوي عليه هذا البيت وماذا كان يعني به قائله إلا هو فإن شكول الأحاديث وهمَّامات الأنفس ومتناقضاتها ومباينات الآراء فيها لا حد لها ولا حصر.

٨١

إن كانت الأحبارُ تُعظِمُ سبتَها فأخو البصيرة كلَ يوم مسبتُ

هذا كما يقال المؤمن صائم أبداً.

٨٢

قد أصبحَت ونُعاتها نُعَّاتُها وكذلك الدنيا تُخيبُ سُعاتها

إن الذين ينعون الدنيا هم الذين يرغّبون بها ويصفونها بأنها حلوة خضرة لينة الملمس لكنها غرور. لا أرى تفسيراً لهذا البيت أحسن من نادرة الرهبان وهي قصة طويلة تشرح هذا البيت. أحسن شرح ولو تيقنت وضعها قبله لقلت أنه أخذ منها وإلا لزعمت أن الذي وضعها فرعها من هذا البيت.

٨٣

وتـرثّ أغـراضُ الـشـباب وينطـوي إبّانهَـــا فتنيـــبُ مرتـــد عاتُها

توبةَ الآن وقد عصيت قبل. وتوبة العجز مشهورة وعند العامة العجوز التائب عدو الله.

٨٤

هـــل فـــازَ بالجنَّـــة عمّالُهـــا أم هـــو ثـــوى في النـــارِ نَوبَخْـــتُ

يقولها حتى الشديد الإيمان تَشوُّقاً إلى العِلم اليقين فلا دليل فيه على إنكار البعث ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى. أولَمْ تؤمنْ بَلى ولكن لِيطمئنَّ قلبي - بالمشاهدة.

٨٥

والظُّلـم أن تُلـزَم مـا قـد جنـى عليـــك بهـــرامُ وبيـــدختُ

بْهرام وبيدَخت المرِّيخ والزّهرة وهي النحس الأصغر والسَّعد الأصغر وفي البيت حكاية سَعد الطّالع ونحسه كما عند الفلكيين وليس للمرء يد في ولادته حتى يُلام وهذه حجة للجبرية الذين يقولون لو شاء الله ما أسرفنا ولا آباؤنا ومما يجري به اللسان ولو لم يعتقده القلب.

٨٦

فـرش معدماً إن كـان يمكـن ريشـه ولا تفخـرَن بـينَ الأنـام بمـا رشـتا

يا أيها الذين آمَنوا لا تُبطلوا صَدَقاتكم بالمَنّ والأذى. أليس ذاك من هذا وقد ورد كثيراً الحض على صَدقةِ السر وإنها مطفئة لغَضب الرَّب وكتمان عَمَل الخير وأن لا تدري الشمال بما تفعل اليمين. وأفضل ما ورد فيه «إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم».

٨٧

والنفس شكّت في يقين الأمر ... والكفان إن رمتا قنيصاً شكّتا

يعني أن الشر طبع والخير تطبُّع تذكرت قول القائل :

وكنتُ كذبّاح العصافير دائباً ... وعيناهُ من وَجدٍ عليهنَ تهملُ

فهل هذا من ذاك . جرَّني إلى الشر طبع ساحب يطلب .

٨٨

ما انفكّتا ولديهما سبب الغنى ... تتمسكان به إلى أن فُكّتا

ظاهر يستشهد عليه بقول المتنبي : وبفك اليدين عنها تخلّ

٨٩

فلا تسأل المرءَ عن سنّه ... ولا ماله واخشَ أن تُعنتا

تعنت أي تشق عليه . قالوا من الأدب أن لا يسأل الرجل عن سنه ولا عن ماله فربما كره أن يُظهر لأهله أو لعدوه مالم يكن يحب إظهاره ففي ذلك عنَتٌ له أي مشقة وعسر وقصة السيرافي في هذا المعنى بلغت الغاية .

٩٠

أبَوْتُك يا اثمي ومن لي بأنني ... أبيتك فاشكر لا شكرت أبوّتي

أبَوْتُك يا إثمي صرت لك أباً فلي عليك نعمة الإيجاد وليتني أبيتك أي امتنعت منك فاشكر أبوتي لا شكرت ـ جملة معترضة ـ كراهة له منها .

٩١

ألا تَتَّقون الله رهَط مسلِم ... فقد جُرتمُ في طاعةِ الشَّهواتِ

القصيدة كلها تدل على شيعيَّته فإنه فيها يعاتِبُ قومَه زارياً عليهم كالذي تحمله الشفقة والحنان على تقريع من يحبه كما هو دأب كل غيور على مصلحة قومه ومن يمت إليهم بصلة .

٩٢

جَعَلتُم علياً جُنّةً وهو لم يزَل يعاقب من خمر على خَطَوات

أما يقولها كل من رأى أهل نحلته يتكاسلون عن الأعمال اعتماداً على أحاديث الإيمان والشفاعة وهاتان الخلتان إذا أسرفت فيهما الأمة عُدت إباحية وكانت سبب هويِّها إلى الحضيض كما نشاهد في الأقطار الإسلامية. وقيل اعملوا فسيرى الله عملكم. وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. فالفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمِّنهم من مكر الله.

٩٣

وشاهدٌ خالِقي أن الصلاةَ له أجَلُّ عنديَ من دُرّي وياقوتي

لا أظن أن هذه الكلمة تصدر عن قلب ملحد. وأين التعطيل من هذه الشهادة.

٩٤

كأنما اليومَ عبدٌ طالبٌ أمَةً من ليلةٍ قد أجدا في المُساعاةِ

المساعاة المباداة بالسعي والمساعاة من الأمة طلبها البغاء.

٩٥

مرَّ الزمانُ فأضحى في الثرى جَسَدٌ فهل تملّى رجال بالمَلاواةِ

تملى بالشيء انتفع به طويلاً والمَلاوة البُرهة من الدَّهر جمعُها مَلاوات قال تعالى: أوَلَم نُعمِّركُمُ ما يتذكر فيه من تذكر أي هل انتفعوا بطول العمر إنما الحياة لحظة أو مدى لفظة.

وعيشك فيها ألف عام وتَنقضي كعيشِك فيها بعضَ يوم وليلةِ

يريد هل اتعظوا والاستفهام إنكاري.

٩٦

إن الشرائعَ ألقتْ بيننا إحَناً   وعلّمتْنا أفانينَ العداواتِ

هذا مما يُؤخذ عليه وهل العالَم كانوا قبل الشرائع إخواناً على سُرُرٍ متقابلين نعم له بعض العُذر لو قال إن الناسَ همُ همُ قبل الشرائع وبعدها ولم يلق عليها تبعة النزاع فقال:

كم وعظ الواعظون منا   وقام في الأرض أنبياءُ

فانصرفوا والعَناءُ باقٍ   ولم يزَل داؤك العياءُ

أو:

جاء النبيُّ بحق كي يهذبكم   فهل أحسَّ لكم طبع بتهذيبِ

الكون في جملة العوافي   لا الكون في جملة العُفاة

٩٧

العوافي جمع عافية كل طالبة للرزق من دابة وطير والعُفاة جمع عافٍ أهل المسألة والكدية وكان يكره ذلك وله في لزومياته ذم كثير لمن يطلب الرزق من هذا الباب.

ويعجبُني دأبُ الذينَ ترهَّبوا   سِوى أكلهم كد النفوسِ الشحائح

وهذا الأدب من أخلاق النبوة. النهي عن السؤال. المستفيض في أحاديث عديدة.

٩٨

أثبتُ لي خالقاً حكيماً   ولستُ من معشرٍ نُفاةِ

هذا المعنى مكرر في لزومياته والإنسان على نفسه بصيرة فلسنا نكذبه بقوله هذا لأن العقول تلجأ إلى هذا الغرض بالفطرة مضطَرَةً.

٩٩

وجمع طوائف العُمّار سهلٌ   عَلينا بالجوالب مؤذماتِ

العمار سكان القفار من الجن والجوالب خرز تأخذ بها النساء أزواجها كالهنمة والينجلب والهمرة. من أوابد العرب. والأبيات في وصف مكائد النساء والتحذير من الوقوع في أشراكهن على رأيه من تجنب النسل.

١٠٠

زجاجٌ إن رفقتَ به وإلا وجدت ضروبه متقصِّمات

هذا من الحديث: يا أنجشه رفقاً بالقوارير. وهي أفصح وأبلغ وأدلّ على وجوب الرفق من كل ما ورد من الأمر باللطف مع الجنس اللطيف حتى في هذا العصر عصر النور.

١٠١

لا يعرف الدهر إلا معشراً غُلبوا فما استكانوا ولم يزهوا وقد فلجوا

بهاتين الخصلتين يعرف كاملو الإنسانية والمروءة إن كان لهم الغلب لم يبطروا وإن كان عليهم لم يضجروا. والشواهد على هذا المعنى كثيرة في شعره الحكمي وأشعار العرب ومنها.

يعودُ من كل فَتح غير مفتخرٍ وقد أغذَّ إليه غير محتفلِ

والأصل فيها: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم الآية لا يبطره الغنى ولا يذله الفقر فالصبر أمير جنود الإيمان.

١٠٢

رأيتُ الفتى كالعود يرتع مرة وإن مسَّتِ الأعباء كاهله ضَجّا

مرة لعلها مدة بطر بالنعمة جزوع عند النقمة إذا مسه الخير منوعاً وإذا مسه الشر جزوعاً لا يمل الخير الكثير ولا يصبر على الشر القليل.

١٠٣

الوقت يعجل أن تكون محللاً عقد الحياة بأن تحل الزيجا

يعني إن الوقت يعجل كأن تحل عقد الحياة الكثيرة بتحليل الزيج وهو الكتاب الذي يأخذ منه الفلكيون معرفة أحوال الكواكب والتقاويم التي يحسبونها لحلول السيارات في البروج وغيرها ومعرفة أوقاتها. أو المعنى إن الوقت يعجلك بتحليل عقد الحياة عن تحليل الزيج لأنه سريع المرور ولا يتأنى. وذاك عمل يحتاج إلى الوقت الطويل.

١٠٤

إنَّ عصاكَ وهي المعوجَّة تُحدِث في رأس أخيكَ الشجّه

أي لا تحقر الشر مهما كان صغيراً فليس صغيره بصغير وفي الحب ينفع العضو الأشل كما سيأتي له:

١٠٥

وكم وطئت أقدامنا في تُرَابها جبينَ أخي كبرٍ وهامةَ أبلجِ

معنى مكرر مأخوذ من روايات بعض الفرق الشيعية عن أئمتهم وقد كان قديماً يعد في الخرافات أما الآن فقد حققه العلم ووضعه في قائمة الثوابت:

لعل مفاصل البنّاء تضحي طلاءً للسقيفة والجدارِ
لعل إناءً صيغ منه لحاجةٍ فيأكلُ فيه من أراد ويشربُ
ويحمل من أرضٍ لأخرى وما درى فواهاً له بعدَ البلى يتغرَّبُ

وتكرر هذا المعنى في رباعيات الخيام ولزوميات المعري حتى قيل بأن الأخير أخذ من الأول. وهو مستفيض في الروايات الواردة عن أهل البيت فلعلهما استقيا من ينبوع واحد.

١٠٦

وانظر إلى نفسك اللؤمى بمنظَرها ولو غدوتَ أخا ملك وتتويج

اللؤمَى تأنيث الألأم تفضيل من لؤم كان لئيماً أي دنيء الأصل.

والإنسان مهما شرف فأوله نطفة وآخره جيفة (النهج) فلو مشى الناس على هذه

الحكمة لزالت الشرور. أو لقلّت حتى ندرت ومن ذا الذي يضع نفسه موضعها ويزنها بزنتها ويعرف حده فيقف عنده فيفوز برحمة الله.

١٠٧

وَصلَ الهجيرَ إلى الهجير لعله ... بالخلد يظفر بالهواء السَّجَسَج

يقول بعض المتأخرين:

عبادة المخلوق للخالق ... عبادة المرزوق للرازق

لولا عطاياه وجناته ... أبوابه بائت بلا طارقِ

هل تعلم الحور وما خوطبت ... كم بيننا من ناسك عاشقِ

يعني إن صيام الهواجر وقيام الدياجر إنما هو للفوز بنعيم الجنان لا حباً وشوقاً لجلالة العظيم وأفضل ما أثر في هذا المعنى قول الإمام الوصي بتقسيم عبادة الأحرار والتجار والعبيد ولهذا قال الولي المخلص - هو الأمير حسن بن مكزون السنجاري -.

رغبتُ في النارِ فرُحت زاهداً ... في جنة بوعدها غيري يُغَرّ

ولِحُبِّيَ الصبرَ الجميلَ زهدت في الجنات حين رغبت في النيران.

١٠٨

إذا ما مضى نَفَسٌ فاحسُبْنُهُ ... كالخيط من ثوب عمر نهَج

نهج الثوب بلي حتى تناثرت خيوطه. كَرر هذا المعنى وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين «نَفَسُ المرء خطاه إلى أجله» كأن كل نَفَسٍ يدنيه إلى الأجل خطوة.

١٠٩

لقد سنحت لي فكرة بارحية ... وما زادني إلا اعتبارا سنوحها

البارحية نسبة إلى البارح يُتشاءم به كما يتيمن بالسانح وقد ورد النهي عن التطير ونحوه حسماً لأوابد العرب. وكأنه في فطرة المرء يتطير ولو كان يعلم حق العلم أنه لا يثمن ولا يغني والأبيات بمعنى ما أكثر العبرة وأقل الاعتبار.

١١٠

نطيح ولا نطيق دفاع أمرٍ فكيف يروعُنا الغادي النطيحُ

أي لماذا يهتم المرء إذا كان ليس في إمكانه جلب خير ولا دفع شر ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً والنطيح مما تتشاءم به العرب كالبارح وهو ما يستقبلك بوجهه من الحيوانات الوحشية.

١١١

ولم يك أهل خيبرَ أهلُ خُبرٍ بما لاقى السلالم والوطيح

هذا كقوله:

يعيّرنا لفظ المعرَّةِ أنها من العزِّ قوم في العلى غرباءُ

بياناً لمباينة الأسماء للمعاني. فهو في هذا يرد على من يشغل قلبه بما لا يفيد ويوضح أن الأسماء تباين المعاني فما كان أهل خيبر أهلُ خُبْرٍ كاسمهم بما لاقى السلالم والوطيح وهما حصنان من حصونهم.

١١٢

رأيتُ الغيبَ تجهلُه البَرايا فما شق هُديتَ وما سطيح
فلا يعلم، من في السموات والأرض، الغيب إلا الله

وحكايات الكهان وما يُؤثر عنهم من الأخبار بالغيب عندهم يضيق عنها نطاق الحصر. وربما كانت هي الأصل لما عندنا من التدجيل في الرمل والمندل والفلك والروحاني ومعرفة السعود والنحوس التوابع ونحوها من الشعوذات لأكل أموال الأيتام والأرامل والمساكين.

١١٣

يشقَى الوليد ويشقَى والداهُ به ... وفازَ مَنْ لم يولّدْ عقلَه ولدُ
إذا تلبَّس بالشجعان جبَّنهم ... وبالكرام أسروا الضن أو صلَدوا

هذا رأيه وفيه خراب الكون لو تم نزل النبي صلى الله عليه وآله عن المنبر حين رأى الحسنين يتعثران في ثيابهما وأثرت عنه هذه اللفظة الحكيمة: «الولد مبخلة مجبنة» ومنها أخذ فيلسوفنا هذا قوله. ولكن الغرضين متباينان.

١١٤

وأشرف الناس في أعلى مراتبه ... مثل الصديد ولكن قيل صنديدُ
ما كِبرُهُ وثقيل اللّحن يمنعهُ ... من سرعة الفهم ترسيلٌ وتمديدُ

ثقيل اللحن نوع من الغناء له ضروب تطلب من الأغاني وترسيل لعلّها ترتيل وقوله ما كبره استفهام توبيخ كأنه يقول ما للإنسان والكبرياء. فالكِبر يخف بوزن الإنسان كما أن ثقيل اللحن يمنعه من القبول الترديد والترتيل فيفوت السامع فهم المعنى.

١١٥

أما الصحابُ فقد مرّوا وما عادوا ... وبيننا بلقاء الموت ميعادُ
سرٌّ قديم وأمرٌ غير متَّضح ... فهل على كشفِنا للحق إسعادُ

هذا كقوله:

خذ المرآةَ واستخبر نجوماً ... تجيء بمطعم الأري المَشور
تدل على الممات بلا ارتياب ... ولكن لا تدل على النشور

وليس هذا بدليل على إنكار البعث فقد سبقه القائل:

ما جاءنا أحدٌ يخبر أنه ... في جنة مذ مات أو في نارِ

يقولها المؤمن تشوقاً إلى معرفة اليقين العيني:

والناسُ مثل ضراء الصيد انْ غَفِلَتْ عن شأنها فلها بالطبع إيسادُ

الضراء الولع بالصيد طبعاً والإيساد إغراء الكلب ونحوه من الحيوانات الضارية بالصيد. والمغزى واضح وينقل في ذلك حكاية الطبع والتطبع بين أحد الملوك وبين وزيره وأن الملك عود بعض الهررة على حمل الشموع مبكتاً وزيره بأنه متى كان من طبع هذه حمل الشموع بين أيدي الملوك فطرح الوزير فأرة على غفلة فتواثبت إليها الهررة وألقت الشموع من أيديها على بُسطِ الملك فقال له الوزير أرأيت كيف غلب الطبع.

١١٦

النـاس للأرض أتبـاع إذا بخلـت ضنوا وإن هي جادت مرةً جادوا

المعنى مأثور عن مولانا الحسن السبط: الناس أبناء الدنيا إن أجدبت أجدبوا وإن أخصبت أخصبوا والقطعة كلها من الحكم المأثورة غير محتاجة إلى شرح.

١١٧

تعاقب الأنعم الرزايا ويخلف الجابه العقيدُ

الجابه الذي يأتي من قدام وضده العقيد وهما من أوابد العرب.

١١٨

أحسن بما القَيلُ فيه غادٍ لو لم يكن قصره الصعيدُ

القيل الملك وقصره غايته والصعيد يريد به القبر ينعي على أهل النعيم غرورهم واغترارهم بطول الأمل مع قصر المدة.

١١٩

حمامةٌ في غصون أيكٍ ناحَت فأنشأت أستعيدُ
وما فقهت المراد منها كل فقيه له معيدُ

هل أراد بالمعيد المسمع بين يدي المحدث أو العالم ما يريد إعادته وتقريره ليفهم الطلبة أو السامعون وإلا فالبيت مشكل.

١٢٠

يحــرق نفـــسه الهنــدي خوفـــاً ... ويقــصر دون مــا صــنع الجهـــادُ
ومـــا فعَلَتـــه عبـــاد النـــصارى ... ولا شـــرعية صـــبأوا وهـــادوا
يُقـــرِّب جـــسمَه للنـــار عمـــدا ... وذلـــك منـــه دِيـــنٌ واجتهـــادُ

ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها. ولذلك خلقهم قد تفنَّنَ نُسَّاكُ الأديان بصنوف التقشف وحظر النفس عن شهواتها من مسيحيين ويهود ومسلمين ولكن الهنود فاقوا الجميع وفضلوهم في هذا الباب. ومن يقرأ أخبارهم في ذلك ير العجب العجاب. ومنه ما ذكره هذا الفيلسوف في أول القطعة والعاقل من يضع الأشياء مواضعها وما عُبِدَ الله إلا بالعقل لا إفراط ولا تفريط وخير الأمور أوساطها.

١٢١

غــدا أهــل الــشرائع في اخــتلاف ... تُقَـــض بـــه المـــضاجعُ والمهـــودُ
فقـد كـذبَت على عيـسى النـصارى ... كمـا كـذبَت علـى موســى اليَهـودُ

لا ريب في هذا القول ولا مرية ولكنه تمهيد لقوله بعده:

ولم تَـــستَحدثِ الأيـــامُ خلقـــاً ... ولا حالـــت مـــنَ الـــزمَن العهـــودُ

أي وكذلك فعل المسلمون.

تعالى الله ما تلقَى المطايا ... من الإنسان والدنيا تصيدُ
إذا سلمت فنصٌّ في المَوامي ... قواصدُ ما به فني القصيدُ

النص سرعة السير والموامي جمع موماة الأرض القفراء أي سلامتها للشقاء والعناء وقطع الفلوات مع كل هذا.

ومـا ينفـكُ في السـنَوات مِنهـا   حليـبٌ أو نحـيرٌ أو فَصيدُ

السنوات سنوُّ الجدب والقحط. حليب بمعنى محلوب مثل نحير بمعنى منحور والفصيد بمعناها كانوا يفصدون الناقة أو البعير ويخلطون بما يخرج منهما من الدم شيئاً يأكلونه أيام المجاعة أي إن حياة الإبل لمثل هذا فأي نفع لها منها والمغزى كذلك في حياة الإنسان وفيه النهي عن عدم الاغترار بهذا العالم الغرار.

١٢٢

زعَم الفلاسفةُ الذين تنطّعوا   أنَّ المنيـة كسرها لا يُجبَرُ

قـالوا وآدم مثـل أوبـر والـورى   كبناتـه جهـل امـرؤٌ مـا أوبَرُ

هذا الرأي ينسبه إلى الفلاسفة الذين يزعمون أنه لا يوجد للبشر أب واحد منه تفرعوا كما في التقليد المشهور عند أصحاب الأديان الكتابية كما في قوله:

ومـا آدم في شـرعة العقـل واحـدٌ   ولكنـه عنـد القيـاس أوادمُ

وأنَّى له ذلك لو لم يكن ذا علاقة كبرى بإخوان الصفاء، وربما كان يميل إليه في سره. ولا يخدعنك فإن هذا الإنكار إلفات نظر إلى ما ينكره وتقرير له في ذهن السامع.

رأيه في ما يجب على شارح أبي العلاء

لقد أمعنت الروية وأطلت إجالة الفكر في هذا الكتاب فوجدته باعتبار ما فهمته منه ثلاثة أقسام:

قسم في غاية الوضوح يعد شارحه متبرعاً في توضيح الواضحات بل ربما شرح العبارة الفصيحة بلغة ركيكة فزادها غموضاً وعذر من رجع عليه باللائمة وكان عرضة لهزء المستهزئين من النقد المتَفيهقين.

وقسم ظاهر المعنى غير محتاج إلا لشيء يسير من البحث والتفتيش وإعمال الروية والإناة في إبراز معانيه.

وقسم في غاية الإشكال والغموض والدقة ليس من حيث اللغة والمضامين العالية فحسب بل لبعد عصره منَّا واصطلاحهم على أنواع من الاستعارات والكنايات (في مخاطباتهم) لم تكن مستعملة في وقتنا هذا علاوة على اطلاعه من العلوم وحوادث الزمان ما لم نطلع عليه ولا يخفى ما لاختلاف العصور في الأذواق والاصطلاحات والتعابير من أسباب الغموض وربما أعانَ على ذلك التصحيف والتحريف الذي لم نهتد لإصلاحه.

فمن القسم الأول قوله:

رويدكَ قد غُررتَ وأنت حرٌّ   بصاحب حيلةٍ يعِظُ النساءَ

الأبيات: فبماذا يشرحها الشارح ومعناها يسابق ألفاظها إلى الفهم إلا أن يأتي بنوادر أصحاب الحيل واغترار السذَّج بهم وخاصة النساء لما في طبيعتهن من التدين الفطري وتصديق الأوهام والخرافات إلى وصف المرعى الخصيب الذي يرتع به أهل الدجل عندهنَ وعند البسطاء وذكر من غُرَّ بظاهر المتنسكين فخدع به تاركاً حسن التبصر ظهرياً.

بل ماذا يقال في شرح هذا البيت:

يحرِمُ فيكم الصهباءَ صبحاً   ويشربُها على عمدٍ مساءَ

هل يجد ما يقوله زيادة على ما يظهر للأمِّي منه إلا أن يأتي بذم الرياء وما ورد فيه ويتبسط بشرح هذه القصص وإيراد الشواهد حتى يملها القارئ والسامع.

ويقول على هذا البيت:

يقول لكم غدوت بلا كساءٍ   وفي لذاتها رَهنَ الكساءَ

ما قال السروجي في كديتهِ: يا قوم لا ينبئكم عن فقري أكثر من عريي أوان القَر فإن التظاهر بالعري أدعى إلى الرأفة بالسائل من غيره من وسائل الكدية ونحو ذلك مما يمت به المتكلم إلى الإسهاب والإطناب.

إذا فَعلَ الفَتى ما عنه ينهَى   فمِن جهتَين لا جهةٍ أساءَ

شعر موزون وكلام منثور لا يؤتى لتفسيره بكلام أجلى منه.

ومن القسم الثاني قوله:

الطيلسانُ اشتُقَّ في لفظه   من طِلسةَ المبتكرِ الخامع

الخامع صفة لذئب في مشيته (كالذئب يصطاد الغزال ويظلع) والطلسة صفة للذئب الأطلس لا إنها هي هو.

وقوله:

ما لي رأيتك لا تلِمُّ بمسجد   حتى كأنك في البلاغ السابع
سَبِّح بواحدة ففيها بُلغَة   للمتقين وكل بخمس أصابع

إنَّ دعاة الإسماعيلية كانوا يتدرجون بالمريد في سبع مراحل وقد وضعوا لكل مرحلةٍ كتاباً يسمونه البلاغ والسابع منها أعلاها وآخرها وبه يبلغون أعلى المعرفة التي تسقط التكاليف.

ومن القسم الثالث قوله:

أما شُغل الأنام عن التقافي   بما وعد الزَّمانُ من التَّقفي

فإنه يريد بالتقافي الاغتياب وبالتّقفي الغيبة في القبر ومثله قوله:

أرى حسن الشمائل منك حثَّت   عليه الأيمن المتوسَّداتُ

أي ارتفاق المرء يمينه في القبر:

نام في لحده ووسد يمناه   فخلناه قام فينا خطيباً

وهذان القسمان بيانهما على الشرح إن تم فإنهما موضوعه وإلا فالشاهد والاثنان لا يوضحانهما.

غوامضُ أبي العَلاء

والمآخذ على شرح اللزوميات «لأمين عبد العزيز» كتب العلامة الإمام هذه المآخذ في رسائل وجهها إلى أحد تلامذته في المهجر «يوسف صارمي» صاحب مجلة «المواهب» الذي نشرها تتابعاً في مجلته.

بعد ثمانية قرون ونيف أشعر أبو العلاء كما قال نشوراً فنشر. وقد شغلت أفكار العلماء، بفلسفته فتسابق الكتاب إلى درسها وتعليلها وتحليل نفسيته فأكثروا وأطابوا وأجادوا بما أفادوا اختلفت منهم وجهة الأنظار فذهب كل منهم مذهباً اختاره فمنهم الجائر والمقتصد والقارئ النبيه يفهم من تحليلهم لنفسيته والحكم عليه تحليل نفسية الكاتب ودخائله ومخائله وما ينطوي عليه لأن الكثيرين ممن كتبوا عنه وحللوا أفكاره إنما حللوا أنفسهم وكشفوا عن النواحي الخفية فيها لا عن نفس أبي العلاء فمنهم من عده في صنف الموحدين ومنهم من حشره في زمرة الملحدين إلى غير ذلك مما تدفعه إليه الغريزة الأكثر تسلطاً على مشاعره فكأنه مرآة مجلوّة تتراءى بها صورة الناظر لا المرآة. ذاك لأن أبا العلاء لغز معمى لم يُحَلّ حتى الآن. فلنترك الخوض في عُباب هذا البحث وندعه لرجاله ولنكتب عنه ما نعرفه وندع الفلسفة لأهلها أيضاً فقيمة كل امرئ ما يحسنه.

أخرجت المطابع حتى الآن من اللزوميات ثلاث نسخ مشروحة الأولى منها طبع الهند ولطابعها وشارحها الفضل العظيم على من جاء بعده والمآخذ عليها وإن كانت كثيرة فما أُخِذ منها أكثر. والثانية طبع مصر مصدرة بمقدمة بليغة «لكامل كيلاني» مشروحة بقلم «أمين عبد العزيز» وهذه النسخة أردأ نسخ اللزوميات كثيرة التصحيف والتحريف طبعاً والغلط والشطط عن جادة الصواب شرحاً والثالثة مشروحة بقلم «عزيز زند» محرر جريدة المحروسة المصرية سابقاً وهي قريبة بشططها وغلطها من الثانية التي ليس بيدنا الآن غيرها.

وقد عزمت على أن أرسل لك نموذجاً مما يستدرك عليها بدون استقصاء لأن ذلك يتعذر ومنه تعلم أي هدف يجعل نفسه من يتعرض لما فوق طاقته ويتكلف ما ليس في وسعه ويضع نفسه في غير محلها.

(تنبيه) ربما تركنا إيراد بعض شرح الأبيات لطوله منبهين على ما فيه اعتماداً على أن النسخة موجودة عندكم.

قال:

١

أرابيك في الود الذي قد بذلته فأضعف أن أجدي لديك رباءُ

جعل الشارح أرابيك من راباه إذا داراه. وهو من المراباة أي المعاملة بالربا المعلوم وفسره بقوله: فأضعف أن أجدي لديك رباء. أضعف الشيء وضاعفه جعله أضعافاً والضعف المثل.

٢

وكيف تلافيَّ الذي فات بعدما تلفع نيران الحريق أباء

يريد أن تدارك ما فات متعذر بعد اشتعال الشيب بلمته اشتعال النار بالحلفاء فلا يمكن إطفاؤها والأباء القصب واحدته إباءة. فاقرأ الشرح.

٣

إذا نزل المقدار لم يك للقطا نهوض ولا للمخدرات إباء

يصور لنا بأس القدر وشدة سطوته وقدرة أخذه وأنه إذا نزل لم يكن للقطا الموصوفة بسرعة الطيران نهوض ولا للأسود المخدرات في غابها امتناع منه والشارح يجعل المخدرات المستترات أي ذوات الخدر من النساء. ومتى ضرب المثل بهن في الإباء. ما هكذا تُورَدُ يا سعد الإبل.

٤

همُ ضاربوا أولاد فهرٍ وجالدوا على الدين إذ وشي الملوك عباءُ

أي قبل الحضارة الزائفة والانغماس بالترف وعدم الاعتداد بالشرف. يشير بقوله (هم) إلى الأنصار. وأولاد فهر بني قريش.

٥

ضِراباً يطير الفرخ عن وكر أمه ... ويترك درع المرء وهو قباءُ

أم الرأس الدماغ. والفرخ مقدم الدماغ. فهو يلغز بطيران الفرخ عن وكر أمه إلى هذا المعنى وهل يجهل أم الرأس فيقول له الشارح ضراباً بمعنى ضرباً والفرخ هنا الرأس وطيرانه كنايةً عن قطعة (والأبيات تقتضي الإبانة عن معناها طولا محله الشرح القائم برأسه لا الاستدراك كما هنا).

٦

أنس على الأرض تدمي هامها إحَنٌ ... منها إذا دميت للوحش أنساءُ

الأنساء جمع نَسا، عرق من الورك إلى الكعب. ينعى على الحيوان العاقل بزعمه الاعتداد بنفسه ويفضل عيش الحيوان الأعجم على عيشه لأن الإنسان تُدمي الحقود والإحن هامَهُ إذا دميت أنساء الوحشي لمشيه حافياً فأي الحالتين أنكى وأضرّ وأدهى وأمَرّ ولك أن تقيس ما يتولد من معنى هذا البيت على ما ظهر. والشرح في نسختنا من العجائب لو نظرته.

٧

نوديتَ ألويتَ فانزل لا يراد أتى ... سيرى لوى الرمل بل للنبت إلواءُ

ألوى الرجل أتى اللوى ومنه يقال ألويت فانزل أي بلغت الغاية التي تريدها والمحلّ الذي تقصده وألوى النبت ذبل وذوى وهذا البيت من أقواله التي فسرها بنفسه مشيراً إلى المعنى المقصود من محتملاتها فهو يوضح أن مراد القائل له ألويت فانزل من الثانية لا من الأولى فاقرأ الشرح وانظر الغرائب.

٨

أتدري الشمس أنّ لها بهاءً ... فتأسفُ أن يفارقَها الأياءُ

أيا الشمس بالقصر وأياؤها بالفتح والمد نورها وحسنها ومراده أن العقل مصدر الهم وقرينه فحيث يكون يكون. فلا عبرة بقول الشارح.

٩

كَرِيَت فسُرَّت بالكرى وحياتُها أكرت فجر نوائباً إكراؤها

الإكراء من الأضداد يطلق على الزيادة والنقصان يعني إنّ طول الحياة يَجرُ النوائب فلا تُسَر به النفس كما تُسَر بالكرى إذا كريت (أي النوم إذا نعست) أخْذاً من قوله:

تعَبٌ كلها الحياة فما أعجَب إلا من راغب في ازدياد

وقوله

يُسَرّ إن مُدَّ بقاء له وكلما يكره في مدِّهِ

وما أسخف الطبع والشرح وما راءٍ كمن سمع.

١٠

دُنياكَ ماويَّة لها نُوَبٌ شتَّى سماوية وأنباءُ

الماوية المِرآة كأنّ صورة الأعمال تظهر بها وبها سميت المرأة ماوية بكل معانيها.

١١

قد رمى نابل فأصمى وأنمى ولياليك ما لها إنماءُ

أصمى قتل في الحال بخلاف أنمى فقد يتحمل المرمي بجرحه وإن قتله أخيراً والليالي ليست كذلك.

١٢

وهَلْ أعظُمٌ إلا غصونٌ وريقة وهل ماؤها إلا جنيٌ دماء

يريد إن الإنسان ابن الطبيعة كالنبات فأعظُمُهُ كالغصون ودمه كالماء الجاري فيها.

١٣

يقال إن زماناً يستقيد لهم حتى يبدّلَ من بؤسي بنعماءِ
ويوجد الصقر في الدرماء معتقداً رأي امرؤ القيس في عمرو بن درماء

الدرماء الأرنب. وقصة الأبيات والتجاء امرؤ القيس إلى عمرو بن درماء مشهورة ولكن ليس هذا قول الشيعة وحدها بل كل أصحاب الأديان الكتابية يُنقلَ عنهم مثل هذا. فقول الشارح إن هذا من قول الشيعة إلقاءً لتبعته عليهم من التقليد الأعمى ومثله قوله شرحاً للبيت الآتي:

١٤

أفيقوا أفيقوا يا غواةُ فإنما دياناتكم مكرٌ من القدماءِ

قال القدماء أهل الكتاب كانوا يمكرون بأتباعهم إلخ لم يخص بهذا المعنى أهل كتاب بل يعم عنده أهل النحل كافةً:

فأصحاب الشريف ولا تساوٍ كأصحاب ابن زرعة وابنِ سمح

ولماذا هذا التَّمَحُّل:

فقد كَذَبَت على عيسى النَّصارى كما كَذَبَت على مُوسى اليهودُ
ولم تتحدثِ الأيامُ خُلقاً ولا حالت من الزمنِ العُهودُ

أليس من الواضح الجلي أنه يقول وكذلك فَعل المسلمون. ولكنَّ درعه الذي يقيه عاديةَ المهاجمين قولهُ صلى الله عليه وآله: لتسلكُنَّ سبيل الأمم قبلكم حتى لو دخلوا حجر ضبٍّ لدَخَلتُموه. قالوا: اليهود والنصارى؟! قال: فمَن إذاً؟!

١٥

والمِصرُ آنَسُ منه خرقَ مفازَةٍ أنِسَ الدَّليلُ بقافِها مع طائِها

حكايةُ صوتِ القَطا (تفضيلاً لعيش العُزلة) وقد أطال الشارحُ على غير طائل فانظر واعتبر.

١٦

وعامـــل قـــوتٍ ذرا جبـــهُ   وخـدنِ رِكـازٍ (ضَـحَى فـاذّرى)

قال ضَحا بَرز وظَهر وقولهُ فاذّرى من ذَرى الشـاةَ جزّ صوفَها .. إلى آخر هذيانه. وإنما هي (صِحافاً ذَرى) ولولا الشـرح لقلنا غَلَط مَطبعيٌّ.

١٧

وكـــورُك فـــوق طويــــل المطـــا   وسَـــرْجُك فـــوق شـــديدِ القِـــرى

طويل المطَا يريدُ به البَعير لأنَّ الكور أي الرَّحل من أدَواته والسَـرج من أدوات شـديد القِرى أي الظَّهر وهو الفرس والشّارح عَكَـسَ.

١٨

وتجـــــري دفاريهـــــا جـــــدها   بمثـــل الظـــلام إذا مـــا جَـــرى

قال الشارح دفار الدنيا كذا يسميها المعري وتكرر منه ذلك كثيراً وفي (م) ذفاريها وقال جمع ذفرى وهي العظم الشاخص خلف الأذن. انتهى.

فماذا فُهم من البيت. إنَّما هي ذفاريها كما في المصرية جمع ذفرى. وعَرَق الأبلِ أسـودَ ولذلك قال بمثلِ الظلام إذا ما جرى بخِلاف عرَقِ الخيل فإنه بعد يَبْسـه يَبْيضّ قال في السَّقط :

كـأنَّ الـركْض أبـدى المحـض منـه   فمـــجَّ لبانُـــهُ لبَنـــاً صَـــريحاً

والأبل ينضح عرقها كالقطران.

١٩

ولا تحقـــر المـــزدرى في العيـــون   فكـــم نفـــع الهـــيِّنُ المـــزدَرَى

قال الشارح المزدرَى الأولى المحتقر والثانية الأسد فهل فهمت للبيت من معنى. يريد أن عمل الخير مهما قل يجب ألاّ يُحتَقَر.

ولا تحتقِــر شَــيئاً تــضاعفه بــه فكم من حَصاةٍ أيدت ظهر مجدلِ
ومـا كبـد العُـصفور وهـي ضـئيلةٌ بعـاجزةٍ عـن ضَبطها نفسَ أجدلِ

أي صقر وفي الحديث: اتقوا النارَ ولو بِشقِّ تمرةٍ تحريضاً على عمل الخير وأنه مهما قلّ فليسَ قليلهُ بقليل.

٢٠

نَهـارٌ يُـضيءُ وليـلٌ يجـيءُ ونَجـمٌ يغـورُ ونجـمٌ يُـرى

البيت كما هو واضح وأن تقلُّبَ الزمان على نظام متقن. والشمس والقمر آيتان من آياتِ الله لا تنكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتهِ والشارح جعل يجيء مِن أجاءهُ إذا اضطرهُ إلى المجيء فانظر كيف تصرف بها.

٢١

وأمـسِ ثَـوى راعيـكَ وهُـو مـودَّعٌ ولـو كـانَ حيّـاً قـامَ في يـدهِ قَعـبُ

المفهوم منه أنَّ المرءَ لا يعتبر بالعِبَر (ولو رُدّوا لعادوا إلى ما نُهوا عنه) فتفسير الشارح للرَّاعي بالأب مما لا يعلم إلا بالتوقيف.

٢٢

(وكـلُّ أديـبٍ) أي سـيُدعىَ إلى الـرَّدى مِـن الأدبِ لا أن الفتـى متـأدِّبُ

هكذا ضُبطت (وكل أديبٍ) بالإضافة والصواب. وكلٌ أديبٌ. ثم فسرَ فقال: إنه أديبٌ من الأدب مصدر دعاه إلى المأدُبة. لا أنه أديبٌ من الأدب المعلوم. وهذا البيت من جملة الأبيات العديدة التي فسرها المعري مبيناً المعنى الذي يريدهُ من محتملاتها كقوله:

يـا صـاع لـستُ أريـدُ صـاعَ مكيلَـةٍ فأُضـيفهُ لكـنْ أُرخِّـمُ صـاعِداً

وله غيرها بمعناها.

٢٣

فهل لسُهيلٍ في معدِّكَ ناصرٌ إذا أسلمَته للحوادث يعربُ

قال الشارح : سُهيل نَجمٌ معروف وسُهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأراده هنا . هذا كل ما قاله في شرح هذا البيت .

سُهيل هو النَّجم اليمني المعَروف . ومغزىَ البيت : من ضيَّعه الأقربَ أُتيح له الأبعدَ . كأنه يستفهم مشيراً إلى هذا المعنى . وما دخل سهيل بن عبد الرحمن هنا . كأنه عرض له قول ابن أبي ربيعة :

أيها المنكِحُ الثُّريا سُهَيلاً عَمَركَ الله كيفَ يلتَقيانِ
هي شاميَّةٌ إذا ما استَهلَّت وسُهَيلٌ إذا استَقلَّ يمانِ

مع تفسيرهم لهما فسبق إلى وهم . والله أعلم .

٢٤

أخلاقُ سُكان دنيانا معذِّبَةٌ وإن أتتكَ بما تستعذِبُ العذبُ

قال الشارح . العَذب القَذى . لم يزد . والعُذب جمع عذبه للغصن والعمامة لا القذى يشير إلى مخالفة الظاهر الباطن .

٢٥

في طاقة النَّفس أن تغنىَ بمنزلها حتى يُجاف عليها للثرى بابُ

يجاف يغلق من أجاف البابَ ردَّه جعله الشارح من باب أوجف وأطالَ الشرح فما أصاب .

٢٦

أذى من الدهر مشفوع لنا بأذى هذا المحل بما نخشاه مرباب

من ربَّ بالمكان لزمه وأقامَ به لا من الأرض الكثيرة النَّبات كما في الشرح .

يزورُنا الخيرُ غِبّاً أو يجانُبُنا فهل لِما يكرهُ الإنسانُ إغبابُ

الإغباب من أغبَّ الزيارة ومن لم يسمع «زُرغِباً تَزْدَدْ حُباً» ؛ لا مِن الإغباب الدَفع .

٢٧

يا صاحِ ما أَلِف الإعجابَ من نَفر إلا وهُم لرؤوسِ القومِ أعجابُ

الأعجاب الأذناب جمع عجب أصل الذنب أي لا يتكبر إلا وضيع في نفسه .

٢٨

وأنك منذ كونِ النَّفس عنساً لتوضع في الضَّلالة أو تخبُّ

العَنْس الناقة الصلبة القوية . وقول الشارح (العنَس الحَبس) غلط لغةً ومعنىً .

٢٩

ألا عَدّي بكاءً أو نحيباً فَمِن سَفَهٍ بكاؤكَ والنحيبُ

قال عدّي في النسختين و(خ) مأخوذ من قولهم عدِّ عما ترى أي اصرف بصرك عنه وأرى أنه من أعدّ للأمر عدَّته إذا هيَّأه . وهذا الأخير غلط والصواب الأول فانظر كيف رجَع عن الصواب إلى الخطأ وقدَّمه عليه .

٣٠

لعلَّ شوائماً رمقَتْ ومَيضاً تَبيدُ وما لها فيه نَصيبُ

تبيد تَهلك من بادَ هلكَ . والبيتُ يَحُض على الزُهد وقَطع الأمر وعدمَ الحرص والطَّمع وإن المرءَ يؤمِّل ما لا يدركهُ ومعناه أظهر مِن أن يُشرح وإنما السرّ في قول الشارح تبيد تذهب في البيداء .

٣١

يا صالِ خَفْ إن حلبتَ درَّتَها أن يترامى بدائِها حلَبُ

يا صالِ مرخم صالح ولو انتبه الشارح لذكر لنا الأمير صالح الكلابي واستيلاءَه على حلب وشفاعة المعَري عنده في أهل بلدهِ ولما ردَّ على من فسَّر الدرة بالضرع وحلب باللبن المحلوب وهو مقصود الشاعر والكلام في البيت والشرح والرد عليه يطول.

٣٢

رأيتَ قَضاءَ الله أوجبَ خلقه وعاد عليهم في تصرفه سَلبا

الإيجاب الإثبات والسَّلب النفي ضدان والشارح يقول أوجب ألزم.

٣٣

واحذر دعاءَ ظليمٍ في نعامتهِ فرُبَّ دعوةٍ داعٍ تخرق الحجبا

نحلة المُعري بتحريم الظلم والاعتداء حتى على الحيوان الأعجم مشهورةٌ فهو في هذا البيت ينهى عن الظلم ويحذّرنا دعوة المظلوم التي ما دونها حِجاب ولو كان ظليماً فكيف به إنساناً فاسمع ما يقوله الشارح: الظليم ذكَر النعامة وهو حيوانٌ مركَّب من الطير والجمل كنَّى به عن الظَّليم فعيل بمعنى مفعول أي مظلوم وبالنَّعامة عن ظُلمه الليل. أليس ذلك التفسير من الإلهام.

٣٤

سرحوبُ عمَّنْ، سرى للهِ مبتغِياً وجناءَ في الكور أو في السرج سرحوبا

السُّرحوب الفرس والسَّرج له كما أنَّ الكُور للنَّاقة وقد أعاد النَّغمة التي مرَّت عليكَ بالكور والسرج والحُوب الذنب والعار يدعو بانكشاف الحُوب عمَّن يسعى في طلب المعالي.

٣٥

يقفو اللئيمُ كريمَ القوم مكتسِباً إن السَّراحِينَ يتبعن السَّراحيبا

قال أيضاً السَّراحين الذئاب والسَّراحيب واحدها سرحوب الناقة الطويلة. والمراد بها هنا الخيل (ماذا لقينا من الجُرد السَّراحيبِ) لا الناقةَ الطويلةَ.

٣٦

يا راعي المصر ما سُومت في دَعَةٍ وعرسكَ الشاة فاحذَر جارك الذيبا

يصح كون ما شرطية ومصدرية والمِصر البلد والراعي الوالي يُخاطبه بقوله: ما سوَّمتَ في دَعَةٍ أي رعيت سَوامك وحَرَسْتها فيجبُ عليك الاحتراز على عرسِك الشاة من جارك الذّيب كما تحرس السوام منه أي تَنَبه إلى دقيق الأمر كما إلى جليلهِ والألباب تأخذ منه على قدر القَرائح والفهوم فقول الشارح المِصر من صرّ الناقة إذا شد ضرعها بالصرار إلخ... وهمٌ لا مرجع له إلا التخمين.

٣٧

لا ظُبَةُ الصارم باشرتُها فيك ولا زرتُ لحجي ظُبَةُ

قال ظِبةُ الصارم حده. ولم يقل وظُبةَ أيضاً اسم لمكة المكرمة يطلب العون من مَولاه وإن لم يُجاهدْ ويحج وهما من أفضل الأعمال وفرضهما ساقطٌ عنه بفتوى الكتاب المَجيد.

يقومُ الفَتى من قبرهِ إن دعوته وما جرَّ مخطوطٌ له بالرواجبِ

معنى البيت مفهوم ولكنَّ الشارح يوضح بقوله جرَّ فعل ماضٍ بمعنى جنى من قولهم جر على نفسه أو غيره جنى جنايةُ والمَخطوط الرمحُ يخط في الأرض والروَاجب العظائم وهنا العبرة وذكر من فسر الرواجب بمفاصل أصابع اليد وهو الصحيح ثم قال وعامر (أي المذكور في البيت التالي).

عصا النُسك أحْمَى ثمَّ مَن رمح عامرٍ وأفخرَ عند الفخر من قَوس حاجبِ

هو ابن وُد العامريّ وقد أراد به عامر بن الطفيل وابن ود العامريّ اسمه عَمْرو لا عامر ثم قال وحاجبُ بن زرارة رهن قوسَه عند النعمان فوفى بما رهَنَه عليه والصواب رهنها عند كِسرى لا عندَ النّعمان.

٣٩

إذا رفَعَت تلك المواكب قسطَلاً   فرافِعهُ للعين مجري الكواكبِ

قال الكواكب واحدها كوكبَ الماء الجاري وإنما هي المواكب.

٤٠

وكم غوَّروا في موردٍ وتَظَمُّئٍ   عيونُ ركيٍّ أو عيون ركائبِ

يشير إلى جَشَع بَني الإنسان وحرصهم وكم غورّوا عيون ركيّ (جمع ركيه) البئر أو عيون ركائب في إجهادها بالسير. جمع ركوبة الناقة ونحوها. ولكنّ الشارح يقول الركائب جمع ركاب والركاب السحاب.

٤١

فلو كان سرح العقلِ أذواد عامر   رمت كل ذود من سفاهٍ بخاربِ

يذم الخمرة عدوَّة العقلِ وينعى على شاربها أنَّها تسلُبه أفضل حلية زيَّن الله بها الإنسان فيقول لو كان سرح العقل مثل أذواد عامر المشهورة بكثرتها رَمَت كل ذودٍ من سِفاه أي خِفَّة الحِلم والطّيش بخاربٍ والخارب سارقِ الإبل خاصَّةً. ولكنَّ العِبرةَ بقول الشرح:

السَّرح الذي سَرح بنفسه أي رعى بنفسه والسّرح خاصّ

بالصباح كما أنّ الرواح خاص بالعشيّ والأذواد جمع ذود تقدم والخارب هنا بمعنى الخراب.

٤٢

وإنّ قطوفَ السّاع فيما علمته   أحث مروراً من وِساع السَّلاهب

أي أن الساع جمع ساعة مهما ضاق خطوها فهي أسرع مروراً من خُطى السلاهب من الخيل المشهورة بالسُّرعة. لكنَّ الشارح قال والسَّلاهب واحد سلهب الطّويل من الرجال الواسع الخطو وكل ما طال اتسعت خُطاه فليَتثَبَّتِ الناظر.

٤٣

وهل يَجعلُ الأرضَ التي ابيضَّ لونها كلونِ الحِرار الحُمس لون ذنوب

قال الشارح الحِرار بالكسر جمع حر وهو وَسَط كل أرض وفي (م) جمع حر وهو الرجل البيّن الحرورية والحُمس الأمكنة الصَّلبة والأحمس المشتد الصَّلب في الدين والقتال وجمعه حُمُس انتهى. وإنما هي الحرار الخمس (عندي) جمع حرّة أرض سوداء وفسرها في غير موضع يريد هل تُسوِّد الذنوب الأرضَ البيضاء فتجعلها حرة كما سوَّدت وجه حام فيما أثر بمعنى لو تكاشَفتمُ ما تَدافَنتمُ وكقوله:

وإن غيَّر الإثم الوجوه فما ترى لدى الحشر إلاَّ كلَّ أسودَ شاحب

٤٤

والظلم عندي قبيح لا أُجَوِزهُ ولو أُطِعتُ لما فاؤوا بأجلاب

جعل الشارح الأجلاب من أجلب القوم اختلطت أصواتهم مثل جلبوا. وإنما الأجلاب جمع جلب بمعنى المجلوب يريد النهي عن الغزو والسلب وما يفعله الناس من البغي ومذهبهُ في ذلك معلوم ومنه الأجلاب لما يجلب من الإبل والخيل والغنم للبيع من بلد إلى بلد.

٤٥

أسرى بيَ الأمل اللاهي بصاحبه حتى ركبتُ سرايا بين أسرابِ

فسَّر السرايا بالمطايا وإنما هي سراباً أي غرهُ الأمل حتى تشبه بالناس وفعل فعلهم.

٤٦

انفض ثيابك من ودي ومعرفتي فأن شخصي هباءٌ في الضحى هابي

الهباء الهابي أي الساطع المنتشر وفسَّر الهابي بالواهن والأمر أخف من أن يوزن.

٤٧

لا يُحسَبُ الجودُ من رب النخيل جدا حتى يجود على السود الغرابيب

الجدا العطية أي لا يحسب الجود من صاحب النخيل جوداً حتى يسمح به للغربان أي لا يقصد من كرمه حسن السمعة بل ليفعل الخير مجرداً لحب الخير نفسه لا لأجْل المثوبة.

ومن جعل السخاء لأقربيه فليس بعارف طُرقَ السخاءِ

أو يومي إلى أن الغربان أحق به من الأنس.

٤٨

ما أغدر الإنس كم خشف تَرَبَّبَهمُ فغادروه أكيلاً بعد تربيب

تربيهم بمعنى ألفهم والتربيب التربية بدلال ونعمة لكن الشارح يقول تربب الرجل والصبي ادعى أنه ربهما وفسَّره في بعض النسخ اتخذهم أرباباً.

٤٩

أحُوبيَ صاحبي فأعير فضلاً علي أم انتقصتُ لأجلِ حوبي

الهمزة للاستفهام وحوبيَ مجهول حابيَ داهَنَ وداريَ والحوب الذنب وهذه مسألة علميَة يوردها معتقدو التناسخ والشارح يتعمق كثيراً في الرقارق فانظر ما كتب.

٥٠

وما سُمُّ الحباب لديّ إلا كنظم قيل في آل الحُباب

قال الحُباب الحية والحَباب بفتح الحاء الخمر وفقاقيعها التي تطفو وإنما الحباب الثانية اسم رجل ينتمي إليه قوم والمسمون بالحباب من رجال العرب كثيرون كالحباب بن المنذر الأنصاري وغيره.

٥١

فمـــا أم الحُــويرثِ في كلامــي ... بعارضــــةٍ ولا أمَّ الربـــــابِ

يشير إلى قول امرئ القيس:

كـدأبكَ مـن أم الحـويرث قبلـها ... وجارتهـا أم الربـاب بمأسـل

فهما اسما امرأتين كان يتغزل بهما. لكن الشارح يقول أم الرباب هي بنت امرئ القيس وكانت من أحسن النساء وجهاً وأفضلهن عقلاً وأدباً والسياق يقتضي خلاف ذلك فما ندري من أين نَقَل.

٥٢

وإذا لصوص المصر أعيت والياً ... ألقى السؤالَ بها على توَّابها

قال الشارح توابها التوابون هنا الذين كانوا لصوصاً ثم تابوا فصاحب الشرطة يستعين بهم على معرفة اللصوص. انتهى. وكنا نظن هذا معنى قول العامة الحكومة لها الطانع أي تأخذ البريء بذنب السقيم والضمير في توابها يعود إلى المصر لا إلى اللصوص. ولكلٌّ رأيُه.

٥٣

تفـريهم بسـيوفها وتكـبُّهم ... برماحهـا وتنـالهم بصَـيابها

قال الشارح والصياب قال في (م) الصُّباب بالضم الخيار من كل شيء والصميم وهذا خطأ ولعله أراد السهام فيكون من صاب السهم القرطاس يصيبه صيباً لغة في أصابه وليحرر قلت وتحريره أن الصياب من السهام ضد المخطئة هنا لا غير.

٥٤

فاتفـل علـى الـترب الفـصاحة أنهـا ... تقـضي لناعبهـا علـى زريابهـا

قال الزرياب ماء الذهب أو الذهب نفسه - وأي محل له هنا. وإنما قال. لناعبها أي الغراب والزرياب هذا الطائر المشهور واسم أحد المغنين المشهورين أيضاً والمراد أنها تنصر المبطل على الحق.

٥٥

زارتِ الشامَ والعراقَ وكل الأرض ما جانبت قطينَ الجناب

القطين القاطن والجناب مكان بعينه والشارح يقول قطين الجناب خدمهُ وحاشيته.

٥٦

تُنَصّ بكَلِ فتىً ناسكٍ صحيح النهى غير مُرتابها

قال تُنَص من نصّ الشيء رفعه وأظهره. وإنما هي تنص تُحمَلُ على شدة السير. لأن النص له معان عديدة والذي ذكره من نص الحديث رفعه لا من نص الركاب.

٥٧

لَيتي هباءٌ في قناتيّ لأىً أو قطرةٌ بين جناحَيْ عُقاب

اللأى الثور الوحشي وقناتاه رئتاه وهما الحمراء والسوداء لكن الشارح يقول. اللأى الترس ولا نعلم المراد بقناتَي الترس.

٥٨

فهل دَرَى الليث إذ ضم الزجاج له فم وقُدِّرِ للشدقين تهريتُ

قال تَهريت فَتّره بسعة الفم. وأرى أنه من تهَّراً أي تفسخ ولا يتم المعنى الذي عناه الشيخ إلا بهذا التفسير أو ما يقاربه. فهل سمعت بأسقم من هذا التفسير وأبعد منه عن المقصود. وهو مفسر بقوله على سبيل الاعتقاد أو الانتقاد.

كم في السماوة من صلٍّ ومن أسَد كلاهما خُصّ في شدق بتهريت
وما ذَنب الضَّراغم حين صِيغَت وصُيِّر قوتُها مما تدمّي

والزجاج الأنياب وجمع زج للزُّمح والفم إنما يضم الأنياب والتهريت سعة الأشداق كما فسراه. لكن ذلك لم يرض سعة علم الشارح.

٥٩

رَقِّتْني الراقياتُ وحُمَّ يومي فَغادرَني كأني ما رُقيتُ

حُمَّ يومي أي قُدِّر واليوم يراد به خاتمة العُمر بالموت يقال جاء فلاناً يومه ولا يفوت أحد يومه.

وقال:

ولو أنني في جَبهة الشمسِ قاعدٌ لَما هاب يومي رفعتي وجلالي

والشارح يقول حُمَّ قصد وفي (م) صار ذا حمة خطأ ـ مما يدل على أنهما لم يفهما له معنى.

٦٠

كم بَكَّتَ الموتُ الحريصَ على الذي يأتي فسَحَّت مقلتاه وبكَّتا

قال بكَّت من التبكيت الذي هو التوبيخ والتعنيف. فأصاب. ثم قال: وبكُت الثانية من قولهم بئر بكَية أي قليلة الماء فأخطأ وإنما هي بكَّتا من البكاء لا من البئر البكية بكُى يبكّي مثل بكى وشواهدها كثيرة. ومثل ما ذكره شرح البيت الآتي:

٦١

قد زكّتِ القَدمان في غير الهدى ويداهُ عما حازه ما زكّتا

إذ قال زكُت قدماه أسرعتا في المشي فقارب ثم قال والثانية بمعنى ماكفّا عن الأخذ فباعد وإنما هي منَ الزكاة أي ما آتتها أهلها.

٦٢

دنيـــــــــاكَ موســـــــــوقَةُ أكثـــــــــر مـــــــــن أُختهــــــــا

فـــــــــانظر إلى صُــــــــنعها وانظـــــــــر إلى بَختهـــــــا

فانظر إلى صنعها أيْ ما أسوأه وانظر إلى بَختها ما أسعده فما أحظاها على سوء صنيعها. لم يتعرض لها الشارح لوضوحها.

٦٣

رأيـــن الـــوَردَ في الوجنــاتِ خيمــاً فغـــادَيْن البنـــان معنّمـــات

الخيم بالخاء المعجمة السَّجيَّة والطبع وفي الشرح الخيم التدويم من حام الطير يحيم. فقد أبعد.

٦٤

فــإن هلكــت خروســكِ أمَّ ليلــى فمــا أنــا مــن صِحابك واللمــاتِ

الخروس جمع خُرس الدَّن وأم ليلى كنية الخَمرة أو السَّوداء منها. قال الشارح أم ليلى كِنيةُ الخَمر وكنية الدَّجاجة ولذلك استعار لها الخُروس وهي الدِيَكة فاقرأ واعجب.

٦٥

فغِــر زهُــر الحجـالِ ولا تُغِرهـا فتـــمح بالـــدموع مـــسجماتِ

قال فغر البيت قال في الهندية غِرت أهلي إذا مِرتُهم (أتيتهم بالميرة ولا تغرها من أغَرت المرأة إذا اتَّخذت عليها ضرةً والزهر جمع زهراء من النساء البيضاء المشرقة إلخ.. وتبعه في (م) ولا أراهما أصابا المعنى تأمل. انتهى. لعمري أنهما أصابا المعنى ولكنه لما لم يفهمه أورد، عبارة الشك كما ترى.

(وكــم مــن عائــب قــولاً صــحيحاً وآفتـــه مـــنَ الفهـــمِ الـــسقيم)

٦٦

تزيُّـــوا بالتـــصُّوف عـــن خِـــداع فهـــل رُزتِ الرجـــال أو اعتميـــت

اعتميت الشيء اخترته وانتقيته وعليه يكون الصواب فهل رُزتِ أي اختبرتِ وامتحنتِ لتعلمي من يُختار ويُنتقى.

٦٧

رأيـــت ســـحاباً خلتـــه متـــدفقاً فـأنجمَ لم يُمطـرِ وإن حـسنَ الخـرجُ

الخرج السحاب أول ما ينشأ وأنجم أقلع. وفي الشرح الخرج الخراج والأتاوه.

٦٨

وكـم خـدعت هزبـرا كـان جَبْـرا مـــن الأمـــلاك ذاتُ حلـــىً ودَرج

كان جبرا أي ملكاً شجاعاً والدَّرج الجارور الصغير تجعل فيه المرأة حُليها يصف فتنة النساء وكونها تخدع مع ضعفها الملوك الجبابرة. فاسمع تعليق الشارح كله على هذا البيت: الدرج من قولك هم درج يدك أي طوع يدك انتهى.

٦٩

مـــا أُمّ سِـــرياح إذا مـــا غـــدَت مـــــــــورثتي أدْمُـــــــــعَ درَّاج

قال سرياح الجرادة ودرّاج هو ابن زرعة الكلابي وهو الذي يقول:

إذا أم سِـــرياح غـــدت في ظعـــائنٍ جـوالس نجـداً فاضـت العـين تـدمعُ

أفلا كان ينبغي أن يقال أم سرياح كنية الجرادة وبها سُمِيت المرأة.

٧٠

قـالوا غَـدونَ مـصيبات الغنـاء لنـا وتلـك عنـدي مـصيبات لهـم فُـدُحُ

قال مصيبات من الإصابة في الأمر ضد الخطأ - قلت والثانية جمع مصيبة النائبة والفدح الثقيلة نعت لها.

٧١

عن الطواويس ما يلبسن مسترق وهنَّ بعد قماري الضحى الصدح

الصدح جمع صادح من الطير يطلقونه على ذوات الأنغام الشجية فانظر تصرف الشارح إذ يقول الصدح صوت الغراب ونحوه من الأصوات المنكرة.

٧٢

يا مشرعَ الرمح في تثبيتِ مملكةٍ خيرٌ من المارنِ الخطِّي مسباحُ

قال الشارح ومسباح قال في (م) مفعال من سَبح ويُستَعار السبح لمرِّ النجوم وجَري الخيل وسرعة الذهاب في العمل انتهى. لم يرد إلا المسباح وهي المسبحة المعروفة يُفضِّل التُّقى على السطو.

صلَّى الفَتى الجمعةَ ثم انثَنى لذارع في مسحهِ يذبحُ

الذارع زق الخمر والمَسح هذا القباء الذي يلبسه المتقون أو المتظاهرون بالتَّقوى فانظر كلام الشارح على المسح وتفننه في بيانه.

٧٤

أوَبتَ في صهوة مستوطِناً أُمسي مع الإغفار أو أُصبحُ

صهوة اسم مكان بعينه لذلك لم يُصرِفه ولم يُرِدْ الصهوة أعلى الجبل.

٧٥

ولا بيض أمات أرادت صريحَةُ لأطفالها دون الغواني الصرائح

الصواب وأبيض أمات يريد به اللبن ذكر ذلك الناظم في رسائله وهو أعرف بقوله:

٧٦

أرى طِـولاً عـمَّ البريـة كلـها   فيقـصر بـالحكم الإلهـيّ أو يُرخَـى

الطِولَ الحَبل الطويل تُربَط به الدابة استعارَه هنا . قال طَرفة بن العبد :

لعَمـرك إن المـوتَ مـا أخطـأ الفتـىَ   لكـالطِّوَلِ المرخَـى وثِنياه باليـد

٧٧

ولا تكـن هبـة الخـلاتِ عنـدكمُ   كالغيـث وافـق في إبانـه السُـبخا

قال الشارح والخلات واحدها خلة وهي الحاجة إلخ . . لولا الشرح لقلنا تصحيف مطبعي وإنما هي الخلاّق تعالى شانه أي لا تكن هبة الخلاق من العلم والعقل وغيرهما عندكم كالغيث يمطر السبخة .

وليست أهلاً للإنبات بل افعلوا ما يدل على أنكم تقدِّرون النعمة حق قَدرها فتؤَدوا حقَّها لأنَّ الله يحِب أن يرى أثرَ نعمتِهِ على عبده .

أبيـدة قالـت للوعـول مـرة   تبـدن بحكـم الله ثـم أبيـد

أبيدة اسم قلة بعينها تسكُنها الوعول . لم يرد ا لأبيدة المتوحّشة كما قال الشارح .

٧٩

لـو يعلمُ النـاسُ مـا أبنـاؤهُمْ جلُـبٌ   وبيـعَ بـالفِلس ألـفٌ مـنهم كَسَدوا

قال الشارح جلب لعله من الجلب بمعنى الذنب والجناية ـ قارب ـ إنما هي جُلّب جمع جالب أي ما يجلبونَه ويجرونه على أنفسهم من الشرور .

٨٠

أهـل البسـيطة في هـم حيـاتهمُ   ولا يفـارق أهـل النجـدة النَجـدُ

النجدة الشجاعة والإعانة والنجد الكرب والشدة قالوا :

تكــونُ المــوالي والعبيــدُ لعــاجزٍ ويخـدم فيهـا نفسَـه البطـل الفـردُ

أما الشرح فلم أفهم مغزاه.

٨١

إن جاد بالمـال سمح يبتغي شرفاً قالـت معاشـر مـا في كفه جـودُ

عبارة عن إنكار الفضلِ أو ذم لعاقبة الرياء وعدم ابتغاء وجه الله في العمل والشارح يقول الجود شيء كالدلو يُستَعملَ للشُّرب يُسَمى جُود ولعله مأخوذ من قولهم جيد جودةً إذا عطش.

٨٢

فوائــد الأيــام محجوبــةٌ وفاقــد لــذتها الفائــدُ

الفائد المُصاب بفؤاده يقال فُئدِ وفَئدِ يعني إن لذة الحياة في العافية والسقيم لا لذة له وفي الشرح فاد يفودُ ويفيد إذا مات.

٨٣

ولا تشيَمنُ حساماً كي تريق دماً كفاك سيفٌ لهذا الدهرِ ما غمدا

لا شرح له. يفسره قوله:

كفَتْـك حـوادثُ الأيـام قـتلاً فـلا تِعـرض لسيفٍ أو لـرمح

٨٤

حـوائجُ نفـي كـالغواني قَصائرٌ وحاجـاتُ غيري كالنِسـاء الردائـدِ

أي الكثيرات التَّردد والدُّوَران وفي الشرح الردائد المطلقات من قولهم امرأة مردودة.

٨٥

فـــإنّ خمولـــكَ درعٌ عليـــك وقيـــتَ بهـــا عائبـــاً أو حَـــسودا

لا تفسير له إلا بما فسره في قوله:

وخمـول ذكـركَ في الحيـاة غنيمـة ودهـاك مـن أمـسى لـذكرك شـاهرا

والحكمة في مدح الخُمول وكون الراحة فيه مأثورة.

٨٦

ومـا النـاس إلا خـائفو الله وحـده إذا وقـعَ التمـي في كـف ناقـد

قال التمّي الدرهم من قولهم دراهم تم أي تمام. وتصحف في (م) بالنمي بالنون فأعجب وإنما هي النُّمِّيُ بالنون عملة قديمة كالفُلوس ذكرها أبو العلاء غير مرة، صحَفها الشارح ونسب التصحيف إلى المصرية.

٨٧

فـإني رأيـت الملحـدين تعـودهم نـدامتُهم عنـد الأكـف اللّواحـد

ما أظن يقولها معطل والبيت لا شرح له وهو ظاهر وبمعناه وكالتفسير له قوله:

فـإني وجـدت الـنُّفس تُبـدي ندامـةً علـى مـا جَنَتـهُ حـين يَـدرِكُها النقـلُ

٨٨

فـالآن تلـكَ وهـذا مـن قـذىً وأذىً لا يُخليانـك بلـهَ الغـلّ والحـسدِ

قال بَلْهَ كلمة مبنيَّةٌ على الفتح بمعنى دَع. هي هنا بمعنى المصدر لا بمعنى الفعل.

٨٩

والنـاس أجمـع مـن دنيـاهم خُلقـوا فمـا انتقالُـك مـن أدٍّ إلى أُدَدِ

قال الشارح الأدّ ومثله الأدة الداهية والأمر الفظيع والأدد جمع أده فإذا صح التفسير فيكون المعنى من شر إلى أشَرّ. انتهى. أدّ بن طابخَة عدنانيٌّ لأن طابخة لقَبَ عامر بن الياس بن مُضَر وأُدَدْ قيل هو قحطان جد اليمانيين قال أبو تمام:

ولو علمَ الشيخانِ إدُ ويعربٌ　　لسُرَّت إذاً تلك العظام الرمائمُ

٩٠

وإذا انتسبت فقلت إني واحد　　من خلقه فكفى بذاك تنسُّبَاً

وضح مراد أبي العلاء فانظر والمعنى مأخوذ من الآية الشريفة قوله تعالى: إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم.

٩١

فخافي شرَّتي وَدعي رَجائي　　فإني مثل عاد الناس عادي

الشَّرَّة بمعنى الشر والعاد جمع عادة وكثيراً ما يبعد الشارح والمرمى قريب.

٩٢

ظلم الأنام فناصِ بيدك مفرداً　　حتى تُعَدُّ من الرجال البُيَّدِ

ناص من المناصاة وهو الأخذ بالناصية كناية عن الاتصال بها ومرافقتها في طلب المعالي والبُيَّد الهالكون جمع بائد، قال الشارح البيد مشَّددةُ جمع المتبدِّين أي المقيمين في البادية. ولا بدع.

٩٣

ليس التكثر من خليقة صادقٍ　　فاذهب لعادك استمر لعادي

العاد جمع العادة ولا مناسبة لذكر العادي بمعنى القديم هنا كما في الشرح. ولم يشرح لنا التكثر لكن شرحه أبو العلاء. بقوله:

واصمُت فما كثُر الكلام مِن امرِئٍ　　إلاَّ وظُنَّ بأنَه مُتَزيِّدُ

٩٤

وأخالُ نَفسي حين تفقدُ شخصَها تَلْقى الذي عملَته قبل معادي

هذا رأي له في البرزَخ ذكره غير مرة. وإيضاحهُ جليّاً يطول.

٩٥

وأوادمُ الزمَن الطويل كثيرةٌ وأوادمُ الطَعم الشهي أوادي

أوادي خَواتل مهلكة كالتي تَدسّ السم بالدسم.

٩٦

أرواحُنا ظلمت فتلك بيوتُها دُرُسٌ خَوينَ من الضغائن والحسدْ

دُرس دارسة محوَّةٌ من قوله تعالى: فتلك بيوتُهم خاويةٌ بما ظلموا.

٩٧

وما زِلتَ بعد غُراب الصبا قرين البزاة فقَعْ يا لُبَد

البَزاة توصف بالشّهبة جمع بازيّ يصفُ الشباب والشيب فاقرأ الشرح وانظر تصرف الشارح.

٩٨

وما يمنعُ الخائفين الحِمام لبسُ دروعهمُ والخُوَذْ

الخُوذ جمع خُوذة مغفرَ يقي الرأي لم أجدْها بالمهملة لكن الشارح يقول الخوَذ بالذال المعجمة هي الخود بالمهملة ولم يشرحهما لوضوحهما عنده.

٩٩

ولم أرَ بطنَ الأرضِ يلقي لظهرِها رجالاً كما يُلقي إلى بطنِها الظهرُ

هذا من قول صاحب الحماسة.

نمــدُّهُم كــل يــوم مــن بقيّتنــا ولا يــؤوبُ إلينــا مــنهمُ أحــدُ

ومثله:

مـا جاءنـا أحـد مـذ مـات يُخبرنـا في جَنَّـة جـسمهُ قـد كـان أو نـارِ

وكَرر هذا المعنى وهو يدري ما يعني.

١٠٠

لعــلَّ ذنوبــاً كــنَّ للــدين سُــلَّماً ونــاركَ دونَ المـاء يقـدَحَها الحَفـرُ

تكـون الـذنوبُ سُـلَّماً إلى الـدّين لأنَّ الخَوفَ مـن عاقبتِهـا ربَّمـا دفـع الإنسـان إلى الالتجاء إلى رحمة الله وغفرانهِ والاعتراف بكرمه وإحسانه وأظن أن هذا المعنى مقتبس من النهج حيث يقول «سَيِّئَة تُسوءك خير عند الله من حسـنة تعجبك». أي أن السيئة التي تَسوء ربما بعثَ الخوف منها إلى حسنات والحسَنَةُ التي تعجب ربما جرَّ الاعتدادُ بها إلى سيّآت والله أعلم.

١٠١

ومن حان يوماً حار في عينه عمىً وفي لبـه ضـعف وفي سـمعـه وقـرُ

حان أتى حينه أي وقت هلاكه كما في المثل الذي نزل القَدَرَ عميَ البصر فهو فعل لا اسم لكن الشارح يقول وألحان الحين ومن أمثالهم إذا جاء الحين غَطّى العين.

١٠٢

ولــو لم يبَــر الحــر إلا مخافــةً من الخزي بين النـاس أن قيل فـاجر

أي لما عُدَّ باراً وحذف جواب لو كثير لتذهب الظنون وراءه كل مذهب.

١٠٣

والناسُ كالنار كانوا في نشأتهم يُسْتَضوأ السقط منها ثم ينتشرُ

هذا كقوله وما آدم في شرعة العقل واحد .

وهو رأي لعله وصل إليه من بعض فرق الشيعة تسنده إلى الأئمة بقطع النظر عن الجرح والتعديل .

١٠٤

والصُّم من عُنصر الإفساد حاسدةٌ لصحة السمع خُلداً ما له بصرُ

لصم جمع أصم من لا يسمع . ينعي على الناس لؤم العنصر والتحاسد ، لم يرد بها الزبابة بل مراده واضح .

يلقى المُهند مأثوراً أخو كرم ولا يشيع قبيحٌ عنه مأثورُ

مأثور الحديث ما نقل وتداولته الرواة . لم يتكلم عنه الشارح يشير إلى تأثير الألم المعنوي بأهل الوجدان وأنه أشد من الألم الحسِّي بما لا يقاس . قيل إن علقمة بن علاثة لما سمع قول الحُطَيئة فيه :

يبيتون في المَشتَّى ملاءً بطونُهم وجاراتُهم غَرثى البطونِ خمائِصا

بكى ورفع يديه بالدعاء عليه متضرعاً كما يفعل العابد الأواب وقال أهكذا نفعل بجاراتنا؟ وقد كان لو ضربته بالسيف ما قال : حسنٌ .

١٠٥

إنّ ابنَ إسّى مضى ولكن دلَّ على فضله الزبورُ

ابن أسى سيدنا داود عليه السلام . وكان على الشارح أن يفهمه من قولهِ دلَّ على فضله الزَّبور لكنه قال ابن اسّى لعله لقمان الحكيم .

١٠٦

وبعضُ الناس في الدنيا كطيرٍ　　　أوانِف أن تلائمَها الوكورُ
ذكور لا أُناثَ لها ولكن　　　قرائنُها المهنّدة الذكورُ

أي تلهيهم الحرب والسّطو عن غيرها. وإذا كانت قرائنها المهنَّدة الذكور فلا قرائن لها للنتاج. لم يتكلم الشارح عن مثل هذه القرائن جمع قرينة. بمعنى الزوجة.

١٠٧

لا تخبرنَّ بكَنْه دينك معشراً　　　شُطراً وإن تفعل فأنت مغررُ

الشطر البعداء من قولهم نوى شطور (وعِدَ ذكرك أخت الجيرة الشطر).

أليس في هذا البيت واعظٌ شيعيٌّ يحض على التقية وفي الشرح الشطر جمع شاطر وهو الذي أعيا أهله خبثاً.

١٠٨

زعم الفلاسفةُ الذين تنطّسوا　　　أنّ المنيةَ كسرُها لا يُجبَرَ
قالوا وآدم مثل أوبر والورى　　　كبناتِهِ جُهل امرؤ ما أوبَرُ

قال الشارح هذه تقرير مذهب الطبيعيين الذين يقولون إن هذا الكون وابن آدم من حوادثه دفعته الطبيعة كما دفعت الأرض أوبرَ وبناته ثم رد عليهم رحمه الله بأنّ هذا كذب مختلقَ وعمل متبّر أي مهلك إلخ ... وأرى أنه يحكي أمراً يراه واقِعياً لا يتعرض له بنفي ولا إثبات بل يحكيه كما يزعم أصحابه ويترك للأفكار مذاهبها وأحرى أن يكون الرد فيه على أصحاب الأديان لو كان لأنه يقول على طريقة الحكاية.

١٠٩

كلُّ الذي تحكون عن مولاكمُ　　　كذبٌ أتاكم عن يَهودَ يحبَّرُ

رامتَ به الأحبارَ نيل معيشَةٍ ... في الدّهر والعَمَلُ القبيحُ يُتَبَّرُ

ويسترسل بنسبة الإختلاق إلى الأحبارُ على لسان الفلاسفة ثم يسكت عن الاعتراض عليهم مما يوهم أن في السكوت رضىً فأين الرد عليهم كما زعم الشارح.

١١٠

أقصرتُ من قصر النهار وقد أنى ... مني الغروب وليس لي إقصارُ

لعلها من أقصر الرجل دخل في العشي أي حياته ليل كلها فلا إقصار له.

١١١

والهم منتشِرٌ ولكن ربه ... يوماً يصير إلى الردَّى فيُصارُ

فيُصار مجهول أصاره بمعنى صيَّره أو بمعنى يضم ويجتمع لمقابلة الانتشار فتكون من قوله تعالى: «فصُرهُنَّ إليك» وفي الشرح فيُصار أي فَيُكَف من اتَّصرت عن الشيء كففت عنه فانظر إلى تَصدّي المرء ما ليس من شأنه.

١١٢

أمّا وبار فقد تحمَّل أهلُها ... وتخلفَتْ بعد القطين وبَارُ

قالوا وَبار محلة عاد وهي بين اليمن ورمال يبرين فلما أهلكهم الله سكنها الجن فلا يقربها من الناس أحدٌ والقَطين القطان قال: ووَبارهم الجنّ. وإنما وبار الثانية هي وَبار الأولى مِن وضع الظاهر موضع المضمر.

١١٣

بين الغريزةِ والرَّشادِ نِفارُ ... وعلى الزَّخارف ضمَّت الأسفار

الأسفار أسفار اليهود قالهَ في الهندية وإنما أراد الكتُب عامةً ولم يخص.

١١٤

ومــع الفتــى مــن نفــسه نَمِيَّــةٌ   مــا زال يحلــف أنهــا دينــارُ

قال النمّية دراهم من رصاص كانوا يتعاملون بها في الحيرة في زمن بني المنذر. غلط بها في شرح «إذا وقع النُّمِّيُّ في كف ناقدٍ» وأصاب هنا.

١١٥

أيــن الــذين كلامُهــم أبــدا   قطــر الجهــام وجــودُهم همــرُ

الجهام السحاب لا ماء فيه أي قولهم قليل وفعلهم كثير والاستفهام للإنكار أي لا وجود لمثل هؤلاء أو نادر وجودهم.

١١٦

ســأَلتني عــن رَهــطِ قيــلٍ وعِــتر   أيــن الا الحــديث قيــلٌ وعــترُ

قيل بن عتر وافد قوم عاد للسقيا في قصة مشهورة وهو الذي غنته الجرادتان كما في الرواية.

ألا يــا قِيــل ويحــكَ قُــمْ فهيــنمْ   لعَــلَّ الله يــسقينا غَمامــا

وقد أطال الشارح فأكثر من التخليط والغلط.

١١٨

في التُّــرب والــصَّخر والثمــارِ وفي   المــاءِ نفــوسٌ يــصوغها القــدَرُ

هل أشار إلى عالم الميكروبات. ومثل هذا المعنى مأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

١١٩

والرَّجْـل إن حـل خـدرَ غانيـةٍ كالرِّجـلِ في المـشي حَلّها خـدرُ

الرَّجْل بفتح وسكون لغة في الرَّجُل بفتح فضمّ. يعني يذهب منه الحس بالشرف المفقود كما يذهب الحس من الرّجل بالخدر المعلوم.

١٢٠

وإن شـاجرتُ بـابنٍ لهـا أو كريمـةٍ عليهـا فيـا سِـرْها وخـلٍّ شِـجارها

وشِجارها منازعُتها مصدر شاجَرت الأولى وفي الشرح الشِّجار خَشب الهودج وغرائب الشارح كثيرة.

١٢١

وذاك بُـرد إذا مـا اجتابـهُ رجـلٌ ألغـى الحبـورَ وألقـىَ بـالفم الحَـبرا

وذلك أي الكبر المذكور في البيت الأول. برد وهو الثوب واجتابه لبسه قال الشارح البرد البريد مسافة معلومة يقطعها المسافر فانظر أين ذهب لتوهمه اجتابه بمعنى قطعهُ والحبر وسخ الأسنان (كذا قال).

١٢٢

أتزجـرون أمـيراً أن يكلفكـمُ ضيماً فيحمد غبَّ الشأنِ من زجرا

قال الشارح الأمير الذي عناه أمير المؤمنين عثمان بن عفان نقموا عليه بعض أشياء جرت في السنين الأخيرة من خلافته وساق المعري الحكاية على سبيل التعجب. وبعد هذا البيت:

١٢٣

قـد كـان يحسـن في داجي شـبيبته حتـى إذا لاح فجْـرا شـيبه فَجـرا

قلت بئس التفسير لأنه لا يجوز أن يقال في هذا الخليفة (حتى إذا لاح فجراً شيبه فَجَرا) فالحق أنه لم يرد أميراً معيَّنا.

١٢٤

ومــا أُسَــرُّ لتعــثير الغُــراب أســىً		ولا أُبكــيّ خَليطــاً حــل تعــشارا

الخليط الحبيب يخالطك حبه وتعشار اسم موضع والخيط عند الشارح الجمل السّمين.

١٢٥

ومــن يُبــدع طويّــاً في سُــهولٍ		فــلا يــتركْ مــع الطــاوين زَبــرا

أي من يعمل خيراً فلا يدع سبيلاً لإفساده إن استطاع. (لا شرح له).

١٢٦

أدفِئــو بالطعــان بــين التَّراقــي		والحَوايــا أســـنَّةُ مقـــرورَة

هل خالف مذهبه. لا. وإنما هي حالةٌ استثنائية ومثلها:

١٢٧

فاقــدروا مــن بنــات ضــأنٍ عبــورا		ســرُّه أن يكــونَ كالزَّنــدبيلِ

العبور الصغير من الغَنَم والزَّندبيل أنثىَ الفِيل واقِدروا اجعلوا في القدر. يستجيز ذلك لمن يضع نفسه في غير موضِعها ومن يسمو إلى ما ليس له.

١٢٨

ومــا تمنــع الآدابُ والملــك ســيدا		كقــابوس في أيامــه وفَنــا خُــرِ

١٢٩

وقد زعموا الأفلاك يُدرِكها البلى		فــأن كــان حقــاً فالنجاسَــةُ كــالطهرِ

قال النجاسة يريد بها الدنيا والطُّهر الآخرة تعمق كثيراً هذا كقوله:

إذا كــان علــم المــرء لــيس بنــافع		ولا شــافع فالخُــسْرُ للعُلَمــاءِ

يعني في ذلك نفي وجود الخالق العظيم.

١٣٠

وهل يصبح السادي الجُدَيليّ بازلاً ... إذا لم يجز في سنهِ عصُرُ البكرِ

قال السَّادي من الإبل الذي يشدو في سَيره أي يمد يديه وتأتي السادي بمعنى السادس ومحصَّل البيت أن الطفرة محال.

١٣١

غبَقنا الأذى والجاشريَّةُ همنا ... ونادى ظلامٌ لا سبيل إلى الجشر

الجاشرية نصف النهار وطعام مخصوص والجُشور انغلاق الصبح وطلوعهُ وفي الشرح الجَشر إخراج الدَّوابّ للرعي.

١٣٢

قد خانتِ البعلَ أُنثى تستجيش له ... بهمرة وهو غيث جدُّ منهمِرِ

البعل الزّوج وفي النسخة النعل. والهمرة بالراء المهمَلة خرزة تأخذ بها نساء العرب أزواجهن كالهنَّمة واليَنْجُلبَ. وأصل الهمرة المرة من همَرَ الماء انصبَّ واندفع وتأتي بمعنى الهصر والضغط تقول المرأة: أخذتهُ بالهنَّمةَ بالليلِ عبدٌ وبالنهار أمَةٌ ومثلها أخذته باليَنجَلَبْ فلم يَرم ولم يغب ولم يزل عند الطُنب. وهي من أوابد العرب ومثلها الزار عند المصريين وكتابة المحبة عند الدَّجالين من السوريين وفي الشرح الهمزة خرزة تأخذ بها النساء أزواجهن قاله في (هـ) ولم أفهم معناه ولا وقفت عليه في غيره. وصوا بها الهمرة بالراء المهملة كما ذكرنا وقد ظهر معناه.

١٣٣

ولا ألوم أخا الإلحاد بل رجلاً ... يخشى السعير وما ينفك في سُعُر

أي في عناء بطلب الدنيا وإيقاد نار الحرب وفلسفته حب السلم وفي الشرح السُّعُر بضمات شبيه الجنون.

١٣٤

أمّا فَواري المين عنك فصادَفَتْ سمعاً وأما الوجدُ منك فواري

قال الفواري المختلفات المختلقات والثانية من الخفاء. قلت الثانية من ورى الزند ظهرت ناره خلاف صلد والفاء جواب أمّا.

١٣٥

والقول يوجع والعِتابُ ضغينةٌ والهجر مشتَقٌّ من الإهجار

الهجر هنا الصرم والقطيعة والإهجار التكلم بالبذاء والفَحش. قال الشارح: الإهجار من قولك هجرتُ البعير إذا شددته بالهجار وهو حبل تُشَد به يدُ البعير.

١٣٦

وكأن ساهرة السُّماء تضمَّت أنفاً من التسهيد والإسهار

قال الساهرة دائرة القمر وأراد بها هنا النجوم على التشبيه. قلتُ لعلَّ ساهرة النجوم يريد بها النجوم الساهرة والساهرة في الآية وجه الأرض.

١٣٧

وسوائل الأشعار غير لوابثٍ ولو ارتدين سوائر الأشعارِ

قال سوائرُ الأشعار التي تناقلها الناس وتذاكروها كالمثل السائر لما تضمَّنته من بديع المعاني (وهو شرح لا بأس به) ثم قال وسوائلها ما امتدح بها استجداءً فالمادح كالسائل (وهو استنباط لطيف) إنما الأشعار الأولى جمع لشعر الوجه وغيره ينهى عن الاغترار بعصر الصبى ومعناه كقول المتنبي:

زوّدينا من حسن وجهك ما دام فحسن الوجوه حال تحول

١٣٨

حادث كتابك فهو آمَنُ جانباً ... من أهل تسبيدٍ وأهلِ وفارِ

التسبيد حلق الشعر والوَفار جمع وفرة اللمَّة وكثرة الشعر أي الشباب والشيوخ.

١٣٩

والآل شخص الحي أين لقيته ... فكأنه في المين آل قفارِ

يعني أن الآل الذي هو الشخص أينما لقيته فهو مثل آل القفار يَغرّ ويَضرُّ ويخدع ولا ينفع. والآل الشخص وما يُرى في أول النهار وآخره. ويضرب المثال بغروره وخدعه (آلٌ ببلقَعَةٍ وبرق خُلَّبُ) ولا شرح للبيت في نسختنا.

١٤٠

فترى بدائعَ أنبأت متحتّماً ... أن الجزاءَ بغير هذي الدار

يُروَى هذا المعنى عن الزُّبير بن عبد المطلب في الجاهلية (قبلَ الإسلام) ذلك أنه كان في مكة رجل كثير المآثم مات ولم يُصَب في دنياه بُمصيبةٍ فلما بلغ الزبير نبأ وفاته (على سلامة في دنياه وسيِّئٍ من عمله) أقسم أنَّ لله داراً غير هذه الدار ينال العامل فيها ما يستحقه إقراراً منه بعدل الله تعالى بسائقِ الفِطرة وانظر إلى بُعد نظرِ هذا الأعمى.

١٤١

إن المشقَّر لم تخلد ممالكه ... شُقُرٌ تُقادُ ولا مسحوبة كَشُقَر

المشقر اسم قصر وقوله شقر تقاد هي الخيل وقوله ولا مسحوبة كشقر أي الثياب الحريرية التي هي كشقائق النعمان.

١٤٢

وإنما هذه الدنيا لنا تلف ... إذا الفقير تصدى لليَسار فُقِرِ

أي إذا تعرض للغنى كُسِرت فقارة ظَهره. أما الشارح فيقول: فُقِر من الوقار.

١٤٣

والله صغَّرنا فمن يبغ العُلى يُصرف ويُثبَر

من الثبار والثبور وهو الهلاك وفي الشرح يحبس من ثَبَره أي حبسه.

١٤٤

ألوين الليل تمري قهوة ومُلاحيّ الثريا تعتصر

ألوَين الليل تصغير لون والهمزة للاستفهام يريد الخمرة السوداء والملاحية ضدها لكن الشارح يقول: لوين العنب الأسود وقيل الزبيب.

١٤٥

حج من غير تُقىً صاحبنا كأخي بحتر عامَ المنتصر

المنتصر الخليفةَ العباسي قَتل أباه المتوكل وقتل معه الفتح بن خاقان وقد رثاهما البحتري رِثاءً مؤثراً وهجا المنتصر فكأنه حج خوفاً من الطلب له لا خوفاً من الله ولا ابتغاء وجهه. قال الشارح: ولم أقِف على ما أراده الشيخ بقوله المُنتصِر.

١٤٦

إنْ أقمر الليلُ على وفدكم وجدتكم من قَمِرٍ أو قَمَير

قَمِر غالب في القمار وقمير مغلوب فيه والقُمُر جمع أقمر حمار الوحش قال الشارح وقوله من قَمِر لم أقف على معناه وقُمير المقامر.

١٤٧

أرى سِنَةً وهو في حيلةٍ ولم يغفُ حقاً ولكن مكَرَ

أرى سِنَةً أي أظهر نُعاساً وليس به وقال الشارح غفا الحق بمعنى تغافل عنه والأصل نعس أو نام نومةً خفيفةً.

١٤٨

فَـوَّز الركـب يبتغـون صـلاحاً ـــن حمـام والفَـوزَ للفـوَّازِ

فوَّز الركب مضوا في المفازَة وصلاحاً لعلها خلاصاً وصلاح غير متصرفه من أسماء مكة والفوَّاز صيغة مبالغة من فاز نجا وظفر، لا من فوَّز مضى في المفازة كما في الشرح.

١٤٩

ولم أرث النصف الفتاة ولم ترث بي الربع بل ربع تطاول أو خمس

انظر شرحه مع وضوحه.

١٥٠

فللخَبر المَروَى وللعالَمِ القِلى وللجَسد المَثوى وللأثِر الطُّمس

قال وللخبر المروي بوزن المهوىَ كذا وجدته في النسخ كلها. ولعله من تروى في الخبر إذا تفكر فيه ولا كل هذا أيها الشارح المدقق. المروى مصدر ميمي من روى الخبر نقله لا من تروى.

١٥١

نصحتكِ أجسام البرية أجناس وخير من الأعراس برسٌ وعِرناسُ

الأعراس مصدر أعرس بالمرأة اتخذها عرساً أي زوجةً وهذا على رأيه بأن النسل جناية من الناس. وفي الشرح الأعراس فسره في (م) بوضع الرَّحى على الأخرى للطَّحن (فلا تبعة عليه).

١٥٢

نسير نهاراً ثم نسري إذا دجَتْ علينا اللّيالي والحفير المعرَّسُ

الحفير المعرِّس أي القبر وهو المنزل الأخير بعد طول السَّير والسرى. وفي نسخة الشرح والخفير المعرس وهو تصحيف.

١٥٣

وكـم عُـضَّ مغـبرُ البنـان تنـدُّماً　　　على ما جَنى قبلُ البنـانُ المورِسُ

وكم عض مغبر البنان تندماً (أي في أيام الشيخوخة) على ما جنى قبل البنان المورس (أي في الشبيبة) وهذا من أبيات المعاني التي تفسر بالذوق لا من المعاجم وفي الشرح البنان المورّس هو الرمح، فانظر إلى قلة التروي.

١٥٤

متمجّسون ومُسلمونَ ومَعشَرٌ متَنصِّرونَ وهائدون رسَائِسُ.

لعلّها من رسَّ الشيء، بمعنى رسَّه فهو رسيس جمعه رَسائس! وفي الشرح قال في (م) جمع رسيس وفسّره بالشيء الثابت وأرى المعري لم يقصد ذلك وإنما أراد أنها أخبار تعرف من قبلهم أو أسرار تسارُّوها والله أعلم.

١٥٥

مـن لـي بإمليسـيَّةٍ أعـني بهـا　　　وَجْناء تَقطَعُ في الدُّجى إلا مليسا

الأمليس الفلاة لا نبات بها. والأمليسية نسبة إليها وفسرها بالوجناء لئلا تلتبس على الشارح فيذهب إلى ما ذهب إليها وهذا من جملة الأبيات التي فسرها الناظم بمعناها عنده.

وأرى الذئابَ الطلس يعجز كيدها　　　عن كيد شيب أظهروا التَّطليسا

الذئاب الطُلس مضروب بها المثل في الختل والخداع والتَّطليس لبس الطّيالس وفي الشرح التَّطليس التلبيس (محتمل).

١٥٦

فيا ليتَ إني لم أكن في برية　　　وإلا فوحشياً بإحدى الأمالسِ

يَسوِّفُ أزهارَ الربيع تَعلّةً　　　ويأمنُ في البيداء شَرَّ المُجالِس

يتمنى أنه لم يكن خلق وألا تكن هذه الأمنية فهو يحب أن يكون وحشياً لا أنسياً يسوِّف أزهار الربيع ويأمن شر المجالس فالوحدة خير من جليس السوء وله بهذا المعنى في لزومياته ما يطول تعداده فلفظة يَسُوِّف من ساف الترب وغيره شمه والشارح جعلها من التسويف.

١٥٧

وما جاوزت خيلٌ خوائل آلِساً إلى الروم إلا بالشُّرور الأوالسِ

آلس نهر في طريق بلاد الروم وفيه يقول المتنبي:

يُذْري اللقانُ غُباراً في مناخِرها وفي حناجرها من آلسٍ جُرَعُ

وبقية الشرح تطلب من الشارح.

١٥٨

وما ظفرَت أفراس قوم يحثها فوارسُها في عُنجُدٍ وفِراس

العنجد الزبيب والفراس ضرب من التمر أسود وصحفت بالشرح بالقراس ولا معنى لها أي مأكلها الشعير مهما اجتهدت فلماذا الاجتهاد ولا يتجاوز أحد ما قدر له في طبيعة الكيان.

١٥٩

ترومون بالنَّاموس كَسباً فسعيكُمُ إذا لاحت الأطماعُ سعيُ نموسِ

الناموس الشريعة وأسفار موسى الخمسة عند اليهود أي التوراة. قال الشارح الناموس ما ينمس به الرجل من الاحتيال. والأمر سهل قريب.

١٦٠

وليس ابن الزُّبَير صحيح رأيٍ إذا ما ناب عن مدَرٍ بورِس

لم يرد ما ذكره الشارح إنما يعترض على رأيه بجواز التيمم بالورس عوضاً عن التراب وما دخل حرب بني أمية بالنيابة عن المدر بالورس. والنكتة في اعتراضه على عبد الله بن الزبير أن في الورس وهو من أدوات الزينة مظنة اللهو والغرور فالتراب وهو الصعيد الطيب إليه المآل والغرض فيه صدَّق الله وكذَّبه القياس والمعنى دقيق وجيد ولكن اللفظ عكسه.

١٦١

فنحن وما فَراسَتُنا بمَينِ ... كلفظِ الدارمِي أبي فراسِ

قال أبو فراس هو الفرزدق وكان يقدم اللفظ ويؤخره كقوله:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو إمِّهِ حي أبوه يقارِبُهْ

ولا بأس به. وكنت أظن أنه عَني جزالة اللفظ وجفاء البداوة فقد أثر عنه «ما أحوج جرير مع عفته إلى لفظي وما أحوجني مع.. إلى لفظه».

١٦٢

قَدَرٌ يسمن الحَصاةَ فتُدعَى ... جَبَلاً أو يُذيبُ رَضوَى بهَلْسِ

البيت واضح بأن القدر يرفع قدر الصغير ويحط قدر الكبير ولم يرد ما قاله الشارح إذ قال الهلس داء السل وأراد به سلس البول فإن مدمن الخمر يصاب به. وإنما الهلس الدقة والضمور ضد يسمن والشارح يأتي بما لم يخطر على فكر أحد سواه. فانظر غرائب الأفكار.

١٦٣

أيَّما طارقٍ أصابَك يا طارقُ ... حتى مسَّاك للغَيِّ ماسِي

قال الطارق في الأصل الآتي ليلاً... وطارق علم رجل ولعله أراد به طارق بن زياد وأشار إلى اختلافه مع مولاه موسى بن نصير وانتقاصهما بعد ذلك الفتوح التي تمت لهما. فاقرأ واعجب. ونرى أن لم يرد به شخصاً معيناً وكان لنا أن ننسج على منواله فنقول أشار إلى «طارق المتنصر إذ يقول:

ألا هَـلْ أتـى قَـبرَ الفَقـيرة طـارقٌ — يخبِّرهـا بالغَيـبِ عـن فعـلِ طـارِقِ

الأبيات: ومعاني أبياته هذه وما يستنجه منها مكفِّروه لاستخفافه بأمر الجزاء والبعث واضح.

١٦٤

يـدنو إليـك الفتـى لحاجتـه — حتـى إذا نـال مـا أراد ملَـسْ

مَلَس تخلص بخديعة ورفق. لكن في الشرح الملس السير السهل والملس السير الشديد فهو ضد.

١٦٥

واجلـس بحيـث انتَهيـت مـتَّيـاً — فمـا يُبـالي الكـريم أيـن جَلَـسْ

قال في (هـ) متَّوياً ولعله أراد منفرداً أو منزوياً ولم أجد في المادتين ما يناسبُ هذا المعنى فليُحرر. قلت لعل صوابها متَّئِباً صُحِّفَت وهو الرفق والاستحياء والبَيت من الحديث.

١٦٦

بـشاشة أيـام مـضَت وشـبيبةٍ — بـشاشة خانـت أهلـها وبـشاش

قال البشاشة طلاقة الوجه وبشاش لم أقف على معناه وقال في (م) الظاهر أراد الكفن. قلت شاشَه اسم بلدة وشاش كذلك بلد بما وراء النهر وفسره بعض شرّاح المتنبي بالصين عند الكلام على قوله:

فقلـت نعَـم ولـو — لحِقـوا بـشاشِ
ويرسـلُ صـقراً للمَنـون مـسلَّطا — فيظفـر مـن أبطالنـا بخـشاشِ

الظاهر أن الخشاش يراد بها صغار الطير هنا. لا الماضي في عَزيمته من الرجال وإن كان له هذا اللفظ.

١٦٧

كأنمــارٍ ومــا اقترفـــتْ ذنوبــاً   وأرمـــاح التنـــازع في اقـــتراشِ

حكاية أنمار بن نزار مع أخيه مضر حين فقأ عينه مشهورة. يشير هنا إلى مؤاخذة القبيلة بإثم أبيها منتقداً.

١٦٨

لا تَرقــصَنَ مُهــيراتِ مكرَّمــة   فلِلْمهــارَى قــديماً يُعــرفُ الــرقص

مهيرات مكرَّمة (أي من الخيل) يعني أن الرقص للإبل لا لعتاق الخيل. ومغزى نهي الكرام عن أفعال اللئام واضح.

أومــا رأيــت جنــائزاً محمولــةً   تَمــشي الغــوُاةُ أمامَهــا وعِراضــها

عراضها جانبها فهو ظرف لا جمع عريض ضد الطويل.

١٦٩

وكــأن الأيــام ســرح حــام   يتــسلى بخلْــة بعــد حمــضِ

قال سرح حام كذا في هامش الهندية وهو أصَحّ معنى من سرح السوام الذي في (م)... (وإنما هي سَرحُ سوام). ولا أدري ما في سرح حسام من الصحة على ما في هذه النسخة.

١٧٠

ينبــهُ مغفــى فلاتــه بقَطــاً   بــين أيــادي رواحــلٍ بُقَــطِ

قال: قوله بُقُط كذا ضبطه في الهندية بضم الباء والقاف وضبطه في (م) بفتحها وقال بقط الرجل متاعه جمعه وفرقه فهو ضد فليحرر. قلت: البقطة الجماعة المتفرقة فعل البقط جمع لهذه اللفظة والله أعلم.

١٧٢

وَرُبَّ أبيض كان الوشيُ مبتذلاً ... في صونه أكلَته أضبُع خمعُ

الأضبع جمع ضبع الحيوان المعروف والسنة المجدبة وبها فسروا قوله: فإن قومي لم تأكلهم الضبع.

١٧٣

خمسة في نظيرها خمس خمسات ... تنمَّت والنصف في النصف ربع

العدد الصحيح إذا ضربته في نظيره تنمى أي زاد وارتقى وعكسه الكسر إذ الحاصر من ضرب النصف في النصف ربع وهذا مثل ما ورد (من له يعطى ويزاد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه) ونظيرها لحوق الأعمال بعناصرها) وهذا المعنى ذكره مكرراً كقوله:

ستضربني الحوادث في نظيري ... فتمحَقُني ولا أزدادَ ضعفي

وأين ينابيع الندَى وبحارُه ... وهل أبقتِ الأيام من أسد ضبعا

قال في (م هـ) أي ذهب الأولون فلم يبقوا خلفاً لأن الضبع ليس من نسل الأسد (وفيه نظر دقيق) وضبيعة بن أسد. وأسد بن ضبيعة من أسماء العرب والحرث بن عباد اليشكري ضبعي وكان الحكم في عشيرته.

١٧٤

يا ثالثَ الثِّنيين في خمسة ... أرْبِعْ لكي تستخبرَ الأربُعا

يريد بالثنيين مثنَّى زمام البعير وثلَّثَ العدد جعله ثلاثة والخمسة أراد بها الأصابع أي رويدك أيها المسافر وعلى هونك إربع أي قف لكي تستخبر الأربُعَ عمَّن حلها قبلك. هل خُلِّد أحد فما هذا الجد والكد والبكاء وراء الراحلين أو نحو ذلك وفي الشرح. الثني الناقة التي ولدت بطنين إلخ..

١٧٥

عُدولٌ لهم ظلم الضعيف سجيةٌ | يسمون أعرابُ القُرى والجوامع

في الشرح الأعراب سكان البادية خاصة غير العرب والنسبة إليه أعرابي ولعله أراد بالأعراب المذكورين في قوله تعالى الأعراب أشد كفراً ونفاقاً انتهى. قلت: مراده هنا فسره بقوله:

في البدو خراب ازوادٍ مسوَّمةٍ | وفي الجوامع والأسواقِ خرَّابُ
فهؤلاء تسمَّوا بالعُدُول أو التجّار | واسْمَ ألاكَ القَوم أُعرابُ

١٧٦

وشر ساكن هذي الأرض عالمنا | واللُوبُ في الجزع أعلى قيمة الجُزَع

قال: اللّوب الحوم حول الماء والجزْع بالكسر منعطف الوادي والجزع جمع جزعه القليل من الماء. قلت: اللّوب جمع لوبة الأرض الحرة السوداء والجزع خرز تتخذ منه عقود للأجياد أي أن كثرة الرديء أغلت قيمة الجيد. وبضدها تتبين الأشياء.

١٧٧

الطيلسَان اشتقَ في لفظِه | من طِلسة المبتكر الجامع

الجامع تصحيف والصواب الخامع صفة للذئب في مشيته (كالذئب يصطادُ الغزال ويظلعُ) والطلسة صفة للذئب لا أنها هي هو ولو قرأت الشرح لشهدت الغرائب.

١٧٨

إن الرجالَ إذا لم يَحمِهــا رَشَدٌ | مثل النِّساء عَراها الخُلف والخَلفُ

الخُلف نتن رائحة الفم وغيره واسم من إخلاف الوعد ضد إنجازه. والخَلف هنا العسر

وسوء الخلق. وهذا المعنى يقره المأثور من أنَّ الكذب. حيض الرجال ووجه التشبيه ظاهر.
وفي الشرح. الخلف جمع أخلف وهو الأحمق وهذا الحمق بعينه.

١٧٩

وأم دَفـرٍ فـروكٌ وافقـت صَـلِفاً ... مـني وكـان جـزاء الفـارِك الـصلَفُ

الصلِف من الرجال كالفروك من النساء وهي التي تبغض زوجها ومن أمثالهم: أنا صلِف وأنت كلِف فكيف نأتلف.

١٨٠

أمـا شُـغِلَ الأنـامُ عـن التَّقـافي ... بمـا وَعَـدَ الزمـانُ مـن التّقَفّـي

التقافي الاغتياب والتَّرامي بالقبائح في القفا والتقفّي كناية عن الموت لأن الزمان يتقفى الناس أي يتبع بعضهم قفا بعض وهذا من أبيات المعاني ومثله قوله:

أرى حسـن الـشمائل منـك حثـت ... عليـه الأيْمـن المتوسـدات

كناية عن توسد المرء يمينه في القبر. وما أظنُّ أحداً يفهم معناهما من الشرح.

١٨١

ولـو نالـت عقـاب اللـوح لبّـاً ... عـداها عـن تكفُّؤهـا التكَفّـي

التكفُّؤ الانقضاض على الفريسة والتكفي التكفف أي الاقتناع والامتناع وغالب فلسفته يرمي إلى هذا المعنى والاستشهاد عليه يطول.

١٨٢

وإن القتـل في أُحُـد وبـدرٍ ... جَنَـى القـتلين في نَهـر وطِـفِ

شرح ألطِف وهو شط الفرات حيث استشهد السبط بكربلا ثم قال وما أدري ماذا أراد بالنهر. قلتُ يشير إلى وقعة النهروان مع الخوارج وهذه فلسفة مصدرها التشيع.

١٨٣

إذا لم يكن لي بالشقيقة مَنزِلٌ فلا طَهُرَت عزَّاؤها والشقائقُ

إنما هي فلا (ظهرت غراؤها والشقائقُ) وهي نبت طيب الرائحة ويقال لها أيضاً الغريراء فاسمع الشرح. الشقيقة بئر في ناحية أبلى من نواحي المدينة ويوم الشقيقة قتل فيه بسطام بن قيس وطَهَرت بفتحات أبعدت وفي (م) بالظاء. المثالة عزَّاؤها يريد بها السنة الشديدة والشقائق يريد شقائق النعمان. قاله في (م هـ) وأرى أنهما موضعان فعزّاء لم أقف عليه والشقائق موضع في قوله كثير عزه فتأمل.

١٨٤

نظير ابنة الجون التي النوح شأنُها مغنية عن صوتِها اللّب مارقُ

ابنة الجون نائحة في الجاهلية مشهورة ذكرها في غير موضع وفي الشراح ابنة الجون كنية الحمامة قاله في (هـ).

١٨٥

وبِشرُهُمُ خدعاً وفقرُهُمُ غنىً وعلمُهُم جهلاً وحكمَتُهم زرقا

زرقاً أي طعناً من زرقه بالرمح ونحوه وتلك الحكمة لا حكمة كما أن علمهم عنده جهل إلى آخر ما ذكر. قال الشارح تحية بينهم ضربٌ وجيع زرقاً قال في (م) أي زرقاء وأراد بها الخمر ولم أقف عليه.

١٨٦

ما راعَها من قِرَى عمَ وجارمها إلاَ الأباريق يحملنَ الأباريقا

أحسن في شرح هذا البيت إلا قوله (يحملن الأباريقا) السيوف الشديدة البرق واحدها إبريق. فالأباريق الأولى الحسان من النساء والثانية جمع ابريق آلة الشراب المعروفة لا السيف وإن كان من معانيه.

١٨٧

لا يغرض المرءُ مما يغتدي غرضاً ... يمسي ويضحي بنبل الدَّهر مرشوقا

مما يغتدي غرضاً أي هدفاً لسهام الدهر أي لا يغرض المرءُ من العمر (الحياة) أي لا يسأمه ولا يمله مع ما يعاني به من ضروب الشقاء ولا يفهم ذلك من الشرح.

١٨٨

همُ هتكَوا بالرَّاح أستَارَ عازِلِ ... ولم يَحفظوا بالنُّسك حُرمَةَ ناتِقِ

عازل اسم شعبان وناتق اسم رمضان (قديماً) ظهر المعنى لكنْ إليك ما يقول الشارح: العازل العرق الذي يخرج منه دم المستحاضة وصحفه في (م) بغازل. والناتق الكثيرة الوُلد.

١٨٩

عُدِدْت زماناً في السيوف أوِ القنا ... وأصبحتُ نِكساً في السهام الموارقِ

الموارق هنا من مرق السهم من الرمية نفذها (يخاطب طارق المتنصر مبكتاً له قائلاً حسبت زماناً من السيوف أو القنا فالآن أصبحت نكساً - وهو السهم المنكسر - بين السهام النافذة فانظر التمثيل والتفسير. إذ جعل المارق هنا الخارج من الدين ببدعة أو ضلالة.

١٩٠

إن السيوف مخاريقٌ إذا عصيت ... بها الفوارس أودى كل مخراقِ

قال: بعد شرح طويل وأبعد في (م) بقوله المخراق المتصرف بالأمور والسيد قلت لم يبعد وإنما قرب المعنى البعيد.

١٩١

والعيش أينٌ وفي مثوى امرئٍ دَعةٌ   والله فرد وشرب الموت مُشترَكُ

الأين هنا الإعياء، وخلاف الدعه ليس إلا وتصرف الشارح حاكياً أنه ظرف إلخ.. زيادة لا موجب لها.

١٩٢

فلا تشقوا بنصركم أميراً   كما شقيت به كلب وعكُّ

قال: كلب وعَك قبيلتان كانتا مع معاوية على علي. والشيخ يتشيع لعلي كما هو ظاهر من كلامه هنا وفيما تقدم وسيأتي شواهد على مذهبه هذا. نحن نعلم أن أبا العلاء مولود في بيت شيعي ولكن لا يستفاد تشيعه من كلامه هذا وحده. ولم يبر الشارح بوعده هذا ولا بوعد ترجمته وفي البيت من الحكمة التروي باتباع الناعقين.

١٩٣

قد أرذَياك بسير إن ركبتهما   ولم يصيرا بحالٍ من رذاياكما

الرذايا جمع رذية الناقة الحسرى أو الهزيلة. وهي بالذال لا بالزاي. وقوله أرذياك جعلاك رذية يعني الليل والنهار.

١٩٤

كم فارس يغتدي لُغابٍ   وفارسٍ يغتدي بشِكّه

فارس الأولى يريد به الأسد من فرس والثانية راكب الفرس كما أفاد الشارح. والشكة جملَة السلاح.

١٩٥

ألا يا جون ما وُفّقت   إن زايلت قاموسَكْ

الجون الحوت والقاموس البحر.

١٩٦

ورأيـــي لـــك أن تلـــزم   في العـــالم ناموسَـــك

قال لك يخاطب الصَّائد وناموسه قترته كالبيت يبنيه ليَستَتِر فيه الأَوْلى أن يكون الخطاب للمصيد لا للصائد لأنه في مخالفة ناموسه تعرض لما سيصيبه من أذى الصائد.

١٩٧

ومـا حظـه في حِـزام يُـشَدُّ   ليَركـب أو في لجـامٍ أَلِـك

قال أَلِك من لاك الفرس اللجام إذا أداره في فيه. والصحيح أنه من ألك لا من لاك وهما بمعنى واحد.

١٩٨

أرى ملكـاً طانَـه للحِمـام   فكيـف يـوقي بطـين الملـك

ضبطها (بطِين) وقال في الشرح طانَهُ طلاه بالطين وبطين الرجل الذي يكاشفه بأسراره ثقة بمودته ـ وإنما هي بطين وهو الطين الأرمني الذي كانوا يزعمون أنه يطيل الحياة ذكره بقوله (يحاول طيناً أرمنياً ـ البيت).

١٩٩

جهلـت أقاضـي الـريّ أكثـر مأثمـاً   بمـا نـصّه أم شـاعر يتغـزَّلُ
واعلـم أنَّ ابـن المعلـم هـازلاً   بأصـحابه والبـاقلاني أهـزلُ

قاضي الري عبد الجبار المعتزلي متكلم المعتزلة وهو الذي ألف الشريف المرتضى كتابه الشافي في الرد عليه وابن المعلم هو الشيخ المفيد محمد بن النعمان فقيه الشيعة ومتكلمها وهو أستاذ الشريفين الرضي والمرتضى والباقلاني هو أبو بكر الباقلاني متكلم الأشاعرة السّنيين أحد أعيان العلم المشاهير في القرن الرابع وأبو العلاء غير راض عن علم الكلام وما جره في ملة الإسلام فهو ينتقد هؤلاء العلماء الكبار.

لا القاضي الذي نسب إليه الشارح الحكاية مع الرشيد ومن هو حتى يحشره أبو العلاء في زمرة هؤلاء الأساطين العظام (أأنت تصلب مع هؤلاء لا ولا كرامة) ولفيلسوف التوحيد - الأمير حسن بن مكزون السنجاري - في هذا المعنى:

أغبَى الورَى مَن لم يجد نفسه ... تَخُصَّه إلاّ برأي العوامْ
وأبَعدُ الخلق عن الحَق مَن ... يحاول الحقَّ بعلم الكلامْ
بل باقتفا الباطنِ من ظاهرٍ ... أنزلَه الله هدىً للأنامْ

فاغتنم أيها القارئ هذه الفائدة الجليلة.

٢٠٠

ألا هَل رأتْ هذي الفراقد رمينا ... فراقد في وحشٍ رعى الوحش آزله

قوله: فراقد في وحش أي في مكان موحش مقفر رعى الوحش آزله. أي جدْبُه وضيقُه رعى الوحش فأهزَلَه.

٢٠١

متى يتولّى الأرضَ نجمٌ فإنه ... يدوم زماناً ثم ربُّكَ عازلُهْ

هذا بناء على ما يزعمه المنجمون من أن لكل سنة طالعاً من السبعة الشهب يحكم فيها فتنسب إليه سعودها ونحوسها كما كان العرب ينسبون المطر إلى الأنواء أي فليعتبر الولاة إذا كان الله سبحانه يعزل النجم عن ولايته فكيف بالحري الإنسان.

٢٠٢

والفقر بكر ترتقيه شذاته ... واليسر عود ما تسوَّر عَلُّهُ

الشذاة الذبابة أو ذبابة الكلب خاصة. والبكر الفتي من الإبل والعود المسن منها والعل القراد الضخم والصغير ضد وهذا مغزى المثل العامي: لو ركب الفقير على الجمل لعضه الكلب.

٢٠٣

كـــم قـــارئٍ هـــشَّ إلى نارِهـــا فأطفـــأت نـــور الـــذي يتلـــو

يريد بالقارئ تالي القرآن الكريم إذا هش إلى نار الخمرة أطفأت نور الذي يتلوه. وكرهه للخمر لكونها تفسد العقل أفضل جوهرة منحها الله لخلقه ولكن الشارح يقول: القارئ المصطلي فلا أدري من أين يأتي بتلك الغرائب.

٢٠٤

فمـا درهَمـي إن مـرَّ بـي متلبثـاً ولا طفلَ لي حتى ترى الشمس مطفلا

مطفلا ذات أطفال أي أن ذلك لا يكون. لا من طفلت الشمس فتكون مطفّله بتشديد الفاء. وما أقرب هذا الوقت لو أراد ما ذكره الشارح.

٢٠٥

وهل يقوم لحمل العبء من جدَث ظهـرٌ وأيسـرٌ مـا لاقـاه أن جُـزلا

جُزِل دبر غاربَه من القتب.

٢٠٦

وأنـا العـود قلبـه أضـمـر الـشوق ولكـنّ ظهـره مجـزول

يعني ما الفائدة له لو تجدد العمر بالمعاد ثانياً.

٢٠٧

ومـا وَجـدتُ منايـا القـوم مغفلـة شِـبْلا بغـابٍ ولا غفـرا بإشـبيلا

الشبل ولد الأسد والغفر ولد الأروى وإشبيل مكان بعينه تأوي إليه الأغفار ولكن الشارح يقول إشبيلا يريد إشبيلية مدينة بالأندلس. شارك المعري بعمق الأفكار وبعد النظر ومن ذا الذي كان يخطر بباله هذا المعنى الدقيق.

٢٠٨

إذا طمـا لـي أو لم يطـمُ بحـر غنـىً　　　فقـد وجـدت بـني الـدنيا طمـاليلا

الطماليل: جمع طملول وطملال وطمليل لا طمل كما في الشرح. وهما بمعنى اللص الخبيث الفاسق.

٢٠٩

لا يكــذب النــاسُ علــى ربهــم　　　مــا حُــرِّك العــرشُ ولا زُلــزِلا

فيه إشارة إلى ما ورد من اهتزاز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ كأنه يشك في صدق الرواة وإلا فإنها كبيرة والعياذ بالله.

٢١٠

والعلــوي البــصري كــان بهــم　　　أعــرف مــنهم واللــب يــشهد لَــه

العلوي البصري لعله يريد به صاحب الزنج أي أنه مصيب فيما فعله بهم وهذا خلاف رأيه بوجوب الرأفة حتى بالحيوان الأعجم ومثله قوله:

أدفِئــوا بالطَّعــان بــين التَّراقــي　　　والحوايــا أســنَّةٌ مقــروزه

٢١١

وجدوا مشمشاً ثقيلاً يريدون به من يَنَمْ يُنَبَّهْ بقُبلَه

من ينم ينبه بقُبله تصحيف مشمشة ثقيلة. كانوا يتفكهون بمثل هذه التصحيفات نحو بلنسيه ثلثا سنة سكباج شك تاج ونحو ذلك كما في تصحيف عيسى عيشي عنسي إلى عشرين كلمة أو تزيد وهنا ينهى عن مجالسة أهل الشرب ومفاكهتهم بما يجر الشهوات من العبَث الذميم ولم أجد من تنبه لهذا المعنى وهل هذا من قوله:

لعمــرك مــا غــادرتُ مطلــعَ هــضبةٍ　　　مــن الفكــر إلا وارتقبــتُ هــضابَها

٢١٢

إذا كنـت تهـديني وأجزيـك مثلـه فـإنّ الهـدايا بيننـا تعـب الرُّسُـلِ

الرسل هنا جمع رسول ليس إلا وذمه الرياء، وكل عمل خير لا يراد به الخير لذاته. واضح.

والشارح يقول الرسل هنا الرفق فانظر غرائب الشارح وسعة علمه واقتداره على التصرف باللغة والمعاني أيضاً.

٢١٣

سـهيل وإن كـان اليمـاني منكـراً لأمـر بـضبن الـشام مـا هـو بالـسهل

قال أراد أبو العلاء هنا قول عمر بن أبي ربيعة في الثريا وأورد البيتين المشهورين فأعاد النغمة التي لحنها في قوله: (فهل لسهيل في معدك ناصر) وهذا من الغيوب التي لا تعلم إلا بالتوقيف.

٢١٤

ولا تحتقـر شـيئاً تـساعفه بـه فكـم مـن حـصاةٍ أيـدت ظهـر مجـدلِ

المجدل القصر وفي الشرح المجدل الحجر الكبير وهذا من ذاك.

٢١٥

إذا مـا دعِـيُّ القـوم ضـاهى صـريحهم فـلا تنكـرنْ واعـدده آخـر عبـدلِ

اللام في عبدل للتحقير كالنون في ضيفن ويقال عبدل للعبد المملوك. قال الشارح عبدل في (هـ) اللام في عبدل زائدة قلت ولعله أراد بعد شمس بن عبد مناف وقد تقدم تلميح المعري بذلك. ولم أسمع بمثل هذا الشرح في الملة الآخرة. ومتى لمح المعري إلى ذلك.

٢١٦

وأيامنـــا مثـــل الأيـــوم وإنمـــا ســـعى لـــي مـــن ســـاعاتهن ســـعالي

لا مانع أن تكون الأيوم جمعاً غريباً لليوم والأيم لم نرد في المعاجم على أنه لا حجة في المعاجم على أبي العلاء فهو أوثق في اللغةِ من الفيروز أبادي والفارابي وابن منظور فما ظنك بمن بعدهم.

٢١٧

دنـــتم بـــأن ســـيجازيكم إلهكـــم فمـــا لأفعـــالكم أفعـــال إهمـــالِ

أورد هذا المعنى في رسالة الغفران وصفاً لبعض المعتزلة وهو كقوله:

ولا ألــوم أخــا الإلحــاد بــل رجــلاً يخـشى الـسعير ومـا ينفـك في ســعر

٢١٨

ومــا تُثْنَــي المقــادر عــن مــرادٍ بمــا جمعَــت مــن خيــلٍ ورَجْــلِ

المرَاد اسم مفعول وهو ما يُراد يعني أن الحذر لا يمنع القدر. وفي الشرح مراد اسم قبيلة وقد ضاعت الحقائق على من يستنيم إلى متأخري الشراح.

٢١٩

أغــيُّ الطفــل مــن بعــد التنــاهي وضــعف الــسقب في حــال البــزولِ

أي تتصابى بعد الشيب وتضعف عن أداء الواجبات ضعف السقب حال كونك في إبان البزول.

٢٢٠

ورأيــت شــر الجــار يــشمل جــاره كرحـى الفـم انتُزعـت بـذنب المِقـوَلِ

كان سهيل بن عمرو خطيب قريش ضد النبي صلى الله علي وآله فأشير إليه يوم الفتح أن تنزع ثناياه فلا يقوم عليه خطيباً فقال صلى الله عليه وآله: لا أُمثّل فيُمثَّلَ بي. الرواية تذكر هنا.

٢٢١

أتصدقت بالخيط ثم هوت إلى الحمراء فاعتصمت بخيط الغازل

الحمراء النار يريد بها جهنم والخيط المتصدق به من كسب يديها ينجيها كما في الحديث: اتقوا النار ولو بشق تمرة.

٢٢٢

والغِر يُرسل قوله بمواعد ولد فتنتج عن يمين حائلِ

الوُلْد والوِلْد المولود وإذا أراد بها جمع ولود فهو حجةٌ وإن لم تذكرها المعاجم لأن الحائل خلاف اللقوح ومن أكثر المواعيد اضطر إلى الإخلاف.

٢٢٣

مضى قيلُ مصرٍ إلى ربه وخلّى السياسة للخائل

الخائل الخادم يريد به كافور الإخشيدي كما أراد بقيل مصر مولاه الإخشيد.

قال الخائل المتكبر وفي (م) الراعي السائس والحافظ لرعيته.

٢٢٤

وترتع ما بين النبيّين ناعماً بعيشة خلد لم تنلها السمائمُ

السمائم الرياح الحارّة مفردها سَموم فانظر الشرح واحمد الله على إنعامه.

٢٢٥

وما آدم في مذهب العقل واحد ... ولكنه عند القياس أوادمُ

هذا رأي فرقة شيعية يقول به كثير من أهل العلم وفيه دليل على شيعيته.

٢٢٦

وراحلتي نفس خؤون كأنها ... من الضعف شاةٌ في السَّوام رغومْ

إنما هي رعوم بالمهملة وهي التي يسيل رعامها من الهزال أي مخاطها وقد ذكروا أن الرغام لغة في الرعام ولكن اللزوم هنا يوجب كونها بالمهملة ليس إلاّ.

٢٢٧

ويصبح في الحجى التشريق رزءاً ... وأنّى يبهج الركن استلامُ

التشريق (صُحِّفَت في النسخة بالتشريف) وهو تقديد اللحم في أيام التشريق (ثلاثة) بعد النحر وهذه من نزعات مذهبه الذي بناه على تحريم لحم الحيوان وعدم استحلال آذاه والغمز ظاهر.

٢٢٨

فما روضه مرعىً ولا يسره غنىً ... ولا صبحه أضحى ولا ليله ألمى

ألمىَ من اللّمى سُمرة الشَّفَه وفي الشرح ألما هو من قولهم ألما على الشيء ذهب به خفيةً.

٢٢٩

وتشابُه الأخلاق من متاعدي ... نجرٍ وليس خزيمة من أخزم

قال: خزيمة هو ابن مدركة بن الياس بن مضر. وإخزم لم أقف عليه. قلت أخزم هو جد حاتم الطائي المقول فيه حسب الرواية: شنشنَةٌ أعرفها من أخزم. فهو قحطاني وخزيمة عدناني.

٢٣٠

والخير أفضل ما اعتقدت فلا تكن همــلاً وصَــلِّ بقبلــةٍ أو زمــزم

الزمزمة هينمة المجوس في صلاتهم، يريد أن الله غني عن العالمين. فليفعل المرء خيراً وليكن دَيناً لا هملاً. وقد قال فيلسوف الموحدين:

واعمل على ما يقتَضي علمك فيما دنت به؟

وقد يتنبأ كثير من العلماء أنّ هذا الرأي سيكون هو المذهب الأخير الذي يعتنقه الإنسان وبمعناه قوله:

والخــير لا يُكفَــر فليحــسن المــسلمُ والــصابيءُ والهائــدُ

٢٣١

ســألت أقوامــاً فلــم تُلــف مــن يهــديك مــن رُشــدٍ إلى معلَــم

المعلَم الواضح من الطُرقَ خلاف المُجهَل. وفي الشرح المُعلَم هو الفارس الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يُعرف بها لشجاعته.

٢٣٢

والــدهر لا ينكــر تــسويَده بــني كليــبٍ لــبني دارمِ

بني كليب رهط جرير وبني دارم رهط الفرزدق كلاهما من تَميم وإنما المجد والشرف لبني دارم على أولئك والشارح يقول كليب وائل بن ربيعة وبَني دارم قبيلة أو حيّ.

٢٣٣

أعــوذ بالخــالقِ مــن معــشرٍ إذا غلــت قِــدرهم لم تُــدَم

تُدَم من الدمام وهو كل ما طليتَ به شيئاً فهو له دمام يقال دُمّ قدرك أي أطلها بالطحال حتى تقوى. لكن وجدت الشارح يقول: تدم من درمت القدر إذا سكنت غليانها. فقلت عسى ولعلّ.

٢٣٤

يخاف إذا حل الثرى أن يقينَها … لآخر من بعض الرجال القوائنِ

قال الشارح يقينها يزينها للزفاف وهو الصحيح ثم قال والقوائن من تقوّن الرجل تعدّى وفي (م) جمع قائنة وهي المزينة فتأمّل. انتهى. فقلت تأملت فتعجبتُ كيف لم يرض شرح (م) وهو الصواب حتى أتى بما أتى به.

٢٣٥

وأوقات الصبا في كل عصرٍ … أراقم والمنية ما قَلَسْنَه

ما بمعنى الذي لا زائدة كما في الشرح.

٢٣٦

ولو صرف الهدى بجميل فعلٍ … إلى مهج نفَسْن لَمَا نَفَسْنَه

إلى مهج نفَسن كنَّ نفيسات والنفيس الثمين يُضَنّ به لنفاسته لَمَا نفَسن من نفست المرأة. والنفاس وجع الولادة وله بهذا المعنى كثير.

٢٣٧

ولا الأفواهُ تضحكُ عن غريضٍ … فرائدَ في مدامتها غُمِسْنَه

الغريض الطلع تُشَبَّه به الثنايا والطري كالإغريض.

٢٣٨

إذا مضيا لم يرجعا وتلاهما … نظيرانِ بالمستودعات يلطّانِ

يلطّان يكتمان ويجحدان ويخفين. وفي الشرح من ألَطَّ بالشيء ولط به إذا لزمه.

٢٣٩

أريد ليان العيش في دار شِقوةٍ ... وتأبى اللّيالي غير بخلٍ وليّانِ

اللیان المطل مصدر لوّى ماطَلَ. وفي الشرح لعله من لوى الأمر لياً وليناً طواه وأخفاه.

٢٤٠

وما اقتتل الحَيّان إلا سفاهةً ... ولو صح ودي للمحارب حيّاني

المحارب العدوّ الذي يحاربك. واضح. وحيَّاني من التحية وهي دليل الحب وفي الشرح المحارب بطن من قريش وحيان كثير في العرب ولم أقِف على ما أراده. فانظر إلى اختلاف الأفهام.

٢٤١

تَمزنَ من مزنِ السحاب معاشرٌ ... ومن مازنٍ بِيْض النمال تمزَّني

تمَزن انتسب إلى المزن وإلى مازن ومازن اسم قبيلة وبيض النمال فهو يفسر كلامه فلماذا يتكلف غيره به.

٢٤٢

وما برٌّ من ساواهما في قياسهِ ... ببّري عقوقٍ بل هما سَبُعان

قال البرّان الجرذان وتبع في تشبيهه الليل والنهار بالجرذين صاحب كليلة ودمنة في بعض أمثاله. قلت هو منتقد هذه التسمية لا تابع.

٢٤٣

أنّ اللباس وعطرا أنت بائعهُ ... ليست لمدفون موتانا بل الدُّفُن

الدُّفُن جمع دافن أي أن تكريم الميت إنما هو غالباً لأجل الأحياء لا لأجل الأموات.

٢٤٤

يغيـبني في الـترب مـن هـو كـارهٌ إذا لم يغيّـبني كريـه الـروائح

وله بمعناه كقوله:

إذا لم يكـن للميـت أهـل فقلّمـا يـزور أنـاس قـبره للتّـذمُّمَ

وفي الشرح الدفن جمع دفان البئر التي اندفن بعضها وأراد بها القبور.

٢٤٥

أذْويـن آل زهـير وارتعـين بـني نَبـتٍ وحـيَّين موتـاً رهـط حسّانِ

في البيت مجانسة بديعية في أذوين آل زهير. ونبت ويسمى ينابوت (في العبرانية ابن قيدار من ذرية إسماعيل في سلسلة نسبه عليه الصلاة والسلام. وفي الشرح والنبت لعل أراد به النبيت أبو حي في اليمن اسمه عمر بن مالك وبنو النبيت أيضاً بطن من الأوس من الأزد.

٢٤٦

طرفـان لله مـا بـذّا ولا لحقـا ولم يـزالا بمقـدار يبـذانِ

طِرفان أي هما جوادان ما سُبقا ولا لُحِقا ظاهر. وفي الشرح طرفان الطِّرف بالكسر الحديث في شرفه وثنّاه لأنه أراد بهما الليل والنهار إلخ.. ويبذّان يأخذان. قلت كون المراد بهما الليل والنهار معلوم من قوله الجديدين في البيت السابق ومن أدراه أنهما حديثان بشرفهما.

لا أشـرك الجـدي في درّ يعـيش بـه ولا أروع بنـات الـوحش والـضان

هذا كقوله

لا أفجـع الأمّ بالرضـيع ولا أشـرك هـذا الغريـر في اللـبن

٢٤٧

ومـــا أهـــل التحنُّـــؤ والتحلّـــي إلى أهـــل التحلُّـــؤ والـــتَّحني

التحنؤ الخُضاب بالحِنّاء والتحلي لبس الحُليِّ والتحِلّؤ من حلأه منعه ورود الماء والتحني من انحناء الظهر.

ومـــن فقـــد الـــشبيبة فـــالغواني لـــه عنـــد الـــورود مـــصرداتُ

أي لبس هؤلاء لهؤلاء. إذا بلغ المرء الستين فأياه وأيا الشوابّ.

فالرجـــل للرجلـــة والكـــف للكفـــة والعـــرنين للعـــارنِ

هذا شرح للبيت قبله.

٢٤٨

عنـــدك مـــالٌ فـــأعِنْ ســـائلاً ولا تبـــتْ كالـــسابق الحـــارنِ

أي ما نفع سبقه مع الحِران. يعني أن عاقبة الرجل للرجلة (الترجل) مهما ركبت والكف للكفة مهما تصرفت والعرنين (الأنف) للعارن الذي يضع العران في الأنف. وفي الشرح. العِرنين الأنف والعارن تقدم أنه البعير المعرون. انظر.

٢٤٩

مـــا خُـــتِن القـــوم باختيـــارهم إذ جلبـــوا مـــن طـــراز أو خَـــتَن

وهذا كقوله:

ومـــا دان الفتـــى بحجـــىً ولكـــن يعلِّمـــهُ التـــديُّنَ أقربـــوهُ

وقوله:

٢٥٠

قد أسلم الرجل النصران مرتَغِباً   وليسَ ذلك عن حُبٍّ بإسلام
قد أراني القياس أنّ ليوثَ الغاب فيما ينوب مثل الأراني

الأراني الأرانب أُبدِلَت الباء ياءً كما في الثعالي جمع ثعلب. وقد ردَّد هذا المعنى كثيراً في لزومياته. وفي الشرح الأران كناس الوحش.

٢٥١

ما مشى فوقَ لجة الماء لا السَّعدانِ فيما مضى ولا العُمَرَانِ

السَّعدانِ. سَعد الأوس. وسَعد الخُزرج أي سَعد بن معاذ وسَعد بن عبادة وهما في الأنصار كالعَمرين (أبي بكر وعمر) في المهاجرين فما في التفسير غلط لا نورده لطوله.

٢٥٢

ولولا القذى طرتما في الهواء   وفي اللج ألفيتما تطفوانِ

لا يقال قريباً منع أن يكون مثل ذلك بقوله (ما مشى فوق لجة الماء...) البيت لأنه هنا اشترط نفي القذى وإذ ذاك تصفو الروح من الشوائب. فلا يكون ثمّة مانع.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الميامين وسلّم.

هذه بعض المآخذ على شرح النسخة التي بأيدينا أوردنا الكثير منها ولم نستقصِ ونمسكُ عن بعض ما وقع فيها من التصحيف والتحريف الذي يفسد المعنى ويتنصل منه كل من الشارح والطابع ويلقي تبعته على صاحبه إن أُلجئَ إلى ذلك. وقبل الشروع فيما أردنا نعترف بالحق ولا نبخسُ الناس أشياءهم فنقول إننا استفدنا من هذا الشارح وإن أخذنا عليه (ولو لم يكن إلا ما دفعنا إليه منَ التثبت والتروي لكفى) كما يستفيد منّا مَن سوف يأتي بعدنا وإن أخذ علينا وكفى المرء نبلاً أن تُعَدَّ معائبهْ وهذا أوان الشروع والله الموفق.

الكلمة المصحَّفة بين هلالين

أنت يا (آدم) آدم السرب حواؤك فيه حواء أو ادماءُ

يا آدُ مرخم يا آدم

فلو (قيل) الغواة عرفت كشفي   من الكذب المموّه ما توارى

قَبلَ

(تغير) حنّاؤه شيبه   فهل غيّر الظهر لما انحنى

يغيرٍّ

ولو كان يبقى (الحسن) في شخصٍ   لآليت أنَّ الموت في الفمِ أعذبُ

الحِسّ

غرامك بالفتاة (خنىً) وغمٌّ   وليس يسر من يشتاق غِبُّ

ضَنىً

وأملاك (تجر) في غناها   وإن وردَ العفاة فهم سرابُ

تبحر. فكم ضاع من المعنى وكم وجد

وقد (يغري) أسود الغيل حرص   فتحويها الحظائر والزّرابُ

يغري. مَن أغراه أطمعَه وأولعه بالشيء فكم من فرق بينهما

أشأم من ناقة البسوس على الناس وإن (يُنَل) عندها الطلبُ بينما هي نِيلَ

ومَن لي (أن أقيم) في بلد   أُذكرَ فيه بغير ما يجبُ

أن لا أقيم.

لا تغشِهم كولوج الهم يطرقهم بالكره بل مثل وسق الخير (مصحوبا)

مسحوبا.

إنَّ خيراً من (اختراش ضباب الأرض للناشئ اتخاذ ضبيّه) هي احتراش. والعرب يعيِّرون بأنهم حرشة الضباب والاحتراس تهييجُها لِتُصاد.

كم (سقينا) الحمام شارب ماء ومدام ومن يسقى الحليبا

سقينَ أي المنايا ذكرها قبل.

(صبحت) الحياة فطال العناء ولا خير في العيش متصحبا

صحِبتُ

وكلكُم يبدي لدنياه (نغصة) على أنه يخفي بها كمدَ الصبّ

بغصةً أو بغضهُ

(يظن) نبيه غائباً مثل شاهدٍ وخامل قوم شاهداً مثل غائبِ

يظلّ

وجدت الموت ينتظم البرايا (بشحب) منه في أعقاب (شحبٍ)

بسَحبٍ. سَحبِ

بنَتِ النصارى للمسيح كنائساً (كانت) تعيب الفعل من منتابها

كادت

أنيابُ جامعة السمام فم التي (أطغت) فخلت الراح في أنيابها

لطفت. ظهر المعنى.

ومالك مال وإن (جزته) فاعطِ عفاتك أو خيِّبِ

حزته

والـــنفس تعلـــم أنهـــا مطلوبـــة بالحادثات (فما) تـراع مـن الطلبُ

فَلِمْ

لا أطعـــم الغـــسلين في قعرهـــا ولا أغـــادي (بـــالجمم) المـــذاب

بالحميم

وتظـــل حبـــات القلـــوب زرائعـــاً كـالأرض (والـصهوات) مزروعاتهـا

لعلها والشهوات.

أفٌ لهـــم مـــا أقـــلّ فطنـــتهَم (لـــدوا) أكـــيلاً وإنمـــا ســـئتوا

لذُّوا

وتعـــذر نفـــسك عنـــد الحـــنين وتعـــذل (نفـــسك) إن حنَّـــت

عنيك أي ناقتيك

وأيـــسر مـــا حللـــتم نحـــر (دارع) يعمكـــم بالـــسكر والنـــشواتِ

دارع وهو زق الخمر

كم بالـسماوة من (وصل) ومن أسـد كلاهمـا خـص في شـدق بتهريـتِ

صِلٌ

(رأينـا) الـورد في الوجنـات (حيمـا) فغـــادَينَ البنـــان معنمـــاتِ

رأين - خيماً

ولـــولا دفـــاع الله لاقـــى مـــن الأذى كمـا كـان لاقـى (خامـد) ومتـوجُ

خامل

(يرجى) معاشاً من له بدوامه وهل يترك الدهر الفقير وما (رجى)

يزجي - وزجّى - أي يدفع العيش برف وتُؤَدة وهي عيشة القراضة والتدفير بلغة العامة لتقطع الوقت.

أشل أو أعرج دهر عدا فوارساً عن (شك) اعراج

شل أي طرد

الإعراج وهي جماعات الإبل أي منعها الغارات وحملها على فعل التقوى.

سيجري على نيران فارس طارق فتخمد والمريخ في العين (راقدُ)

واقدُ

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتب (القناطر) لا المغني ولا العمدُ

التناظر

وليس ركابي عن رضاي عوادناً ولكن (عواها) أن تسير عوادي

عداها أي صرفها. عوادنا من عدن بالمكان أقام به أي ليس وقوفه في محبسيه عن رضىً منه ولكن منعه عن ذلك عوادي الدهر.

كما قال:

لو ملكتُ الرّحيل جوّلتُ

والعفو آمل من ربي إذا (حفرت) نفسي وفارقت عوّادي لأعوادي

حضرت أي حضرها الموت.

(أيعيث) ضوء (الشبح) ناظر مدلج أم نحن أجمع في ظلام سرمد

أيغيث ضوء الصبح

جهـل مرامـي أن تكـون مـوافقي وشـكوك (نفـسي بيـنهن مغـادي)

نفـي بينهن تعادي

فـازجر (عزيزتـك) المـسيئة جاهـدا واسـتكف أن تتخيَّـر الأصـهارُ

غريزتك. هذا على رأيه من أنَّ التناسل أذية على النسل يجنبها الناس.

والـدفن دفءٌ في الـشتاء (وظلـه) في الغـيظ حـق لمثلـها أن يـؤثرا

وظُلَّةٌ

فيا ليت شـعري هل تـراع من الردى فتركـع نـسكاً بالعـشاء وبـالظهر

فتركع أي النجوم

وإن بُتِكـت عـشر فمـن بعد ما جنـت بكـل فـسيط (قض) أكثـر مـن عشـرِ

قُصَّ. والفسيط قلامة الظفر أي إذا قطعت عشر (وهي الأنامل) فبعد أن جنت بكل فسيط منها أكثر من عشر جنايات أي لم تنل من العقوبة إلا دونَ ما تستحق. والفسيط قُلامة الظفر.

فأطيَـب أرضِ الله مـا قـل أهلـه ولم ينأ فيه القوت عن يدك (السفر)

الصفر

ذللـت حتـى دَنـانير إلى كتـد (وأيمـا) ذاك مـن (جـب) الـدنانيرِ

وإنما حب.

كـثير مـن (تكـبر) بالمعـالي علـى مـا كـان مـن قـلٌ وكثـر

تكثر

فطَــــوراً بالمغـــــارب مـتــــــشاراً　　وطـــــوراً بالمــــشارق في (غـــرارِ)

غوار

مـــــن للملّـــــك تبّــــع أو قيـــــصرٍ　　لـــو كـــان مثــل (مليكــك) الغَــشّارِ

سُهْيلكَ.

هذا النوع يضيقُ عنه نطاق الحصر وقد مللته وملني وخفتُ أن يجرَّ الاسترسالُ فيه إلى ما يوجبُ اللائمةِ ويفسح العذر للمُنْتَقِد وقد أردتُ أن أتحدث إليك عن أبي العلاء فيلسوفاً وعالماً وفقيهاً وقاصاً ومؤرخاً إلى غير ذلك فوجَدتُ في عبارتي قصوراً (كما تعلم) عن البيان عما أريده وهنا أستشيرك فيما إذا تعرضت لشرح ما أعلم من فلسفته هل يكون الشرحُ على طريقة المتقدمين (من أهل العلم) في الإسهاب أم على شريطة المتأخرين في الإيجاز.

فإذا أردنا الكلام مثلاً على قوله:

رويــــدك قـــد غُـــررت وأنـــت حـــرٌّ　　بـــصاحب حيلـــةٍ يَعـــظ النـــساءَ

هل نقول (رويدك) اسم فعل أي على هونك فنذكر جميع ما نَعلِمه من أسماء الأفعال وتصاريفها حتى نأتي إلى آخر ما نعلمه من ذلك ثم نقول (قد) حرف تحقيق وتقريب مع الماضي. وتقليل وتكثير مع المضارع وتأتي اسم فعل وهكذا نقول (قدني من نصر الخبيبين قدي) (وقلت وقد زادت ملامتها قَدكِ) و(غررت) من الغرور والخداع وما أتى به حتى نَستشهدَ قول النهج: إنّ صلاح أبيكَ غرني منك. (وأنت) ضمير فصل. ونذكر الضمائر بأقسامها ونشرح (الحيلة) بمعانيها. وكيف خصت بالإنس والحولة بالجن ولذلك تتغير صورة الإنس في الجنة فيتحولون جرداً مرداً بخلاف الجن فإنهم يبقون على صورهم في الدنيا. ونشرح أحوال من يعظُ النساء ونتفنن في الكلام عن حيل الواعظين وكيف يتآكلون الدنيا بالدين.

أم نقول: الأبيات واضحة جلية وشرحها تكلف نحو ما يقوله من كان ضيق العطن (مثلنا) عيّ اللسان عن البيان. وكيف تريد أن يكون الكلام في مثل هذا المقام.

المَدَائِحُ والمَرَاثي

المدائحُ والمراثي

هنالك مدارس عديدة لدراسة التاريخ كلٌّ منها تتخذ لها سبيلاً لِبَعث الماضي ورسم صورته. وإنّ أفضلها تلك التي تعتمد ما خلّفه أدباءُ كل عصرٍ ومفكّروه من آثارٍ. وما سجَّلوه من مشاعر وأحاسيس تحكي لنا كيف كان تَفاعلُهُم مع بيئتهم وأصدق وصفٍ لزمانهم ومكانهم.

وإنّا إذا ما تبنَّينا هذا النهج فإنا سَنجدُ بأنّ هذه المدائح والمَراثي ستبعَثُ لنا الحِقبة التي عاشها، رغم أنها من أكثر الحِقَب في تاريخنا غموضاً ـ أجَل ستبعثها حيَّةً وماثلةً في ضميرنا وشُعورِنا.

لأننا إذا تأمَّلناها بغَضّ النظر عما تُسجّل لنا من مَشاهير مُعاصريه والذي سيحمده لنا الرّجاليّون الذين همُّهم معرفة الرجال، فإنّا سنَرى في اشتمالها على من يُمَثِّل كلَّ الفِئات مهما تشتَّتَ منابتهم وأنسابهم أفضل معَرِّفٍ بسيطرةِ روح الإخاء. فالتَّواصل طلَقٌ والقطيعة حجر محجورٌ. ولهذا توحّدوا في شعوره ووِجدانِه بفضلِ كيمياءِ الحبِّ في الله. والحُبِّ في الله وحده.

وقد أبَحنا لأنفُسِنا إيرادَ قسمٍ وافرٍ منها رغم تفاوُتِ قيمته الأدبيّة. إذ تَتَوزع من الجيِّد الجيد إلى الوسَط إلى ما تَردَّدنا بجَوازِ أن يُؤثَر عنه. ورُبما لو أغفلناه لكان ذلك أولى، وقد وَجدنا شَفيعَنا في هذا ما لَمَسناهُ فيها من صافي الوُدّ والإخلاص ممّا برّرَ وأباح لنا أن نُشرك معه في خلوده أناساً عرفَهم وأحَبَّهم وأحَبّوه.

فعسى أن تبعثَ ذكريات سلَفَت حنيناً إلى عهد التَّصافي والمحبَّة. فتردم هوّاتٍ حفَرَتها الشَّهوات والأنانيّات والجَري وراءَ سرابِ الدّنيا الغَرور.



المدائح

قُطبُ الديانةِ ذي الصيانة والتُّقى   وشهابُ رُشدٍ لاح من ياسين

من قصيدة يمدح بهاالشيخ محمد ياسين

بينَ العَقيقِ ورملَتَيْ يَبرينِ   عرِّج فثَمَّ صبابتي وحنيني
واقْرِ السَّلام عُرَيبَ ذَيَاك الحِمى   بتَلَطُّفٍ وتَعَطُّفٍ وشُجونِ
فَسَقى الحيا حيّاً حَلَلتم ربعَه   يا جيرةَ الأفنان من جَيرونِ
بِنتُم عنِ القَلب السَّليب فما صَفا   عَيشي ولا قَرَّت بذاك عُيوني
أهلاً ببادرة الهوى وهوانه   فَبه أرى عَذْباً عذابَ الهُونِ
إن قيل إنّي قد جُنِنْتُ به فذا   شَرَفي وطيبُ العَيشِ للمجنونِ
يا ظبيةَ العلَمَيْن زيدي مُهجتي   شغفاً بلؤلؤِ ثغركِ المكنونِ
زيدي جوىً قلبي إليكِ ولوعةً   إن كنتِ فاعلةً بما يُرضيني
فعليكِ وقفاً ما حَيِيتُ صبابتي   وإلى سَناكِ تحركي وسكوني
إن كانَ في قَلبي لغيرِ جَمالها   حظٌّ فَلستُ على الهوى بأمين
ردِّدِ بعيشك ذكر نجدٍ إنَّه   رَوْحُ الحياةِ وسلوةُ المحزونِ
وأعِدْ حَلاوة لفظه مترنِّما   بلطائِف التَّطريب والتَّلحينِ
رَوحي وريَحاني وراحي ذكرُها   وإذا مرضتُ فإنه يَشفيني

أُبْعِدتُ عَن ذاكَ المحْلِ بِزَلَّةٍ ... أفَلا إليه تَوبةٌ تُدنيني
لبَّيكَ يا داعي الوَلاءِ لِحيدَرٍ ... بفَصيح نُطقٍ مبلغَ التبيينِ
لبَّيكَ تَلبيةَ المجيبِ مُسارعاً ... عن صِدق إخلاصٍ وحسنِ يقينِ
هذا الهُدى الآتي إلينا رَحمةً ... ذِكرَى لمَوثِق نشأةِ التكوينِ
ويقولُكَ الحقَّ الحقيقَ مُصرِّحاً ... (مَن كنتُ) سرٌّ إشارة تكفيني
أبلغتَ نَصّاً للهُدى مَن كان ذا ... قَلبٍ وألقى السَّمعَ للمتَلقينِ
هوَ عُروةُ اللهِ الوثيقةُ لا انفصا ... مَ لها وحُبِّيه عقيدةُ ديني
متَمسِّكاً ثقةً بحبِّ محمَّدٍ ... أكرِم بَحبلٍ للنَّجاة متينِ
قُطبُ الديانةِ ذي الصِّيانة والتقى ... وشهابُ رشدٍ لاح من ياسينِ
غُذيَ الهُدى طِفلاً وشبَّ على الهُدَى ... مَنشا الكِرام فصار شيخَ الدينِ
بَحرٌ خِضَمٌّ بالمَعارفِ زاخرٌ ... طامي العُباب بموجِه المَشحونِ
جُمِعَت صِفاتُ الخير فيه دقيقُها ... وجَليلُها مسطورةٌ في نونِ
عالٍ تَناهِمَ الدُّنى عن قَلبه ... وأخو العُلى لا يَرتضي بالدونِ
متسربلاً درعَ الشريعة حُلةً ... ليصون جوهر كنزها المدفون
متهجداً جُنحَ الليالي قانتاً ... لِمفيضها في كافها والنُّون
بالسَّمع من بَصرِ الفؤاد محققٌ ... لدقيقِ سرٍ في الوجود مبينِ
لم يألُنا نُصحاً بنَشرِ مَعارفٍ ... وَعَوارفٍ وفوائدٍ وفُنون
قلبٌ معَ الرَّحمن جلَّ وقالَبٌ ... بَينَ البريةِ في صلاح شؤون
تَذكارُ صافيتا البَهيةِ شاغلٌ ... لِلقَلب عن ذكرِ الظِّباء العِينِ
مغنىً تشرَّفَ حَيثُه بمحمَّدٍ ... وبساكنيه جَلالةُ المَكونِ

التـــارِكِ الـــدنيا تـــسيرُ وراءَهُ طلبـــاً لنَيـــلِ مراتـــبِ الـــتمكينِ
لَـم يبـتهجْ فيهـا الغـداةَ ولم يكُـنْ منهـا علـى مـا فاتَـه بحـزينِ
يَلقـاكَ في خُلُـقٍ أرقَّ مـن الـصَّبا لُطفـاً وعَقـلٍ كالجبـالِ رَصـينِ
يـا نجـلَ ياسـينَ الإمـامِ ومـنَ بـه عـزَت كمـالاً سُـنَّةُ الميمـونِ
تـاللهِ حبُّـك في فـؤادي ثابـتٌ واللهُ يعلـم فيـه صـدقَ يَمـيني
ولقـد جُبِلـتُ علـى ودادِكِ فِطـرةً مـذ نـشأةِ الأرواحِ قبـلَ الطـينِ
فـاللهُ يجعلُـه ولاءً ثابتـاً فيـه غـداً نلقـاهُ يـومَ الـدينِ

هـو المرجـع الأعلـى لِـشيعة عـصره وكـانَ أبـوه قبـل ذاكَ لهـا قُطبـا

من قصيدةٍ يمدح بها الشيخ: محمد عبد الرحمن

حجابُـكِ عَـين الـوَرى كَـشفكِ الحُجبـا وكيـفَ يَـرى بـالعين مـن عَـدِم القلبَا
لـكِ المَثَـلُ الأعَلـى البهـيُّ جلالـةً لِمَـن عـرفَ الإيجابَ في ذاكَ والـسَّلبا
ولـولاكِ مـا اشـتِيقَ العقيـقُ وحـاجرٌ ولا تيمَـت نجـدٌ لأهـل الهـوى قَلبـا
لـيَقضِ الهَـوى العُـذريُّ فيَّ قَـضاءَه وصـبراً فـإني لَـمْ أجـد للنَّـوى ذَنبـا
تَعامَلَهـا الأحبـابُ فينـا ليَعلمـوا بحـبهمُ صـافي الـسريرةِ والخِبَّـا
فيـا ربـعَ سُـعدى بـينَ نجـدٍ وحـاجرٍ (فـديناكَ مـن ربَـع وإن زدتَنـا كربـا)
مقـامُ صَـفاءٍ للحـسانِ نـسيمُه بَلِيـلٌ بـه يحيـا العَليـلُ إذا هبَّـا
فيـا ليـتَ شِـعري هـل إلى ذلـك الحمـى مَعادٌ وبعد العَتْـبِ نَـستَوجب العُتْبَى
وحبَّـبَ نجـداً أنهـا ربـعُ كاعـبٍ عـروبٍ إلينـا حـسنها حبّـب العُربـا
تبَاعَـدُ عَنـا في صِـفات جلالهـا وتمنحنـا في حـالتي بُعـدِها القُربـا
دعـا حـسنُها لـبي إلى الـشوق مـسفراً فلـم يتَمالـك إذا دعـا الحسنُ أن لبَّى
ولاح لـه مـن بـارقِ اللطـف لمعـةٌ فأصـبح لا كـشفاً يطيـقُ ولا حَجبـا
يُحِـس بـنفسِ القَـصد ضـعفَ عزيمـةٍ تكـون إذا زارت زيارتُهَـا غِبّـا
جنيـتُ علـى نفـسي إدّعـاءَ صـبابةٍ ولم أقـضِ منهـا لا وُجوبـاً ولا نَـدبا
أروحُ وأغـدو بـين فكـر مقـسَّم وقَلـبٍ يـدُ الأشـواق تجذبُـه جـذبَا

بـداءٍ مـن الشوق المبرِّح بالحشا سوى وصلِ مِن أهواه لا يقبل الطِّبا
وجدتُ معِيناً في الغرام ترنُّمي بذكر الحِمى النجدي والمدمعَ السكبا
وبردَ يقينٍ في ولايـة حيـدرٍ يجيء بسُحب العفوِ تابعةً سُحبا
وسيلتيَ العظمى إليه ولاؤه فيا حبذا تِلك الذخيرةُ في العُقبى
وقُدوتيَ القُطْبُ الإمام محمَّد إمام بفقه الدين أعظِم بـه قُطبا
سليلةُ بيتِ العلم والفضل والهُدى وأكرَمُ مَن يحدو الحداة بهم ركبا
خليفة إبراهيم في آل مرهج وأنقى الورى جيباً وأطهرهم قلبا
فتىً أَلِفَ العلياءَ طفلاً ويافعاً وشاخ على دين الغَرام كما شبّا
ترامَت بـه التَّقوى إلى ظلِّ نخلة إذا هيَ هُزَّت أَلقَتِ الرُّطَب الرَّطبا
وخُوطِب بالمعنى الحقيقي في طُوىً فما أغمض المعنى وما أعظم الخَطبا
تَحقَّقَ آياتِ التجلي بصيرةً من الجانب الغربيِّ لا شرقَ لا غَربا
فَناءٌ بذات الحق أبقاه وارداً بعين الحياة المنهلَ السائغَ العَذبا
هو المرجع الأعلى لشيعة عصره وكان أبوه قبلَ ذاك لها قُطبا
وَمِن صنوهِ عبد اللطيف وسره بدا نورُ إبراهيم يخترق الحُجبا
به نُشِرت للشعب أخلاقُ جَده وأُلهمَ عِلميْهِ الغريزيَّ والكسبا

لِيفخر بما أُوتيه فضلاً وسؤدُداً وحلماً وعلماً طبق الشرق والغَربا
يجولُ بأسرار الغيوب فؤادُه ليُعربَ عن إعجامها مغرماً صبّا
ويُفهِمُك المعنى الدقيقَ كلامُه فتخلبُ منك اللّبَّ ألفاظُه خَلبا
حديثٌ هو السحر الحلال بيانُه جلي يكاد العقل يشربه شربا
أخي وحَبيبي في الولاء وسيدي ومولاي لا رَغبا نطقت ولا رَهبا
أُلاكَ لإبراهيم ذرّيَّةٌ غدَت إمامَتُهم حقاً فلا كان مَن يأبى

فيـا ربِّ زِدنـي في ولايـتهم هُـدىً ... وفي هـديهم حبّـاً وفي حـبهم رغبـا
فيـا آلَ إبـراهيم دعـوةَ مُـشهِدٍ ... على صِدقه الأملاكَ والرسلَ والكُتبا
مـوالاتكم عنـد المهـيمن عُـدَّتي ... وأفـضل مـا أرجـو لديـه بـه القُربـا
فـلا ضيرَ في هجـر امـرئٍ ومـا وصـلتمُ ... إذا رضـيَت عنّـي الكـرامُ فـلا أعبـا
ظفـرتُ بتوفيـقِ الإلـه بحـبكم ... فـصادف مـن قَلـبي لـه منـزلاً رحبـا
فبُـشرى لنفـسي ذلـك الفـوز مَغْنمـاً ... هنيئـاً ومـا عانَـت لإدراكـه نُـصبا
مـدحتكمُ كيمـا أشـرفَ مَنطِقـي ... وشـعري ونفـسي والجـوارحَ واللُّبـا
وكـلُّ نِظـامٍ لـيس لله خالـصاً ... وآلِ نُمـير عُـدَّ صـادقهُ كِـذبا
ومـا العمـرُ إلا مـا قـضيتَ صـفاءَهُ ... معَ الفتيـة الأطهـار لا مـا انقـضى لَعَبـا
فيـا أشـرفَ الأشـراف مـن آل مـرهج ... بلغـتَ المعـالي سـالكاً نهجهـا اللَّحبـا
عليـك سـلام الله ذكـراً مقدسـاً ... يـضوع بَرَيّـاه النـسيم إذا هبّـا

❖ ❖ ❖

« القصيدةُ العَجيْبَة »

تقرأُ هذه القصيدة فلا تَشعُر بأن فيها شيئاً يُميِّزها عن غيرِها. بل تَجري كأخواتِها سَلاسةً وبَياناً. ولكنْ إذا نُبِّهَت إلى أنّ كل شَطرٍ منها يحوي تاريخاً (١٣١٧) وهي طويلةٌ تبلغ سبعةً وسبعين بيتاً. ونكتفي منها بما برئ من التَّصحيف.

وقد أتَت إثرَ قصيدةٍ لأحَد فطاحِل اليازِجيّين الذي كانَ قد نظم قصيدَةً كل بيتٍ منها يحوي تاريخاً. وتحدَّى بها كلَّ الشعرّاء. وإذا بها الجواب وزيادة. إذ كلّ شطرٍ يَحوي نفس التاريخ. وقد كان سنه في الثلاثين. وبعد أن تعلَم الجوّ والإمكانيات التي كانت متوفرةً له فلن تَتَردَّد بأن تُحوِّل العُنوان من القَصيدةِ العجيبة إلى القصيدة المُعجزة.

وهي مديح بسيادة الإمام الشيخ محمد أفندي عبد الرحمن وابني أخوَيه العلامة الشيخ إبراهيم عبد اللّطيف والشيخ علي مرهج. قدس الله أرواحهم

قِفْ مُنعِماً حيثُ آرامُ الحِمى نُزُلُ ... على العَقيقِ فثَمَّ الأعينُ النُّجُلُ
وحَيِّ مسرَحَ حيِّ الرقمتَينِ وقُلْ ... أنعِمْ صَباحاً وظِلاً أيها الطَّلَلُ
للهِ نَجدٌ ومَغناهُ أُديمَ ولا ... عداهُ صيِّبُ سُحبٍ ظلَّ ينهمِلُ
أُعلِّلُ الودَّ في ذكرى مَعاهدِهِ ... إنَّ التَّعلُّل قد جلَّت به العِلَلُ
يا طيبَ أوقاتِ حسنٍ بالهنا سلَفَت ... أُنساً وعصرُ الصِّبا بالسِّنّ مُقتَبِلُ
جبينُها النَّيِّر الضّاحي يحف به ... صباحُ فجرِ دُجاه فَرعُها الجَثِلُ
يلوحُ بين الخطوط الناميات زَها ... سنيً لبهجتِها التفصيلُ والجُمَلُ
ما الحبُّ شوقاً بأمرٍ يُستطاعُ له ... ردٌّ ولا صَولةٌ تُنجى بها الحِيَلُ
يا ربِّ زِدْ مُهجتي حبّاً برُؤيَتِها ... والرَّينُ يا ربِّ عن عينيَّ مُعتزِلُ
ورحبُ بُقعتِها القُدسيِّ مَربَعُها ... يفَرق طالِعها البَدريّ مقتَبِلُ
كفى بعرفانها جاهاً لذي مَدَدٍ ... في اللُّبِّ أخلصَ منه العلمُ والعمَلُ

وذا بحسبَ إمـام العَصر سيدنا   نورٌ مبينٌ لمن شطّت به السُّبُلُ
محمَّدٍ صاحبِ القدر الفَخيم زكا   نقلاً به شهد الأشرافَ والسَّفَلَ
جَلِيٌّ فِتيا علوم الدين قد لهجَت   عن الخِلاف لمرماها به المللُ
والأريحيُّ الأريبُ النَّدبِ قد رُوِيَت   عنه المحامدُ والأفضال والنُّبُلُ
والعالمُ العاملُ البرّ الأريب فتى   عبد اللّطيف بسر السر يحتفل
أخلاقُ والدهِ حيّاً به جُمِعت   والجَدّ إرثُ اجتهادٍ ما به كسَلُ
نَفسي الفداءُ لإبراهيمَ معربةً   عن صفا وُدٍّ صريحٍ ما به خَلَلُ
مولايَ أُحللتَ مِن قلبي بمنزلةٍ   مَن حلّها الدَّهر صِدقاً ليس يرتحل
ونجل مرهجٍ الشهم الوقور سرى   علي مرقاة قدرٍ كاسمه بَدَلُ
وحيدُ حالٍ وجيهٌ لا نظير له   زاهٍ سما رتبةً من دونها زُحَلُ
همُ أجَلُّ الورى قدراً وأشرفُهم   آلاً وأكرمُهم نفساً بما بَذلوا
فالحقَّ إن سهروا شوقاً وإن رقدوا   عن عدل حكمهمُ ما صدَّهم عذَلُ

يا آل مرهجٍ الصيد الفِخام سعى   إليكمُ بضميرٍ لي هوىً عَجِلُ
فالرُّشدُ رشدكمُ جداً ودينكمُ   عين الهُدى منسكاً ما دونه خَلَلُ
وأنتُمُ أنتُمُ والحقّ عندكمُ   مسهَّلٌ ما به زيغٌ ولا مَيَلُ
وليلةُ القدر جلَّت إنّ جاحدها   في نفسه هلَعٌ في عقله خَبَلُ
وما لِمتَّشقٍ في حبل ودكمُ   عن الحقيقةِ عَشوٌ ما ولا سَدَلُ
وأشرَفُ الناس بيتاً زانه نسَبٌ   سوى جَلال بيوتٍ حلَّتِ الرُّسلَ
بكراً تُزَفُّ إليكم راق منطقها   كأنما ذكركم يَوماً بها عَسَلَ
عَروبَ عُربٍ بعقد الأنس حاليةً   مما تميس به أترابُها عطِلُ
طبتُم فطابَ الثَنا لُطفاً بحبكمُ   والحلم يَدعوه أهلوهُ فيمتثِل
تحيةٌ من سلام والسلامُ على   أرواحكم فثَناءٌ عاطرٌ يصلُ
ما ردَّدَت بهديل المدح ساجعةٌ   قِف منعِماً حيثُ آرام الحِمى نزَلُ

❖ ❖ ❖

هو الحسنُ الأوصاف اسماً وكنيةً إلى رَمضانَ الطاهر الأصل ينتمي

من قصيدة يمدح بها الشيخ: حسن رمضان

علَى الربع مِن سلمى لك الخير سَلِّم وقِفْ نَقضِ أوطار الفؤاد المُتيَّم
فإنَّ يذيَّاكَ الحِمى ولأهلهِ لبانةُ مشتاق وحِنَّةُ مغرَم
أروح وأغدو بين قلب مُوَلَّهٍ مَشوقٍ لِـذُكراه وفكرٍ مقسَّم
يؤرقني تذكاره ولَياليا به سلفَت في ظل عيشٍ منعَّم
أوَيقاتِ لا برد الأصيل يُصيبني هناكَ ولا حر الضُّحى بمؤلِّمي
فيا ليتَ شعري والقضاء مُغيَّبٌ بسرّ إلهيّ اليقين مكتَّم
أيُرجَى لعصر الوصل ثمَّ إعادة كما في الزمان السالف المتقدم
إذ العَيشُ غض ناضِرُ العود مونِقٌ رقيقٌ حواشي البُرد منه المُنَمنَم
نَعَم ذكر نُعمٍ رَوحُ قلبي وراحتي وريحانُ أُنسي بل شفائي ومُسقِمي
ومَربَعها القدسِيّ بورِك مربعاً به وجه نُعم كالهلال المتمَّم
حياتي وإن لم تَحبُني بتحيةٍ وموضوع إسلامي وإن لم تُسلِّم
وكونيَ أُدعى عبدُها وهي رتبةٌ يقصر عنها للعَلاء تَسَنُّمي
نهايةُ ما تَسمو إليه مقاصدي وتطمح آمالي إليه وترتَمي
ونار هواها في فؤاد محِبّها أَلَذّ مِنَ الترياق للمتَسَمِّمِ
وأحسن من عصر الشبيبة رَونقاً وأعذبُ من ماء الحياة المسَنَّم
ومَا المَنُّ والسلوى بدون وصالها لِذي الذوق إلا طَعم صابٍ وعَلقَم
سموتُ بحبٍ منكِ لم أرع حقَّه فيا لكَ مِن إثم بغير تأثُّم

بلطفـكِ يـا ذاتَ الجمـالِ تعَطّفـي عليـه ورِقّـي وانعمـي وتكرّمـي
ليـصبحَ ذاكَ البرقُ نـورا ضـياؤه مقـيمٌ فـلا يغـشاه ظـلّ التـوهم
وسـيلتيَ العظمَـى إليـكِ ولايـتي وحـبُّ بـني الزهـراء أفـضل مغـنم
فمَـن كـانَ عـن عِرفـانهم متـأخرا فلـيس لـه في الـدين مـن متقـدّم
هـمُ العـروةُ الـوثقى لكـل موحـدٍ فحـبهم فـرضٌ علـى كـل مُـسلم
تَحقـق في أسـرارهم عَلَـمُ الهُـدى كما جـاءَ في الـذكر المبين المحكّـم
هـو الحـسن الأوصـاف إسمـاً وكنيـةً إلى رمـضان الطـاهر الأصـل ينتَمـي
تلَقّـى مَباديهـا بإيمـان مـسلم لِمَـولاه في كـلّ الأمـورِ مـسلّمِ
وقلـبٍ بتوحيـد المهـيمنِ مخلـصٍ وصـدقِ يقـينٍ لم يُـشَبْ بتَـوهُّم
فقيـه إذا مـا نكتـه دق سـرها جلاهـا بنـور العلـم للمـتعلّم
فيـا أيهـا الـشهم الـذي ألـف الهُـدى علـى فِطـرة الإيمـان قبـل الـتَّكلُّم
ورثـتَ معـاني الفقـه عـن خـير والـدٍ كـذلكَ قـد أورثَتهـا خـير ابـنم
أتـى يـونس للعـين بعـدكَ قـرة لـنَعمَ إمـامٌ مـن إمـام مكـرَّم
نُمَـيريٌّ إيقـانٍ تجلـت بوجهـه سِـماتُ الهـدى للنـاظر المتوسِـم
أيـونسُ والـرحمن والله شـاهِدٌ على صدقِ قولي مِن شهيد ومُقسِم
بـأن فـؤادي قـد سـرى سـرُّ حبـه لحـسنكَ في معنـاه واللحـم والـدَّم
مقامُـكَ في نفـسي عزيـزٌ مكـرَّمٌ وشخـصُك في قلبي وذكـرُك في فمـي
وَصِـنوُك بـالروح الأمـينِ مؤيَّـدٌ سميُّ المـسيح الحيّ عيسى بن مريم
عظـيمُ وقـارٍ دل طيـب احتمالـه علـى أنـه حلـم بغـير تحلُّـم
خلائقُـه طابـت فجـاء بمـدحها فـصيح كلامـي معربـاً غـير معجـم
أمـولاي عفـواً زادكَ الله سـؤدداً وعلمـاً وإيمانـاً ودُم واسـمُ واسـلَم
لعمري لقد أحسنتَ ما شئت منعماً لقيتَ المُنَى من محسن الفعل منعم
ولـستُ بأهِـلٍ أن أنـال مـديحكم ولكـنكم أهـل النـدى والتكـرم

تطاولتُ بالباع القصير مجاوباً وذلك كالإقدام من غير مُقدم
على أنّ لي في آل مكزون نسبةٌ إلى حسنٍ أكرم بها ثُمَّ أكرم
ومجدي أني بالولاء لمثله بحب بني الزهراء أسمو وأنتمي
وما قلتُها تالله فخراً وإنما جلاء لأبصارٍ عن الحق نُوّم
ويشهد لي من عصبة الحق فتية هم عُمُدُ الدين الحنيف المقوّم
عسى مِنّةً يا آل صادٍ بدعوة فأنجو بها مِن حرّ نار جهنم
عليكم سلام الله منه تحية تَضَوَّعُ في مِسك الثناءِ المخَتَّمِ

❖ ❖ ❖

عبدَ الكريم دُعاءَ من أخي ثقةٍ   ما شطَّ عن حبِّ مَن والى ولا نزحا

من قصيدة يمدح بها الشيخ عبد الكريم محمَّد مجاوبا

شربتَ في الله من خمر الهوى قدَحَا   بوركتَ مغتبقاً منه ومُصطَبِحا
سِرُّ الولاية من مولاك فاض على   مأواه منكَ فطاب السرُّ وانشَرحا
سمحتَ لله بالنفس النفيسة في   حب العُلى وهو سعي قاصد نجحا
والمجدُ أمنيَّةٌ للمرء باقيةٌ   تُذَلِّلُ الصعب إمّا كدّ أو كدَحا
مُحبَّبٌ فسواء في تَطَلُّبه   مَن يحمل السيف أم مَن يحمل السُّبَحا
أرى الزمانَ وأهليه قد اتَّفقا   على مناوأةِ الأحرار واصطلحا
حكايةٌ نحنُ في الدنيا مزخرفة   يقُصُّها عِبراً في الخلق أو مُلَحا
وقد خبَرتُ زَماني في تقلُّبه   فما حمدت به حزناً ولا فرَحا
سِيَّان مِن بعدِ عرفاني عواقبه   أساق لي فرحاً أم ساق لي تَرَحا
للقبر من راح يمشي في مناكبها   زهواً ومَن راح يمشي فوقها مرحا
مالي وللحور معسولاً مراشفها   تسبي الحليم فيعصى مَن نها ولَحا
منَ الخرائدِ ما جادت ولا سَمَحَت   إنّ الحبيبَ لَمَملول إذا سمَحا
كتبتُ آيات وجدي وهيَ مُنزَلَةٌ   فرمَّج الدهر ما سطرتُه ومحا
وليلةٍ من بنات الدهر حالكةٍ   وما ابيَضَّ مفرقُها الداجي ولا صبُحا
ليلاءَ يرتَدُّ عنها الصبح منهزماً   ويرجع النور بالظلماء مُتَّشِحا
سهرتُها ونديمي مدمعٌ سَرِبٌ   متَحتُ من غربه دهراً فما نزحا
وحسرةٍ ضاق عنها الوسع فابتهجَت   لما رأت في فؤاد الحر منفسحا

حزناً على أمة ضاعت مكانتها | والدهر بالغدر شظّى عودها ولَحا
رثّت عُرَى الدين حتى صار قابضُها | كقابض الجمر يشكو البث والبُرَحا
أضحى الإخاء الذي نصّ الأُلى وضعوا | لنا قواعد هذا الدين مطّرَحا
هَل مِن سبيل إلى نيل النجاة به | فالسيل طم أذىً والكيل قد طفَحا
تفرق القوم أشياعاً فما ربحوا | تالله تاجر هذا السوق ما ربحا

ورُبَّ آسٍ كِلامَ القوم مرحمةً | يَذُرّ قومي عليه الملح لو جُرِحا
وناصح أشبعوه من ملامتهم | وذنبه عند قومي أنه نصحا
وطامح للعُلى منهم رنَوا حنقاً | إليه فارتد يأساً بعدما طمحا
الجانحين إلى الأوهام من سفَهٍ | يا سَوأة المرء للأوهام قد جنحا
والنائمينَ وما في الحيّ ذو سِنَةٍ | كأنّ عبءَ المعالي عنهُم طُرِحا
تقسَّموا فرأوا عُقبى انقسامِهِمُ | وإنما المَرء مجزيّ بما اجترَحا

لولا عقيدة حق جد راسخةٍ | صدر الحليم إلى بُرهانِها شُرِحا
وفِتيةٍ حملت يُمناكَ رايتَها | تَبغي عن الهونِ والإغضاء متندَحا
بيض ميامين إن يُذْكَرْ ثناؤهمُ | في مجلسٍ فهو طيب الروض قد نفحا
لَمُتُّ أو كِدتُ من يأسٍ على نفرٍ | ناموا على الذل إغضاءً وقد صرحا
عبدَ الكريم دعاءً من أخي ثقةٍ | ما شطّ عن حب من والى ولا نزَحا
يا ابنَ الغطاريف لا ميلٌ ولا عُزُل | مِن كلّ أبيضَ مسموعٍ إذا اقترحا
أهل العزائم إن ضاقَت بهم ركبوا | للمجد ظهر الدجى والجسرة السُّرُحا
للهِ منك وللإسلام ذو بلجٍ | به الطريق إلى سلاكه وضحا
قد راح يلمح نور الحسن عن كثَبٍ | تبارك الله ما أبهى الذي لمحا
ويطرح المال للعافين معتذراً | والجمع في ذلك المالِ الذي طَرَحا

إن خـفَّ في نفـرٍ ميـزان فـضلهم ... فـإنَّ ميزانَـه بالفـضل قـد رجحـا
قلـبٌ سـليمٌ وأخـلاق مطهـرة ... مـا هـمَّ في زلـةٍ عمـداً ولا جرحـا
مـا أشـرف العلـم والتقـوى يزينهمـا ... صـدقُ الولايـة تحقيقـاً ومـصطلحا
وافَـت قـصيدتك الغـراء حاملـةً ... إلـيَّ منـك الـولاء المحـض والمِـدَحا
خريـدة مـن غـواني الـشعر مـا برحَـت ... تتيـه بـابنِ جلاهـا وهـو مـا برحـا
ونغمـة مِـن مثـاني الـشعر بُلبُلهـا ... علـى أراكِ البيـانِ الحـر قـد صـدحا
مـن كـل معنـىً دقيـقٍ في شـواردِها ... يقـود في الحق جيشَ النـصر مفتتحـا
أعطـى القيـادَ ولم يجمـح بفارسـه ... لـو كـانَ غـيرك مـن فرسـانه جمَحـا
أحجمـتُ حينـاً طـويلاً عـن معارضـةٍ ... إحجـام عـيِّ أراد القـول فافتـضحا
أجَـل تفاصـحَ منِّـي باقـل فغـدا ... مقلِّـداً لفـظ قِـسٍ منـك إذ فـصحا
مـالي وللـشعر قـد حاولتـه زمنـاً ... فمـا صـلحت لـه كـلا ولا صـلُحا
أردتُ منـه شُـعوراً يُـستَفادُ بـه ... فمـا أصـبتُ بـه المرمـى ولا سمَحـا
هاجرتُـه غـير مقلـي وهـاجرني ... والـشيء مـا لم يُفِـد أحرى لـو اطُّرِحا
فاصفح فعَهـدي بـك الحـر الـرزين نُهَـىً ... إذا أسـاءَ لعـذرٍ خلُّـه صـفحا

هـذي يـدي بيعـة الإقـرار مقتفيـاً ... نهـج الحـسين بـصدق الـنص متَّـضِحا
لـك الـسلام تحيـاتٍ مباركـةً ... فيضاً من المصدر القدسـيِّ قد رشـحا
مـا أسـفرت نيِّـرات الليـل في غـسَقٍ ... مُبِيَـنـةً وبـدت شمـسُ النهـار ضُـحَى

❖ ❖ ❖

أنَجـل سُـليمانَ السَّليم طويَّـةً ... سَمَوتَ مَقاماً لم يَكُنْ مَنْ يُقاوِمُه

من قصيدة يمدح بها الشيخ: حامد سُليمان الجبَل

متى أنصفَ المظلومَ يا سعدُ ظالمُه ... فيُعلنَ سر الحب مَن هوَ كاتمُهْ
سبيل الهوى أن يسلب الصب لبه ... ويلزمُه الإثمُ الذي هو آثمُهْ
وأعذبه ما خالط الخوف والرجا ... أمانيّه واستشعر الهلك سالمُهْ
حبيب إلى قلبي العُذَيبُ وبانه ... وصادحُه فوق الغصون وباغِمُهْ
ولولا هوى الأحباب ما مُدح الحِمَى ... ولا ذُكِرَت أعلامُه ومعالمُهْ
غريب بواد موحش القفر سَبْسَبٍ ... يضلّ به الهادي وتعي روازمُهْ
تعلَّقَ حبُّ الأخيلية قلبُه ... صغيراً وما نيطت عليهِ تمائمُهْ
لَها طالعٌ يستوقفُ الطرف حائراً ... يروح ويغدو والسهادُ ملازمُهْ
وتبسمُ عن أَلَمى عذَيبٍ يتيمُهُ ... كنَوْرِ الرُّبى تنشقُّ عنه كمائِمُهْ
ألذَّ من الترياق في فيَّ ذكرُها ... وأخفى من اللطف الخفي علائمُهْ
وحرُّ هواها فلتَزِد منه مهجتي ... سلامٌ وبرد في فؤاديَ جاحِمُهْ
يُساومني اللاحي عن الحب سلوةً ... ولا كنتُ إن كنت السلوَ أُساومُهْ
وما أنا من يسمو إلى الوصل قدره ... لذاكَ مقام عزَّ في الحب قائمُهْ
كفى البائس المسكين مثلي مكانةً ... بأن قيل هذا مغرم القلب هائِمُهْ
وجُلَّ مُنايَ الزعم أني أُحبها ... وما كل ذي دعوى تصح مزاعمُهْ
أُخادِعُها فيما أقول مداوماً ... وكم آض خُلقاً للفتى ما يُداوِمُهْ
وقد يُخدَعُ الحر الكريم لفضله ... إذا وُصفَت بين الأنام مكارمُهْ

فيا لائمي بعض الملام فقلّما أفادَ أخا الوجد المبرّح لائمُهْ
أتطلب من قلبي على الحب سلوة ومن لكَ بالزعم الذي أنت زاعمُهْ
عذابُ التّصابي ينتحي من يريده ومدفوعة عمّن أباه مظالمُهْ
فإن شئته فالصد والهجر والقِلى وبحر أسىً لا يدرك الشط عائمُهْ
وثَمَّ منىً ما إن تصوّرها النهى بها يستحيل الحب شهداً علاقمُهْ
لَئِنْ منَعتني الوصلَ نِعمٌ لحكمةٍ ليمتثِل المحكوم ما شاءَ حاكمُهْ
شهدتُ لقد فرَّطتُ في واجبِ العُلَى وما النفع مِن كُتمان ما الله عالمُهْ
أسأتُ إلى مولاي علماً بعدله وأيّ مسيءٍ لم تَسَعه مراحمُهْ
فلا ييأسِ المشتاق فالصَّب إنما يعاقبُه في الله في الله راحمُهْ
لَعَلّي بإخلاصي اليَقين بحبها يسالمني حرب النوى وأسالمُهْ
وتجويد ترتيل مدائح حامدٍ أصيب به المرمى الذي أنا رائمُهْ
تَبارَكَ مَن آتاه علماً وحكمةً ودرُّ بيانٍ يسحر العقل ناظمُهْ
بيانٌ به للمجد أكملُ حليةٍ قلادته والشنف منها وخاتمُهْ
ويخترعُ المعنى الدقيق فينبري لفكرته معنىً دقيق يزحمُهْ
كأنَّ الهلال التم حسن بيانه وليل المَعاني أسود الجنح قاتمُهْ

ألفتُ أخاً في الله منه تطهرت سجاياه أن يلقى بها العيب واصمُهْ
تقيٌّ نقيُّ الجيب حرٌّ مهذب لبيب أريب صادق القول حازمُهْ
يواصلُ في الله المحق حقيقةً ولله يُقْصي مخلصاً مَن يُصارِمُهْ
تفضل أن أثنى عليَّ بلطفه ثناءَ محب فوق ما هو عالمُهْ
عجبتُ له أن يحسن المدح بامرئ محامده غطت عليها ذمائمُهْ
وما أنا قِنُّ الرأي حذقاً وحكمةً شهدت ولا كعب السماح وحاتمُهْ
وما كنت أهلاً للمديح وإنما قد اعتدت أن تُهدَى إليّ كرائمه

ولـــــست وإن وازنتُـــــه برويَـــــةٍ أعارضــــه في ســــبقه وأُزاحمُـــــهْ

لَيحـضُرني المعنـى الـدقيق فلـم أجـد لَـدَيَّ مِـن المحفـوظ لفظـاً يلائمُــهْ

ولكــن بـصدق القـول أحببـتُ أنـني أُشــاطرهُ صــدقَ الــولا وأقاســـمُهْ

أنجـــل ســـليمان الـــسليم طويـــة سَـموتَ مقامـاً لم يَكـن مـن يقاومـه

ليهنــك أنَّ الحمــدَ لا سمــكَ لفظــهُ غــدا سِـمَةً والحــق قُــدِّس واسمُــه

مقامــاً إذا مــا الجمــع حــاولَ رؤيــةً لـــه ســـقطَت تيجانـــه وعمائمُـــهْ

هنــاك العلــى والمجــد والعــز فارتقِــهْ إلى حيــث يــسمو مــا تقــل دعائِمُــهْ

عليــكَ ســلام الله مــا حــنَّ مغــرم لتــذكارِ عــصرٍ بـالحمى مــرَّ ناجِمُــهْ

❖ ❖ ❖

إمامٌ براهُ الله من طينة الهُدى ... ونالت به فخراً سلالة آدمِ

من قصيدة يمدح بها الشيخ يونس حمدان

مِنَ الغَيهب المكنون عن كل واهِمْ ... بدا الفجر في ثغرٍ من النصر باسمْ
غرائبُ أسرارِ الوجود تشابهَت ... على غمرٍ ساهٍ عن المتحاكمْ
حوى سرَّها المستور عن كل جاحدٍ ... أُهَيل الهدى فخر الثقات الأكارمْ
رجالٌ أقاموا سُنّة الدين عزةً ... ببيضِ الظبا حداً وسن اللهازمْ
عليهم شعارُ العلم والحلم والهُدى ... وتنزيه سر الله عن كلّ غاشمْ
أووا كهف سلمَى بالسنا فتيقظوا ... لإشراق نور الحق والغير نائمْ
فأولهم من ظلّلَت شجرةُ النُّهى ... عليه بلطفٍ باهر الفضل دائمْ
سلالة حمدانٍ سُمي يونس البها ... رقى ذروة المجد الرفيع الدعائمْ
إمام براهُ الله مِن طينة الهُدى ... ونالت به فخراً سلالَة آدمْ
فتًى جوهريّ النفس والقلب والحجى ... حفيظ وللأسرار أفضل كاتِمْ
وفي صدره بحر العلوم وكفه ... روت عن نداه الفيض سحب الغمائمْ
طوى ذكر حسّان بحسن فصاحة ... وفي راحتَيه قد طوى ذكر حاتِمْ
سموتم علَى هام السماء فخامةً ... وليس الخوافي رتبةً كالقوادمْ
عليكم سلام الله ما ذرَّ شارقٌ ... وحنّ أخو وجد لغزلان جاسمْ
ودمتُم بدوراً في سما المجد تُجتَلَى ... إلى الناس من حالٍ وماضٍ وقادمْ
صلاةٌ وتسليماً ونوراً ورحمةً ... على المصطفى الأمِيّ أكرم هاشمْ

❖ ❖ ❖

الـدهر عبدٌ أنتَ مالكُ رقِّهِ والمجد جسمٌ أنت صحّة حاله

من قصيدة يمدح بها الشيخ علي سلمان المريقب

خلِّ المتيَّمَ لا تسَلْ عن حاله فكفاه ما يلقاه من بَلبَالِهِ
ليس الخليُّ من الغرام كمن غدا يغشى الجوى بلهيب قلبٍ والهِ
يا صاحبي دَعْ ذكر جيرانِ النَّقا ونفارَ ظبيته وأنس غزالهِ
مالي ولِلغيدِ الأوانِس بعد ما بان الصِّبا وابيضَّ لون قُذالهِ
إني امرؤٌ فرضٌ عليَّ مؤكَّد حتماً بُعيْدَ الدين مع أنفالهِ
مدحُ ابن سلمان العليّ ونشر ما أولاه بالمعروف من أفضالِهِ
العابد الأواب لم يخطر سوى ذكر المهيمن ساعةً في بالهِ
مولىً تصوّر من تُقىً ومهابةٍ فانحطَّ قدرُ النجم حال سِجاله
وطِئَ الثرى فافترَ نبت ربيعه متَبسِّماً فرِحاً بلثم نعالِه
الطاهر البر الرحيم بشعبه فكأنَّ كل الشعب من أنجاله
يُنمَى إلى حسبٍ شريفٍ طاهرٍ الله أكبر عَزَّ عِزُّ منالِه
من مهدِهِ ورث السعادة وارتقى في ذروة التأييد قبل فِصاله
تعنو لهيبته الأسودُ تذلُّلاً وتدكدَكُ الأجيال من إجلاله
ويمد كفَّاً للنوال تكاد أن تبدي يتيمَ الدر قبل سؤاله
مهما تبالِغْ فهو أرفعُ رُتبةً من وصف واصفه ومن أقواله
ومحمد الندب المهذب صنوه شهدت أعاديه بعظم جلاله
عف الضمائر ماجد ما إن بدا إلا وفرّ الدجن من إقباله

ولِغـــانمٍ جِــلٍّ بمربـــع مهجـــتي | نبتَــت علــى ضـــال خمائـــل ضـــاله
والبـــارع الســـامي محمـــد كامـــل | غـــرس العلـــيّ افـــتر ثغـــر كمالـــه
والـــشهم عبـــاس الوحيـــد بعـــصره | حجـــب الطوالـــع في بـــزوغ هلالـــه
مـــاء الحيـــاة جـــرى بروضـــة قلبـــه | فـــقى غـــصون الرشـــد عـــذب زلالـــه
والـــصالح الأفعـــال لا برحـــت لنـــا | تـــروي رواة الخـــير عـــن أعمالـــه
والعـــالم النحريـــر والغـــصن الـــذي | غنَّـــت طيـــور الفقـــه تحـــت ظلالـــه

مـــولَى التقـــى عبـــد إلى الـــرحمن مـــن | فاقـــت بـــواهر بدئـــه ومآلـــهِ
كـــالٍ عُـــرى الـــدين الوثيـــق وحـــافظٌ | عقـــد العهـــود وتلـــك بعـــض خلالـــه
يـــا نجـــل ســـلمان الإمـــام ومـــن بحبـــل الله أوصـــل واثقـــات حبالـــه
الـــدهر عبـــد أنـــت مالـــك رقـــه | والمجـــدُ جـــسم أنـــت صـــحة حالـــه
وعلـــيكم أزكـــى التحيـــة ضِـــمنها | مـــسك الـــسلام يـــضوع في إرســـالهِ

❖ ❖ ❖

سَعَتْ قدمي يا ديب نحو جمالكم   وكم قطعت من فدفدٍ مهمهٍ قفرِ

من قصيدة يمدح بها الشيخ ديب العلي (قرية جديدة البحر)

بـدَت ظبيـةُ الجَرعـاء بالحُلـل الخُـضرِ   فأسـفر صبح الحسـن بـالفَتح والنصرِ
ولاح لنـــا بـــرق الثنايـــا مهلّـــلاً   يلـوح عـن الغـالي الثمين مـنَ الـدرّ
لَهـا واوُ صـدغ فوقهـا حـاء حاجـبٍ   بـضمن عـذاريها يقـوم بهـا عـذري
معـــانٍ بليغـــات العلـــوم غـــوامضٌ   يعـــي رمزهـــا رب النباهـــة والحجـــرِ
إمـام الهـدى ديـب العلـيّ ومـن لـه   شــهامة قـدرٍ حليهـا ليلـة القـدر
لـــه نجـــم فكـــر في فـــؤادِ نباهـــةٍ   فيـــا لـــك مـــن نجـــم تـــألقَ في بحـــرِ
خـصائل مجـدٍ لـو تتبعـت وصـفها   لـضاق بهـا لفظـي وجـفَّ لهـا حِبري
فيـا قمـر الحـسنى ويـا كوكـب الـسنى   ويـا بهجـة الـدنيا ويـا زينـةَ العَـصرِ
لـكَ الله في قلـبي مـنَ الـود لاعـجٌ   يـضيق بـه ذَرعـي ويَعيـا بـه صَـبري
سـعت قـدمي يـا ديـب نحـو جمـالكم   وكـم قطعـت مـن فدفـدٍ مهمـهٍ قفـرِ
وطئـت الـشعاب المهلكـات تيممـاً   لكعبـة مغنـاك العلـيّ عـن النكـرِ
عليـك سـلام الله مـا لاح بـارق   تـضمَّخ في نَـدٍ مـن المـسك والعِطـرِ

❖ ❖ ❖

آل ياسينَ وأربابَ الكمال كعبة القُصّاد من غادٍ وباد

من قصيدة يمدح بها آل الشيخ يونس ياسين

نغَت الورقُ بأفنانِ الحِمى نغَماً يطرب قلب الحجرِ
وتبدَّى ثغرُه مبتسماً مذ بكت فيه غوادي المطرِ
مرتعٌ فيه أنسيات الظبا رافلاتٌ في بديع الحلل
كل حوراء لها الصب صبا مذ أصابته بسهم المُقلِ
رنحت أعطافَها ريحُ الصَّبا فتثنَّت كقضيبٍ ثمِلِ

نصرَت مذهب هاروت وما بثّاني طرفها المنكرِ
وسبَت ألبابنا لا جرما إنها ليسَت بإحدى الكِبَرِ

آية الحسن التي مُعرِبُها رفعَ الحالَ وجرَّ الخبرا
ضاء في مشرقِها مغربُها فطوى فرع الدجى وانتشرا
ما دعت لي عبرةً أسكبها ليت شِعري أين ألقي النظرا
وبرَت جسمي المعنَّى قلَما نقَشت فيه سطور الضَّرر
جعلَت نقش مدادي سقَما مذ توشَّت بالحِلى والحُبَرِ
يا لها ظبية خدر طلعَت تتهادى عجباً في بُرُدِ
سكنَت قلبي وجالت وسعَت ورعَت صَبري وغصن الجلَدِ
ذات حسنٍ إذْ ودّعتني أودعت حرقاً مستودعاً في كبدي

وبــدا مــن خِـدرها بــدر سـمــا ... مــسفر يزهــو بليــل الــشعَرِ
ورحيــــق الثغــــر دريّ ومــــا ... ذقـــت مجنـــاه ومنـــه ســـكري

أبــــداً يــــزدادُ قلــــبي ولَهــــا ... وهـــي تـــزدادُ دلالاً وصِبـــا
كلمــــا ناديــــتُ مــــالي ولهــــا ... حــــنّ تبريحــــاً إليهــــا وصَبــــا
وتلافاهــــــا غرامــــــاً ولهــــــا ... راشـــفاً كـــأسَ الولـــوع وصِبـــا

حـــسنَ البهجـــةِ حـــادِ حكَمـــا ... فـــوقَ وصـــف الـــشاعرِ المعتَـــبرِ
أيّـــدَ المـــذهب أن ينثلمـــا ... حافظـــاً في آيـــةٍ أو خـــبرِ

آل ياســـين وأربـــابَ الكمـــال ... كعبـــةَ القـــصّاد مـــن غـــادٍ وبـــاد
مَـــن علـــيهم هيبـــة مـــن ذي الجـــلال ... وهـــم كهـــفُ الهـــدى سـبل الرشـــاد
أنجـــم النـــور محـــت ليـــل الـــضلال ... مـــذ تبـــدت في ســـعود وســـداد
حـــبكم تـــالله يمحـــو اللممـــا ... لا صـــلاة وقنـــوت الـــسحر
ودّكُـــم حقـــاً بكلـــي التزَمـــا ... علـــم الله بـــديع الفطـــر
شـــهد الله علـــى نفـــسي ومـــا ... غـــاب يومـــاً ذكـــركم عـــن فكـــري
أنـــتم يـــا أهـــل ودّي رحمـــا ... ومَـــلاذَ البـــائِسِ المفتقـــرِ
إنّ عنـــدي حِلكـــم والحَرمـــا ... كـــل ذنـــبٍ فيهمـــا مغتفـــر
فـــصلاةُ الله تُهـــداكم كمـــا ... قمـــتمُ شـــرع الهـــدى في قـــدَر
وعلـــى أرواحكـــم مـــا رنّمـــا ... طـــائرٌ أزكـــى الـــسلام العطِـــرِ

❖ ❖ ❖

مِن قصيدة يمدح بها الشيخ صالح ناصر الحكيم

سـلاماً مرتـعَ الظـبي النَّفـور ومَجلـى الغيـدِ بـاهرةَ الـسفور
سـلاماً شـاطئ الـوادي الـيمين وربـوة قدسـه ذات المعـين
سـلاماً مهـبِط الـروح الأمـين بمـا يُـوحَى إلى الهـادي البـشير
وأعظِـمْ بالسّـفارة والسـفيرِ

سـلامُ الله مِـن بَلَـدٍ أمـين مَـراداً للقلـوب وللعيـونِ
ويـا طيـبَ التحـرك والسكونِ هنـاك بروضـه الغـض النـضيرِ
رتـوعـاً بين ولـدانٍ وحـورِ

إليـك صَـبابتي شـغَفاً ووَجـدي وفيـك ضَـلالتي حبّـاً ورُشـدي
فـوا لهفـي لـو أنَّ اللـهف يُجـدي علـى زمـنٍ قـضيت بـه قـصيرِ
رخّي البـال ذا طـرف قريـرِ

فيـا طـوبى لمرتبـع حِماكـا ويـا بُؤسـى وحـسرة مـن عـداكا
إلى طيـب الإقامـة في ذراكـا دعيـتُ فلـم أوَفَّـق للمَـسيرِ
فَوا غَوثـاه لِلعانـي الأسـيرِ

تخلَّـف عـن مرافقـة الرفـاقِ وجـدوا وهـو قـصَّر عـن لحـاقِ
مَـضى عنـه الأحبـة وهـو بـاقِ يكابـد يـوم شـر مـستطير
حزيـن النفـس ذا قلب كسـير

بـوادٍ مـوحِش الأرجـاءِ قَفـرِ خـلا مِـن كـل جازيـةٍ وغُفـرِ
كـثير كابـةٍ وقليـل وفـرِ مزايلـةً عـن الخـير الـوفير
فقل مـا شـئتَ بالجـدِ العثـورِ

بنفسي حسرة يا ويح نفسي ... تكاد إذا ذكرت زمان أُنسي
قِراناً بين ما يَومي وأمسي ... يقطّر من مرارتها زفيري

فواكَبِداه من حر السعير

وواكمَدي وتَبريحي ووَجدي ... لو أنَّ تلهّف المشتاق يجدي
وواحربا أفارق ربعَ نجد ... مقر الخير أجمع والسرور

إلى دار التعاسة والشرورِ

إلى دار التعاسة والشقاءِ ... قرارة كل مرزئةٍ وداءِ
ومجلَبةِ الهوانِ فمِن عناءِ ... إلى هَمٍّ إلى حزنٍ مبيرِ

إلى يومٍ عبوسٍ قمطرير

رأيتُك تُعتِبت الأقدارَ عَتبا ... ولو كنتَ الرزين نُهيً ولُبا
بنجد مستهامَ القلب صبا ... إذاً لكَفَفْتُ من ذَيلِ الغُرورِ

ولم تركن إلى الدنيا الغرور

فدَعْ ما تدَّعيه منَ التصابي ... وسلِّم بالغَباوة والتَّغابي
وقُل فَالأمرُ جلَّ عن العِتابِ ... على نفسي جنيت فمَنْ عَذيري

وكانَ مبشّري نفس النذيرِ

خذي يا نفسُ بالصبر الجميلِ ... فقد أصبحتِ في ربعٍ محيلِ
بعدلٍ لا يجورُ عن السبيل ... فسيري إن تشَئي أو لا تَسيري

فليس العَود بالسَّهل اليسيرِ

هنيئاً أيها الشعب الشُّعيبي ... صفاءَ طويةٍ ونقاءَ جيبِ
يقيناً خالصاً من كلِّ ريبِ ... وإخلاصاً بتمجيد الأمير

ذهاباً بالحقودِ منَ الصدورِ

دَعاكم للهداية خيرُ داع ... سماع لدعوة الهادي سماع
لقد نادَى فأسمع كلَّ واع ... وصرَّح معلناً يومَ الغدير

بمَشهَد ذلك الجمِّ الغفيرِ

نداءَك أيها الداعي سمعنا وأمرك أمر ربك قد أطعنا
وَصدَّقنا به لفظاً ومعنى وحقّقنا به خَبَرَ الخبيرِ
بنهج السَّيِّد الصدرِ الكبيرِ

خذوا للفوزِ في دارِ النَّعيم بهَدي الصالح القُطبِ الفخيم
سلالةُ ناصرِ الدِّينِ الحكيم نميريّ منَ العذبِ النميرِ
ترشّف سَلْسَلَ الكاس الطهورِ

بنفسي القانتُ الأواب زهدا ومحيي ليلهِ في الله سُهدا
يرتّل آيَهُ شكراً وحمدا قنوت الخاشع البَرّ الشكورِ
رجاءَ ثوابِ مولاهُ الغَفورِ

كريمُ النبعتينِ أباً وأمّاً شريفُ المنتَمى خالاً وعمّا
فكانَ اسماً على وفق المسمَّى لدَرئ المعضلات من الأمورِ
صلاح الشعب في العصر الأخيرِ

سُمُوّاً يا أخا الفضل العميم ويا ذا الحلم والقلب السليم
تبارَكَ واهبُ الخُلق العظيم لمن يختار من بشر ونورِ
غناءً عَن مشاورة المشيرِ

ألفتَ السُّهدَ في طلبِ المعالي ومَن طلب العُلى سهر اللّيالي
فجئتَ مهذباً زاكي الخصالِ بحسنِ الفعلِ منقطع النظيرِ
فيا لله من شهم بصيرِ

قد استمسكتَ بالحبلِ المَتينِ وفزتَ برؤيةِ الحقِّ المبينِ
شهادة مشهَدٍ عينِ اليقينِ شهادةَ عالمٍ فطنٍ خبيرِ
على علم وبيّنةٍ ونورِ

وَقمتَ بواجب الدينِ الحنيف محافظة على الشرع الشريف
بردْعٍ للقويّ عن الضعيفِ مناصرةً وجبراً للكسيرِ
وتحناناً على العافي الفقيرِ

فلـــم تـــترك ســـبيلاً للنجـــاةِ بـــصوم أو صـــلاة أو زكـــاة
وحـــج أو جهـــادٍ أو هبـــات أكـــان الجـــود بالـــشيء الكـــثيرِ
يُضَنُّ به أم النزر اليسيرِ

جُزيـــت الخـــير مِـــن هـــادٍ رشـــيد علـــى أثـــرٍ تركـــتَ لنـــا مفيـــد
ينـــادي القـــوم أوفـــوا بـــالعقود رقيّـــاً للعلـــى بعـــد الحـــدورِ
وَفوزاً بالصَّفاء مـن الكدورِ

أقيمـــوا الخمـــسَ في نفـــلٍ وفـــرضِ ومـــا حـــق الـــولا لذويـــه يَقـــضي
فـــنحنُ بـــه علـــى حـــبٍّ وبغـــضٍ وعُـــدنا بالـــسعادة والحبـــور
وأوعِدْنا بقاصمة الظَّهورِ

ســـواءٌ فعـــل ذي القلـــب الحقـــودِ تهجَّـــد أم تمـــادَى في الهجـــودِ
فَمـــا والله شـــيءٌ بالمفيـــد إذا لم يَـــأتِ بالقلـــب الطهـــورِ
على أهـلِ الولايـةِ من نكيرِ

متـــى يَحظـــى بمـــا يَهـــواه قلـــبي ويُـــسعفني بمـــا أرجـــوه ربّـــي
فتجمـــع ألفـــة الإيمـــان شـــعبي وتنـــزع مـــنهمُ غـــل الـــصدورِ
فلا حقد هنالك في ضميرِ

بـــذاك تَقـــومُ سَـــيّدنا خَطيبـــا لكـــي تُحيـــي المـــسَامع والقُلوبـــا
فمـــا غـــادرتَ نـــدباً أو وُجوبـــا إلى وِرد العَـــلاءِ بـــلا صُـــدورِ
فلا عُذْرٌ لُمعتَذرٍ غريرِ

بحـــقٍ قُمـــتَ يـــا ذا الفـــضل فينـــا مقـــامَ أبيـــك بـــين الـــسَّالفينا
فكنـــتَ محجَّـــةً للـــسالكينا تـــذودُ القـــوم عـــن طـــرُق الـــشرورِ
وتحيي الشرع من بعد الدثورِ

فيـــا رَبَّ العُلَـــى يـــا ذا الجـــلال أجـــب يـــا منتهـــى الـــشكوى سُـــؤالي
إليـــك تَـــضرُّعي ولـــك ابتهـــالي تـــضرُّع بـــائسٍ عبـــدٍ فقـــيرِ
لذاتـكَ يا غياثَ المستجيرِ

أفِض مِن فيض لطفك يا إلهي | حياةً تستمر بلا تَناهِ
مشرَّفةً بتأييد وَجاهِ | عليه واكسُهُ جلبابَ نورِ
مبيناً واضحاً للمستنيرِ

وَزدهُ منكَ يا مولايَ قُربا | وأفعِم قلبه شغفاً وحُبّا
إليك وفيك إقبالاً ورُغْبا | ليبلغَ فوقَ مطلبه الخطيرِ
لمن والاه في السر السرير

وشرِّف ذكره في كل نادِ | لأهل الفضل قدسي المَبادي
لِيُصبحَ واسمه بينَ العِبادِ | كنشر المِسكِ أو ريّا العبيرِ
وريح الند طيباً والبخورِ

مع الخلصاءِ من أهلِ اليمينِ | ولاة السبق والفَوز المُبينِ
بحب المرتضَى الهادي الأمين | جلالاً فائقاً فخر الفخور
ومرغم كل ختّار كفورِ

تركتُ الشعرَ مذ أمَدٍ طويلِ | حذارَ العيّ أو خطل المَقولِ
فجُد بالعفوِ والصفح الجميل | عنِ التقصير مني والقصور
مُنِحتَ العفو من ربٍ قديرِ

لعلك حينَ تخلو من رقيبِ | وتأنَس في مناجاةِ الحبيبِ
لعلك ذاكرُ العبد الكئيبِ | بدعوةِ مُؤمنٍ حرّ وَقورِ
فأحظى بالسعادة في مصيري

خَليلَيَّ تَذكارُ المصلّى وأنسُها ... يجدّد وجداً في الفؤاد ويُبدعُ

مِن قصيدة عنوانها تذكار المُصَلّى «ترسوس»

خليليَّ تذكارُ المصلَّى وأنسُها ... يجدّد وجداً في الفؤاد ويبدعُ
أُمثّلها بالفكر شوقاً ومُهجتي ... تكاد بأسياف الهوى تَتَقطّعُ
فليت زمان الوصل والعيش ناضرٌ ... كما كان لي بين الأحبة يرجعُ
سأقنع في مَرّ النَّسيم من الحِمَى ... وكنتُ بما فوق التواصل أطمعُ
عسى وقفة للصب ثانية بها ... فيحيا فؤادٌ بالصبابة موجَعُ
وحبَّب مَغناها إليَّ محمَّد ... وما شاقَني لولا الأحبة مربعُ
إمام بعلم الحق جل مكانه ... أعز من الجوزاء قدراً وأرفعُ
يطلعتِّهِ نجم الهداية مشرقٌ ... ومن كفه بحر السماحة ينبعُ
فتىً من نمير طيب الأصل طاهر ... فقيه بأسرار الهدى متضلعٌ
وفي الله لم تأخذه لومة لائم ... على الحق مسراه وبالحق يصدعُ
همامٌ له بين السماكين منزل ... وبدر له أفقُ السعادة مطلعُ
ففي السحب شبه من سحاب معينهِ ... إذا انهمرت لكنها ليس تقلعُ
سمعتُ وقد شاهدت غرَّ صِفاته ... نظرت بعيني فوق ما كنت أسمعُ
تفضل أن أهدَى إليّ رسالة ... صريحة حب لم يشبْه التصنع
على حين أن كاد الجوى يبلغ المَدَى ... بقَلبي وأركان القوى تتصدَّعُ
بديعةُ ألفاظٍ تروقُ وإنما ... محاسنه فيها أرق وأبدعُ
وتعرب عن ودّ مقيم وخلة ... تزول الرواسي وهي لا تَتَزَعْزَعُ

أنجـل علـيّ وهـي دعـوة مغـرم يُجـرَّع مـن طعـم النَّـوى مـا يُجـرَّعُ
لعَمـري لقـد أحـسنت بـدءاً وعـودةً ومـن يبتَغـي الحُـسنى فمثلـك يـصنعُ
دعـاني لكـم داعـي الـوداد مبلّغـاً فلبَّـاه مـن قلـبي سميـع وطَيّـعُ
متـى يجمـع الـرحمن شملـي بقـربكم وأمـرح في روض المـصلّى وأرتـعُ
أمـولايَ بلّـغ مـع سـلامي تحيـةً يـشرفها عفـو مـن الله أوسـعُ
إلى العـالم النحريـر قـدوة عـصرنا ومـن معـضل الفتيـا لناديـه يُرفَـعُ
سـيادة مولانـا الـسعيد محمـر سـراج هـدىً منـه الـدُّجى يتقـشعُ
وإخـوانكم والمقتـدون بهـديكم ومـن بـولاكم ضـمه الـدهر مجمـعُ
علـيكم سـلام الله مـا لاح بـارقٌ وغـردت الورقـاء في البـان تَـسجعُ

❖ ❖ ❖

ولا برِحَت منك الربوع أواهِلاً *بكلّ عظيم الشأن مرتفع القَدرِ*

من قصيدة يتشوق بها لروض المُصلّى

أروضَ المُصَلّى أنت للنفس منيةٌ يُردّدُها المشتاق في خالص السرّ
سُقيتَ الحيا روضاً أريضاً ومربعاً غضيضاً ومغنىً تربُه طيب النشرِ
ولا برحَت منكَ الربوع أواهلاً بكل عظيم الشأن مرتفع القدرِ
فيا جنة طابت مقاماً وظلها مديد من التسنيم أعينها تَجري
تذكرت أيامي بها فتجددت عليَّ تباريح الغرام من الذكرِ
وطيب لُيَيْلات قضيت بربعها وعصراً حميداً حبذا ذاك من عصرِ
يضيءُ بها نور الإمام محمد وطلعته الغراء كالقمر البدرِ
مليك من الدين الحنيف متوج بتاج التقى والمجد والعز والنّصر
أنجل على ذي الكمال ومن حوى بديع المعاني الغر والنظم والنثرِ
لأطيب عيش مر عيش وصالكم وأيامه كانت تعد من العمر
وما دمتُ لا أنسى الوداد وحبكم من القلب لطفاً نازل منزل السرّ
وتالله ما خنتُ العهود التي مضَت بسفح المصلّى في نعيم وفي يسر
عسى وطر للصب يقضي بوقفة به ثانياً تبقَى له أبد الدهر
عليك سلام الله ما ذر شارقٌ تضمخ بالكافور والند والعطرِ

❖ ❖ ❖

تعـوّدتُ مـدحَ الأكـرمين ولم أكـن　　　أصـوغُ نظـامي لاكتـساب الرغائـبْ

من قصيدة يمدح بها
الشيخ علي ناصر وإخوته آل معروف

أخا الوجد في نجد وتلك الملاعبْ　　　وُقيتَ الردى دع عنك ما أنت طالبْ
رعى الله ليلاتٍ لدى أيمنِ الحِمَى　　　مَضَتْ بين غزلان العقيق الكواعبُ
وكل غريرٍ أهضم الكشح فاتنٍ　　　إلى مُهَج العُشّاق بالطرف سالِبْ
جلا غُرّةً غرّاء وضّاحة السنى　　　بها البدر في ليلٍ من الشَّعر غاربْ
فيا لكَ منهُ كوثرٌ رائق الجَنَى　　　حماهُ بفصّالٍ منَ اللحظ قاضبْ
ومذ سرحَت للأرضِ حيّات فرعه　　　من الصدغ دبَّت في الخدود عقاربْ
سلوا عن ثنايا ثغره برق بارقٍ　　　وعن لوعتي حمر الدموع السواكبْ
سلوتُ به عن حبِّ ليلى وزينبٍ　　　ولستُ على مغنى سُعادٍ بعاتبْ
تعودتُ مدح الأكرمين ولم أكن　　　أصوغ نظامي لاكتساب الرغائب
وما الشعر إلا ما تحلّت عقودُه　　　بنشر المَعاني للفروع الأطايبْ
علَيَّ بُعَيد الدين فرض مدائحي　　　ثنا آلِ معروفَ الأعزَّةِ واجبْ
أئمة رشدٍ لاح بدر كمالهم　　　علَى أُفق الحُسنى وبالنصر ساربْ
فمنهم عليّ صاحب السؤدد الذي　　　تقرُّ به الأعجام ثمَّ الأعارب
أخو الحزم والأفضال من نور ناصرٍ　　　تبلج فانجابَت قتوم الغياهبْ
أميرُ كمالٍ أيَّدَ الدين عزةً　　　بمن الرماح السمر ثم القواضبْ
غدا كعبة للوافدين سماحُه　　　تسير إليه وافدات الركائب

طوَت راحتاه الغُر خمسةَ أبحرٍ ... أناملُ تَهمي عن متون السحائب
ومَن مثل إبراهيم ذيلُ فخارهِ ... على هامة المجد العلية ساحبْ
فتىً من نُميرٍ عطَّر الشرق ذكره ... وطبق طيب النشر منه المغارب
يقلّب طرفاً حاذقاً من فؤادهِ ... يرى صفَحات الغيب من دون حاجب
ولو مدَّ باعَيهِ الكرام بطولها ... لصافحَ فيها باذخات الكواكب
ويا حبذا المنصور غصن فصاحة ... وركن من التقوى لمنع المصائبْ
أمين صدوق يسبق الفعل قوله ... له الله فطن قائِل الحق صائب
وعباس قطب من علي تفرعت ... أصول بهماه بالتقيةِ ناجبْ
فتىً ماجدٌ عفُّ الضمائر باسلٌ ... همامٌ غداة الروع كالليث واثب
همُ آل معروف الذين بمجدهم ... تسير رواة الشعر ماشٍ وراكبْ
قديون بالإيمان والرشد والهُدى ... وبالحلم والتقوى وحسن المواهِبْ

فيا آل معروف الفخام ومَن بهم ... كفيتُ رزايا صرف دهر محاربْ
عليكم سلام الله ما حنَّ عاشقٌ ... لرقمة نجدٍ والحسان الكواعبْ

❖ ❖ ❖

الطهر غانم إسماعيل من شهدت ... بمجده همم تسمو على زحل

من قصيدة يمدح
بها الشيخ إسماعيل غانم

بدَت مهاة اللّوى عن يَمنة الجبلِ ... تميسُ أعطافُها بالحَلي والحُلَلِ
غريرةٌ فوّقت في قلب عاشِقِها ... رمحَ القوام وراشت أسهُمُ المُقلِ
وقَفتُ أنشِدها وُجدي بذي سلمٍ ... وما الوقوف على رسم ولا طللِ
وأمدح السيدَ المولى الذي نطقت ... بفضله ألسنُ الأقلام والمِلَلِ
الطاهرَ الخُلق والأخلاق من دنَس ... والطاهر النفس والأفعال من زللِ
والعالِمُ العامل المشهور فرع هدىً ... شاه تحلّى بتاج العلم والعملِ
والصائمَ القائمَ الليل الجمير ومن ... في وجهه نور حق غير مُنتقلِ
والعابد الزاهدَ الأوابَ في علَنٍ ... أفديه من عابد لله مبتهلِ
الطهرَ غانمَ إسماعيل من شَهدت ... بمجده هِمَمٌ تسمو على زُحَلِ
والسالكَ العُروةِ الوثقى بلا فَتَرٍ ... وهي الصراطُ القويمُ الواضح السُّبُلِ
ففي دعاه وعفو الله معتصَمي ... منَ النوائب عند الحادث الجَللِ
عليك أزكى سلام الله متّصلاً ... عمر الزمان وعنه غير منفصلِ

❖ ❖ ❖

أئمتنا الفخام نداء صب — شدا نظماً بحبكم اختصارا

من قصيدة يمدح بها
مشائخ آل عباس سلمان (بيصين)

بدا فتبلّج الصبحُ انفجارا — وأومى للظّلام بأن توارَى
وماس فهزَّ غصنَ البان عطفاً — رشيقاً يخجُل الأسل الجِرارا
أغَنُّ بوجنتيه وراحتيه — ومِن فيه يدير لنا العُقارا
له قلبي صبا منذ التَّصابي — جوىً لا لِلكواعِب والعَذارَى
إمامُ رشادنا الحسنُ المفدَّى — تسامى قدرُه عن أن يُجارَى
أعَزُّ الناس مجداً وارتفاعاً — وأبهاهم كمالاً وافتخارا
وأوفى ذمةً وأجلُّ قدراً — وأمنعَ جانباً وأعزُّ جارا
فَمِنه باليمين اليُمْن يُرجَى — وعند يساره يلقَى اليسَارا
ومن كالمُصطَفى شرفاً وفضلاً — وإيثاراً وحِلماً واختبارا
وعباس من الحسن استمدت — خصائله المفخَّمة اعتبارا
جليلٌ باهر الأوصاف حاوٍ — معانٍ من بلاغته ابتكارا
يبيت مهجِّدا والليلُ داج — ولم يَذُق الكرى إلا غِرارا
أئِمتَنا الفِخام نِداء صب — شدا نظماً بحبكُم اختصارا
خذوها من محبكم فتاة — تبث عن الكئيب الإعتذار

❖ ❖ ❖

يعقوبُ يوسفُ صبري بيع في ثَمَنٍ بخسٍ وسجنُ الجوى مذ بنت أربُعُه

من قصيدة يمدح بها
الشيخ يعقوب الحسَن

لا تستقرُّ بقلب الصبِّ أضلعهُ وقد بَدا عَلَمُ الجَرعا ومَربعُهُ
وكيف يَسطيع كتمان الغرام وقَد نَمَّت بسرِّ الهوى المكنون أدمعُه
لم يبقَ من جسمه يوم النَّوى رمقاً إلا حنيناً على وجد يرجّعه
أشكو إلى الله عصراً ذُلَّ عالِمُه واعتزَّ جاهلُه وانحطَّ أرفعُهُ
يا ربعَ آذنةٍ حيّتكَ غاديةٌ من السحاب رُباك الرحبُ تمرعُه
أصبحتَ مكّة إيماني يحجُّ لها ربُّ النباهةِ مُضنى القلبِ مولَعُه
أمسى بكَ الماجد الميمون طالعُه والكوكبُ الماحقُ الدَّيجور مطلعُه
يُقلّبُ الفكرَ فيما ليس تُدركه أمانيَ الناس في العليا فيجمعُه
حنَّت لرؤية أهليه سجيَّته فسارَ والصبر مسلوباً يودّعُهُ
مستصحباً غُصَصاً قتالةً وأسىً أوَدُّ لو أنَّ جسمي راح يتبعُه
يعقوبُ يوسفُ صبري بيعَ في ثَمنٍ بخسٍ وسجن الجوى مذ بنت أربُعه
يطوي الضلوعَ على مثل الغضا حَرَقاً وللغرام سكاكينٌ تقطّعُهُ
أنتَ الحبيبُ الذي ملءُ العليون سناً والقلب حبّاً وأنت السمع مَسمعُه
يكاد يوماً يَطير القلبُ من شغَفٍ شَوقاً لذكرك لولا ظِلْتُ أردعُه
في كل يوم إلى لقياك لي كبد تخوض بحرَ المُنى وهماً وتَقطعُهُ
هَل يُبرئُ الدَّنِفَ التعليلُ من عللٍ وعنده كلُّ آنٍ من يلوّعُهُ

والحبُّ في الله أعلى كلّ مفترضٍ ... وجُلّ نيل أخي الأشواق مطمعُه
بالله بلّغ سلاماً ختمه عطراً ... يختصُّه أوحدُ التأييد أبرَعُهُ
علامَةُ العَصر ربُّ المجد أحمَد مَن ... سمَت على أصل هام الغفر أفرعه
وكل ذي ثقةٍ بالله معتكفاً ... يُحيي الظلام سهاداً ليس يهجعُه
أزكى التحيةِ والتسليمُ يردُفُها ... أهداكموه رهينُ القلب مولعه
ما حنَّتِ الوُرْقُ بالأوراق ساجعةً ... وشاقَها علم الجَرعَى ومربَعُهُ

❖ ❖ ❖

أئمةُ رشدٍ لم تزل شمسُ علمهم — بإشراقها تمحو دُجا كلِّ غاسقِ

من قصيدة يمدح بها آل ميهوب (حلبكو)

أصبحُ جَبينٍ لاح والليلُ غاسقٌ — أم افترَّ حسناً في لِوَى الغور بارِقْ
ومِن ذكر أقمارِ الحِمى وشموسه — أرَقْتَ دماً مِن جَفن عينَيك دافِقْ
صريعُ هوىً إمّا برمحٍ مثقفٍ — من القَدِّ أو سهمٍ من الطرف راشِقْ
بكلِّ فتاةٍ تحت فاحم شعرها — هلالُ جبينٍ لاح كالبدر رامِقْ
أمارس وجداً في هواها أقلُّه — تُدكُّ به شُمُّ الحُزونِ الشَّواهق
ويصدعُني ليلُ الضلال فأشتفي — بنور هدىً من آل ميهوبَ شارِقْ
أئمةُ رشدٍ لم تزَل شمسُ علمهم — بإشراقها تَمحو دُجا كلِّ غاسقْ
فَمِنهم إمام الفضلِ والعُروةُ التي — أصاب رشاداً مَن بها كان واثقْ
وأخلاقُه الغُرُّ الحسان تنزهتْ — بفطرتها الحسناءِ صبغةُ خالقْ
هو القُطبُ عباسُ الأمينُ ومَن سما — بذُروةِ مجدٍ دونها كلُّ شاهقْ
وينجزُ سبقَ الوعد والغَيث ماطلٌ — وتكذبُ أعلامُ الضُّحى وهو صادقْ
وإخوَتُه فرعُ النباهةِ حبَّذا — نجومٌ إلى البدرِ المنير شقائقْ
فياسين مفضالُ الكمال وإنّه — لإدراك غاياتِ البلاغةِ سابقْ
وغصنُ السنى عبدُ اللطيف متوَّجٌ — بتاج البها لا بالحِلى والقراطقْ
ونجلُ عليّ صاحبُ الطلعةِ التي — جلاءُ ضياها عنصر الدّجن ماحِقْ
تلبَّس جلباب السعادةِ والعُلى — وعانقَ بكر المجد هيفاءَ عاتق
هوَ الصالحُ المشهورُ آيةُ نورهِ — بها الشرك أمسى خافقَ القلب زاهقْ

وثَمَّ التَّقيُّ الطاهرُ القلبِ صنوُه ... مباركَ ذو الحسنى لطيف الخلائقِ
يبيتُ الدجى والليل راخٍ سدوله ... فيصرمه سُهداً بتوجيد رازقْ

وَنجل سعيدٍ بهجةُ العصر ماجدٌ ... محمد فيه سابقُ الرُّشد لاحقْ
وواخاه بالإيمان والحلم أحمدٌ ... سراجُ الولا في قلبه دام عالقْ
وزغر بنا النّيار بالفقه يوسفٌ ... به نهتدي حقّاً وضوحَ الطرائق
ومَن طبّقِ الآفاق بالفضلِ نجلُه ... محمَّد ذو فكر منير وحازقْ
إذا ما بدا بالغرب بارقُ ذكركم ... بواضحه فرَّت دَياجي المَشارق
دُعاكم نجاةُ الروح يومَ يقودها ... لحضرة جبَّارٍ شهيدٌ وسائق
عليكم سلام كلما ناح طائرٌ ... على عذَباتِ البان أو ذرَّ شارق
وما أسفر الصبح المنيرُ وأنشِدَت ... أصبح جبينٍ لاح والليل غاسِقْ

❖ ❖ ❖

سعيد سجايا اللطف فيه تجمّعت وأحرز للحسنى جميل المآثر

من قصيدة يمدح بها
الشيخ سعيد العلي (ومما قاله في صباه)

سَنَى الفَرق أم برقٌ منَ الغَورِ باهرُ ووجهٌ أضا أم طالعُ البدر زاهرْ
حمَى وردَهُ السحرَ الحلالَ بصارم منَ المُقلة الكحلاء عن كلِّ صادرْ
هيَ القمر الساري وليس منازلٌ لها القلب والطرفُ الذي بات ساهرْ
حويتُ بها العشقَ الغريز كما حوَى إمامُ الهدى مجداً عظيمَ المفاخرْ
سعيد سجايا اللطف فيه تجمَّعَت وأحرز للحُسنَى جميل المآثِرْ
تفرَّعَ نوراً من عليٍّ وقد جلا صباح الهدى الوضاح والليلُ باسرْ
حليفَ الندى كل الأنام بأسرهم عليه عيال إن بدا الغيثُ قاتر
أمنتُ وقد آمنتُ في جود كفه ولستُ لِمَا أولى من الفضل كافرْ
سأنشرُ في مدح السعيد قصائداً تفوق اللآلي أو عقود الجواهرْ
وأنثر نظماً في مَعاني صِفاته تقر الورَى في أنه نظمُ شاعرْ
وأبني له في المدح بَيتاً مشيَّداً تُهدُ الليالي وهو بالمجد عامِرُ
وألهجَ في إحسانه مترنِّماً إلى أن أُوَفِّي أو تَجفُّ المحابرْ
فيا أيها المولَى الذي جلَّ قدرُه يُحاطَ بنظمٍ كامل الوصف وافرْ
عليكَ سلام الله ما ذرَّ شارقٌ تضمخ في نشرٍ من المسك عاطرْ
وما عرَّض المشتاقُ بالحب قائلاً سنا الفرق أم برق من الغور باهرْ

❖ ❖ ❖

لم يبلُغ الشرفَ الرفيعَ سوَى فتىً تحتَ العجاج بنفسه لم يبخلِ

من قصيدة يمدح بها السيد أحمد افندي الحامد

مــا المجــدُ إلا في شِــفار الأنــصُلِ فــدَعِ العقيــقَ ودَعْ رســوم المنــزلِ
هيــاتَ مــا ذكْــرُ العقيــقِ بنــافع ذا مُهجــةٍ حــرَّى ودمــعٍ مُرســلِ
إنّــي لأعجب مــن فتــىً يبغي العُلى ويبيــت يلــهج بــالغزال الأكحــلِ
يهــوى التغــزلَ بالحِســان متــيَّمٌ عــن ذروةِ المجــدِ الأشــمّ بمَعــزلِ
يُغنيــك عــن عــذَبات بانــاتِ اللّوى ســمرِ القَنــا وعــن القــدود المُيَّــلِ
وعــن الثغــور وحســنها بــرقُ الظبــا ينــشقّ عنــه حجــاب نيــل الجحفَــلِ
ظِــلُّ الرمــاح الــشابكاتِ أجــلُّ مــن ظِــلّ الريــاض ومائهــا المتــسلسِلِ
لم يبلــغِ الــشرفَ الرفيــعَ ســوى فتــى تحــتَ العجــاج بنفــسه لم يبخَــلِ
وإذا علمــتَ الحتــفَ يومــاً وردهُ فاقبــل فــإنَّ العجــزَ إن لم تُقبــلِ
إنّ الــسيوفَ البــيض تحــت ظِلالهــا جنّــاتُ عــدنٍ في النعــيم المكمَــلِ
كــم بــينَ مُلــهىً بــالغواني والمهــا ومهنــدٍ يُخلــي الرقــاب فتختلــي
نفــسي الفــداءُ لمجــدِ أحمَــد حامــدٍ حــامي الحقيقــةِ أولاً عــن أوّلِ
مَــن مثــل أحمــد عــزةً ومهابــةً مقرونــةً بفخامــةٍ وتَبجُّــلِ
أســدُ البــسالةِ حــلّ مــن إقدامــه في ذُروة العليــا بــأرفع مجــدلِ
يــسطو بفــصّال تلألــؤ حــدِّه كــالبرق أومــض في الظــلام الأليــلِ
يــسطو فيعفــو حــين يقــدر رأفــةً وكــذا ســجية كــل شــهمٍ فيــصلِ

❖ ❖ ❖

فإن يَكُ قصداً ما أتاه لجهله فلا عجبٌ أن ينكر البدر جاهِلُهْ

مِن قصيدة يهنئ بها
الشيخ جعفر محمد سلمان ممن أرادَ به أذىً

وُقيتَ الرَّدى يا جعفرَ بن محمَّدٍ وحلَّ بباغيه لكم ما يُحاولُه
فَيا قومُ حتى سيّدَ الناس جعفر يريد به السوءَ امرؤٌ ويُخاتِلُهْ
أيَضمر للبدرِ المنير أذيةً وقد بهرتْ أنوارُه ودلائلُه
يُريد به سوءاً وأنّى ينالُه وذو العرش كافيه المهم وكافلُهْ
ولِمْ لا يُفَدِّيه من الحتف فتيةٌ حياتهمُ مما تفيضُ أناملُهْ
هو العابدُ الأوّاب نجلُ محمّد شريف السجايا طاهرات خَصائِلُهْ
جماع المعاني الباهراتِ كأنما عناه ببيتٍ قد تقدم قائلُهْ
(هو البحر من أيّ النّواحي أتيتَه فلُجَّتُه المعروف والجودُ ساحلُهْ)
إذا تُليَت في الروض آيات مدحِهِ تنوَّر مغناه وماست خمائِلُهْ

أمولايَ صفحاً عن غبيٍّ مغفَّلٍ سيُجزَى بحكم العدلِ ما هو فاعلُهْ
فإن يكُ قصداً ما أتاه لجهله فلا عجب أن ينكر البدر جاهلُهْ
وأجدرْ بأن يعفو ويصفحَ ماجدٌ تَفَضُّلُه عمَّ الفضا وفَضائلُهْ
عليك سلامُ الله ما مُدرح الحِمى وغنَّت على غصنِ الأراك بلابلُهْ

❖ ❖ ❖

وكتب على مقام المقدس الشيخ أحمد قرفيص هذه الأبيات

قُدِّستَ مِن مولىً شريفٍ في الوَرى ... وخلدتَ في دار العُلى يا أحمدُ
لازال مثواك المقدسُ كعبةً ... للمُقتَدين على الرشادِ مشيَّدُ
إن كان يجهله أمرؤٌ فلَطالَما ... للشمس قد جهل الضياء الأرْمَدُ
لكَ في جنان الخلد من باري الورَى ... أسنى العطايا والنعيمُ السرمَدُ

❖ ❖ ❖

عِلْمُ اليَقينِ تبلّجتْ أنوارُه		بجمالها الوضّاح من سلمانه

من قصيدة يمدح بها

الشيخ سلمان «كرم مغيزل» والشيخ حسن صارم

يا سعدُ قِف بالمُنحنَى ورِعانهِ		وسلِ الحمى الغَربيَّ عن سكانه
ودع المحاجرَ في مرابع حاجرٍ		تَهمي يواقيتاً على مرجانه
وتيمَّمَنْ سَلْعاً وسل عن مُهجةٍ		ضاعت على الوجنات من غِزلانِه
وأقرِ السلام على ربيع ربوعه		والمائسات الهيف من أغصانه
وأنشدهُم رفقاً بحالِ متيَّمٍ		ضمَّ الصبابةَ في صَميم لُبانِه
هَذا وكلُّ رَفيع مَجدٍ طاهرٍ		يُعزَى إلى رَمضان في إتقانه
علم اليقينِ تبلَّجتْ أنوارُه		بجمالها الوضّاح من سلمانه
اليمنُ بين يمينه ويَساره		والحق بين لسانه وجَنانِه
لله منه إمام فقه أسفرت		أعلام نور الدين في إعلانه
المبرز البحر المحيط براحة		تنهل منها الخمس بين بنانِه
ومجاهد في الله حق جهادِهِ		في عينه وبقلبه ولسانِه
هيهات أن يأتي الزمان بمثلِهِ		وهوَ الوحيد بعصره وزمانِه
والطاهران النيران مهابةً		قمَران هلاً من سنا رمضانِه
فمحمد يزهو بثوب وقايةٍ		متطرز بالنصر عقد جُمانِه
دلّت على الأصل الشريف فروعه		والرطب يخبر عَن جنى أغصانِه
وأخاه بالحُسنى عليَّ المُجتَبى		من حازَ سر الكتب في قرآنِهِ

سمحٌ يكاد الغيث يشبه كفُّه | لو أرسل الياقوت في هملانِه
وضياء صارمِنا المؤيّد نجله | حَسَنٌ سما علماً على حسّانِه
هو كعبةُ العِلْم الذي حجَّت إلى | بطحائِها القُصَّاد من ركبانِه
والمفرد العلَم الممجَّد أحمد | فاقت فصاحته على أقرانه
قوم تحرّوا حضرة الإشهاد إذ | نصبوا أسرَّتَهم لدى كيوانه
قسماً يُبَرّءُه اليقين من الريا | ويجلُّ عن مَينٍ وعن بهتانِه
إنّ الوداد لدى الكئيب مؤكَّدٌ | يبقَى ولو فنيَت قُوى جسمانه

❖ ❖ ❖

هـوَ عبد الرحمن ذو الجود والإكرام ربّ الشّجاعَةِ المِقدامَة

من قصيدةٍ يمدح بها الشيخ عبد الرحمن جمعة

مـرَّ في المُنحنى فزاد هيامه ذكر نجدٍ وحاجرٍ واليمامهْ
ظلَّ حلف الأسى يناشد ربعاً دارس الرسم لا يرد سلامَهْ
نازَعَته الأوهام في قلبه العاني فأكثرنَ بالجوى أقسامه
وشجاهُ تذكار أيامه الغرِّ فإن جنَّ عاشق لا ملامَه
رحلَ القلب والفؤاد من الجسم فيا نفسُ كَيف تلكَ الإقامة
علقت مهجتي بأحور طرفٍ لا بأعطاف زينبٍ وأمامَه
أنكرت مقلتاه للضعف قتلي قلت لي حمرة الخدود علامه
ما سرقت الفؤاد منك فأنى لك يا وجنتيه تلك الشامَه
شفع الشَّعر للكئيب فما انقاد فعضَّت ضلالُه أقدامه
مُرسِلٌ من لحاظه أحسنَ الصبَّ بآيات حسنهِ إسلامه
يا حبيب الحشى منذ المهد حتى اللحد حتى ورود حوضِ القيامه
يا غزالي وما انتفاعي بقولي يا غزالي وقد فقدت السلامه
قَلَّ أني في قِصَرْ عمري أُفَدّيكَ وبالنفس يا طويلَ القامَه
أبلجَ الطالع اللأغرِّ مُحيّاهُ صباح يبدي لنا أعلامه
كلفت أوجه الدفاتر من حمل مثاني مديحه المستَامَه

هو عبدُ الرحمن ذو الجود والإكرام ربُّ الشجاعة المقدامَه
مُحْيي الليل بالتلاوة والذكر إلى أن يرى الصباحُ ابتسامَه

مَن خلا هائماً بحضرة مولاه كساه نوراً محا آثامَه
قلبُه مشغَفٌ بتنزيه ذاتِ الله سالٍ زمانَه وحطامَه
ومحيط البحور والوابل الوسميّ في جود راحتيه رهامه
راحة تنظم اللآلي وتعطيها نثاراً مطعاتة مطعامه
هي شمس لها الأنامل أفلاك وهطل السمَّاح فيض غمامه
برق البرق من أناملها السَمح فأبدى صواعقاً صلدامَه
وغدا مسفراً عطارد منها قلم بالمضاء كالصمصامه
حاز سر الفرقان والكتب الأربع من حفظ عالم علاّمه
ما ثناه عَن نَيل رتبته العُليا دنيء رمَى بعدْلٍ سهامَه
كل أيامه المهيبة أعيادٌ أطال المولى لنا أيامَه

أيها السيّد الذي أطلع البدر جبيناً ليلا فماط قِتامَه
آنس الله في وجودك يا شمس جميع الأكوان جمعاً وهامَه
هاك عقد الودادِ قاتلَني الرحمن يوماً أروم فيه انفصامَه
أنا رِقّ وهبتك النفس لأعتق إلى رقّ نفسِك المستهامَه
لا تظنَّنَّه تَغزُّلَ شعرٍ من فتىً لفَّقَ الغداة كلامه
لا وربِّ البيت الحرام وشهر فاز من راح صائماً أيامَه
حال بيني وبين رؤيتك الغرَّاء ذنبٌ واف عدمت ظلامه
أنا راج من فضلِك العفوَ والصفح فتُجْلي من بائس أوهامه
وعليك السلام ما غرَّدَ القُمري وغنَّت فوق الغصون حمامَه

❖ ❖ ❖

قَمَـران في أُفُـقِ السُّعودِ تبلَّجـا ... فتبـدَّدَ الـديجور بالإزهـاق

من قصيدة يمدح
بها الشيخ محمد سعود والشيخ أحمد سعود

لله أي متـيَّمٍ مـشتاقِ ... دنِـفٍ بَـراه أسـىً وعـزَّ الراقـي
كيـفَ السبيلُ إلى اللقـا وتوطَّنـت ... ظهـرَ الحجـاز وأنـتَ بطـنُ عِـراقِ
لـولا تلـهّبُ نـارِ وَجـدي شُـعلة ... لغرِقـتُ في بحـرٍ مـنَ الأشـواقِ
يـا أخـتَ بانـاتِ اللِّـوَى وشـقيقَة ... القمـر المـنير وفتنـةَ العُـشَّاقِ
الله في صـبٍّ غريـق صـبابة فـانٍ ... علـى عهـد المـودَّة بـاقِ
أصبحت نـادرة الـسقام ولم أجـد ... خِـلاً أخـا ثقـةٍ يحِـل وثـاقي
إلا ابـن سـعُود الإمـام محمـدا ... غيـث الـبلاد وزغـرب الإرفـاق
ألـفَ الخـشوع فلَيلُـه ونَهـارُه ... متهجـدٌ في طاعـة الخـلاَّقِ
سِـيماهُ مـن أثـرِ الـسجود بوجهـه ... رُسِـمَت بكـف مُقَـسِّمِ الأرزاقِ
وأخـوهُ أحمـد آيـة الـشرف الـتي ... رُقِمَـت على طـرس الكمـال النـاقي
سمـحُ البيـانِ شـريفةٌ أحـسابه ... عـفُّ الـضمائر طـاهرُ الأخـلاق
قمـرانِ في أفـقِ الـسعود تبلَّجـا ... فتبـدَّدَ الـديجورُ بالإزهـاق
لـي مـنهمُ حـسن الـدُّعاء وقايـةً ... مـن كـل حادثـةٍ ونعـم الـواقي
لهـم علـيَّ مـدى الزمـان بفـضلهم ... غـرَرُ المـدائح والثنـاءِ البـاقي
وعلـيهم أزكـى الـسلام تحيـة ... مـا حنَّـتِ الورقـاءُ بـالأوراقِ

❖ ❖ ❖

وما أنا ممَّن ينقُض العهدَ ناكثاً … بميثاقه والله أعلمُ بالسرّ

من قصيدة يمدح بها السَّيِّد محمد أفندي الحمصي

إلى السيد القُطبِ الكريم ومَن سما … بهمته العليا على هامة الغَفرِ
تحية صبٍّ ذي اشتياق ولوعة … يكابدها ليلاً إلى مطلع الفجرِ
يذكّرني حب الأمين محمد … رياضَ المصلّى وهيَ ناضرةُ الزهر
أهيم بهاتيكَ الربوع ومهجتي … ترفرف أشواقاً بأكنافها الزُّهرِ
ولولا هوى الأحباب ما مُدح النقا … ولا ذُكِرت نجد بنظم ولا نثرِ
ولا بدعَ إن حلَّ الإمام محمد … محلَّ المُنى بالقلب والسرِّ بالفكرِ
حسيب نسيبٌ طيب الأصل طاهر … تقيٌّ نقي الجيب والنفس والسرِّ
وحليته العلم الشريف يزينُها … طراز الحجى واللطف والحلم والبرِّ
مدحتك عن علمٍ وحبٍّ تمازجا … بصدق وإخلاص وذا زينة الشعرِ
وإني على العهد القديم الذي جرى … بروض المصلّى ثابتٌ أبد الدهرِ
وعندي إليها لوعةٌ وصبابةٌ … وزفرة أشواق أحرّ من الجمر
وما أنا ممّن ينقض العهد ناكثاً … بميثاقه والله أعلمُ بالسرِّ
عليك سلام الله ما لاح بارقٌ … وغردت الورقاء في فَنَنٍ نَضرِ

❖ ❖ ❖

أجلُّ المعلّى واسمه مثل قدره رفيع مكان ما إليه وصول

من قصيدة يمدح بها الشيخ معلى أحمد غانم

لقد سُعِدت يا نجلَ أحمدَ أسرةٌ تصول بعليا مجدكم وتطولُ
على العِلم والإيمانِ والدين والهُدى فروع له قد أُحكِمَت وأصولُ
إليك العُلى ألْقَت مقاليدَ مجدها فأنت بها كافٍ لها وكفيلُ
وخُيِّرتَها فاخترتها واختيارها علاك لحسن الاصطفاء دليل
ألا أيها الباغي مباهاة مثلهِ لذلك مرمىً ما إليه سبيلُ
يُنيلُ ويغدو ضاحكاً فكأنه هو المجتدي للبشر حين ينيلُ
تبارك مؤتيه البيانَ ومنطقاً يزيح المعَمَّى مفصِحاً ويُزيلُ
وفصل خطاب عن أناة وحكمةٍ تفيدك علماً والجَنان ذهولُ

أُجلُّ المعلّى واسمَه مثلَ قدرِهِ رفيعُ مكانٍ ما إليه وصولُ
فتىً بِرداء العلم والحلم مُحْتَبٍ فكلُّ رداءٍ يَرتديه جميلُ
أفكّر في أوصافه الغرِّ باحثاً بها فيَتِيه الفكرُ وهو يجولُ
عفيفُ إزارٍ طاهرُ الجيب مخلصٌ تقيٌّ نقيٌّ للكرام وصولُ
خلائق طابَت ذاتُها وصفاتُها فكل معانيها الحسانِ جليلُ
بنفسي المُعلّى من إمام مهذَّبٍ كريم المحيَّا والكرامُ قليلُ
تفضلتَ بالمدح الذي أنت أهلُه فكل الذي يُجدي الكرام جزيلُ

جزيتـــكَ مـــن عـــالٍ بـــدونٍ وإنّمـــا   مقـــابَلَتي للفـــضلِ منـــكَ فـــضولُ
فيـــا بحـــرُ لازالـــت مياهـــك عذبـــةً   ويـــا بـــدرُ لا دانـــى ســـناك أُفـــولُ
ودمـــتَ بـــأثواب الـــسعادةِ رافـــلاً   وظلـــك للراجـــي نَـــداك ظليـــلُ

❖ ❖ ❖

يا سقى الله ربع (ترسوس) طلاً فيض وكف السحائب الهطّال

من قصيدة يمدح بها
العلامة الشيخ يوسف علي الخطيب

فاترُ الثغر باردُ الجريالِ فاتنُ الطرف نادرُ الأمثالِ
ساكنٌ في فؤاديَ المُغرم الواله لا بالنَّقا وسفح الضالِ
يتمشَّى مشي النعاس هواهُ في صميم الأحشاءِ والأوصالِ
يا لَشوقي إلى السقام لأني كنت منه بصحة الآمالِ

كيف أسلو الهوى وفي كل عضوٍ دبَّ بي حبه دبيب النمالِ
ما تيمَّمتُ قِبلةً بعد أن حلَّ حبيبُ الفؤاد قُطرَ الشَّمالِ
ملك أبلجُ الجبينِ أغرُّ الطالع الأزهر العزيز المَنالِ
يَقِظٌ يحرسُ العلومَ فيُحيي إذ يميتُ الكرى سهادَ البالِ

يا أخا البحر والغزالةِ والبدرِ بجودٍ وبهجةٍ وكمالِ
فقت قيساً بحسن رأي وقِسّاً ببيانٍ وحاتماً بنَوالِ
وإياساً بفطنة وذكاءٍ وحبيباً بلَهجةٍ ومقالِ
طبتَ نفساً ومحتِداً ونِجاراً يا كريمَ الأعمام والأخوالِ
يا أبي حيث لا أب لي ويا عمِّي إذا ما فقدت عمِّي وخالي

يا سقَى الله ربع «ترسوس» طلاً فَيضَ وكْف السحائبِ الهطَّالِ
وكسته أيدي الربيع حِليّاً طُرِّزَت من زهوره بلآلي
أترى يسمح الزمانُ أخو البخلِ بحجّي لهاتكَ الأطلال

❖ ❖ ❖

يـا نجـل سـعدِ دُمـتَ ظـلاً سـابغاً　　للمـستظلّ ومـورداً للـشارب

من قصيدة يمدح بها الشيخ محمد سعد

لـيسَ الوقـوفُ علـى فـؤادٍ واجـبٍ　　بـالرَّقمتَين أو العقيـق بواجـبِ
مـاذا يفيـدُ وقـوفُ ذي شـجَنٍ علـى العَلَمَـين بـين مَـسارحٍ ومَـسارب
تَتنـازع الأوهـامُ منـه مهجـةً　　علِقَـت جـوىً بـبراثنٍ ومخالـب
شـوقاً لغـزلان النقـا ودُمَـى الحِمـى　　ومَهَـا دُرَى البـانِ الأنيـق الناشـب

أرعـى الكواكـب لا تَـنجُّمُ راصـدٍ　　وأقـوم لَيلـي لا عِبـادةُ راهـبِ
لكـن عـسى أن يلتقـي في طرفـه　　طَـرفي علـى نظـرِ الـشُّهبِ الثاقـبِ
هيهـاتَ يُرجَـى لـي التـسَلِّي والهوى　　العـذريُّ يجـذبني إليـه بجـاذب
لا ينتهـي شـوقي الغَـداة بـه ولا　　أفـضال مولانـا بـنِ سـعدٍ الواهـبِ

ربِّ الـصيانةِ والكمـالِ محمـدٍ　　حـالٍ بتـاجِ ملاحـةٍ ومناقـبِ
وبمدحِـهِ تحـدو الركـابُ وذكـرُهُ　　قـد سـار بـين مـشارقٍ ومغـاربِ
قـل كيـف شئـتَ ومـا تـشاءُ بمدحه　　مِـن صـدرِ مكرمـةٍ وغيـثِ مواهـبِ
يـا ربـع صـافيتا سـقتك سـحابة　　تنهـلُّ مـن مـاءِ الحيـاة الـساكبِ
يـا نجـلَ سـعدٍ دمـتَ ظِـلاً سـابغاً　　للمـستظل ومـورِداً للـشاربِ

مـاذا ومـنَ الوصـف الجميـل بحقكـم أثـني وحـصر الفـضل كبـت الكاتـبِ
بـل مِـمَّ أخـشى حيث أنـك ناصـري وبـذيل حلمـك قـد سـترت معـايبي
وعليـك مـع أزكـى الـسلام تحيـة يـا ملجـأ الجـاني وغيـثَ الطالـب

❖ ❖ ❖

ضيا حَسَنٍ قسّ الفَصاحَةِ يونسٍ حليف المعالي طاهر الأب والجَدّ

من قصيدة يمدح بها الشيخ يونس حسن رمضان

أرسلها إلى حلب حيث كان يقضي خدمته العسكرية المسماة آنذاك الجهادية

إلى حلبَ الشّهباءَ أصبو ومُهجتي تحنّ إليها من غرام ومن وجد
وعندي إليها لوعةٌ وصبابة وفرط اشتياق وافر فائق الحدّ
ولولا هوى الأحباب ما مدح الحمى ولا ذَكَرَتْ أهلُ الهوى العلمَ النجدي
بنفسي حبيبٌ حل فيها ولم يزَل بقلبي وقلبي لا يحول عن العهد
تيمَّمَ في قصد الجهاد ربوعها فكان على أعطافه رونق الجند
وتاج وقارٍ باهر ومهابةٍ وحلم وعلم لابساً حلّة المجد
ضيا حسنٍ قس الفصاحة يونس حليف المعالي طاهر الأب والجدّ
إلى رَمَضانٍ نسبةٌ مضريةٌ لها شهرةُ المكزون واسطة العقد

حبيبي ذكراكم بفكري وشخصكم تجاهَ عيوني حالةَ القرب والبعد
نأيتم فما للعيش ثم لذاذةٌ ولا الصبرُ يوماً عن محاسنكم يُجدي
وليس فراق الإلف للإلف هيِّنٌ أعوذ بلطف الله من حسرة الصَّد
مررت على الربع البهي فساءني نواكَ وأبدى الوجدُ ما لم أكن أُبدي
وسُرَّ فؤادي منكم برسالة كأنَّ على ألفاظها رائقُ الشهد
وتأخذ بالألباب منه طلاوةٌ قلائِدُها صيغتْ من الجوهر الفرد

وأحسنُ من تلك السطور أناملٌ لديها يراعٌ دونَه الصَّارمُ الهندي
وتالله مشتاقٌ لرؤية حسنكم ووجهٍ كمثل البدر منزلة السعدِ
وإنَّ صفاءَ الحب أكبرُ شاهدٍ على كل قلب بالولا صادق الوعدِ
إليكَ حياةَ النفس تحفةَ مخلصٍ مقيم على عهد الصبابة والود
حباك بها شوقاً سليمان أحمدٍ تزف من الإدلال في حلل المجدِ
عليك سلام الله ما افتَرَّ بارقٌ تضمَّخ بالكافور والمسك والنَّدِّ

❖ ❖ ❖

أغرُّ السَّنا من آل معروف ماجد ... سريع إلى الجُلّى لطيف الخلائق

من قصيدة يمدح بها الشيخ أحمد سليمان العباس

نسيمَ الصَّبا حيِّ العُذيبِ وبارِق ... بغيثٍ على الجذع اليماني دافِقْ
وقُل إن رأيتَ البان من سفح حاجر ... وعايَنْتَ غزلان العقيق العوانِقْ
عليكم سلام من كئيب متَيَّم ... حليف أسىً في أبحر الوجد غارقْ
بنفسيَ منهم جؤذرٌ تحت شعره ... هلال على غصن من القد شارقْ
حبا الجانبَ الغربيَّ منه بزورة ... فأصبح من إزهاره الطرف رامِقْ
سحابة بُرديه التي مرَّ عَرفها ... على النبت فاحمرَّت خدود الشَّقائقْ
ومرت صبا نجد بحل جماله ... فأوردت المسك الزكي لِناشقْ
ملاحته ضاهت سماحة أحمد ... إمام لغايات البلاغة سابق
فتىً حلَّ من أفق الكمال بذروة ... لها خشَعت شمّ الحزون الشواهِقْ
أغَرّ السنى من آل معروف ماجد ... سريع إلى الجُلّى لطيف الخلائقْ
وينجزُ سبق الوعد والغيث ماطلٌ ... وتكذب أعلام الضحى وهو صادقْ
تلبَّس جلباب الكمال مزرَّراً ... دراري المعالي الباهرات الشوارقْ
قلادة جيد العصر مصباح نوره ... به يهتدي الساري وضوح الطرائقْ
إذا أسفرَت بالغرب أقمار سعده ... بواضحها فرّت دياجي المشارقْ
شبا عضبه الفصال شابت لوقعه ... رؤوس الرزايا خشية والمفارِق
لكَ الويل يا ليل الضلال فإنه ... صباح هدىً يمحو دُجا كلّ غاسِقْ
فيا بحرَ كفّيه الكرام ترفُّقاً ... عن الفيض قد أغرقَت جمع الخلائِقْ

ويـا حلمَـه الســامي تبالغَـت رأفـةً ... إلى حيــث أطمعــت فيــه المنــافقْ
ويـا ملكـاً مـن فـوق كرســي مجده ... تربــع مــولىً بــاهر القــدر فــائقْ
يمينــاً غموســـاً إنــه بــوداد كم ... سـليمان يـا نجـل السـليمان واثـقْ
شــهيد علــيّ الله أنــي أحــبكم ... ويعلــم رب العــرش لســتُ بمــاذقْ
لكعبــتكم حجــت ركائــب مغــرم ... هــداك مــديحاً آنــق اللفـظ لائـقْ
عليــك ســلام الله مــا لاح بــارق ... وحــنَّ إلى الجــزع اليمــاني عاشــقْ

❖ ❖ ❖

شـــريف الـــنفس لم يلحـــق مُبـــارٍ لـــهُ في حلبـــة العُليـــا غُبـــار

من قصيدة يمدح بها الشيخ صالح عبد الحميد علي عيد

أمُنعَـــرَجَ اللّـــوَى حيَّتـــك دارا غـــوادي اللُّطـــف تَنهمـــرُ انْهِمـــارا

ولا بَرِحـــت ظِبـــاؤك آنـــاتٍ بَمربعهـــا وإن زادت نِفـــارا

بنفـــسي مـــن حمـــاك ليـــال أنـــسٍ قـــضيناها وإن كانـــت قِـــصارا

فـــلا برحـــت مرابعـــه ديـــاراً ولا شَـــطَّت معالمُهـــا مَـــزارا

ولـــو يُعطَـــى الفتـــى نَيـــلَ الأمـــاني لخَـــطَّ بقبـــة الأفـــلاك دارا

حليـــف الـــسهد حتـــى الفجـــر يبـــدو كـــأنَّ جـــبينَ صـــالح اســـتنارا

لـــه عبـــد الحميـــد ابـــنٌ نِعِمـــاً هـــلال منـــه نجـــم قـــد أنـــار

لراجـــي الـــيُمن مـــن يُمنـــاه غيـــث ومـــن يـــراه يلـــتمس اليـــسارا

شـــريف الـــنفس لم يلحـــق مُبـــارٍ لـــه في حلبـــة العليـــا غبـــارا

عليـــه مـــن حِلـــى التقـــوى شِـــعارٌ ألا مـــا أحـــسنَ التقـــوى شِـــعارا

فأيـــدك الإلـــه بحـــسن خُلـــقٍ بـــه زدتَ احترامـــاً واعتِبـــارا

❖ ❖ ❖

ولِناصرِ الدين الحكيم مدائحي ... تُهدَى مضمَّخةً بمسكٍ عاطرِ

من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصر الحكيم

أفديك يا ليلَ الشبابِ الناضرِ ... بصباح كافور المشيب الكافرِ
نِعمَ الوسيلةُ وهي أكبر شافع ... عند الحسانِ أو الحبيب الهاجرِ
تَحنو لأسود فرعه بيض الظُّبَى ... حبّاً ويضحكُ كلُ وجهٍ باسرِ
فيه سُعدت بوصل أرام الحِمى ... ذات المحاجر في مراتِع حاجرِ
فَلِحُسنِها المثلُ الرفيع وغاية ... الوصف البديع بكلّ معنىً سائرِ
ولِناصرِ الدين الحكيم مدائحي ... تُهدَى مضمَّخة بمسكٍ عاطرِ
مولىً كسا الدينَ الحنيفي حلةً ... عَقَدت على حلل البَها بخناصرِ
هو كعبة التقوى التي من أمَّها ... نال الهُدى بُشرَى له من زائِرِ
يشتاقه المحراب شوق البقعة الصادي ثراها للغَمام الماطِرِ
جلّت خلائقه الشريف بهاؤها ... مِن أن تُدنَّس وهي فِطرةُ فاطر
مولاي شخصكُم تجاه حُشاشتي ... علم الإله وإن خَفِي عَن ناظري
فقتَ الكرام السالفين وإن تكن ... وافيتَ في العَصر الأخير العابرِ
بايَعتُ ودّكَ وهو خير ولايةٍ ... قد أُودِعَتْ في القلب ضمن سرائري
يا رحمةَ الرحمن بين عباده ... وسراجَ أبصار لنا وبصائرِ
فاحلم علَيَّ بدعوة أشفى بها ... أنت الحكيمُ وعلتي بضَمائري
ولكَ السلام معَ التحية سَرمَداً ... في طيّها أرَجُ العبير العاطرِ
وإلى الهُمامَين الفخام ومَن بهم ... راقَ المديحُ ولاقَ نظم الشاعرِ

الصالح السامي الذرى ليث الشّرى ... غيث جرى بلطائفٍ وبواهرِ
الماجد الندب الحلاحل أحمد ... أفديه من ندب شريفٍ طاهرِ
هم بهجة الدنيا وطالع نصرهم ... لم يُحص طائله بوصف قاصرِ
وعليهم أزكى السلام بطيّهِ ... ألطاف رضوان العليّ القادرِ

❖ ❖ ❖

محمـــود ميهـوب المعظّـم قــدرُه   ملـــك بكرســـي العلـــى متربّـــعُ

مِن قصيدة يمدح بها الشيخ محمود ميهوب

يــا ســعدُ ذيّــاكَ الحِمــى والأجــرعُ   وذُرَى الحجــون وأنــتَ صَــبٌّ مولَــعُ
وأنــشُد جــآذرَ جاســم وظبــاءَه   وعُرَيْــبَ نجــد علّهــم أن يَـــمَعوا
فانشُر أحاديث الهوى عن مدنفٍ   ذي مهجــة حــرَّى وطــرفٍ يــدمعُ
وقُــلِ الــسلام علــيكمُ يــا جــيرة العَلَمَــين مــا شــاقَ الكئيــبَ الأربُــعُ
لله ليلتنـــا بمنعــــرَج اللّـــوَى   والــدوح يــرقص والحمــائم تــسجعُ
مـع كـلّ فاتنـةِ اللـواحظ إن بـدَت   إلا رأيـــت البـــدر وهـــو مقنـــع
ولَهـــا معـــانٍ لا تحَـــدَّ كأنّهـــا   مجـد ابـنِ ميهـوب العظـيمُ الأرفَـعُ
بحـر الـسماح وغيـث راحتـه علَـى   إثبـــات ذلـــك حجـــة لا تُـــدفَعُ
محمـــود ميهـــوب المعظـــم قـــدرُهُ   ملـــك بكرســـي العلـــى متربّـــعُ
ذو راحـة تـسدي النـضار ولم تـزل   تهمـــي علـــى أن الـــسحائب تقلـــعُ
يــا نجــلَ ميهــوب الإمــام ومَــن لــه   قـــدر علـــى عنُـــق الـــسُّهى يترفـــع
كثُـرَت صـلاتك لـي لـذلك لم أقُـل   مــا بــال وِتــر صــلاتكم لا تــشفَعُ
أرجـوك تبليـغ الـسلام لمـن لـه   في مهجـتي وسُـوَيدِ قلـبي موضـعُ
سَبَّاق غايات الكمال وآيةُ الشرف   الـــتي أنـــف الحواســـد تجـــدعُ
الصالحُ الـسامي الـذرى ليـثُ الشَّرى   غيـثٌ جـرى صَـدأ الظـوامي ينقـعُ
يــا آل ميهــوب الفِخــام ومَــن بهــم   مازلـــت في نظـــم المـــدائح أســـجعُ
أعمـى البـصيرة عـن سـوى أنـواركم   وســوى حــديث جمــالكم لا يــسمعُ

جاءَت لديكم عن غريق ودادكم ... من صبكم لكمالكم تتشفَّعُ
عذراءَ ألبَسها البديع طرازهُ ... بل قدركم شرفاً أرَقَ وأبدَعُ
وعليكمُ أزكى التحية سرمَداً ... في طيب مسك مديحكم تتضوَّعُ
ما حنَّ مشتاقُ الأبيرقِ قائلاً ... يا سعد ذيَّاكَ الحمى والأجرعُ

❖ ❖ ❖

يُنمَى إلى آل السَّعيد فحبَّذا نسَبٌ تَزانُ بحسنه الأحلامُ

مِن قصيدة يمدح بها الشيخ جعفر السعيد

أتظلُّ معتذراً وأنت غلامُ إن فات شأوَك للعُلى الأعلامُ
أفبَعد معرفة بعمرك أنه حلم تَناهبُ طيبَه الأيامُ
كسل وعذر لا أبالك أنه أمر تَحِيرُ بفُقهه الأفهامُ
خفِّض عليك فما خُلقت سُدىً كما خُلقَت لحملِ متاعك الأنعامُ
حظ الفتى ما عاش من أيامه ماءٌ كراتعة الظبا وطعامُ
لم يَسْعَ ذو العقل الرصين لغير ما يلقاه يوماً تُنشَر الأجسامُ
خلَفٌ لأسلافٍ ونحنُ وراءَهم نسعى بسعيهُم وهم قُدَّامُ
أحَسِبتهم ماتوا لتخلدَ بعدَهم كلا فليس مع الزمان دوامُ
خسر الملوكُ نعيمَهم واستكسَبوا حسراته وغدا عليهمْ ذامُ
أكَلوا وقد أكَلَ الثَّرى أجسامَهم راموا الخلودَ ففاتَهم ما راموا
لله دَرُّ الشّيب أي مهذّبٍ وعلى الشبابِ تحيةٌ وسلامُ
هذا يعين على بلوغ مآربٍ وبذاكَ ثَمَّ تُمحَّصُ الآثامُ
ذهَبَت بأهليها الكرامُ وخلَّفَت عصراً تسودُ به الكرامَ لئامُ
مِن كلِّ مشحوبِ الجبينِ عداوةً وعليه مِن مَلَق الودادِ لِثامُ
يطوي من الحسَنات كل جليلةٍ وله بنشرِ السيآتِ هُيامُ
لم يَبقَ لي لولا وقايةُ جعفرٍ بين الأنام بقيةٌ تُستامُ
كَلِفٌ بإحياء العلوم فقلبُه إن نامت العينان ليس ينامُ

يُنمَــــى إلى آل الــــسعيد فحبــذا ... نــــسبٌ تـــزان بحـــسنهِ الأحــلامُ
أكـــرِمْ بمولـــودٍ لأكـــرم والـــدٍ ... عَلَــمٌ لأربـــاب الكمـــال إمـــامُ
في كفِّــه الخمـــسُ البحـور أنـاملاً ... تَهمـــي ولم يظهـــر بهـــنَّ غَمـــامُ
تلفَـت حـتى الصب الكئيـب تلَفُّتـاً ... وتـــسابَقَت للقائِـــك الأوهـــامُ

❖ ❖ ❖

مِنْ نجلِ ياسينَ الإمامِ محمَّدٍ   سَبَّاقِ غاياتِ الكمالِ الأربعِ

مِنْ جوابٍ له لفضيلة الشيخ محمَّد ياسين

أنسيمُ أدّيتَ السلامَ تحيّةً   وأذَعتَ أسرارَ الجوى المُستَودَعِ
برسالةٍ عذراءَ ذاتِ مياسمٍ   كالبرقِ غادرتِ السحائبُ أدمعي
فوقَفتُ إجلالاً لها وحشاشتي   قِسَمٌ وحدَّثتِ الفؤادَ فلم يَعِ
بهرَت بفيضِ ضيائها كلّي فما   قلبي بمُنتبهٍ ولا عقلي معي
أغزالُ قَد بلغَ الستورُ منالَه   مني وأن تلَطفاً أن تطلعي
جاءَت تَبختر في سناها فانحنى   ظهري هنالك واستفاضَت أدمُعي
من نجلِ ياسينَ الإمامِ محمَّدٍ   سبَّاقِ غاياتِ الكمالِ الأربعِ
ألِفَ الندى أمَّا سماحُ يمينِه   فسحابةٌ لكنَّها لم تُقلِعِ
رفقاً أبا ياسينَ وارحم لوعتي   وتذللي لبهائكم وتَوجُّعي
الله يشهد وهو أكبرُ شاهدٍ   لَبَّى ودادكمُ المتيَّمُ إذْ دُعي
مولايَ بلغ مِن غريقِ غرامكم   أزكى سلامٍ بالعبيرِ مضوَّعِ
لجمالِ توفيقِ الإلهِ محمدٍ   ربِّ الملاحةِ والهمامِ الأبرعِ
ولآلِ ياسينَ الجميعِ تحيَّةً   ما حنَّ مشتاقٌ لأطيبِ مرتعِ

❖ ❖ ❖

أهدَى إلــيَّ مــن الــوداد حديقــةً ... جمَعَــت علــى ألِــف البيــان وبائــهِ

من جوابٍ له: للشيخ حسَن عيسى الصارمي

سَــلْ بارقــاً الــبرقُ مــن أرجائِــه ... متبســـماً أم مـــن ثغـــور ظبائـــه
وســـلِ البـــدور المـــسفراتِ كـــواملاً ... هـــل ماثلَـــت يومـــاً نجـــوم ســـمائــهِ
يــا أهــل منعــرَج اللــوى رفقــاً بمَــن ... جُمِعــت شــتات الوجــد في أحــشائِه
لله حلّكُـــمُ الـــذي ذابـــت أســـىً ... كَبِــدي لبــاردِ نهلــة مــن مائــه
وإذا تـــذكرت الـــشبابَ وعـــصرَه ... عـــاد الفـــؤادُ يهـــيمُ في هيمائـــه
مَــن مبلـغٌ حــسناً شِــكاية مغـرَم ... فعـــسى يُـــساعدني علـــى بلَوائـــه
الواهـــبَ الـــدرَّ اليَتـــيم ولم يجـــدْ ... مَنّـــاً علـــى العـــافين في إعطائـــه
فالغيـــثُ يـــومَ الـــسِّلم مـــن أمثالـــه ... والليـــث يـــومَ الحـــرب مـــن نُظَرائـــه
يتـــصور المعنـــى الـــدقيقَ فتنجلـــي ... ظلماتُـــــه بالـــــصبح مـــــن آرائـــــهِ
سُـحبانُ ينهـل مـن سَـحابة علمـهِ ... وإيـــاسُ يعجـــزُ عـــن بلـــوغ ذكائِـــه
أهـدَى إلــيَّ مــنَ الــودادِ حديقــةً ... جُمِعَــت علــى أَلِــفِ البيــان وبائــهِ
سَــفَرَت مــذ ارتفــعَ النِّقــابُ كأنهــا ... قمـــرٌ تبـــدَّى مِـــن خـــلال ســـجائه
فأجبتُـــــه متـــــشوقاً لقريـــــضه ... عِلمـــاً بـــأني لـــست مِـــن أكفائـــه
يــا أيهــا النـدب الـشريف نجـارُهُ ... والبـــاهر الوضـــاح نـــور بهائـــه
يرجـو سـليمان بـن أحمـد دعـوة ... فعـــسى يكـــون بهـــا الـــشفاء لدائـــه
وعليـــك مـــن رب الأنـــام تحيـــة ... تُهـداكَ في صـبح الرضـى ومـسائه
مـا أسـفر البـدر المـنير وأنـشدت ... ســـل بارقـــاً . الـــبرق مـــن أرجائِـــه

❖ ❖ ❖

هـم آل ياسينٍ نجـوم هدايـةٍ ... وبحـور أخبـارٍ بـدورٌ تمـائم

مِن قصيدة يمدح بها آل ياسين

حيَّاكَ يـا روضَ العَقيـقِ النّـاجمِ ... صـوبُ الحيـا لطفـاً بغَيـث سـاجمِ
ونَعمـتَ مـن ظـل تـألق برقُـه ... يـذكي الغَـضا بفـؤادِ صبٍّ هـائمِ
ويُعيـدُ ذكـرَ المُنحنَـى بأضـالعي ... شـوقاً وإبَّـانَ الـشباب النـاعمِ
مَعْ كـلّ أحـور لحظُـه سـلب الكـرى ... مـن مُقلـتي بنعـاس طـرفٍ نـائمِ
أنـا مغـرَمٌ مـا عـشتُ فيـه ولم يـزَل ... مـدحي لأربـاب الكمـالِ التـامِ
هـم آل ياسـينٍ نجـومُ هدايـةٍ ... وبحـورُ أخبـار بـدورُ تمـائمِ
مـنهم إمـامُ العَـصر في إتقانـه ... غيـثُ الـذُّرى عبـد اللطيـف الغـانمِ
المفـرَدُ العلـمُ المعظـمُ قـدرُه ... بيقينـه تـسمو سـلالة آدمِ
في وجهـه أثـر الـسجود فيـا لهـا ... سِـمَةٌ بهـا يمتـازُ بـينَ العـالَمِ
يقظـان قلـب في حفـاظ عقـوده ... لم يخـشَ في الـرحمن لومَـة لائـمِ

ونظـيره في المكرمـاتِ محمَّـدٌ ... مـن نـور ياسـينٍ الإمـام العـالمِ
خـضعَت لعزَّتـه الفراقـدُ والـسُّها ... والنيِّـرانِ لـه كمثـلِ الخـادمِ
ملـك رقـى درج الكمـال وقـد سمـا ... بالمجـد بـين أعـاربٍ وأعـاجمِ
آليـتُ بـالله العظـيم وإنـه ... قـسَمٌ يؤكِّـد فيـه صـدقُ القاسـمِ
لِمحمَّـدٍ حـبٌّ بقلـبي راسـخٌ ... جِـدثٌ بإثبـاتِ الـولا المتقـادمِ
وأخـو الهُدى أعـني الـسعيد محمـدا ... بالفـضل كـالبحر الزخـورِ العـائمِ

وكـــذاك إبـــراهيم خِلفـــة غـــانم نَفَـــسَتْ كرامتُـــه سماحـــة حـــاتم

ولَـــسيَّما طـــودُ النباهـــة والبهـــا حـــاوٍ مـــن الأفـــضال أيّ غنـــائمِ

مَـن كاسمِـه شـرفاً محمـد طـاهرٌ مـــلأ المـــلا عـــدلاً بـــرأي حـــازم

يتلـــوه توفيـــقُ الإلـــه. محمـــد قمـــر ولم يحجَـــب بـــستر غمـــائم

ومحمـد عبـد الكـريم قـد ارتـدى جلبـــات حلـــم مـــن نعـــيم دائـــم

هـم عنـصر العقـد الوثيـق وعـروة الـدين الحقيــق وكـــل فـــرضٍ لازم

مـــا مـــنهم إلاّ مهنَّـــد نـــصرة وأليـــفُ إيمـــانٍ حليـــفُ عـــزائم

يـــا ســـادةً أغنـــت أكُـــفُّ نَـــداهُمُ فقـــرَ العبـــاد بموجهـــا المـــتلاطِم

❖ ❖ ❖

يَميناً غَموساً إنني آل حامرٍ ... حَويتُ هواكم في صَميم الضَّمائر

مِن قصيدة يمدح بها السيد محمود الحامد وإخوته

أمربعَ سُعدَى بينَ نجرٍ وحاجرْ ... سقَتك الغَوادي من دموع المحاجرْ
به كل مفتول السِبال تألقت ... بروقُ الحمى عن ثغره وهو فاترْ

وكلُّ فتاة أطلعَت من جمالها ... هِلالاً على غصنٍ من القد ناضرْ
قَضى عِطفها الميَّادُ أنْ لا إدالةً ... لِصبٍّ فياذا العدل أصبحت جائرْ
حوَت آية الحسن الجميل كما حوىَ ... من المجد محمود الصفات البواهرْ
سراج الهُدى الوضَّاح من آلِ حامرٍ ... تبلَّج فانجابَت غيوب الدَّياجرْ
تكاد النجوم الغرُّ تَهوي لكفه ... ويردعُها خوف السماح بزاجرْ
وبالجود كلتا راحتيه سماحة ... أضمَّ بها الخمس البحور الزواخرْ
وربُّ الحجى والمكرماتِ محمد ... وقاية دين الله من كل فاجر
يجود ويفترُّ الثنايا كأنه ... من البرق غيثٌ هلَّ بالتِّبر ماطر

ومَن كصِراط العِلم والحِلم طاهرٍ ... إمام رشادٍ جوهريّ العناصرْ
فتىً من نُمَيرٍ كاسْمه جلَّ اسمه ... بديع المعاني طيِّب الأصلِ طاهرْ
تَعرَّضتِ الدنيا فكانت قُلامةً ... لدى زهده إذ هاجرَته الأظافرْ
ومَنَّتْه فاختارَ اليقينَ ولم يزَل ... مقيماً لما أضحى به الحقُّ آمِرْ
يبيت الدُّجى والليل مُرخٍ سدوله ... يفكر بالآيات والطرف ساهرْ

خلا هائماً في حضرة الحقِّ فاكتسَى ... مـن النـور ثوبـاً غـيرَ بـالٍ وداثـرْ
ومـا مثِـلُ مِفـضال البراعـة أحمـدٍ ... حـوىَ الـدهر خُلحـالاً طهـور المـآزرْ
حمـى حـوزة الـدين الـنميريِّ عِـزّةً ... بـأسمَر خطّـار وأبـيضَ بـاترْ
وشـيَّد أركـان الـيقين بهمـة ... بهـا اعتـز فخـراً كـل بـادٍ وحاضـرْ
لكعبتـه حـجَّ الكمـالُ وجـاءهُ ... رجـالٌ مـن الحُسـنى علـى كـل ضـامرْ
يمينـاً غموسـاً إنـني آلَ حامـدٍ ... حويـت هـواكم في صـميم الـضمائرْ
مقـيمٌ علـى حسـنِ الـوداد وإنـه ... لبـاق ليـوم فيـه تُبلـى الـسرائرْ

❖ ❖ ❖

لَم يَدَعْ منذُ ذمَّ العِيسَ للترحالِ حالْ

مِن قصيدة يمدح بها الشيخ إبراهيم علي عباس سلمان

كوثريُّ الثغرِ ألمَى ريقُه السلسالُ سالْ
وبنارِ الصدِّ منه طالبُ الإيصالِ صالْ
آيةُ السيفِ بحكمِ لحظِه القتَّالِ تالْ
لم يدَعْ لي منذ ذمَّ العيسَ للترحالِ حالْ

إنَّ صبري مذ تناءى منه غصنُ البانِ بانْ
ليتَ قلبَ الحِبِّ بعدَ الصدِّ للخُلانِ لانْ
وورودُ الريقِ منه العذبِ للظمآنِ آنْ
فغدا الصبُّ لدرِّ الثغرِ والمرجانِ جانْ

فحياةُ الصبِّ بعدَ الموتِ رضوانُ الحبيبْ
فهوَ عند الوصلِ حيٌّ وهو مَيْتٌ إذ يغيبْ
وجدُ قلبي مذ تجلَّى حسنُه الوهَّاجُ هاجْ
وإليه إذ تراءى كصقيلِ العاجِ عاجْ
إنَّ ليلَ الحزنِ لمَّا قرَّبَ الأحداجَ داجْ
أترانِي من يماني طرفُه المِغناجُ ناجْ

وللرمحِ القدِّ عِطفُ بين أحناءِ الحشاءْ
يا دلالَ الحِبِّ فافعلْ بفؤادي ما تشاءْ

وجهـــــه قِبلــــــة أهـــــل الحـــــب للأشــــــهاد هـــــادْ
وســـــــناه كـــــالهلال الــــــتَّم للعبّــــــاد بــــــادْ
أيمـــــا بثـــــرٍ وقـــــصرٍ لأولـــــى الإرشـــــاد شـــــادْ
لـــــو علـــــى ضـــعفي بوصـــلٍ صـــــادقِ الميعـــــادِ عـــــادْ

قلـــــت ممـــــا أبتغيـــــه بلِقـــــى أقـــــصى مـــــرادي
واشـــــتفى مـــــن لوعــــةِ الأحـــــزان والوجـــــد فُـــــؤادي
صـــــيتك الكامـــــلُ يـــــا كامـــــلُ في الأقطـــــار طـــــارْ
فهـــــو للأبـــــرار عـــــدلٌ وعلـــــى الفجـــــار جـــــار
بحـــــر علـــــمٍ مـــــن يَخـــــضْ لجُـــــة الأبحـــــار حـــــارْ
مـــــا علـــــى مـــــن يَتـــــداني لـــــك بالأشـــــعار عـــــارْ

فـــــسلام الله يُـــــترى مـــــن محـــــب ذي شُـــــجونْ
لكمـــــا أســـــفر صـــــبح ونغـــــت ورقُ الغـــــصُونْ

❖ ❖ ❖

آل طَّراف خرية القبو

آل طراف بارك الله أصلاً ... أنتم فرعه وبورك فرعُ

قد فُطِرتم على الولاية والتقوى ... وصدق اليقين عقلاً وشَرْعُ

نعمة الله قد أفيضت عليكم ... فَلْتُصَن نعمة الإله وتُرعى

ولتكُنْ حِليةً لكُمْ وحليّاً ... ومِجَنّاً في النائبات ودِرْعُ

❖ ❖ ❖

أسُودٌ حُماةُ الدّين من كلّ بائقٍ   عليهم خمارُ الحسن أزهى البراقع

من قصيدة يمدح بها أنجال الشيخ يوسف عبود (قرفيص)

أمِنْ بارقٍ عن أيْمَنِ الغور لامِعْ   تبسّم ثغرُ الطرف بالدمع هامِعْ
لِكلِّ فَتاةٍ غضّةِ الطرف كاعبٍ   تُريك لُجيناً عن نقيِّ الأصابعْ
لها مُقلَةٌ كحلاء حَوراء غنجُها   أُهيل قلوب العشق بالسحر نازعْ
هوىَ البان لما اهتزَّ باللّين قدُّها   وفي مُهَج العشاق كالسَّيف قاطعْ
فيا واصفاً زِدني فَقَد مانَعَ الكرى   جفاءَ جفوني إنني فيك والعْ
بها كلَفي ما عِشتُ دهراً ولم يزَل   مَديحي لأربابِ العلوم البوارِعْ
أسودٌ حُماة الدّين من كلّ بائقٍ   عليهم خمار الحسن أزهى البَراقعْ
حَيَوا سُنَّةَ الدين النميريّ بعدَما   شكا من ضِعاف الوهم فارتدَّ ساطِعْ
فمنهم أخُو المجد الأثيلِ الذي علا   بهمَّته الجوزاءَ مع سَعد بالِعْ
تردَّى بجلبابٍ من الحلم باهرٍ   وقَمص الردى بالصدق أصبح خالعْ
فراحتُه الخمس البحور بطيِّها   وسادسُها الإحسان والشكر سابعْ
هو النَّدبُ منصور الشهير الذي بهِ   تَسير رُواةُ الشعر في كلّ شارعْ
أخوهُ رفيعُ القدر ربُّ نباهةٍ   فَداهُ فؤادي من كريمٍ وصانِعْ
تسمَّى إلى الرَّحمن عبداً وإنه   لمَوليً إلى الحُسنى يقيناً مسارعْ
ينادي لسانُ الحال عن كل طالبٍ   يجاوبُه لبَّيك إنّي لَسامِعْ
هِزَبرُ الهدى والجود والسَّعد والنَّدى   وزُغربُ علمٍ للفضائل جامعْ
نَعَم وحبيبٌ صاحبُ الطلعة التي   تطلُّع فيها البدر والطرف خاشِعْ

مجيبٌ مَهيبٌ فاق بالبذل حاتماً سحابُ الندى من رحب كَفَّيه نابعْ
وغضَ الشذى عبد الكريم الذي به تغزَّل شِعري في البريَّة رائعْ
وما مثل عبد الله عِزّاً وسؤدُداً ربيع به نبت الزهور البدائع
خلاصَةُ ذاكَ الوقت بل نور وغصنٌ عُلاهُ في جَنى الرشد يافع
مُعَلّى علا في قدره وكماله وقاهُ إله العرش من كل جازعْ

فيا سادةً حبي لكم من حداثتي تمكن في قَلبي وليس بنازعْ
جَعلتُ ولاكم عدتي عند أوبتي بيوم لديه يُصبحُ القلبُ صادعْ
جمالكمُ مِن كل حسنٍ مصوَّرٌ له عاد في كل القلوبِ مواقعْ
سكبتُ بديع المدح فيكم ووصفكم يجل عن الأبصار في نقش طابعْ
ولستُ بناسٍ ودكم لو تباعدَتْ هضوبُ الرُّبَى ما بيننا والبلاقِعْ
بقيتُم على عمر الزَّمانِ بقيَّةً يقصِّر عنها كلّ فخرٍ وراجعْ
وما أنشد الصبّ المتيَّمُ قائِلاً أمِن بارقٍ عن أيَمن الغور لامعْ

المراثي

وهل في العصرِ للنّعمانِ ثانٍ ... نُرجّيه لدفع النّائباتِ

مِن قصيدةٍ يرثي بها

المغفور له الشيخ نعمان محمَّد « آلِ سعيد الجنجانية »

أحقّاً ويلَتا قولُ النُّعاةِ ... كذا فَلْيَعدُ صرفُ الحادثاتِ
كذا فَلْتَعظُمِ الأرزاءُ وقعاً ... وتَنْتابُ النَّوائبُ مردفاتِ
كفى يا دَهرُ أحداثاً تَوالَى ... بقارعةِ الخطوبِ العادياتِ
تُراوحُنا المصائبُ أو تُغادي ... تِباعاً في مقيلٍ أو بياتِ
أُصِبنا والقَضاءُ الحتمُ جارٍ ... على كلِّ الأنامِ بلا فَواتِ
بنجلِ محمَّدٍ يا لهفَ نفسي ... على تلك الرزانةِ والأناةِ
إلى تلك المحاسنِ والمَعالي ... وهاتيكَ البصيرةِ والثباتِ
بنفسي مِن دفينٍ قد تَوارى ... بطيِّ ثَراه شخص المكرماتِ
دعا داعي اليقينِ وكانَ حرا ... حريّاً بالإجابة للدُّعاةِ
شهدتُ لقَد فقدنا منك شهماً ... كريم المنتمى حسنَ السِّماتِ
يعزُّ نظيره بينَ البَرايا ... بحلمٍ أو يقينٍ أو تُقاةِ

أيعلَم أهل عصرك من تولّى مِن الشُّمِّ الغطاريف السّراة
وأي مصيبةٍ حلّت فجلت بداهيةِ الدّواهي الفادحاتِ
بقاصمةِ الظهورِ أسىً ووجداً وداعيةِ التفرق والشتات
وهل يدري ضريحُك أي بحرٍ حواه من البحور الزاخراتِ
عَدَتْني عَن زيارتكَ العَوادي لأمرٍ غير مأمولِ النجاةِ
بقلبي حسرةٌ من ذاك حتّى يُجرَّ علَيَّ ذيلُ الراماتِ
فلو أني شهدتك خَفَّ كربي بتَصويبِ الدموعِ الهاطلاتِ
وكنتُ قضيتُ من حزنٍ ووجدٍ لحقِّ الحبِّ بعضَ الواجباتِ
عسى نار الأسى وقدِ استَطارت تُبرَّدُ بالدموع الجارياتِ

فيا مَثوَى الكريم حويتَ منه عميمَ النّفع مأمونَ الأذاة
شريفَ المنتَمَى أصلاً وفرعاً لأكرمِ والدين وأُمّهاتِ
إذا لجأ الفقيرُ إليه يأوي إلى الحصن الحصينِ من الطغاة
أفي آل السعيد وهم كرامٌ لآباءٍ وأجدادٍ هُداةِ
تَرى خلَفاً له كرماً وحلماً وصفحاً عن عظيم السيآت
وهَل في العصر للنعمان ثان نرجيّه لدفع النائبات
وأين كمثله خلُقاً لطيفاً ترى بين الحواضر والبُداةِ
وأين الغُرُّ من تلك السجايا وأين الشُّمّ من تلك الصفاتِ
أأسلو حسنَه الوضاح حاشا بأن أسلوه ما دامت حياتي
ولا والله لا أنساه عُمري إلى يوم تُوافيني وفاتي
ألفتُ الحزنَ في أطوار عيشي فصار من السجايا اللازماتِ

علـى الـدنيا العَفـاءُ وقَـد تـولّى بهـا كهـفُ المسـاكينِ العُفـاةِ
فـلا تثِقـي بهـا يـا نفـس إنّـا وجـدنا سـلمها حـربُ الثقـاة
ومـا هـذي الحيـاةُ وإن شَـغفنا بهـا إلا سـبيلاً للممـاتِ
ولـيس شَـرابها إلا سـرابٌ وإن خِلنـاهُ مـن مـاءٍ فـراتِ
لقـد بحـثَ الفلاسِـف كُـل بحـثٍ فلـم يجـدوا سَـبيلاً للنَّجـاةِ
سَـعَوا وتَرامَـتِ الأفكـار مـنهم إليهـا في مجاهـل مهلكـاتِ
وأثقلـت العقـول لهـم همـومٌ ينـوءُ بهِـنَّ ذرْع الراسـياتِ
ولـو نيلَـت لألفَـوا كـل خَطـبٍ بهـا إحـدى الهنَـات الهينـات
لـو اعتقَـدوا بـأنَّ البعـثَ حـق لَبـانَ لهـم أدَقُّ المشـكلاتِ
فليـتَ مبلّغـاً عـني سـلامي إلى أهـل القبـور الدارسـاتِ
يقـول لهـم تَعبنـا واسـتَرحتمُ ولـو مِـن إلـفِ أربـاب الـشماتِ
تنازعنـا البقـاء فجـرَّ ويـلاً علينـا الأمـر مخـشيّ الفـواتِ
فنـاموا بالرفاهَـة واطمـأنوا مـنَ النُّـوَب الجِسـام المقلقـاتِ
هنيئـاً قـد نعمـتُم في جـوارٍ عظـاتُ خيـارهم خـير العظـاتِ
ليـذكرَ للأحبَّـة بعـض شـجوي وتبريحـي ويـبلغُهم شـكاتي
فـيعلم صـنويَ النعمـان أنّـي حفظـت إخـاءه بعـد الوفـاةِ
وأنّ فراقـه أودى بـصبري وقـد صـدعت مـصيبته صـفاتي
فـلا تجـزع محمـد للرزايـا فكـل مقـدَّرٍ لا بـد يـأتي
وصـبراً يـا بـنيَّ فكـل حـالٍ تحـول وأي ظـل ذي ثبـاتِ
علـى هـذا الـسبيّل رضـىً وكرهـا يـسير النـاس مـن مـاضٍ وآتِ
بـإذن الله جـل عـلاه حِـرزاً لحِفظـك يـا بنّـي مـن العـداة

لحزنـــك تـــستهل دمـــوع عـــيني بتـــصعيد الـــزفير مـــصوبات
ومثـــل أبيـــك فَلتبـــكِ البـــواكي وهـــل يجـــدي بكـــاء النائحـــاتِ
إليـــك رثـــاء مكتئـــب حـــزينٍ بألفـــاظٍ عِـــذابٍ رائقـــاتِ
مخلّـــدةٌ ثنـــاه علـــى الليـــالي بطـــرس الباقيـــات الـــصالحاتِ
ســـقى مثـــواه سُـــحب العفـــو تـــترى روائـــح بالرضـــى أو غاديـــاتِ
وحيَّـــاه بريحـــانٍ وراح وريـــح بالعـــشي وبالغـــداةِ
ولا بـــرحَ الـــسلامُ إليـــه منـــا ثنـــاءً بالتحايـــا الطيبـــاتِ

❖ ❖ ❖

عظّم الله أجر آل نمير ... وليَعزّ الإيمان والإسلام

من قصيدة يرثي بها

المغفور له الشيخ يوسف علي الخطيب « جيبول »

أيها الراحلُ الكريمُ سلامُ ... قُضي الأمرُ واقتضاك الحِمامُ

طبتَ كهلاً وناشئاً وغلاماً ... فسما مقصدٌ وجلَّ مقامُ

كنتَ نوراً يجلو دجى الشك عنا ... ذهب النورُ فالزّمان ظلامُ

طالما بتَّ في طلاب المعالي ... ساهرَ الطرف والأنام نيامُ

يذهب العمرُ بغتةً فإذا المَرءُ خيالٌ وعيشُه أحلامُ

والحياةُ الدنيا متاعُ غرورٍ ... لِمَ هذي القصورُ والآطامُ

لا يغرَّنْك مالُها إنّ نُعماها شقاءٌ ويُسرُها إعدامُ

والفَتى يحسَبُ الحياةَ شُهاداً ... وهي فيما يرى الحكيم سُمامُ

نحنُ منها على وِفادِ رحيلٍ ... ليتَ شعري والموت حتم لزامُ

ويح نفسي لأُمةٍ لا يزال الدهرُ فيها للنائباتِ احتكامُ

هل لداءٍ أصابنا من دواءٍ ... قد مللنا وملّت الأسقامُ

إنّ شعري معبر عن شعوري ... بعض دمع من الحزين كلامُ

كلما قام عالمٌ بهُدانا ... دون مسعاهُ حالتِ الأيامُ

وإذا لاحَ بارقٌ فاستضأنا ... شعةً منه أُعجِلَ الإظلامُ

ذهبَ الصالحون يا لهف والإصلاحُ منّا والعلمُ والأعلامُ

عظم اللهُ أجرَ آلِ نمير وليُعَزَّ الإيمان والإسلامُ
غاب عنا علامة العصر مولانا الفقيهُ الصدر الكبير الإمام
الأديبُ اللبيبُ نجل علي يوسفُ السيدُ التقيُّ الهمام
هكذا هكذا تكونُ الرزايا هكذا هكذا الخُطوبُ الجِسامُ
كنتَ يا يوسف العلى بدرُ رشدٍ ينجلي كلما تجلَّى القتام
كنتَ سلوى الحزين حين تعزّيه فيسلو وللهموم ازدحامُ
أدركَت نفسُك المُنى ومُناها فوق ما تأملُ النفوس العظامُ
وبلغتَ التَّمام من كلِّ ما تبغيه إن كان للمراد تمامُ
أيُّها العالم الجليلُ أفِدنا صَدِئت بعد بُعدِك الأفهامُ
إن سألنا بك الهُدى فقديماً نُصِبَت للهدايةِ الأعلامُ
كيف عُقبى لذاذةِ الحبِّ في الله إذا المخلصون في الله هاموا
أي لفظٍ هنا يعبر عما ثَمَّ مما تَعي به الأفهامُ
يعرف الذوق منه ما لا يؤدي لطف معناه خطبةٌ أو نظامُ
ما أرى دونه يفيد أخا الزهد صلاة في نسكه وصيامُ
أوتكفي دعوى الولاية في القول وقولٌ بغير فعلٍ أثامُ
لو علِمنا بما لِمثلك عندَ الله عزَّت مكانة ومرامُ
منزلٌ طيّبٌ وربٌّ غفور طبتَ نفساً به وطاب المقام
لأذاب الحنينُ منا قلوباً ولعافت أرواحُنا الأجسام
ولكِدنا نطيرُ للموتِ شوقاً تَتَقاضاه لوعةٌ وغَرامُ
غير أنَّ النفوس ران هوى الدنيا عليها فما يصحُّ اعتزامُ
إن سعَت للعُلى وحنَّت إليها عاقَها عن مرادها الإحجامُ
وإذا ما دنَت تسلَّطَتِ الذكرى عليها فحثَّها الإقدامُ
فهي لوَّامةٌ ولا بأسَ أن يحظى بعفوٍ من ربه اللّوآمُ

فمتــى ينظــرُ الإلــه بعــين اللّطــف   واللهُ عينــــــــه لا تنـــــــــامُ
فـــإذا مـــا أرادَ بـــالقوم خَيْـــراً   ذهبـــت فرقـــة وحـــلّ وئـــامُ
إن يكــن في ظــلال طــوبى مقيمــاً   فَلِنـــار الأســـى لـــدينا ضـــرامُ
وَلـــئِن جلـــت المــصيبة وقعــاً   قـــصرت دون وصـــفه الأقـــلامُ
فلقَـــد قـــام نائبـــاً عنـــه فينـــا   خَلَـــف صـــالح ونـــسل كـــرامُ
عـــترة بـــرة وأنجـــال صـــدق   شـــرف بـــاذخ ومجـــد قـــدامُ
بـــرز الكـــل واحتـــوى قـــصبات الـــسبق مـــنهم علـــيٌّ المِقـــدامُ
وســـــليمان صـــــنُوه وبنـــــوه   ســـادةٌ قـــادةٌ هـــداةٌ فخـــامُ
أســـرةٌ كلـــهم حـــسيبٌ نـــسيبٌ   نُجُـــبٌ طـــاب كهلُهـــم والغـــلامُ
لـــستمُ وحـــدكم بنيـــه يتـــامى   كلنـــا منـــذ بَينِـــه أيتـــامُ
مـــا خُصِـــصتم برزئـــه فلقـــد عـــمَّ ولكـــن تَفـــاوَتُ الأقـــــامُ
إن جزعنـــا فالخطـــب للحـــزن أهـــلٌ   وبـــه حُـــقَّ للـــدموع انـــسجامُ
أو صـــبرنا لـــه احتـــساباً فـــإنَّ الـــصبرَ للـــدين مـــسكةٌ وقـــوامُ
قـــدَّس الله روحـــه مـــن إمـــام   رضـــي الله فعلَـــه والأنـــامُ
وعليـــــه تحيـــــةٌ وثنـــــاءٌ   وصـــلاةٌ مـــن ربـــه وســـلامُ
مـــا صـــبا لادّكـــار نجـــم حـــزين   وتغنَّـــت علـــى الغـــصون حمـــامُ

❖ ❖ ❖

أبـا جعفـر رِفقـاً نـداءَ مُتَـيَّم حليـف أسـىً يُـذكي بمهجتـهِ جَمـرا

من قصيدة يرثي بها

المغفور له الشيخ محمَّد سلمان «المزارع»

نــذيرُ قــضاء الله آيتــهُ الكـبرى مـذكرةٌ مـن كـان تنفعـه الـذكرى
هـو القَـدرُ المحتـوم للنـاس وردُه بـدارٍ فـلا زيـداً يَجِـلُّ ولا عمـرا
أتـصبر والأرزاء تـترى كمـا تـرى فتُـؤجَر أم لا تَـستَطيع لـه صـبرا
أمـانيَّ طالـت والحيـاة قـصيرة عَدَتك بها الدنيا فلا تترك الأُخرى
بهـا عبثـاً ترجـو الخلـود وإنمـا مقامك تسعا حيثما طال أو عشرا
عنـاءٌ وتـبريحٌ ووجـدٌ وحـسرةٌ ورزءٌ علـى رزئ هلـم بهـا جـرا
أخذتَ بها منها أماناً من الردى لتفرح أو تستصحب الزهو والكبرا
ألم يأن أن تنحاز عن زهوة الصبا قليلاً وتَجني من نخيل الهدى تَمرا
تحققـتَ حاليهـا بأكمـل خـبرةٍ فآونـةً عـسراً وآونـةً يُـسرا
فلا الوصلُ إقبالاً ولا صدُّها قِلى ولا حزنُها بؤساً ولا ضحكها بشرا
تُغَـرُّ بهـا والـسُّم يمـزج شـهدها وتـضحكنا يومـاً فتحزننـا شـهرا
لئِن سَرَّنا من زخرُف العيش ساعةً فقد ساءَنا هذا الزمانُ كما سرّا
مقامُ الفتى فيها غرورٌ ولو درى ولم يفعل المعروفَ لاجتنب النكرا
خليلـيَّ مـا خـير الحيـاة وطيبُهـا وبدرُ الهدى أمسى السرار له سرّا
دعـا داعـيَ الحـق اليقين محمـدا لحضرة مولاه فلبَّى له الأمرا
سـلالة سـلمان الـذي بكمالـه نظام العلى يزدان رونقه فخرا

على قدرٍ جاء الهدى فأصابه وأخلص منه السر لله والجهرا
وفي وجهه سيما السجود منيرةً عليها البها قد خط كاتبه سطرا
فلم يرض بالدنيا مقاماً لأنه رأى قرب مولاه هو الغاية الكبرى
لِيَبْكِ العلى والرشد إن كان باكياً فقد ضاق عن كتمان نكبته صدرا
ليبك مليكاً حيث أسفر نوره تثنت له الأعناق ترقبه طرا
هو القُطبُ قُطبُ العلم والدين يسرْ تسرِ العلياء في ذلك المسرى
وشمسٌ توارت بالحجاب فكلنا بليل الأسى لم ننتظر بعده الفجرا
مضى حيث لا تلقى لسانَ فصاحةٍ من الشعب إلا وهو يتلو له شكرا
مقيماً حدود الدين فرضاً وسنة فلا فاعلا نهياً ولا تاركاً أمرا
أعد ذكرَ مغناه الشريف مرتَّلاً مدائحه الحسنى وأوصافه الغرا
على أننا مهما نقولُ فمجدُه أجلُّ وأعلا أن نحيطَ له قَدرا
فيا نكبةً في الدين حلَّت وفجعةً تجل وخطبٌ وقعُه يصدع الصخرا
قِفا بي على المثوى الشريف معاتباً بما صنعَت أيدي الخطوب بنا دهرا
فقد ضَمَّ حلماً لا يحد كيانُه وعلماً تضيق الأرضُ عن وسعه حصرا
أبا جَعفرٍ رِفقاً نداءَ متيَّمٍ حليف أسىً يذكي بمهجته جمرا
يعدُّ أياديك الجسام وسيرةً مطهرةً ذكراً معطرةً نشرا
وفي ذمَّةِ الرحمن نَفساً كئيبةً ومهجتي الحرَّى ومقلتيَ العَبرى
عليك سلام الله منه تحيةً ورضوانُه الأسنَى ورحمته تَترىَ
وألبسَك الرحمنُ مِن حُلل البَها ثياباً بدارِ الخلدِ من سندسٍ خُضرا
وأيَّدَ بالإقبال والعز جعفراً وإخوته الهادين أنجمنا الزُّهرَا
وتوَّجَهم تاج العُلى وأقامَهم مقامَ أبيهم ولْيُطِلْ لهمُ العُمرا

❖ ❖ ❖

تصدّع ركن المجد وانهدّ جانبه

مِن قصيدةٍ يرثي بها

المغفور له الشيخ عباس صالح مَعروف

تَصَدَّعَ ركنُ المَجد وانهدَّ جانبُهْ ... ومات النَّدى فلينـدُبِ الجودَ نادبُهْ

نعم فُجِع الدين الحنيف بما جدٍ ... يقلُّ على وجه الثرى مَن يناسبُهْ

بشاهِ عليٍّ من آل مَعروف طاهرٍ ... كريم السجايا لا تُعَد مناقبُهْ

وطودٍ من الشعبِ الشعيبي باذخٍ ... تداعت بحكم النائبات جوانبُهْ

لَعمري لقد جلَّت عن الصبر نكبة ... يضيعُ بها رشدُ الحليمِ وثاقبُهْ

مضَى القُطب عباس فلا الظل بعده ... ظليل ولا بحرُ الندى جاشَ غاربُهْ

فواهاً لبدرِ التم حُجِّب نورُه ... وللسيفِ سيفِ الحقِّ فُلَّت مضاربُه

وللمَجد والمَعروف غاض معينُه ... وللفضل والإحسان زُمَّت ركائبُه

فيا حسرة العلم الذي هو خدنُه ... وياالوعةَ الحلم الذي هو صاحبُهْ

لو أنّ الردى المحتوم يُدفع بالندى ... وقَتْهُ من الحتف الملم مواهبُه

عجبت لمجرى الدمع غاضت شؤونه ... وللصبر لم يرجع إلى الحلم عازبُهْ

على من يذوب القلب إن لم يكن ... محاسِنه أو يذخر الدمع ساكبه

فإن تسله يا قلب لا نلت راحة ... من الدهر وانهالت عليك متاعبه

أأسلوَ محيَّاه الذي دونَ حسنه ... هلال الدجى تنجاب عنه غياهبُه

أم الشِّيَمُ الحسنى التي لو تمازَجَت ... مع المُزنِ لانهلَّت حياة سحائبه

فيا قمراً قد غيَّب الدهر حسنَهُ ... ولم نَرجُ حتى البعث يسفر غاربه
يعز علينا أن يبينَ بيانُه ... وأن تنطوي تحت التراب ترائبُه
بودي لو تُفدى وقيتَ بمهجتي ... ولا ناب قلبي من فراقك نائبه
أبا صالح وقفاً على الحزن والأسى ... لِفرقتكم قلب الكمال وقالَبُه
وكنتَ من الدنيا مناه فأصبَحَت ... أمانيُّه مسلوبة ورغائبُه
أبا صالح قد هدّ ركنَ تجلدي ... نواكَ وجيش الصبر فلت كتائبه
أصاب فؤادي مذ قضى البين بيننا ... من الحزن والتبريح والهم واصبُه
توارى سَناك النضر يا قمرَ الهدى ... فنحن بليلٍ لا تضيء كواكبه
ليبكِ عليكَ الحلمُ والعلمُ ولتَقُمْ ... على الشعب والدين الحنيف نوادبه

غدونا كما شاء الأسى بعد لطفكم ... بوادٍ منَ الأحزان قفرٍ سباسبُهْ
وقفتُ على المثوى الشريف معدداً ... وقوفَ محب واجب القلب ذائبه
حنيناً يذيب النفس وجداً وحسرةً ... وهمّاً وغمّاً يقلق الفكر ناصبُهْ
أخاطب بدراً منه غيَّبه الثرى ... منى النفس لولّى حزيناً يخاطبُه
أصوره في السر معنىً كأنما ... يسائلني مستفهماً وأجاوبُه
خيال لعمري نصب عينيَّ لم يزل ... يؤرقني جنح الدجنة عاتبُه
حسبتك خِلاً صادقَ الود مخلصا ... إليك فما صدقت ما أنا حاسبُه
أجَلْ أيها الشخص الكريم وما الذي ... تُعاتِبُ من قلب فراقك سالبه
على أنني لو طِلْتَ أندب حسرةً ... فراقك حتى الموت لم يُقضَ واجبُه
وبعدك خير الدهر عندي وشره ... سواء وقد هانت لدي مصائبه
ولستُ أبالي شر أو ساءَ بعدكم ... فما أنا راجيه ولا أنا هائبه

أبا صالح يا أوحد العصر سؤددا ... ويا ملكاً ما قطّب الدهر حاجبه
لمن بعدَك الإحسانُ والبر والندى ... أم الجود والمعروف تُحدى ركائبه
نأيت فربع المجد أصبح دارساً ... وأقفر مغناه وأقوت ملاعبُه
رغبتَ عن الدنيا الدنيئة قاصدا ... جوار كريم فازَ بالقصد راغبه
هنيئاً بجارٍ لا يجور ومنزلٍ ... مجاوره لم تنأ عنه - حبائبه
وكنت إذا ما غاب من أسرتي فتىً ... تعزيت نوعاً عنه أنك نائبه
بمن ولَمن أسلو وأشكو كآبتي ... ورحب الفضا ضاقت عليّ مذاهبُه

إلى السيّدِ المحمودِ والملك الذي ... سمت شرفاً فوق السِّماك مراتبه
محامد لو في الكون تُتلَى لَعُطّرَت ... مشارقُه من طيبها ومغاربُه
أمولاي ويحي ما يقول متيَّمٌ ... سليبُ فؤادٍ ذاهلُ العقل ذاهبُه
بقيتَ لنا ملجىً يلوذُ بظله ... من الدهر مرتاع فيأمن جانبه
أُصبتَ بفياض اليدين مهذبٍ ... عزاءك فالمسترجع العمر واهبه
لقد جل عن قدر التأسي مصابكم ... مقاماً ولكنّ القضا من يغالبه
ليحيَ بنوه وليقوموا مقامه ... فإنهم سمر العلى وقواضبه
ليحيَ بنوه الفتية الصيد صالح ... وعيسى سليم والخليل يناسبُه
همُ سلكوا بالفضل نهج أبيهمُ ... وهم بعده هام الندى ومناكبه
وهم ورثوا عنه المعالي فكلهم ... يناسبه في مجده ويقاربه
وقد غرست والحمد لله فطرة ... مقاصده الحسنى بهم وضرائبه
فما هدم المجد الذي كان بانياً ... ولا خروا الحمد الذي هو كاسبه
عليكم بتقوى الله والصبر عدة ... فأحكم درع في الخطوب جلاببُه

هـو الـصبر مازالـت تمـر بـذائقٍ أوائلِـه طعمـاً وتحلـو عواقبـه
مـضى ذلـك القُطـب المعظـم شـأنه وقـد كملـت ممـا يحـب مآربـه
صـراطٌ سـوي فـاز بالقـصد سـالك عليـه وعـن نهـج الهُـدى ضـل ناكبـه
هنـاك يحيـوا بكـرة وعـشـية بكـأسٍ مـن التـسنيم عذب مـشاربه
لِيَـسقِ ثـرى مثـواك غـادٍ ورائـح من العفـو تـروي التـرب منـه سـواكبه



يا حبيبي علمتني سهر الليل بطول البكاء والتعداد

من قصيدةٍ يرثي بها

وللمرَّة الثانية المغفور له الشيخ علي صالح ميهوب

أتمادٍ ولاتَ حينَ تمادِ فلقد أسمع النداءَ المُنادي
الرحيلُ الرحيلُ يا ساكني الد نيا فكونوا له على استعدادِ
سفرٌ شاسعٌ وطولُ طريقٍ وبذا نستبين جَريَ الجواد
وعناءٌ طول الحياة وكلٌّ راغبٌ في نوالها ذو اجتهادِ
إنما الموت راحةُ الجسم حقاً من شقاء الحياة والتردادِ
فالهزَبر الهَصورُ والمَلِك السامي سواء والطفلُ فوق المهادِ
لا تمنَّ البقاء إنّ أحاديث الأماني ضعيفة الإسنادِ
غايةٌ حام حولَها فكرُ بقُراطَ زماناً فردَّ دون المرادِ
كم أقامت وأقعدت لبَّ نحرير بعيدِ الأغوار والأنجاد
لا تغرَّنَّك الحياة وما خيرُ سرور مصيرُه للنَّفادِ
قربُها البعد شهدُها السمُّ بُقياها فناءٌ عطاؤُها لارتدادِ
تخدعُ الأحمقَ الغبيَّ وذا اللبَّ الذكي المهذب الوقادِ
ساكنو اللَّحدِ في اقترابٍ محلٌّ ومنَ الأُنسِ غايةٌ بالبعادِ
مَن عذيري مِن صرفِ دهرٍ خؤونٍ مخلف الوعدِ منجز الإبعاد
ذاب قلبي وشبت من فرقة الأحبابِ حزناً وعشرةِ الأضداد
ذهبَ الماجدُ النبيلُ النبيهُ العالمُ الكاملُ الرفيعُ العمادِ

التقيُّ النقيُّ ذو الشرفِ الباهرِ قطبُ الأقطاب والأفراد
والإمامُ الهمامُ بل عَلَمُ الأعلام طراً وأزهدُ الزهادِ
قدرُه كاسْمه العليِّ عليِّ الصالح الفِعل منتمىً والمبادي
نقدَتْه يدُ المنونِ فلِلّهِ الرَّدى لِلكرام من نُقّادِ
فعليه لِتبكِ عينُ المعالي ملءُ جفنٍ مقرَّح بالسهادِ
هو بحرٌ عذبُ المواردِ والبحر أجاجٌ لا يرتوي منه صادِ
كانَ وقفاً حياتُه في سبيلِ الله إخلاصُ نيَّةٍ واجتهادِ
خاشعاً ضارعاً منيباً تجافى جنبُه عفةً وطيءَ المهادِ
وهو للمُدلجينَ بدرُ اهتداءٍ وهو للسائرين شمس رشادِ
لا تجيءُ العلاءُ منه بثانٍ فالمعالي قليلةُ الأولادِ
فقدَ العلم منه خِدناً كريماً فطِناً حاذقاً ذكي الفؤادِ
بأبي ظاعناً أقامَ بقلبي حرَّ حزْنٍ ما إن له من نفادِ
حسرة تَنقضي الحياة وتبقى وحنيناً يذيب صم الجمادِ

كانَ قصدي لكَ البقاء ولكن حالَ حكمُ القضاء دون مرادي
سلِساً قادَني نواك إلى الحُزن كئيباً وكنتُ صعب القيادِ
يا حبيبي علَّمتَني سهرَ الليل بطول البكاء والتَّعدادِ
بأبي أنتَ لو فُديتَ بنفسي وبأهلي وطارفي وتِلادي
ذاكَ جهدٌ من المقلِّ وقلَّت لكَ بالعُدِّ يا كثير الأيادي
يا أباهُ الكَريم أصلاً وفرعاً أنتَ أعلى كَعباً وأرحبُ نادي
ذاك خطبٌ أحَق من أن تُعزَّى أن تُهنَّى بأجره المستفاد
فبِقَدرِ المُصابِ ينزلُ صبراً ربُّنا والثوابُ حلف ازديادِ
إن جزعنا له فغيرُ مُفيدِ أو صبرْنا فالصبرُ خيرُ عتادِ

حَـطَ مـن لـوعَتي وخفَّـف كربـي ... أملـــي أن أراه يــوم التنـــادي
وعلــى المــنَهج القــويم تَــوَلى ... ســـالكاً بـاســتقامةٍ وســـدادِ
وبحبــلِ الإلــه والعُــروةِ الــوثقى ... يقينـــاً مــتمـســكاً باعتمــادِ
وولاء الوصـــيِّ حيــدرة الأنــزع ... يــوم المعــــاد أفـــضل زادِ
قـــدَّس الله سُـــره وحبـــاه ... مِــن رِضـاهُ والعفــو نيــل المــرادِ
وسـقاهُ كأســاً رويّــاً مــن الكــوثر حــوض النـبي مـروي الـصوادي
منـــزلٌ طيـــبٌ وربٌّ غفـــورٌ ... وشـــفيعٌ مـــشفَّعٌ بالعبـــادِ

❖ ❖ ❖

فيا أيها المثوى الذي حلّ ضمنهُ   فضائلُ قد جلّت عن الحصر والحَدِّ

من قصيدة يرثي بها
المغفور له الشيخ علي أفندي العباس

هلُمَّ إلى مثوى عليٍّ فتى العُلى   إمام الهدى والجود والبأس والمجدِ
نَزُرْ قُطبَ العلياء نجل محمد   هلالُ السنا بدرُ الهدى قمرُ الرشدِ
لِنَندبَ بحراً بالسماحة زاخراً   يفيض على العافين بالجوهر الفَردِ
عليٌّ عليُّ القدر نجل محمدٍ   حليفُ المعالي طاهرُ الأب والجدِ
تضَمَّنَ منه اللحدُ بحرَ سماحةٍ   وبدر هدىً كالبدر في منزل السعدِ
فما الروضةُ الغَنَّاء ضمن رياضها   أفانين أفنانٍ من البان والرندِ
بأطيبَ مِن ذِكرى عليٍّ ووصفه   ومدح معاليه الأثيلة والحمدِ
فيا أيها المثوى الذي حلّ ضمنَه   فضائل قد جلت عن الحصر والحدِّ
لقد شرَّف المولَى ثراكَ بما جد   تقيٍّ وفيٍّ في العقود وفي العَهدِ
فلَو أبقتِ الدنيا لفضل وسؤددٍ   ومجدٍ فتىً من قبله فاز بالخلدِ
وَفي جابرٍ والحمد لله بعده   ملاذ لنا نكْفَى به صولة الضدِّ
إليه مقاليدُ المكارم أُلقِيَت   فجاءت كما يهواه مائسةَ القدِّ
تكادُ سجاياه تسيلُ لطافةً   وأعدى إذا عودي منَ الأسد الوردِ
أطِل بالهنا والعز أيام جابرٍ   سعيداً قريرَ العين مقتبلَ الجَدِّ
وإن عليّاً قد قَضى متمسّكا   من العُروةِ الوثقى بمستحكم العقدِ
برحب جوار الله طاب مقامهُ   بظلّ ظليلٍ آمنِ الحر والبردِ

يَطـــوف عليـــه بُكـــرةً وعـــشيةً　　　كـؤوس مـن التـسنيم طيبـة الـوردِ
عليــه مــن الــرَّحمن أزكــى تحيــةٍ　　　وأزكــى ســلام ختمــه أرج النــدً
وَجـاءَت لـه بُـشرَى الـسعادة والبَقـا　　　مؤرخــة قــد جــاز في جنَّــة الخلــد

❖ ❖ ❖

يا نَفسُ هل أمَّلت بعدَ محمَّد ... من بهجةِ الدنيا الغرور مؤمَّلا

من قصيدةٍ يرثي بها

المغفور له الشيخ محمد حسن آل السَعيد « الجنجانيَّه »

بالحقّ فرقانُ المنون تنزَّلا ... فدع التأمُّل بالحياة تَعلُّلا
كُتِب الفَناءُ على الأنام فلَو نجا ... أحدٌ لأبصرتَ النبيَّ المرسَلا
ما أعظمَ الأيام مُعتبَراً لمَن ... نظر الأمورَ تبصُّراً وتأمُّلا
أملٌ طويلٌ والحياةُ قصيرةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ يُجتلَى
لم تلقَ إلا شاكياً أو باكياً ... أو نادباً أو عانياً أو مُعوِلا
يا نكبةً حكم القضاء لو انَّها ... وقَعت على الجبل الأشم تزلزلا
فقد الإمام بن الإمام محمَّد الحسن السعيد أخي النباهة والعُلَى
ربَّ التُّقى والنسك أنَّى تأتِهِ ... يوماً تجِدْهُ خاشعاً متبتلا
أصفَى من الماء النمير خَلائقاً ... وأجلّ منفعةً وأعذبَ منهَلا
ويحي وما يُجدي صُراخي قائلاً ... ويحي عليه تحسُّراً وتذَلُّلا
كيف التصبُّر والفؤادُ بمعزِلٍ ... عنِّي وجَفني بالدُّموع تَسلسَلا
عنَّفتُ طرفي بالبكاءِ فما ارعوَى ... وأمرت قلبي بالسلوِّ فما سَلا
غادرت من أمواهِ عيني منهَلاً ... دام ومن نيرانِ قلبي مُصطلى
حيرانَ يُقعِده الأسى ويقيمُه ... ملقىً بسجن النائباتِ مكبَّلا
يا نفسُ هل أُمِّلْتِ بعد محمَّد ... من بَهجة الدنيا الغرور مؤمَّلا
كلاَّ فقد ذهبَت سُدىً تلك المُنى ... وتعذَّرَتْ نَيلاً وعزَّت مأمَلا

قِف بي على المثوَى المشرّف خاشعاً متَفجعاً متحنِّناً متذللا
تُجلَى القلوبُ بذكره ولأجلهِ تُسقَى الندى وبه يُعافَى المُبتَلَى
فسقى الإلهُ ثراكَ صيِّبُ رحمة من أعينِ التسنيم عذباً سَلْسَلا
وأمَدَّ بالنصر المؤيد سرمداً آلَ السعيدِ الغُرّ أقمارَ الولا

❖ ❖ ❖

إنَّ رَيحانَــةَ العُلــومِ اجتَنَينــا ثمــراً مِــن فروعِهــا القُدسـيَّه

من قصيدة كانَ يُعدُّها جواباً على مَديح مدحَه به المغفور لهُ الشيخ «علي عباس» الرَّيحانةوإذا به يبلغه نعيه فأكملَها رِثاءً وهي هذهِ

قــد وردتَ المــواردَ الــسلــسليَّة نــاهلاً عــذبها بكــأسٍ رويَّــهْ
وعرَفــتَ الــيقينَ علمــاً وعينــاً بعــدَ حــقِّ الحقيقــةِ الذاتيَّــهْ
وفتحــتَ العلــومَ بابــاً فبابــاً فجلــوتَ المــشاكلَ المخفيَّــهْ
بفنــونٍ أفنانهــا دانيــاتٌ بثمــارٍ لمُجتَنيهــا جنيَّــهْ
وحلَلَــت العُلــىَ مكانــاً مكانــاً باجتهــادٍ وهمــةٍ علويَّــهْ
وأجبْــتَ النــداءَ لَمّــا تجلَّــى داعيــاً مــسمعاً جميــع البريَّــهْ
حبَّــذا حبَّــذا معــانٍ حــسانٌ مِــن سَــجاياك يــا علــي عليَّــهْ
عــالمٌ عامــلٌ تقــيٌّ نقــيٌّ ذو صــفاتٍ صــفية ألمعيَّــهْ
كرُمَــت نبعتــاك أصــلاً وفرعــاً منبــتٌ طيــب ونفــسٌ زكيَّــهْ
عــصرُكَ البــاهرُ المنــور جــيلاً بفنــونِ المعــارفِ الدينيَّــهْ
أيهــا العــالِمُ المحقــقُ عــذراً مِــن صَــدوق الــولا ســليم الطويَّــه
كنــتَ شــرّفتَني فــشرفكَ اللهُ مقامــاً ورتبــةً ومزيــه
وأتَــتْني هديــةٌ منــك جــاءَت حكمــةً أحكمَــتْ فــنعمَ الهدَيــه
زدتَ مجــداً بمــدحك الفــائقِ الرائــقِ معنــى ألفاظــه الدرّيَّــه
وتحلَّيــتَ منــه خــير صــفاتٍ مغنيــاتٍ عــن الحِلــى الجوهريَّــهْ
إنَّ رَيحانــةَ العلــوم اجتَنَيْنــا ثَمــراً مــن فروعهــا القُدسـيَّه

دَرَّ دَرُّ القوم الأولى أنت منهم ... ناشئٌ من عُصابةٍ شيعيَّه
ما عليهم وأنت كالقَمر الزاهرِ إن فاخروا النجوم المضيَّهْ
لا اعتراضاً أجبتُ بالوزن بل شوقاً لألفاظك العذاب الشهيهْ
أين مني بلوغ شأوِك هيهاتَ الثَّرى يبلغ الثريا السنيهْ

الرثاء

قَد تَقاضى الحِمام منك إماماً ... طاهرَ المنتمَى شريفَ السجيه
وفقدنا علامةً لوذعيّاً ... ألمعيّاً لا تزدهيه المَعيَّه
خُلُقاً طاهراً وجيباً نقيّاً ... وعُليً باهراً ونفساً رضيَّه
بأبي نازحٌ عن الأهل ناءٍ ... وبحكم القضاءِ تُجري المشيَّه
كلَّما جاء ذكرهُ حرَّك الساكنُ من حرِّ لوعتي المخفيَّه
فعلى مثلهِ لِتبكِ البواكي ... أبَد الدهر بُكرةً وعشيَّه
جرح القلبَ فقدُه بحُسام الوَجدِ لا بالصوارمِ المشرفيَّة
عزَّ والله يا عليَّ علينا ... فقدُ تلك الصفات والأريحيه
صَنَع الدهرُ لي بفقدِ علي ... أنني قد أمنت كل رزيه
أي بدرٍ يجلو الظلامَ توارَى ... عن عِياني ضحيُ بحكم المنيَّه
أي بحرٍ من العلوم فَقَدنا ... ه فلَم يبقَ فيه بعدُ بقيَّهْ
غيِّب اللّحد طالعاً قمريّاً ... إذ توارىَ وطلعةً شمسيَّه
كانَ يا حسرتاه خاتمةَ الأعلا ... م علماً وخبرةً وتقيَّه
إن أكُن أظهرُ السُّلوَّ ويبدو ... لجليسي مني ابتسامُ الثنيه
فبقلبي وحقِّه نارُ وجدٍ ... مُهجتي في سعيرها مصليَّه
آهِ يا حسرتَا على ذلك العا ... لِم ربِ الفصاحة الهاشميّه
حسرةً لا تزالُ في القلب حتّى ... تُصبحَ النَّفس في الثَّرى مطويَّه

نحنُ في ليلةٍ من الحُزنِ ليلاءَ   وقد غابَ منه شمسُ مُضيّه
أين منّا وأينَ تلكَ المعاني   والمعالي والطّلعةُ البدريّه
أين منّا كمالُه وبهاهُ   أين منّا علومُه اللّدنيّه
أين مَن فاق بالفصاحة قسّاً   وعلا حاتِماً بكفٍّ سخيّه
ذهبَ العلمُ في ذهاب عليٍّ   فالجليّاتُ غامضاتٌ جليّه
فلَعمري أُصبتَ يا نجلَ عيسى   بمُصاب ذلَّ النفوسَ الأبيّه
فقدكُم حضرةَ الشريف عليٍّ   عَظُمَتْ نكبةً وجلّت بليه
شمل الشعب رزؤه وخُصصتم   بالعظيم العظيم مِن ذي الرزيّه
رجعَتْ نفسُهُ النقيةُ للرَّحمن   راضٍ أعمالها مرضيَّه
عاشَ ما عاش راغباً في المعالي   معرضاً عن مرام دنيا دنيّه
ومضى سالكاً بأقوم نهج   نال فيه حياتَه السرمديه
حبُّ آل النَّبي عترته الأطهار   للقدس أيما ذرّيّه
قدس الله روحَهُ وسقاهُ   نَهلةً سلسليةً كوثريّه
وعفا عنهُ منعماً وحباهُ   رحمةً لم تدَع عليه خَطيّه
وليهنّأ بظل طوبى مقاماً   دار خلدٍ ونعمةً أبديّه
وله من أخيه طيبُ ثناءٍ   وسلامٍ ختامُه وتحيه
ما أضاءَ الصبحُ المنيرُ وغنّت   بالنَّقا فوق أيكه قُمريّه

❖ ❖ ❖

لولا التَّأسّي عن الأحباب ما تركَتْ نارُ الأسَى غُصُناً تشدو بلابِلُهُ

مِن قصيدةٍ يرثي بها
المغفور له الشيخ إبراهيم صارم «الجبيليّه»

ما بالُ رَبعِ العُلى أقوت منَازلُهُ ... فلا يجيبُ أخا شَجو يُسائلُهْ
ومعهدُ الأُنسِ في عهدِ الصفا غَربت ... أقمارُه وذوت منه خمائلُهُ
وقفتُ أنشده والقلبُ مكتئبٌ ... والعين عبرَى بدمع سحَّ هاملُه
أصوِّب الطرفَ والأنفاسُ في صُعُدٍ ... تَلُهفاً والحشَى هاجَت بلابلُهُ
والدهر ما برِحت تَتْرى نوائبُه ... أتقتضي الدهر موعوداً يماطلُهُ
سيّان ظاهرهُ غدراً وباطنُه ... فأيَّ حالِ رضىً منه تحاولُه
كيف النَّجاة لراجيها وقد نصبت ... بكلّ ذي نسمة تَسعى حبائله
لم يغنِ قيصرَ قَصرٌ من منيَّته ... شيئاً ولا نفعَت كسرى معاقله
وهل تطيبُ حياةٌ كلها غُصَصٌ ... ومَوردُ العيش لا تصفو مناهله
أليس بدرُ الدجى حالت مطالعُه ... أليس بحرُ الندى غاضت جداوله
هذا سميُّ خليلِ الله قدوتُنا ... غابت بحكم الردى عنا شمائلُهُ
مولىً على فِطرةِ الإيمان قد جُبلتْ ... منه السجايا تعالى الله جابله
ألقانتُ الليلةَ الليلاء معتكفاً ... والقائل الحق تحقيقاً وفاعلُهُ
ومنظرٌ مُعربٌ عن حسنِ مخبرة ... لاحت لأهل الهدى منه دلائلُهُ
فالرُّوح طاهرةٌ والجسمُ ذو شرف ... أكرِم به وبما ضمَّت غلائلُهُ
هيهاتَ هيهاتَ أن تُحصَى مكارمُه ... وأن تُعَدَّ بتحديد فضائلُهُ

آهاً على بدر رُشدٍ غاب طالعه ... آهاً لمربع علمٍ خفَّ آهلُهُ
آهاً على غيث لطفٍ ماؤهُ غدِقٌ ... للخير آجلُه براً وعاجلُهُ
أينَ العزاءَ وقد عزَّ اللقاءُ به ... أين السماحُ وقد بانت أناملهُ
لِتَبكِ أعينُ أهلِ الدين قاطبةً ... بمدمعٍ يستخفُّ السُّحبَ هاطلهُ
يا أيُّها الماجد المرهوبُ جانبهُ ... والسيِّد السَّند المرجوُّ نائلهُ
فرائض الله قد أدَّيت مجتهداً ... ولم تَفُتْكَ على حالٍ نوافلهُ
نأيتَ فالعلم قد زُمَّت ركائبه ... والعلمُ مقطوعةٌ أضحَت وسائلهُ
وهكذا الأنس ما طابت محاسنُه ... بين الهُداة ولا ازدانَت محافلهُ
أعظِم بفقدِك يا عماه داهيةً ... دهياءَ في كلِّ قلب منك شاغلهُ
عليك أزكى سلام الله ما بزغت ... شمس النَّهار وما حالت أصائلهُ
ونلتَ من أعينِ التسنيم مغترفاً ... كأساً روياً ينال الغور ناهلُهُ
وليسعد القطبُ شعبان وإخوته ... فكلهم طاهرٌ حرٌ خصائلُهُ

عزاءكم يا بني الإيمان عترته ... فإنما دهرُنا هذي فعائِلُهُ
لولا التأسي عن الأحباب ما تركت ... نار الأسى غصناً تشدو بلابلهُ
وإنما الصبر شهدٌ في أواخرهِ ... عذب المذاق وإن مرَّت أوائلهُ
إن غابَ عنَّا فما غابت مآثرهُ ... وإن جفانا فما إن جفَّ نائلُهُ
وذكره خالد بينَ الورى أبداً ... مادام ينشد بيت الشعر قائلُهُ
جاءَت لحضرته البُشرى مؤرخة ... بظل طوبَى مقام فازَ نازلُه

❖ ❖ ❖

عِندي لكَ الشِعرُ الأنيقُ بَديعُهُ ... يَجلو سَناكَ على الزَّمانِ أنيقا

مِن قصيدةٍ يرثي بها المغفور له مهنّا أديب مهنّا

أأراقَ مهجتَه جَوٍ فأُريقا ... أم هل أطاقَ تصبُّراً فأُطيقا
يا دهرُ للقدَرِ المُشتِّ وللنَّوى ... غادَرتَ جرحاً في الفؤادِ عميقا
وتركتَ ما بيني وبينَ أحبتي ... بيناً كما شاءَ القضاءُ سَحيقا
لا تعذُلاني إن جزعتُ فإنَّ لي ... قلباً به طُبعَ الحنانُ رقيقا
قلباً إذا بعثَ الزمانُ رزيئةً ... سلكَت طريقاً نحوه مطروقا
أنا إن بكيتُ فإنما أبكي أخاً ... في الله مِن أوفى الأنام شَقيقا
وإذا سلوتُ فإنَّما أسلو فتىً ... ما كانَ منِّي بالسلو خليقا
آهاً على فَقدِ الرفيقِ ولم أجد ... مِثلَ المُهَنّا في الأنامِ رفيقا
عاشرتُه فبلوتُ من أخلاقهِ ... أحلى من الماءِ النميرِ رقيقَا
عشِقَ النَّدى مذ كان طِفلاً ناشئاً ... أحبِبْ بذاكَ محبَّباً معشوقا
أكرم بأصلٍ أنت باسقُ فَرعه ... أصلاً كريماً بالفَخارِ عَريقا
أأخَيَّ ضمن حشايَ بعدكَ لوعة ... سكنت بقلبٍ لا يزال خَفوقا
لله دَرُّك من صديقٍ مخلصٍ ... أيَّام لا يجد الصديقُ صديقا
ما كنتَ إن حلَّت وجلَّت خطةٌ ... جزِعاً لأهوالِ الزمانِ فَروقا
وإذا سمحتَ فأنت صيِّبُ مُزنةٍ ... وإذا قصدتَ البأسَ كنتَ بريقا
دفَنوا غداةَ دُفنتَ في طيِّ الثرى ... ذاك الصديقَ الصادقَ الصدُوقا
تالله إنَّ فراق مجدِك ساءني ... ما قلتُها مَيناً ولا تَنميقا

لا أكــتمُ الــرَّحمنَ إنَّ حُــشاشتي ... مُلئَــت جــوىً وكآبــةً وحريقــا
وكمــا عهـدتَ القلـب مـني لم يـزل ... كلِفــاً إلى عــصر اللقــاء مَــشوقا
فاذهــب مــعَ الله اللطيــف بعبــدهِ ... فلَقَــد عهــدتُك بــالرفيق رفيقــا
لــولا اعتقــادُ النــاس بعثــاً ثانيــاً ... فيــه يثيــب الخــالقُ المخلوقَــا
لوجَـدتَ راحــة ســرِّهم ســراً علــى ... نفــسِ الفلاســفةِ الحِــذاقِ دقيقَــا
ممــا يُعَــزيني بأنَّــك لم تــدَع ... عــن أمــرِه التحقيــقَ والتــدقيقَا
فوفَيــتَ غـير مقـصِّرٍ دَيــنَ العُلـى ... وقــضيتَ مــا لِلواجبــاتِ حُقوقــا
عنـدي لـك الـشعرُ الأنيـق بديعُـهُ ... يجلــو ســنَاك علــى الزمــانِ أنيقــا
وإذا امــرؤ بــالمَين حلَّــى نظمَــه ... حلَّيــت نظمــي بالمَــديح صَــدوقا
فليحــيَ صِـنواك اللَّـذانِ إلى النـدى ... ســبَقا وقَــصَّر مــن أراد لُحوقــا

صـبراً علـى حكـم القـضاءِ فلـم يـزل ... للــشمل غايــة جمعــه التفريقــا
لــولا التأسِّــي لم تــدَع نــار الأســى ... غــصناً مــن الــصبر الجميــل وَريقــا
لا تحزَنــا فقــد المهنَّــا إنــه ... ممَّــن إلى جنَّــاتِ عــدنٍ ســيقا
فــشهادتي أن قــد تــوُفي لم يــزل ... في عــروة الــدين الحنيــف وثوقــا
وعلــى ولايــة آلِ فاطمــةٍ نــشا ... روحــاً وجــسماً أعظمــا وعُروقــا
بابنَيــه تعزيَــةٌ وســلوى فلتَــدم ... ذِكــراه كالمــسك الزكــيّ فتيقــا
غفــر الإلــه لــهُ وقــدَّس ســرَّه ... وســقاهُ مــن خمــر الجنــان رَحيقــا
وعليــه رضــوانُ المهـيمنِ رحمــةً ... تُهــدى صَــبوحاً روحــه وغبوقــا

❖ ❖ ❖

سَقَى اللهُ مثوىً حلَّ فيه سحابةً مِنَ اللُّطفِ منهَلاً بها هاطل الشكرِ

مِن قصيدةٍ يرثي بها
المغفورِ له الشيخ إبراهيم سليمان الخضر

حسامُ القنا المسلولِ يُغمَد بالنَّحرِ وقوسُ الضنا يُصمي القلوبَ بلا وترِ
وكأسُ الرّدى المحتوم للناس موردٌ يطوف به الساقي على العبد والحرِّ
تخالفَتِ الدنيا وأهل طلابها فإعراضُ مزوَرٍّ وأقدامُ مغترِّ

تسير المَنَايا والمُنى في حياته على عَجَل تطوي الركاب ولا يدري
إلى الله أشكو نكبةً ردَّت الدجى على الطرف محمرَّ الترائبِ والنحر
تواضَعَ طورُ الصبر لمّا علَت بهِ سعيرُ الجَوى فانحطَّ منخفضَ القدرِ
رعَت عَبرتي بالمرسلات وهل أتى على قلبيَ المسلوب حين من الدهرِ
على فَقد إبراهيمَ وجدا تهدَّمت بنايةُ ركن العزِّ والمجد والنصرِ
فوا أسفا غصن من البان يانعٌ لطيف التثني مسَّه الحتف بالكسر
مَضى لسلام الله والعفو ذاهباً وقد أودع الألباب منَّا على الجمرِ
توارَى برمسٍ بالقلوب احتفاره فيا لكِ ألباب تكسَّرنَ في صخرِ

إلى الله أشكو الحادثاتِ فإنها لقد فجعَتْنا في سنى الكوكب الدرّيَ
سقى الله مثوىً حلّ فيه سحابة من اللطف منهلاً بها هاطل الشكرِ

وتوَّجَــه تــاج المهابــة رافــلاً　　　من السندس المعروف في حلل خضرِ
وأيــدكَم بالـصَّبر في كــلّ نكبــة　　　وأعطـاكمُ فيهـا العظـيم مـنَ الأجـرِ

علـيكم سـلامُ الله مـن ذي صـبابة　　　معطــرة الأرجــاء طيبــة النــشرِ
وصـلّى إلـه العـرش مـا ذر شـارقٌ　　　على المصطفى الهادي المشفع بالحشرِ

❖ ❖ ❖

مضى طاهرُ الأخلاق والنَّفس طاهرٌ إمامُ مَعانٍ طيِّبُ الأصلِ بارعُ

مِن قصيدة يَرثي بها

المغفور له الشيخ طاهر بن الشيخ حامد

سواء ألفتَ الصَّبر أم أنت جازعُ فإنَّ قضاءَ اللهِ لا بدَّ واقعُ

أبى الله أن تخلو منَ الحزن مهجةٌ تُشوِّف أخبار الهوى وتطالعُ

يسير بنا حادي الرَّدى وأمامنَا طريقٌ بعيدٌ موحشُ القفر شاسعُ

تفكَّر ففي الذكر مع الفكر عبرة وللمرء من نفس الإناءة رادعُ

ألَم يكفِ ذا لُبٍّ من الدهر واعظاً فجائع آباءٍ له ومَصارعُ

فما أشبَه الإنسانَ والموتُ غرة بسارحة الأنعام وهيَ رواتعُ

تقسَّمتِ الآجالَ والرزقُ للورى سواءٌ فغيم المرء بالحرص والعُ

على قَدْر مجد المَرء يعظم خطبُه ويمشي الهُوينى والخطوب تُسارعُ

مضى طاهرَ الأخلاق والنفسِ طاهرٌ إمام معانٍ طيِّبُ الأصل بارعُ

فواحَزَنا والحزنُ ليس بنافع تعلة صب قد دهته الفجائعُ

على قمرِ الحُسن استَسرَّ كمالُه ولا أملٌ لي أنه بعد طالعُ

بنفسي وقَلبي منه روحُ طهارةٍ وبرهانُ علم باهر النَّص قاطعُ

عليك سلام الله يا نجلَ حامد وأزكى تحياتٍ بها المِسك ضائعُ

وصبَّ على مثواك روحاً ورحمةً تَهلَّ وفضلُ الله للناس واسعُ

على أنَّ محمودَ البها ومحمدا وأحمد أقمار السعود الطوالعُ

ثلاثــةُ أقطـــابٍ تـــدور بمجـــدهم رحَى الكون فَضلاً ما لـه من يـدافعُ
لِيهـــنِكُمُ الأجـــرُ العظـــيمُ لخطبـــه وما أُوحِشَت من أنـــسهنّ المرابعُ
ومـــا أنـــتمُ للنـــاس إلا محجـــةٌ بها يهتدي الســاري وما الحزن نافع
وهـل طـاهرٌ إلا كمـا هـو كوكـبٌ مـــنيرٌ بآفـاق الــسعادة ســـاطعُ
عليــه ســلام الله مــا ذرّ شــارقٌ وأســـفَر دُرِّيٌّ وغَـــرَّد ســـاجعُ
ودمـتُمْ علـى رغـمِ الزمـان أعـزةً وحـبّكُمُ حـصنٌ مـن البـأسِ مـانعُ

❖ ❖ ❖

إنـــي تـــذكّرني جمـــالَ محمَّـــد　　　وُرقٌ تنـوحُ على الغُصونِ وتسجَعُ

من قصيدةٍ يَرثي بها

المغفور له الشيخ محمد ديب الأحمد

قلـــبٌ يـــذوبُ ومهجـــةٌ تتقطـــعُ　　　وحـــشاشةٌ حـــرَّى وطـــرف يـــدمعُ

والحتـــفُ حتمـــاً لا تُـــرَدّ ســـهامُه　　　وقـــضاءُ ربِّـــك واقـــعٌ لا يُـــدفعُ

لا بـــدَّ أن نَـــسري إليـــه ولم يكـــن　　　للـــسالكين عليـــه يومـــاً مرجـــع

ســـيَّان عنـــد مَمَـــرّه وحلولِـــه　　　شـــيخٌ أخـــو عجـــزٍ وطفـــلٌ يرضـــعُ

كـــل ابـــنِ أُنثـــى للحِمـــام مـــصيرُه　　　والحِـــذرُ لا يغـــني هنـــاكَ وينجـــعُ

مـــا الـــصبرُ إلا لفظـــةٌ وضـــعَت بهـــا　　　يتعلَّـــلُ الـــصَّبُّ الحـــزينُ الموجـــعُ

حـــالي وقَـــد شـــطَّ النَّـــوى بمحمَّـــد　　　حـــال يـــرق لهـــا الـــشجاعُ ويجـــزعُ

إنـــي تـــذكرني جمـــالَ محمـــد　　　وُرقٌ تنـــوح علـــى الغـــصون وتـــسجعُ

وأظـــلُّ محزونـــاً أمثِّـــلُ طيفَـــه　　　والعـــينُ عَـــبرَى والحـــشا تتوجَّـــع

أبكـــي وأنـــشدُه القرابـــةَ وهـــو لا　　　يُـــصغي ولا حـــقُّ القرابـــة يـــشفعُ

لم يبـــق بعـــدكَ في حيـــاتي مـــأربٌ　　　أبـــداً ولا لـــي بعـــد حـــسنِك مطمـــعُ

لهفـــي عليـــك إذا دُعيـــتَ ولم تُجـــب　　　ولقـــد عهـــدتُك تـــستجيبُ وتـــسمعُ

أبقيـــتَ لـــي نفـــساً تـــذوبُ صـــبابةً　　　وحـــشاشةً بيـــد الأســـى تتقطـــعُ

وكـــأنَّ كـــلَّ الأرض بعـــدك دارةٌ　　　قفـــراءَ يأويهـــا الغُـــرابُ الأبقـــعُ

كلفـــي بحبـــك كـــان موجـــبَ شقوتي　　　لمـــا نُعيـــتَ فليـــتني لا أســـمعُ

تـــالله لا أنـــسى جمـــالَ محمَّـــد　　　مـــا نـــاح طـــيرٌ بالغـــصون يرجّـــع

وسرى فقلبُ المجد أصبح خافقاً ... لا تستقِرُ به الغداةَ الأضلُعُ
أرأيتَ بحراً فوق نعش غيره ... وسواه هل بدرٌ حواه المضجعُ
قفِ بي على المثوى الشريف فإننا ... للحشر بعد الآن لا نتجمَّعُ
فسقى الإله ثراه صيِّب رحمةٍ ... ينهلُّ من ماء الحياة وينبعُ
وأدام والدَه المعظَّمَ قدرُهُ ... كهفاً نلوذ به ونعم المفزعُ
شاه العلي ديبُ بن أحمد من له ... قدر عظيم الشان سام أرفعُ
وغروسُه أهل السماحة والندى ... فعليُّ ذو المجدِ الخطيرُ الأروَعُ
يتلوه محمود الأمين وصالحٌ ... كلٌّ بكرسي العلى متربعُ
يا آلَ معروفَ الكرام ومن لهم ... مجد رفيعُ منارِهِ لا يوضَعُ
إنَّ المنيةَ لا يُردُّ حلولها ... حزن وحاشى حلمكم أن تجزعوا
فالله يُسعدكم ويحرُس غرسَه ... حفظاً بعين عنايةٍ لا تهجَعُ

❖ ❖ ❖

أنـــوحُ علـــى فـــراقكُم كـــثيراً وأصـــبرُ بعـــدَ بعـــدكُم قليـــلا

من قصيدةٍ يرثي بها

بعض أولاد المغفور له الشيخ محمد ديب الأحمد

أدَمعَ الحـزنِ هـل تُطفـي الغَليـلا وهـل تُـشفي مـن الوجـد العليـلا
ويـا عـصرَ الـسرور عـسى رجوعـاً فقَـد أبلـى الهـوى جـسمي النحيـلا
إذا لاح الـــصباح أذوب حزنـــاً وأُجـري في الـدجى دمعـاً همـولا
وأبكـــى هجـــر أحبـــابٍ كِـــرام قُبَيـل وصـالهم صـاحوا الـرَّحيلا
نعَـى النَّـاعي حبيبـاً فاسـتطارَت قلـوب صـادفَت خطبـاً مَهـولا
وجـفَّ الغيـثُ مـن أسـف وحـزنٍ وبلبـــال مقـــيم لـــن يـــزولا
أيـا مـصرَ الكمـال عليـك أجـرت ـــحائب أدمـــع الأحـــزان نـــيلا
ترفُّـــق في فـــؤادٍ ذابَ حزنـــاً وطـــرفٍ للبكـــا أمـــسى كلـــيلا
أنـــوحُ علـــى فِـــراقكُمُ كـــثيراً وأصـــبر بعـــدَ بُعـــدكمُ قليـــلا
وكـــانَ الـــصبرُ في قلـــبي كثيـــاً فأصـــبحَ في بعـــادكمُ مَهـــيلا
فيـــا أنجـــالَ ديـــبِ المجـــد صـــبراً أعيــذ كمــا لكُــمْ يُلفَــى ذلــيلا
إذا وردَت رزايـــا الـــدهر كنـــتم لنـــا ظـــلا مـــن الحُـــسنى ظلـــيّلا
ســقى الـــرحمن مـضجعَه ســحاباً مـــن الـــرحمن يهمـــي سلـــسبيلا
ودمـــتُم للأنـــام كنـــوزَ مجـــدٍ علـــى برهـــانكم يحـــدو الـــدليلا
صـــلاة الله والتـــسليمُ تَـــترى علـــى الهـــادي غُـــدُوّاً والأصـــيلا

❖ ❖ ❖

أمـر المهيمن نافذ بعبادهِ　　　فليستعدَّ أخو النُّهى لمعادهِ

من قصيدة يرثي بها
المغفور له الشيخ حسن أحمد «البلاطه»

أمرُ المهيمن نافذ بعباده　　　فَليستَعِدَّ أخو النُّهى لَمعادهِ
أينَ المفرُّ من المنون لِهاربٍ　　　والحتفُ أنَّى سار في مِرصادهِ
أملٌ طويلٌ والحياةُ قصيرةٌ　　　يتجاذَبان العمرَ في أبرادهِ
يا دَهر ماذا تبتَغي من مدنَفٍ　　　ذي مهجة حرَّى سليب فؤادهِ
لله نازلة المصائب زَلزَلت　　　للمجد سامي الشُّمّ من أطوادهِ
ذهبَ الإمامُ الطهرُ في أفعاله　　　والصادقُ الأقوال في ميعادهِ
حسن بن أحمد مَن إذا عُدَّ الورى　　　بالدَّهر زُهداً كان من أفرادهِ
المتَّقي الرحمن حق تُقاتِه　　　ومجاهد في الله حق جهادهِ
يُحيي الدجنَّة خاشعاً متضرعاً　　　مستبدلاً طيب الكرى بسهاده
آل الكنانيِّ الُذين بهديهم　　　يستوضح السَّاري سبيل رشاده
أشكو إلى الرَّحمن جلَّ جلالهُ　　　بَثي وما لاقيت بعد بِعادهِ
بُدلتُ بعدك بالصفا كدَرا ومن　　　حُلَل النعيم البيض سود حدادهِ
أدعوكَ يا مولاي بالكلِم التي　　　كانت لهود جُنة من عادهِ
أسكنه في جنَّاتِ عدن خالداً　　　في عزه السامي وفي إسعادهِ
وانظر بعين عنايةٍ ووقايةٍ　　　للعِترة الأطهار من أولاده
لا تحزنوا فقد التقيّ لقد مضى　　　لجوار ربٍ مجتَبٍ لعبادهِ
في جنة الفردوس أكرم منزلٍ　　　بين الملائكِ في رفيع عمادهِ

❖　　❖　　❖

يا ناصرَ الدّين تحقيقاً ومَعرفةً … بمثلكَ اليُمنُ والإيمانُ يَنتَشِرُ

مِن قصيدةٍ يرثي بها المغفور له الشيخ ناصر الحكيم

هيَ المنيَّةُ لا تُبقي ولا تَذَرُ … أيحذر المرءُ إذ لا ينفعُ الحذَرُ
هُوَ السَّبيلُ وكلُّ الناس سالكهُ … بذاك خُطَّ قضاءُ الله والقدَرُ
بئسَ الحياةُ حياةٌ لا بقاء لها … صفاؤها كدَرٌ سَرَّاؤها ضررُ
لا يستفيقُ الفتى من هولِ نازلةٍ … إلاّ وأُخرى على الآثار تنتظرُ
أبَعدَ علمِكَ بالدُّنيا وحالتِها … تَصبو إليها أأنت الكيِّس الحذرُ
لا يخدعَنَّك فيها موردٌ خَضِرٌ … ولا يغرَّنك منها منظر نَضِرُ
في كلِّ شارقةٍ منها وغاربةٍ … ذكرى وتبصرةٌ لو كنت تعتبرُ
إلى مَ تطمع فيما ليس تدركه … والويل للقلب فيما يفعل النظرُ
ما نفعُ ذي اللب في الدنيا وزخرفها … إلا إذا حسنت فيها له السيَرُ
أضعتَ آجلَها الأسنى بعاجلها … ضللتَ رشداً وخاب القصد والسفر
لم تَجنِ غرس الأماني والصِّبا نضِرٌ … فكيف والشيب في فوديك مُزدهرُ
فارغب إلى طاعة الرحمن مجتهدا … ولا يصدَّنك عنها مطلب خطِرُ

يا دهر ويحك هل أبقيت باقيةً … من محنةٍ أو بلاءٍ فيه تختَبرُ
أفَوق فقد إمام الدين ناصرِهِ … رزءٌ لديك منَ الأرزاء مدَّخَرُ
ركنٌ شديد من الإسلام منهدمٌ … طود عظيم من الإسلام مندَثرُ

هـو المقيـم حـدود الله مُعتكفـاً يُحيـي الدجُنَّـة والـديجورُ معتكِـرُ
والعابـدُ الزاهـد الأوّاب شـاهدةٌ بفـضله المعـشَرانِ البـدوُ والحـضَرُ
مَـن همُّـه أبـداً تنزيـه خالقِـهِ عَـن أن تكيِّفُـه في ذاتـه الـصورُ
يُغـضي عفافـاً مـن الـدنيا وزينتهـا فقـد تـسـاوى لَديـه التِّـبرُ والحجَـرُ
عـمَّ البريـة إحـسـاناً وعارفـةً فالغيـثُ عـن راحتَـي كفيـه ينحـدرُ
مـن الهـدى والتقـى صِـيغَت جبلَّتُـه من حيث أصلُ الأنـام المـاء والمَـدرُ
بـدرٌ تحجـب عنـا نـوره فغـدَت أعلامـه بربُـى الفـردوس تنتـشرُ
فلْيَندبِ الشَّعب شَعب الحق نكبتَـه وليبكـه بـدموع دونهـا المطـرُ
لا يفـصحُ اللفـظ عـن تعبـير لوعتـه أيـن الفـؤادُ وأيـن الـسمع والبـصرُ

سـقَى الإلـه ثـرَى مثـواه صـيِّبةً غيثـاً مـن العفـو والغفـران ينهمـرُ
يـا ناصـرَ الـدين تحقيقـاً ومعرفـةً بمثلـك الـيمنُ والإيمـان يفتخـرُ
يـا رحمـة الله بـينَ النـاس قاطبـةً لم يُحـصِ وصـفك منظـوم ومنتثـرُ
لمَ نقـضِ حزنَ إمـام العـصر سـيدنا محمـد خـير مَـن تُرجـى بـه الخَـيرُ
عليكمـا صـلوات الله شـاملةً روحيكُمـا وسـلام طيّـب عطِـرُ
لكـنَّ في العـترة الأطهـار تعزيـةً أنجالـه الـصيد نعـم الـسادة الغـررُ
فالمجتَبى أحمد المحمود بحر نـدى بـدر الهُـدى علـمٌ للمجـد مـشتَهرُ
والـصَّالحُ الطـاهرُ الأخـلاق مـن زلَـلٍ طابَـت على قـدم التَّقـوى لـه الـسيرُ
خـصالُ والـدهِ الحُـسنى بـه جُمِعَـت فالوصـف مقتـصَر والـشرح مختـصَرُ
صبراً ففيما مضى مِن أعصرٍ سـلفَت مـنَ القـرونِ لنـا وعـظٌ ومعتـبرُ

فناصر الـدّينِ في الفـردوس منزلـه ... وعـد مـن الله في القـرآن مــــتطرُ

عليـه رِضـوان رب العـرش يردفـه ... تحيـــة وســــلام لــيـس ينحـــصرُ

ما غرَّدَت فوقَ غُصن الأيـك سـاجعة ... وأســـفرَ الـنيران الـشمس والقمـرُ

❖ ❖ ❖

كنتَ لنا بعدَ الإمام محمَّد ... ملاذاً إذا جار الزمانُ أو اعتَدى

من قصيدةٍ يرثي بها
بعض أولاد المغفور له الشيخ سَعيد الحسَن

خليلَيَّ جار الدهر بالخُطْبِ واعتدى ... وراح علَينا بالنوائب واغتَدى
مضى أوحدُ الدنيا وعلاّمةُ الورى ... وأرفعُهم قدراً وأكرمُهم يَدا
فيا دهرُ لا إلاً رعيتَ وذمةً ... ولم تحفظِ العهد الوثيقَ المؤكَّدا
وَفرَّقت ما بين الأمين وبيننا ... هلال السنا والعلم والحلم والهُدى
سعيدُ إمام المكرمات فتى العُلى ... ضيا حسن نجم الهُدى زغرب الندى
كريم المحيا طاب حيّاً وميّتاً ... كما فاقَ بالآفاق فضلاً وسؤددا
مقيماً حدود الله سرّاً وجهرةً ... كما فرضَ المولى عليه وحَدَّدا
بنَى ما بنَى أباؤه الصيد من عُلى ... قواعد مجد لا يزال موطَّدا
قضَى وطراً من خدمةِ العلم ساهراً ... دياجي الليالي قانتاً متهجدا
تزوَّد تقوى الله مرتدياً بها ... فيا حبذا زاداً شهيا ومرتَدى
وما غاب حتى شرَّف الله قدره ... وأبقى لنا الذكرَ الجميلَ مخلَّدا
وأورثني مذ غاب قلباً معذَّبا ... لفرقة مغناه وطرفاً مسهدا

ويا أيها الطود الرفيع الذي هوى ... وكان لنا حصناً منيعاً مشيَّدا
مع الله يا مولاي بوركتَ راقدا ... وبورك مثواك المشرف مرقدا
نأيت عن القلب الكئيب فلم يَجد ... على الوجد إلا الطرف بالدمع منجدا

لقد كنت تلقى الضيف إن جاء ... بأصدقَ من فجر الثنية موعدا
وأكرم من غادي السحائب راحة ... وأسرع منها بالسماح وأجودا
وكنت لنا بعد الإمام محمد ... ملاذاً إذا جار الزمان أو اعتدى
سعيت مساعيه وقمت مقامه ... فواخيتهُ أصلاً وفرعاً ومولدا
وجددتَ عندي لوعة لفراقه ... وإن كان كل الدهر حزني مجددا
أتَعجب من حزني وما حال فاقد ... سعيداً ومن قبل السعيد محمدا
وتالله لا أنسى جمال محمد ... إلى أن يواريني ثرى الترب ملحدا
أب كان يؤويني إلى ظل لطفه ... ويوسعني براً ويحنو ترددا
فيا حسرة لا تنتهي وكآبةً ... ولوعة نفس حلت القلب سرمدا
وهوَّن عندي بعدكم كل حادثٍ ... وسهَّل حزن النائباتِ ومهَّدا
وخفف كربي أنَّ بعدك جعفرا ... سراج به في داجي التيه يُهتَدى
وصنويك بالحُسنى علي وصالح ... بنَوا للعُلى صرحاً رفيعاً ممرَّدا
وقد كانَ قُطبُ المجد نجل محمد ... سعادة نعمان الهمام المؤيَّدا
تعوَّد فعلَ المكرمات وإنما ... «لكلّ امرئٍ من دهره ما تعوَّدا»
وأنجال إبراهيم مولاي صالح ... تقيّاً نقياً طاب فرعاً ومحتدا
وواخاه عيسى سؤدداً ونباهةً ... وعزماً وإحساناً ورأياً ومجتدى
وآل سعيدٍ لا يفي الشعر مدحهم ... ولو كان منه النظم دراً وعسجدا
أُثبتُم على الصبر الجميل مثوبة ... وأجراً وإنعاماً وعزاً مؤبدا
فلا تحزنوا فقد السعيد فإنه ... تبَوأ في دار السعادة مقعدا
ومن يكنِ الرحمن في الخلد جارُه ... فقد فازَ في الحالين عودا ومُبتَدا

❖ ❖ ❖

رَمَضانُ يا ربَّ الصيانة والتُّقى ... بأبي كَمالُكِ من مُصَلٍّ ساجد

من قصيدة يرثي بها

المغفور له الشيخ علي رَمضان «كرم معيزل»

ليس الحِمامُ عن الأنام براقدِ ... فعلامَ ترقبه بطرف سامدِ
وإلى مَ نلهو بالأماني غُفَّلاً ... وأمامنا للحتف شر موارد
لم يعقل المرءُ المعادَ وبدوه ... ما بات يعشق كل بكر ناهد
في كل صحب صيحةٌ في فرقة ... وبكل نادٍ نادبٌ عن فاقد
هذا سبيلُ العالَمين فكلُّهم ... يُقتادُ رغماً للحِمام بقائد
عظُمَت غداةَ نوى عليٍّ نكبة ... بأجلِّ مولود وأكرم والد
شمس تضمَّنها الكسوف فحجَّبت ... رأد الضحى يا نحس حظ الرائد
أفدي بنفسي منه روح طهارةٍ ... حنيت على أحناء جسم هامد
سئِمت مصاحبة الكثيف للطفها ... شوقاً لرؤية ذي الجلال الماجد
وسرى فما الحزن المقيم براحلٍ ... عنا ولا الدمع المصانُ بجامد
رمَضان يا رب الصيانة والتقى ... بأبي كمالك من مُصَلٍّ ساجدِ
لله علمك بالخطوب وصرفها ... وتقلب الدهر الخؤون الفاسد
لا يستفزك سعده فرحاً ولا ... أوصابهُ ترحاً لأمرٍ وافد
وصلَ المهيمن روحه في رحمة ... تنهلُّ من ماء الحياة البارد
وسقى الحيا مثواه من خِلٍّ به ... ضَمَّت يدُ الأقدار نجم محامد

❖ ❖ ❖

وردُ المَنيَّة لم يُكذبك رائِدُهُ

مِن قَصيدة يَرثي بها
المغفور له الشيخ ديب الأحمد آل معروف

وِردُ المنيَّــة لم يُكــذِبك رائــدُهُ هــو الــسَّبيلُ وكــلُّ النّــاسِ وارِدهُ
بِــمَ التَّعَلُّــل في هــذي الحيــاة ومــا ســـرورُ صيد بهــا والمــوت صــائدهُ
نُغَــرُّ في زُخــرُفِ الــدُّنيا وغايتُهــا إلى فــراقٍ يقــيمُ الحــزنَ قاعــدُهُ

لــيس المنيــةُ إلا كــالمُنى خطــراً يجول والمرء ســاهي القلب ســامدُهُ
أمَلَتَ والشيب في فَوديك مشتعلٌ مــا لم تَنَــل والــصِّبا خــضرٌ أمالــدُهُ
وكلّمــا عاينَــت عينــاكَ تبــصِرةً رانــت على فكرك الصافي شواردُهُ
خُــدِعتَ في منظــر راقــت نــضارتُه وربمــا أخطــأ المنهــاجَ راشــدُهُ
ولــو نظــرتَ بعــين العقــل معتــبراً عــين الــصواب لَمــا أَصْبتكَ ناهــدهُ
ألــستَ ذاك الــذي بــالأمس كنــتَ تــدري وأنــتَ غــداً مــا لا تُعــاودُهُ
مــاذا تعاتــبُ دهــراً قــطّ مــا برحَــت تجــري بحــسب عواديــه عوائــدُه
غاضَــت مكارمــه أقــوت معالمُــه عــزّت أراذلُــه ذلــت أماجــدُه
لمّــا مررتُ على ربع الحبيب ضُحى وقَفــتُ بالمعهَــد البــاقي أناشــدُهُ
مــاذا يُفيــد بتــبريح وقــوف شــج يبكــي علــى طلَــلٍ أقــوت معاهــدُه
يُمسي ويصبحُ حَرَّ الحزن صاحبهُ والــصَّبرُ غائبــه والوجــد شــاهدُهُ
هــذا أبــو أحمــد ديــب الــشهير نــأى (يا حَــرتي راح ما عدنا نـشاهدهُ)

في ذمَّـة الله بحـرٌ جـفَّ نائلـهُ ... وصـدر حلـم خلَـت منـه مقاعـدهُ
لقـد تغيَّـبَ منـه في الثـرى ملـك ... يـا طالمَـا جلَـت الغمـى مـشـاهدهُ
كالـدَّهرِ والـدَّهر لا تفنـى عجائبـهُ ... والحـرِ والبحـرُ لا تُحـصَى فرائـدُهُ
توسَّـدَ التُّـربَ ذيَّـاك الإمـام وقـد ... كانـت مـن الـبرِّ والتَّقـوى وسـائدُهُ
مـولى دعـا قدسـه داعـي الـيقينِ إلى ... دار الـسَّلام مقامـاً فـاز وافـدُهُ
مهنَّـدٌ مـن سـيوف الله منـصلِت ... صـقيل حـدٍّ علـى ضـد يجـادِدهُ
وحيـدُ قـدرٍ قليـلُ المثـل قـد كثُـرت ... لـه الوفـود كمـا عمَّـت فوائـدهُ

القائلُ الحق في فصل الخطاب هدى ... سيّان عارفـه قـدراً وجاحـدهُ
القـائم اللَّيـل يحييـه بمنـبلج ... مـن نـور طلعتـه الغـراء سـاهدهُ
الـذاكرُ الله في علـم الـيقين وفي ... عـين الـيَقينِ بـإخلاص يـشاهدهُ
والعابـدُ الزاهـدُ الأواب يؤنـسه ... ذكـر المهـيمن لـيلاً نـام راقـدهُ
مجاهـدٌ في سـبيل الله خالقـه ... حـق الجهـاد هـوى نفـس يجاهـدهُ
عـزاء كم آل معـروفٍ بوالـدكم ... فـالحور في جنـة المـأوى ولائـدهُ
مقامـه طـاب في الفـردوس منزلـةً ... أكـرم بـه وبمـا ضـمَّت مراقـدُهُ
بـشراه في جنـة المـأوى مؤرخـة ... هـانٍ مـن الكـوثر القدسـي واردُهُ
مطهـر الـنفس قـد طابـت مدائحـه ... نشراً وعـن حصرها جلـت محامـدهُ
ألا يعـزُّ علينـا فقـد سـيِّدنا ... بل سيدُ الناس قطبُ العصر واحدهُ
وماجدٍ ضاق ظهر الأرض من شرفٍ ... بـه أقـر لـه بـالرغم حاسـدهُ
لأنـت سـاعد زنـد المجـد مرتفعـاً ... يـا ليـت لا شُـلّ زنـدٌ أنـت سـاعدهُ
لم تـرض بالعـالم الغـرار منزلـة ... يـا طيـب موردِ لطـف أنـت واردهُ
عُوضـت بـالعلَم النجـدي منزلـةً ... أعظِـمْ بمقعَـدِ صـدقٍ أنـت قاعـدهُ
مـا افترَّ بعدَكَ ثغرُ النصر مبتـسماً ... ولا انثنـى مـن قـوم العـز مائـدهُ

قد أصبح المجد في حزنٍ يعالجه على علاك وتبريحٍ يكابدُه
هذا الغمام فما درَّت لواقحه على العفاة ولا عادت عوائدهُ
لكنَّ في الخَلَف الأبرار تعزيةً على نواه لطرف ذاب جامدهُ

❖ ❖ ❖

ما المرءُ إلاّ سيرةٌ فاحرص على ... ذكرٍ جميلٍ في الأنامِ حَميدِ

مِن قصيدةٍ يرثي بها
المغفور له الشيخ محمّد محمود معروف

صبرا وأين الصبر من مجهودِ ... رُزِئت معاهدُ ربعه بهمودِ
عبثت به أيدي النوائب بعد ما ... مُزجَت حلاوةُ وصله بصدودِ
لا تأمن الدنيا الغرور فكم لها ... من نكث ميثاق ونقض عهودِ
أفبعد علمك بالزمان وصرفه ... تصبو إليه لأنتَ غير رشيدِ
ما المرءُ إلا سيرة فاحرص على ... ذكر جميلٍ في الأنام حميدِ
أوَ ليس في سلف تولّوا عبرةٌ ... للمرء من آبائه وجدودِ
يا للرّجال لنكبةٍ أودى بها ... بعد الكمال محمد المحمودِ
حراً تطهر في شريف نجاره ... ماء الغمام وقطر كل صعيدِ
طهرت سريرته فكل فعاله ... لله خالصة منَ التفنيدِ
مُلهى بذكر الله عن بانِ النَّقا ... وحمى الغرير وآنساتِ الغيدِ
آهاً على الوجه المنير كأنه ... بدرٌ على غصن النُّقا الأملودِ
آهاً على الخُلقُ الرضيَّ صيانة ... وبهاءِ ذاك الطالع المسعودِ
آهاً وما يجدي حنيني قائلاً ... آهاً على بحر النّدى والجودِ
في كل نفس منه لوعة حسرةٍ ... ولكل قلب منه نار وقودِ
يا كوكباً من آل معروفٍ هوى ... للترب بعد تبلج وصعودِ

لا ينقضي حزني عليه ولوعتي ... حتى تواريني لديه لحودي
فالهج بطيّب ذكره متعلّلاً ... عن رقمتي نجدٍ وبانِ زرودِ
واذكر سجاياه الحسان معدداً ... إن البكاء يطيب بالتعديدِ
لَو أبصرَت عينا محمد حالتي ... لرثى لأحزاني وطول هُجودي

ولِمقلةٍ عبرَى وذائب مهجةٍ ... سالت دماً بالدمع فوق خدودِ
أمحمَّدٌ قد كنتَ حصن وقايةٍ ... للايذين به وأي مشيدِ
أمحمد رفقاً نداءَ متيَّمٍ ... صبٌّ قريح المقلتَينِ عميدِ
مني على الدنيا السلام وقد نأى ... عنها جبينك يا هلالَ العيدِ
فلْتعلمَنَّ الآن صدق مودتي ... ورعاية القربى وحفظ عهودي
جاورتَ في الفردوس ربّاً راحماً ... نعم الجوار ونعم دار خلودِ
وتركتني صبّاً حليف صبابةٍ ... متأنساً بالنوح والترديدِ
أُمي بصبر نازح وحشاشةٍ ... حرَّى وحزنٍ بالفؤاد جديدِ
لولا بقاءُ أبيك مولانا الذي ... أبداً نلوذُ به عدمتُ وجودي
محمود أحمد والسيادة والعلى ... فخر الأنام وغاية المقصودِ
ملك شريف النبعتين يسير من ... آرائه الغراء بين جنودِ
لو كانَ في يده السحاب لَما وفى ... كرماً بحسن سماحه والجودِ
طبَع اليقينُ بقلبه نورَ الهدى ... وعلى مُحيَّاه سماتُ سجودِ
أتَروم حصرَ صفاته ما القطَر ... محسوباً وليس الرمل بالمعدودِ
وغروسه الأطهار أرباب العلى ... سِلْمُ المُقرّ وحرب كل كَنودِ
أكرم بأوحدهم علي المُجتَبى ... ذي رأي حزم بالأمور سديدِ

والماجدِ السامي حبيبي راقياً درج الهدى بمعارج التوحيدِ
والطهرِ إبراهيم سر محمدِ فَرَحُ الصديق وغيظُ كلِّ حسودِ
يا رب فاحرسهم بعينِ عنايةٍ بدوام عز السيد المحمودِ
يا آل معروف الفخام ومن هُمُ غوث الطريد ومنقذ المجهودِ
صبراً لحكم الله جل فكلنا هدف المنون ولات حين محيدِ
نلتم على قدر المُصابِ مَسَرَّةً بجميل صبر للثواب مزيدِ
لو كان يحيي الدمع ميتاً قام مِن جَدَثٍ محمد صاحب التمجيدِ
فعليه رضوان المهيمن رحمةً ولطيف عفو الواحد المعبودِ
ولْيَهنَ من عين الحياة بشربةٍ يا طيبَ ذاك المنهل المورودِ
وله السلام تحية الغفرانِ من ربٍّ رحيمٍ بالعباد ودودِ

❖ ❖ ❖

أستودعُ اللهَ قلباً ذاب من أسفٍ ... لا تستقرُّ به للصّبِّ أضلُعه

من قصيدةٍ يرثي بها
وللمرة الثانية المغفور له الشيخ محمد محمود معروف

ما بالُ طرفِك لا تَنهلُّ أدمعُهُ ... وقد عفا من غزالِ الإنس أجرعهُ
وكيفَ لا يبذلُ الدمعَ المصونَ فتى ... قريح جفنٍ سليب اللب موجَعهُ
آهاً وآهاً وتبريحاً على قمرٍ ... قَد غاب في التربِ عن عيني تشعشُعُهُ
هذا محمدٌ المحمود عنكَ نأى ... ألا تشيِّعُ محبوباً تودِّعه
لهفي على طلعةٍ غراءِ زاهرةٍ ... كأنها البدرُ حيناً زال برقعه
سقانيَ الحزن مذ بانت محاسنه ... كأساً أُجَرَّعُ منها ما أُجَرَّعهُ
فيا محمدُ والأحزان غالبةٌ ... قلباً لذكرك لم تبرح تصدعه
بالله يا قمراً قد غاب عن بصري ... أيان يا حسرتي بالوصل مطلعهُ
فارقتَنا يا حبيبي غير مرتجعٍ ... والأمر يومئذٍ لله مرجعُهُ
في ذمة الله مِن سارٍ يشيّعه ... قلب يلوِّعُه وجد يروِّعُه
قفا رويدا على المثوى الشريف فقد ... ثوى به معدَن الحُسنى ومنبعهُ
من آل معروف لا تُحصى مناقبهُ ... قدسيٌّ نفسٍ عظيم القدر أرفعُهُ
تالله بي من نواه لوعةٌ وجوىً ... تغصُّ نفسيَ من وجدٍ تَجرَّعُهُ
والله يعلم أني منذُ فرقتهِ ... يفرِّقُ الهم تبريحي ويجمعهُ

أستودع الله قلباً ذاب من أسفٍ   لا تستقر به للصب أضلعُه
أخفي حنيني ودمع العين يظهره   وأخفض الحزن والتذكار يرفعُه
وقفت أبكي على مثواه مكتئباً   أكفكف الدمع منهلاً وأردعُهُ
وشخصه نصب عيني والفؤاد معاً   كأنه الآن يدعوني وأسمعُهُ

أعاتبُ الدهر في تفريق ألفتِنا   عسى زمان مضى بالوصل يرجعُهُ
أعلل القلب تعليلاً لفرقته   بالوصل أُطمعُه حيناً وأخدعُهُ
يا قرة العين قد شط المزار بنا   فما الذي بقضاء الله نصنعهُ
«فسر مع الله في أمنٍ وفي دَعَةٍ   يا راحلاً وجميل الصبر يتبعُه»
يا كوكب الإنس قد أوحشتَ   ما راق بعدك للورّاد مشرعهُ
قد كان في وجهك الميمون تعزية   لنا إذا الصبر منّا ضاق أوسعُه
كما عهدتَ اشتياقي أنني دَنِفٌ   عصيٌّ صبرٍ غزيرُ الدمع طيِّعُهُ
ولستُ أنساك ما ناحت مطوّقةٌ   على الغصون بتلحين ترجِّعُهُ
وكيف ينساك يا إنسان ناظره   قلبٌ عليك غَراماً سال أجمعُه
وسوفَ أحفَظ من حق القرابة ما ينبيكَ أنّ ودادي لا أُضَيِّعُهُ
يبقى لمجدك ذكراً دائماً أبَداً   كالمِسك يعبُقُ بالنادي تضوُّعُهُ
عليكَ رضوانُ ربِّ العرش يردُفه   عفوُ المهيمنِ والغُفرانُ يشفَعُهُ

❖ ❖ ❖

أعليُّ قد جدَّدت ذكرَ محمَّدٍ فكلا مصابِكُما الشديدِ جديدُ

من قصيدة يرثي بها المغفور له الشيخ علي حسن معروف

بيضُ المنيةِ ما لهنَّ غمودُ أبداً ولا سهمُ الردى مَردودُ
والحَتفُ حتماً لا يُرَدُّ بحيلةٍ هذا وليس من القضاءِ محيدُ
والمرءُ مهما عاشَ مرجعُه الثَّرى ولِما بدا منه إليه يَعودُ
لا تأمنِ الدنيا الغرور فصفوُها كدرٌ وعاقبة الوصال صدودُ
نهوَى الخلود بها ونَعلمُ أنَّها دار الفناء وما هناك خلودُ
والموت أعظم آيةٍ دلَّت على أنَّ البقاء اختصه المعبودُ
سبحانَ من كتَبَ الحِمام على الورى ولذاته التعظيم والتمجيدُ
يا دهر ماذا تَبتغي من مدنَفٍ دامي المحاجرِ دأبهُ التَّعديدُ
أترى مصائبنا عليك فريضةً كُتبَت وذلك واجبٌ معدودُ
حالي وقد أمسى عليٌّ هاجري حال يلينُ لهوله الجلمودُ
أبكي عليك بحسرة وكآبةٍ ويلاه لو أنَّ البكاء يفيدُ
واحسرتا ذهبَت لُيَيلاتُ الهنا وتتابَعت تلك الليالي السودُ
لا لذَّ يوم الشامتين فإنه يوم عليَّ كما علمتَ شديدُ
صبراً لحكم الله جلَّ جلالُه فالصَّبرُ أفضل ما اقتَنى المجهودُ
أعليُّ صورتك البهية في الحشَى مرسومة وجبينك المسعودُ
إن كنتَ في جنَّاتِ عدنٍ خالداً فلنا بنيران الأسى تخليد

أعليّ قد جدَّدتَ ذكر محمَّد ... فكلا مصابكما الشديد جديدُ

نارين قد أضرمتما في مُهجتي ... ويحي وهل قلبي السليب حديدُ

أين الأمين محمَّد وبهاؤه ... وكمالُه وجمالُه المحمودُ

قمرَين قد خسفا وتلك مصيبة ... دهياء قاصمة الفقار كؤودُ

آهاً وما يجدي حنيني قائلاً ... آهاً ونجم محمد مفقودُ

لا تسألاني كيف حالي بعدكم ... وَجدي طويلٌ والسَّقامُ مديدُ

فتأسَّ يا حَسَنَ الفعال لك البقا ... والصبر يا عبدَ الحميد حميدُ

الله يمنح مَن فقدتُم رحمةً ... وجزيلُ عفوٍ والثواب مزيدُ

❖ ❖ ❖

رويداً أيها النّاعي عليّا لقد أسمعتَني شيئاً فريّا

مِن قصيدة يرثي بها
المغفور له الشيخ علي محمود معروف

تَنَبَّهْ ويكَ من سِنَةِ الهجودِ فليس عن المنيّةِ مِن مَحيدِ
فكَم تغتَرُّ بالأملِ المديدِ وهذا المَوت برَّحَ بالوعيدِ
فهَيِّئ عُدَّةَ السَّفرِ البَعيدِ
مضى شمسُ الورى بدرُ الكمال مضى نجمُ الملاحَةِ والجمالِ
مضى ربُّ المَعالي والعَوالي مضى بحرُ السماحة والنوالِ
مضى غيثُ النَّدى الهادي المديدِ
عليّ نجلُ محمودَ الإمام سلالة أحمد السّامي المقام
وبَهجةُ آل معروفَ الكرامِ وفخرُ العصر في كل الأنام
بإنعامٍ وإحسانٍ وجودِ
فَيا ويلاه من هذا المصابِ ويا حُزني وَوَجدي واكتِئابي
بفُرقةِ ذلك الملكِ المُهابِ قُبَيل كماله عصر الشباب
ألا يا لَوعتي في القلب زيدي
رُويداً أيها الناعي عليّا لقد أسمعتَني شيئاً فَريّا
نَعيتَ مطَهراً ميتاً وحيّا لَعمرُ الله قد ضاقَت عَليَّ
رِحابُ الأرض مِن سَهلٍ وبيدِ

نَعِيّاً جئتَ شيئاً فيه إدّا تكاد له الجبال تخرّ هدّا
وتنفطر الطباق السبع وجدا وقدَّ بوقعه الألبابَ قدّا
لفقد يتيمة الدهر الفريد

أجَلْ هذا هوَ الخطبُ الجليلُ أبنْ وَيحي أحقّاً ما تَقولُ
أسَيفُ الحق صادفَه فلولُ أبَدرُ التم قارنه الأفولُ
أشَمسُ الأفق تغربُ في لحودِ

فتلك مصيبةٌ عظُمَت وجلُت ونازلةٌ لها الأعناقُ ذلّت
ليالي العِزّ والأفراح ولّتْ وأيامُ العنا والحُزنِ حلّت
وزالت بهجةُ العيشِ الرغيدِ

فوا أسفي على الحرّ التقيِّ وطَلعتِه وطالعه النقيِّ
وبهجة ذلك الخُلق الرضيِّ ووَجهٍ زاهرٍ زاهٍ بَهيِّ
كبدر التَمّ في سعد السعودِ

أصِبتُم يا آلَ معروفٍ بعَهدي مصاباً جلَّ عن حَصرٍ وحَدٍّ
عَليٌّ هَدَّ مني ركنَ مجدي وإبراهيم أذكى نار وَجدي
وفقدُ محمَّدٍ أفنى وجودي

برغمي وَيلَتا حكمُ الزمانِ بغيبتهم جهاراً عَن عِياني
ثلاثةُ أبدُرٍ مثل الجُمانِ وفخرُ الخلق مِن أنسٍ وجانِ
وأحرارُ البريّةِ والعبيدِ

إلى الرحمن أشكو سوءَ دَهري وأوصابي وتَبريحي وضرّي
وخطبي ضاقَ عنه ذَرع صبري وحرتُ لثقل وطأتِهِ بأمري
فلا أدري مَغيبي من شُهودي

لَعمري يا عليُّ كنتَ بدرا من الحُسنَى وبالإحسان بحرا

وأوسع في الخطوب السُّود صدرا وأعلى الناس مرتبة وقدرا
بحُسنِ العقل والرأي السديد

سراجاً كنتَ أنتَ على البلاد بنورٍ شاملٍ جمعَ العبادِ
رحلتَ فكم تَمزَّقَ مِن فؤادِ فهل يا حسرتي حتَّى المَعادِ
يَعودُ سرورنا حَسَبَ العُهودِ

وحزنُ القُطب محمودَ الأمينِ وعباسٍ أخي العقلِ الرَّصينِ
يُحرِّكُ لَوعتي بعد السكون وتزدادُ الغداة به شُجوني
وفي قَلبي لظى ذاتِ الوقودِ

أعيذُ بعزَّة الله العليِّ ورأفته وباللطف الخفيِّ
كمالَك والوقارَ أبا عليِّ من الحُزنِ المبَرح والجليِّ
فليس الحزنُ بالشَّيء المُفيدِ

فيا شمسَ السَّعادةِ والسناء ويا بحرَ السماحة والسَّخاءِ
أطالَ الله سعدك بالبقاءِ وبالإقبال عمرك والهناءِ
لترتَعَ منه في ظلٍّ مَديدِ

❖ ❖ ❖


اليُوبيل



صورة تذكارية لافتتاح حفلة اليوبيل

اليوبيل

عُرسٌ ومأتم

لقد شعرنا بأنّ هذا العمل سيكون ناقصاً نقصاً مُريعاً إن لم نأتِ على ذكر ما حباه الله به مِن تأييد وأنزله في قلوب شعبهِ من كرامةٍ وتقديس تجلّيا بأوضح صورةٍ في اليوبيل الذهبي الذي أقامته له الأمّة سنة ١٩٢٨ وحفلة التأبين التي أقيمت له في تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ ولكنّا وجَدنا أنفُسَنا إن أردنا أن نوفيَ الموضوع حقّه مُحتاجين لمجلّدٍ ضخم يفوق حجم هذا الكتاب فاضطررنا للعمل بالمثل ما لا يُدرَكُ كُلّه لا يُترَكَ جُلّه. فاجتَزأنا مِن كلٍّ منهما بما يكفي للإفصاح عن المكانة الرفيعة والمقام السامي اللّذَين بلغهما في نفوس تلامذَته ومعاصريه وعلى الحسرةِ واللوعة اللّتين خلّفهما غيابه.

ولا ندَّعي بأنَ ما اختَرناه هو الإختيارُ الأفضل لأننا كنّا أمام كنوزٍ من الأدب الرفيع والشعر البديع والعواطف الجيّاشة بالحب والوفاء والإخلاص كلما تذوّقنا لوناً منها قال لنا صاحبُها أنا أحلى وأمرى. فعسى أن نوفّق للخروج من هذا الإحراج بإخراج سِفرٍ خاص فيما قيل في يوبيله وتأبينه سيحوي ولا شك أروَع الخيال وأعذب المقال.

والله الموفّق لكل خير

حفلة اليوبيل

وإنّ أفضل ما ينقلُنا إلى أجواء الحفلة المهيبة ما تحدَّث به شاهدُها مندوب جريدة (صوت الحق) فقال:

ما أطَلَّ صباح الجُمعة الواقع في ١٤ تشرين الأول عام ١٩٣٨م - ١٣٥٧هـ وهو اليوم المقرَّر لإقامة حفلة «اليوبيل الذهبي» للعلامة الشيخ «سليمان أحمد» حتى ملأَتِ الوفود المدينة فغصَّت بها المقاهي والمنازِل وظهر مَقهى (شَناتا) في حلَّةٍ قشيبةٍ من التزيين والتجميل.

وكانتِ الأعلام الوطنية والزينات المختلفَة والأقواس المقامَة على المداخِل وعلى المسرح تملأُ النفوس روعةً وجمالاً. وما دقَّتِ الساعة الرابعة حتى امتلأَت جوانب مقهى (شناتا) الفسيحة واحتشد الناس في خارجه حتَّى اضطرت اللجنة إلى نَزع الحاجز الخشبيّ الذي يفصل بين المسرح والفَناء الخارجيّ لِتصل بين الجموع. ورُفِعت رقعة كبيرة كُتِب عليها بماء الذهب (اليوبيل الذَهَبيّ للعلامة الشيخ سُليمان أحمد ١٩ شعبان ١٣٥٧. وكان يشرف على ترتيب الحفلة الأستاذ الشيخ منح أفندي هارون نائب رئيس اللجنة وأمين سرّها الأستاذ عبد اللطيف يونس. وجاء معَالي إحسان بك الجابري فاستقبلَته فُرقة كشّاف ربيعة عند الباب.

وفي الساعة الرابعة وصل العلامة المحتَفى به وسَط هالَةٍ من الشيوخ والعلماء وافتُتِحتِ الحفلة بعَشْرٍ من القرآن الكريم.

وبعدها وقف أمين السر يتلو على الحاضرين برنامج الحفلة ويقدّم إليهم الأستاذ الشيخ منح هارون ليفتتح الحفلة باسم الرئيس عبد الواحد هارون.

وبعد أن افتتح الشيخ منح الحفلة باسم السيّد عبد الواحد هارون وقف الشيخ أحمد رضا عضو المجمع العلميّ بدمشق فألقى خطاباً رائعاً تحدّث فيه عن زيارة الشيخ لجبل عامل هو والمرحوم الشيخ إبراهيم عبد اللطيف وما كانَ لهذه الزيارة في نفوس العامليين من الأثر المستحب فكانَت صلةً وثيقةً جمَعت بين أبناء الشمال والجنوب ووطّدتِ العلاقات بينهما.

وتلا بعده الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي بدمشق قصيدةٌ عصماء من غُرر الشعر كان لها أكبر الأثر في نفوس السامعين. فصفق لها الجمهور كثيراً وإنّا سَنُثْبِتُها هنا «إن شاء الله».

ووقف بعده الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان الزاهرة وارتجل خطاباً تحدّث فيه عن الوحدة السورية وعن الجهود التي بذلها جبل عامل في سبيل الوصول إليها وهنّأ هذه المنطقة بالرجوع إلى أحضان الوطن الأم وقال: نحن لا نكره لبنان الذي يعمل في سبيل الوحدة العربية ولا اللبنانيّين الذين يسعون لها ولكننا نكره لبنان المترامي على أقدام المستعمر.

ثم تقدم الأستاذ الشيخ أمين الحكيم صاحب جريدة الإرشاد وألقى كلمة العلامة الشيخ مصطفى محمودي مفتي اللاذقية.

وأعلن عريف الحفلة فترةَ استراحة فصعد على المسرح طفلان لا يتجاوز عمر أكبرهما السادسة، فأنشدا نشيد الوحدة العربية ببراعةٍ فائقة. فغمرت موجة من التأثُّر الشديد نفوس الحاضرين وسالتِ الدموع من المآقي فكان مشهَداً مؤلماً ومبهجاً معاً.

ما استطاع السيّد الجابري والعلامَة المحتَفى به أن يضبطا عواطفهما فبكيا. ولم يتمالك العريف من التعليق بهذه الكلمة:

«إني أنقل إليكم أيها السادة بشرى سارّة، وهي أن هذا النشيد الوطني الرائع أبكى معالي إحسان الجابري وسماحة العلامة.

أجَل إنها لَبُشرى. فالأمة التي يبكي زعيم من كبار زعمائها وشيخ من أجُلة شيوخها عند سماعهما نشيداً شعبيّاً من طفل لا يبلغ السابعة هي أمّةٌ يستحيل عليها أن تموت».

إنَّ شعباً يضم شخصيةً عالميَّةً كالجابريّ وعالماً جليلاً كالشيخ سليمان تفتّحت أمامه آفاق الحياة وترامت تحت أقدامه صروح الخرافات والأوهام وقدمت الأمة من أقصى البلاد للإحتفاء به فلم تَغُرَّهُ هذه المظاهر من الأبّهة والجلال. هو شعب سيأخذ مكانه تحت الشمس.

ثم تقدم الأستاذ «رشيد سنّو» أستاذ الفلسفة والأدَب العربي في الكلّية العلمانية بطرطوس وألقى خطاباً جامعاً.

ووقف بعدَه الأستاذ أدوار مرقص عضو المجمع العلمي بدمشق وأستاذ الآداب العربية بتجهيز اللاذقية فارتجل خطاباً ممتِعاً.

وبعده تقدم الأستاذ بهجت ميخائيل منصور ممثل جمعية الشبيبة العلوية في الأرجنتين فألقى خطاباً رائعاً وقصيدةً جميلةً.

وهنا اعتلى المسرح الشاب الفنّان ايليّا بيضا وأنشد بنغمٍ حنونٍ ساحر مَوَّالاً على الطريقة البغدادية منظوم خصِّيصاً لحفلة اليوبيل.

وغمرَت جوّ الحفلة موجة من صدى التصفيق الحاد حينما أُعلِن اسم الأستاذ حليم دموس فوقف على المنبر وألقى قصيدةً رائعةً قوبلت بالتصفيق الشديد وسننشرها هنا (بإذن الله).

ثم وقف الدكتور وجيه محي الدين وألقى باسم الشباب العلوي المثقف خطاباً رائعاً.

ثم ألقى الأستاذ الشيخ عبد اللطيف إبراهيم قصيدةً من الشعر الرائع سننشرها هنا (بإذن الله).

وبعده ألقى الأستاذ «عدنان أزهري» أمين سر الشباب الوطني كلمةً رائعةً عذبة كانت مملوءةً بالعاطفة الصادقة.

وجاء دور الأستاذ «عبد الرحمن إبراهيم» فتلا قصيدةً هزَّت الجمهور.

وبعده أنشد الأستاذ عبد الغني الشيخ نشيداً شعبياً على أنغام الموسيقى سُرَّ لَهُ الحاضرون كثيراً.

ثم جاء دور الأستاذ رشيد الملّوحي فارتجل خطاباً باسم شباب دمشق وصحافيِّيْها بهذا المهرجان القومي قال فيه:

نحنُ يا سيّدي العلاّمة كلّنا أبناؤك وتلاميذُك فنهضتك الإصلاحية لم تقتصر على هذا الجبل وحدَهُ بل تَعدَّته إلى عموم البلاد العربية وكان لدمشق النصيبُ الأوفرُ منها.

ثم نهض معالي المحافظ السيّد «إحسان الجابري» وسط عواصف من التصفيق وتقدم إلى العلاّمة المحتفى به ووضع يده بيده موجهاً إليه كلمةً نقلها عريف الحفلة إلى أذهان الجمهور ومما قال: إنّ هذه الحفلة هي قسطٌ من دَينٍ على الأمة العَربيَّة أُؤمّل أن تستطيع وفاءك إياه إن شاء الله.

وبعد ذلك صعد سماحة المحتفى به إلى المسرح لتتملّى الجماهير برؤيته حيث قدّم إليه رئيس اللجنة الزعيم الكبير السيّد عبد الواحد هارون هديّة اللجنة.

فنهض بعدها الأستاذ عبد اللطيف يونس عريف الحفلة وقال: إنّ من واجب اللَجنة أن تتلو على مسامعكم أسماء الأُدباء الذين قدموا للاشتراك بالحفلة ولم يتّسع لهم برنامجها والأُدباء الذين أرسلوا كلماتِهم للإلقاء منَ الوطن والمهجر. والأدباء الذين أرسلوا كتُب التأييد والاعتذار وبرقيات التهاني إلى اللجنة.

حول يوبيل ذهبيّ

وقَد عقدَت جَريدة «صوت الحق» مقالاً افتِتاحيّاً قيِّماً نقتطفُ منه ما يلي:

تكريمُ العُلماء الحقيقيين تكريمٌ لروحانيّةِ الأُمّة المكرَّمَة إنَّ مِن أثبَتِ الغَرائز المطبوعة في نَفس الإنسان هيَ التي تحملُه على حبِّ العِلم والمعرفةِ وتقديسِهما ولو كان أجهلُ الناس فكانَ ذلك أصدَق بُرهانٍ على ما يبقى عالِقاً في كل روح من ذِكرى اتّصالها بالمحلّ الأعلى.

وإنّه إن صحّ ما قيل إنّ مجدَ العُلماء وعظمتهم لا تتوقَف على عظَمة وروعة الأفكار التي يرفَعون لواءَها بل على ما يُحسِنونه من عمَلٍ بها وقيامٍ بما تُوحيه فلم يكنْ تكريم أحَق ولا أليَق من التكريم الذي خُصَّ به الشيخ سليمان الأحمد.

اجَل لقد كانَ منذُ نُعومَة أظفارهِ مثالُ القدوةِ الصالحة وكانَت كلُّ لَيالي شبابهِ سهرٌ وجَدٌّ وراءَ العِلم الصحيح هدَته إليه فِطرتُه وإلهامٌ روحيٌّ يريد بهذه الأمّة خيراً - وإلاّ فمَن كان يستطيع أني رشِدَه إلى شيءٍ من ذلك - وجهابذَة عصرهِ لا يبلغون من العِلم إلاّ (اللّهم سترك).

أجَل لقد سهر طويلاً وهو في تفكيرٍ عميق وتساؤلٍ مُلّح لِتَفَهُّم مُعَمَّهات ما يَقرأ وليس له من مُعين إلاّ فكره الثاقب وما يَهَبُه الله من فضله. فكان من فضل هذا السهر في الليالي المُظلمة والتفكيرِ العميق نورٌ أنار البَصائر وأشرقَ في النفوس.

ولو أنَّ المجال وقوة في البيان تُعينانِ على أداءِ تاريخ حياتهِ حقَّها لكانَ من ذلك عظةٌ وعِبرةٌ ومثالٌ سامٍ قلّ أن يكونَ له مثيل.

ومع هذا فقد يتساءل بعضُ الجاهِلين أو ذوو الغرض وماذا نكرِّم في الشيخ سُليمان أحمد وأين ما دُوِّن له من آثار؟ ولكن ليتَ شعري أين هي آثار سُقراط وما دُوِّن منها؟ فهل منعه عدمُ وجودِها أن يكون أبو الفلسفَة الإنسانية وأوّل اسم فيها نُمجّده ونعظّمُه منذ ألفي سنَةٍ وتزيد.

إنَّ بينَ سُقراط والشيخ في ذلك لَشبه كبير إذ درج على منهاج الفيلسوف العظيم فظهر فضله ليس فيما كتَب ودوَّن بل بما أفاد من قدوةٍ حسَنَة ومن بَعثِ ملكة التفكير في جميع من حوله فكانَ في حِلّةِ وترحاله كسُقراط العظيم مدرسة دائمةً لا ينضُب يُنبوعُها. ومَن كان يعلم أيَّ سُلطانٍ للخُرافات كان في هذه الجبال وبأيِّ سُرعةٍ انهار عرشُها يستطيع أن يفهمَ بعضَ الفهم ما كان له من تأثير عميقٍ في نفوس مُحدِّثيه الذين سرعان ما كانوا يَتَتلمَذون عليه ويُصبحون دعاةً لفكرته الحقّة ومعاول هدّامَةً للأراجيف والأباطيل. ذلك أنَّ للشَّيخ ميِّزةً كُبرى وهي توليد التفكير في ذُهن المخاطب. ميزةً كانت له أكبر عونٍ في مهمته الإصلاحيَّة إذْ متَى وُجِد التفكير ولّى سلطانُ العادات والخرافات، لا يفرِّق في توجيه همّه نحو هذه الناحية بينَ الفُهماء والبُسطاء. وما أعذب ما إن تسمعُه يشرح لأحد السُّذَّج إحدى النواميس الكونية الدقيقة مثلاً إذاً لَسَمعت ما لم يخطُر لك ببال ولَهَنِئتَ هناءةً رغيدةً عندما تَرى وقد انتهى من حَديثِهِ اللمَعان في عينَي ذلك الرجل والضحكة المرقِصة كيف لا وقَد أفاض عليه نعمَةَ الفهم والتفكير.



العلاّمة الشيخ سليمان الأحمد فخر الجيل الحاضر
الخطاب القَيِّم الّذي أرسلَه للإلقاء سماحَة المجتهد
السيِّد عبد الحسين نور الدين

السَّلام على هذا الحشد المبجّل الوَقور ورحمة الله وبركاتُه

حشدٌ تعلوهُ المهابة وتزيِّنه الفضيلة وينظِّمه الإخلاصُ للحق والغيرة على أهل الفضل يبصر به اللبيبُ النَّقادة أُبَّهَة المجد وروعةَ الجلالة وحقيقةَ الجمال فأجدرْ به أن يكون مؤتَمر الفضل وجامعة الحق وبرلَمان العلم نَظَّمته أفكارٌ ساميةٌ وعقولٌ كبيرةٌ ناضِجةٌ وأدمِغةٌ فياضة بالطُّهارة والخير وأجدر به أن يكون في تاريخ الأمم وجَبهَة الزمن إمامَ المؤتمرات وغُرَّة المحافل.

أجَلْ هاهُوَ يجدِّدُ ما عفَى ويُعَيِّدُ ما اندرس من آثار المصلحين وسُنَن المرسَلين بتمجيده العلم وتعريفه حملَته ورُعاته، لله أنتُم أيَّ خدمة قدمتموها وأيَّ يدٍ بيضاء أسديتموها للدين وأهله والعلم والأدب وأهلِه بتمجيدكم هذا الشيخ المبّجل أبي محمّد سليمان الحكمة وفصل الخطاب وترتيل آيات فضلِه وتعريف قدره ومواهبه السامية وعَمَلِه في حقول الحياة مِن بَذرِ الأخلاق الفاضلة وإنارة العقول المظلمة وتَرويض النفوس الجامحة وصَقل الألباب الكالحة وإرهاف الهمم الكلية بجهاده المتواصل وعقيدتِه الراسخة وإيمانه القويم وأدبه الجمّ.

وما ذلك إلاّ لأنكم أيها الأفذاذ الأماجد والصيارفةُ النَّياقِد أعرَف الناس بالفِلِذّات فأنتم تقدّرون الجوهَر قدره ومبلغه من الفائِدة للبشَر وتعلمون أنّ السعادة هي الغاية المقصودة والضالّةُ المنشودة والغادة البهتانة والفتاة الفنّانة التي تيمَّت البشر بجمالها وأعجَزَتهم عن نَيلها فَضَلُّوا في طلبها أي ضلال وتفرقَت بهم الأسباب والسُّبُل وما ذاكَ إلا لجَهلهم بالدُّعاة

إليها والأدِلاّء عليها ومَن أولئك هم رجال الحق المصطفون للقيادة والمنتَخَبون للرعاية بما وهبَهم سبحانه من فضله.

فعملكم هذا (وأيم الحق) لهو من خير الأعمال وأعوَدها بالنّفع وأعمها فائدةً، هل تسعد الشعوب وترقَى الأمم إلاّ بأولئك الرجال فإنهم هم مصدَرُ الخير وينبوع السعادة وهم سُفراء الله في أرضه وحججه على خلقه.

ما أشَدّ حسرتي أن لا أكون مُجَلّياً في مَيدان الخطاب ومحلّقاً في أجواء الأدب فأنظم للأجيال والقرون من فضائل هذا الشيخ الجليل روائع خالدة تَزين هواديها وترنّح أعطافها.

فهنيئاً لك أيها الشيخ المُبجَّل ما آتاكَ الله به من فضل والسلام عليك وعلى السادة المحتفلين بيوبيلك هذا الذهبي الزاهِر ورحمَة الله وبركاتُهُ.



الخطاب الذي ألقاه الدكتور وجيه محي الدين

أيها السادة في هذه الساعة نؤرخ ثلاثة انتصارات

انتصار تاريخي. وانتصار ديني. وانتصار قومي

أمَّا الانتصار التاريخي فهو هذه الوحدة السعيدة التي جعلت على رأس أعمالنا وإدارتنا رجلاً منا وفينا يتألم لألمنا ويفرح لفرحنا الرجل الذي صرف القسم النشيط من عمره في سبيل تحرير أمَّته وبلاده فكانت له ولنا هذه الساعة السعيدة. هذا الرجل هو معالي إحسان بك الجابري صديق العلم والعلماء.

أما الانتصار الديني فهو هذه الألفة والوحدة في القلوب التي جعلت السنِّيّ يحتفل بأخيه العلوي والتي انتصرت على ما خلَّفه التعصب ليحول دون اتحاد شعبٍ واحدٍ ومذهبٍ واحدٍ وأمة واحدة وأنه والحق يُقال من أكبر دواعي الغبطة والسرور والاستبشار أن نرى على رأس مؤتمر علوي وللاحتفال بعالم علويّ متدين رجلاً فاضلاً كالزعيم الكبير عبد الواحد بك هارون الذي أعطى البرهان القاطع على إخلاصه للجميع.

أمَّا الانتصار القوميّ فهو ظهور هذا الشعب المجهول في الماضي المستعبَد بالأفكار السامة القتالة من حكامه الأقدمين والمستعمَر بالجهل داء الشعوب المغلوبة على أمرها هذا الظهور الذي ضرب المثل الأعلى لوجود الدفائن النفيسة في قلوب أبنائه والتراث الصالح في دم أحفاد تلك الأمة التي علمت الشعوب كيف تكون الرحمة في قلوب الفاتحين. فأهدى إلى العالم هذه القبضة اللامعة من أبنائه ومن بينهم هذه الجوهرة الغالية الشيخ سليمان الأحمد.

الشيخ سليمان الأحمد هو ذاك الرجل العصاميّ الذي ضرب المثل الصالح لأبناء شعبه فجعلهم يتكلون على الله أوّلاً وعلى ذكائهمُ الفطري واجتهادهم الشخصيّ ثانياً، فهو ابن نفسه وخالق فكرته ومهذب عقليَّته نهض والظلم يخيّم بغيومه الكثيفة على رُبَى العلويين وجبالهم الشماء فكان المشعل اللاّمع في ذلك الجوّ الرهيب، ونطق والأفواه مكمومة والآذان مُغلَقَةٌ فتوصَّل إلى إيقاظ الفكرة العربية في بلاده وأُمته.

أليس الشيخ الأحمد ممّن حبَّذ تعليم المرأة وضرب المثال عليها فسدَّ النقص الأدبي في هذه البلاد الجميلة فأخرج إلى المجموع شاعرة ساحرةً تبعث على مسمع الدهر أولَ صوتٍ علويٍ نسائيٍ بعد عهد الخلفاء والأنصار.

ثم أليس الشيخ سُليمان أوّل من نزع القناع وبرز إلى ساحة الجهاد الأدبي فنشر أفكاره وأظهر للعالم العربي استعداد شعبه ومؤهلاته فكان بروزُه هذا شجاعة أدبيَّةً ومثلاً صالحاً لغيره وكان مِن مجموع من اقتدى به هذه النهضة المباركة التي نتَنشَّق أريجها وننعم بنورها.

هذا هو الشيخ سليمان الأحمد بخصوصيّاته تقدَّم ففاز وأُسَّسَ فشيَّد ووثب فوصل.



جَبَلٌ فيهِ للعُلا صَفَحاتٌ ... خالِداتٌ بِسِفْرِهِ المكتوبِ

قصيدةُ العلاّمة الشّيخ سليمان ظاهر
عُضو المجمَع العلمي بدمشق

وَحدَةُ العِرقِ والنِّجارِ القَريبِ ... وصَلَتْ بالشّمالِ مَن بالجَنوبِ
وَحدَةٌ تَزدَري الحدودَ وتَزريَ ... بالأقاليمِ والصُّوى والدُّروب
هِيَ كالجَوهَرِ المجرَّدِ أعيَى ... كيمياءَ التَّحليلِ والتركيبِ
حاوَلوا أن يُجزّؤوها سَفاهاً ... وهِيَ عنوانُ أمّةٍ كَشعوبِ

أمّةٌ تَنتَمي لخيرِ أُصولٍ ... لم تُدَنَّسْ بوصمَةٍ أو بحُوبِ
أنا مُغرىً بحُضَّرٍ وبَوادٍ ... وبريفٍ يأويهِمُ وكثيبِ
ومَشوقٌ لكلِّ أرضٍ أقَلَّتْ ... منهمُ ساكني الفَضاءِ الرحيبِ
ضارباً منهمُ القِبابَ بنَجدٍ ... فوقَ حرٍّ لكلِّ مجدٍ طَلوبِ
ومقيماً بكلِّ قصرٍ مَشيدٍ ... حولَهُ الخَيلُ مدنَياتُ السَّبيبِ
حيثُ لا تخفرُ الحدودُ أحَلّوا ... في خصيبٍ منَ الثرى أم جديبِ
أينما خيّموا فَللمجدِ رأيٌ ... خافقاتٌ مِن فَوقِ كلِّ مهيبِ
إن تَناءتْ ديارهمْ أو تَدانَت ... فَهيَ قَصدي بمَشرقٍ أو غروبِ
قرَّبَتنا الأنسابُ وهيَ زَواكٍ ... والأقاليمُ وافتِئاتُ الغَريبِ
وبيانُ الفُصحَى الذي ليسَ تحوي ... لُغَةٌ ما حَواهُ مِن أُسلوبِ

سوف يُملي بحفلةٍ روعة الوحي على كلّ شاعرٍ وخطيب
يستمدّان من سجايا «سُليمان» أفاويف كلّ بُردٍ قشيب
نفحاتٌ بها الشّمالُ استقلّتْ وبها استقبلت مهبّ الجنوب
يتهادى باللاذقيّة ريّا ها نجيبٌ يروي الشّذى عن نجيب
مازجتْها خلائق لسليما ن فأزرتْ بكلّ نفحة طيّب
كرّمتْ منهُ ألمعيّاً تردّى بالمعالي والعلم والتّهذيب
ملء عين الزمان فضلاً ونبلاً وهو في ذين ملء عين الأديب

مُلهمٌ حاز فطنةً تنفذ السرّ وتعنو لها خفايا الغُيوب
أبداً تستمد من قبس الوحي سناها وزنده المشبوب
ماحياً ضوؤه عن الجبل العا لي دياجيٌّ ليله الغربيب
ناشراً علمه به بعد جهلٍ لفّ منه ذوائباً بسُهوب
ناسخاً منه بالهدى ظلّ وهمٍ حلّ في ذروةٍ به وجنوب
وبعينٍ يقظى وحزمٍ طريرٍ قد رعى سِرْبَهُ ورأيٍ مُصيب
وبه قد مشى بأكرم رهطٍ علويٍّ إلى المدى المطلوب
للمعالي للخالدات اللّواتي ما استلانت على نُيوب الخطوب
النوامي من الأصول الذواكي ما لماء الإبا بها من نضوب
باسقاتٍ في المجد مُتّسقاتٍ كالأنابيب من صلاب الكعوب
ما تشكّت يوماً جدوباً وأنّى يشتكي الغيث واصباً من جُدوب

فهمْ في (اللّكام) أسد شراهُ وحماهُ في كلّ يوم عصيب
وبعرنينه الأشمّ تراهم شمماً بارزاً بأنف الغضوب
جبلٌ فيه للعلا صفحاتٌ خالداتٌ بسفره المكتوب

مُفصِحاتٌ وإنْ تكُن مُعجماتٌ عن بيانٍ من الصموت عجيبِ
راوياتٌ ما خلّفته الأوالي من حديثٍ مُستحسنٍ لعقيبِ
وكأنّ الشِّعاب فيه صُدوعٌ من قِراع العدى وبعض ندوبِ

وكأنّ الأمواج مُصطفقاتٍ تحته في القلوب بعض وجيبِ
وإذا ما رغت رغاءَ فحولٍ حوله تنثني انثناء النجيبِ
ثمّ تلوي العنان منكسراتٍ كانكسار الجيش الهزيم الحريبِ
والذي لم يُبل بأمواج دهرٍ أيبالي هياج ذات الصُّخوب

لسليمان في الكُروب يراعٌ فيه تنحلّ مُعضلاتُ الكروبِ
بالمعلّى ما انفكّ في كل سبقٍ بالمخامير فائزاً والرّقيبِ
ألمعاني مُنقادةٌ كالمباني لشبا حدّهِ انقياد الجنيبِ
دائم البشر والطّلاقة في الدّهرِ وإنْ بان فيه بعض شحوبِ
فهو كالبرقِ ضاحكاً عن عبوسِ الدّجن والسيف ضاحكاً في الحروبِ
لم يُعبهُ تقطيب وجهٍ يُرينا كلَّ بِشرٍ من ذلك التّقطيبِ
وإذا ما الزمانُ ضنّ فلم أطْو إليه عرض الفلا والسُّهوبِ
فوق طرفٍ أو فوق متنِ أمونٍ شفّها السّير من بنات النّسيبِ
وسخا إذ سخا عليٌّ ولكنْ بضياءٍ من بدره المحجوبِ
وسواءٌ وفضله ملءُ نفسي مشهدي في لقائه ومغيبي

وبوحي الضمير ناجى سُليما نُ سُليمانَ أو بنجوى القُلوبِ
فلقد فارقتْه شيمته اليو م وجازى بالبشر بعد القُطوبِ
أنسأ الحق للشباب فوقّا هُ على طول مطله للمشيبِ

فانــا شــاكرٌ لــه يــده البَيــ ضـاء عـافٍ عما جَنَى مِن ذُنوبِ
فمــشى بــي إلى سُــليمانَ قــدماً في نهـاري بـادي الســرورِ طـروبِ
فــوقَ جوّابــةِ المَرمــى القَــصيّا ت ولم تــشكُ قــطّ مــسّ لغـوب
أفرغَتْهــا قــرائحُ الفــنّ في شــكلٍ مزيجــاً مِــن كــل ضــدّ غَريــبِ
فاســتَوَت هــيكلاً يفـيض حيــاةً وهْــيَ مِــن لَــيّنٍ وقـاسٍ صـليبِ
فأرَتنـــا الأضــدادَ مجتَمعــاتٍ مِـن ضـروبٍ مـشبّه وضَـريب
وأرتنـا التحريــك تحـتَ ســكونٍ وأرَتنـا الـسكون طــيَّ الهُبــوبِ
وهــيَ آنــاً تُــرَى بــزيّ وَقــورٍ وهــيَ طَـوراً تُـرى بـزيّ لعـوبِ
أوتيَــتْ علــم ســرّها وهْــيَ لا تَعـرفُ معنَـى الإيـضاع والتقريـبِ
تحمـل المـسك وهـو عـرف خـلالِ لــسليمان فاقــدات الــضَّريبَ

وقــوافٍ إن أُنــشِدَت في نَــديٍّ أغنَـتِ الحفـل عـن غِنـا العَنـدليبِ
ذهـبيٍّ يوبيلــهُ صـيغَ مِــن لــينٍ قلــوبٍ لا مِــن نُــضارٍ جَليــبِ
نظَمَتْــه عقــداً سِــنوه الخَــوالي نظـم عقـدٍ بجيـد بكـرٍ عـروبِ
هــو تــاريخُ امــةٍ قــد ترقّــت لــصعودٍ مـن بعـد طـول صـبوبِ
هــو عــدّ للنُّبــل والأدَب العــا لـي وللفـضل والبيـان الخـصيبِ

شــكرَ الله لابــن هــارون مَــسعا هُ وللجــابريّ صــنع المثيــبِ
أدّيــا فيــه للفــضيلةِ بــالتّكريم مفــروض سُــنّةٍ ووُجــوبِ
وَجــزى الله بالمثوبــة رهطــا جمَعـوا الـشهب بالنّـديّ الرّهيـبِ
ألّفــوا بــينَ أنجُــم الأرض والأُفــقِ بتــأليف أنفــسٍ وقُلــوبِ
في مكــانٍ لم تَلــف إلاّ حبيبــاً يتقَــرّى الـصَّفا بوَجــه حَبيــبِ
كلّهــمُ مُــؤمنٌ بــدين التــآخي إن يــدينوا بأحمــد والــصَّليب

قَسَماتُ الوجوهِ فيه صباحٌ كالمصابيح ساطِعات الشبوبِ

ضاحكات للضيف كالبرقِ يفتَرُّ ضَحوكا عَن ثغر مُزن سكوبِ

ما أساريرُها سِوى صفحةٍ لِلمجد عُنوانُ كلِّ حرٍّ نجيب

لذمام الأوطان خير حفيظٍ ولداعَي الأوطان خير مجيب

المعالي واللاذقيَّة صِنوا نِ وتربا ورِضاعةٍ وحَليب

للمروءات والعُروبة ماتنـ ـفكُ مثوى وغاب كلِّ قطوبِ

فَسلامٌ عليكِ حاضرة البحر سلامٌ مضمَّخٌ بالطيبِ

ما أقام اللُّكام يبسط ظِلاًّ من رواقٍ على العلا مَضروبِ

❖ ❖ ❖

القصيدة الوطنيّة الرّائعة

الّتي ألقاها الشاعر الكبير الأستاذ حليم دمّوس

مِنْ أيّ جَفنيكِ هذا السّحرُ ينسكِبُ   كِلاهُما عَجبٌ في طيّهِ عجَبٌ

هذي خيامُكِ يا ليلَى يُشَدّ لها   في اللاذقيّةِ من أرواحِنا طنُبُ

يَذوي الشّبابُ وتَذوي كلّ ناضرةٍ   ومهرجانكِ روضٌ ناضِرٌ خَصِبُ

دعَوتُ (ليلَى) وما (ليلَى) سِوَى وطَنٍ هو الهَوى في فؤادي والهوى تَعَبُ

يا أُختَ روحي ويا رَيحان عاطِفَتي   (أُمّ اللغات) إلى مغناكِ تنتَسِبُ

إذا بَدا حسنكِ الوضّاح أذكرَنا   لِلعبقريّة حُسناً ليس ينحجِبُ

وإن تجلّت عروسُ الشعر قلتُ لها :   حَسبي وحسبُ القوافي أننا عربُ

نَمشي إلى (الوحدة الكُبرَى)   لها العُروبةُ أمٌّ والإباءُ أبُ

إنّي لألمحها والشملُ ملتئِمٌ   والخلف مبتعِد والحلف مقتَربُ

ملكٌ عريقٌ عليه العز منبسِطٌ   حتّى تَلاقى على أطرافهِ القُطبُ

يمتدّ من مشرقِ الدنيا لمغربها   وبينَ حاشيتيه المجدُ والحسب

أبقى الزمانُ شُعاعاً من حَضارتهِ   كالشمس تُبقي حبالاً وهي تَحتَجِبُ

يا ذكريات شبابي في الشآم ألا   من عودةٍ لشباب برده قشِبُ

مرّت علينا لَيالي الحرب دامِيَةً   وأخمدت نارها والكونُ ملتَهِبُ

وَجاءَ (فيصَلُ) والأنظارُ شاخصةٌ وسيفُه بدمِ الأبطالِ مختضِبُ
أطَلَّ من غمدِهِ والجُو مُضطربٌ وَقرَّ في غِمدِهِ والجوُّ مضطرِبُ
أنشدتُه (هاشميّاتٍ) مسلسلةً لها لِغسّانَ في يومِ العُلى نَسَبُ
حملَتْ من (جارَةِ الوادي) صبابَتَها وروحها من هوى عدنانَ مكتَسَبُ
وسوف يشدو بها الشادي بملحمتي وسوف يَحدو بها الحادي فيلتَهِبُ
والشِّعرُ قيثارَةُ الأرواح تُسمِعُنا لحنَ الخلودِ وَفي ترديده الطَّربُ

عَرَضتُ بالأمسِ تاريخ الأُلى سَطعُوا في أرضِكمْ فإذا هم فوقَها شُهُبُ
مَواكبٌ من بُناة المجد تتبعُها كواكبٌ ولها فوقَ السُّهى قبَبُ
ألبحرُ حدَّث عنها في سَفائِنِه والبرُّ حدَّث والآفاقُ والسُّحُبُ
ناجَيتُ آثارَها في التُّرب فانتفَضَت حتى انْجلَتْ عن بَقايا مجدها التُّرُبُ
ولاح لي مِن وراء الغيبِ نابغةٌ كم شَقَّ مِن حُجُبٍ من دونِها حجُبُ
إنّي سمِعتُ بأُذني همسةً ورأتْ (شيخَ المعَرَّة) عيني وهو مكتئِبُ
(أعمى) تُنيرُ بَني الدنيا (بصيرته) وشِعرهُ حِكَمٌ كالدُّرِّ تُنتَخَبُ
يَمشي وَوَقعُ عصاهُ ثورةٌ ولها في العالمينَ صدىً تصغي له الحُقُبُ
كأنّما الموج دوَّى في شواطئه صوتُ الحكيم إذا ما اهتاجَه الغَضَبُ
ألله أكبرَ هذا صوتُ (أحمَدِها) هذا صَداهُ وهذا شجوُه العذبُ
مِن ألف عامٍ تَغَنّى في مرابعها وقالَ بيتاً وعَنْه البيدُ والهُضُبُ
«في اللاذقيَّةِ قامَت ضجَّةٌ» فَسَلوا ذاكَ «الضرير» علامَ الناس تصطخبُ

«فلا حياةَ لِمَن ناديتهم» ولِذا لم يَبقَ في الأرضِ إلاّ الشك والرِّيَبُ
ألـدينُ لله والأوطـانُ جامِعـةٌ مهما توالَت على أبنائِها الكُرَبُ

مـاذا جنَيتُم وماذا يجتَني وَطَنٌ بعدَ الكفاح وهذا الإرثُ منتَهَبُ
لقَد تفرَّقَتِ الأهواء فاجتَمَعَتْ عليكمُ أُمَمٌ تَعدُو وتغتَصِبُ
كـأنَّ أيـامكمُ أيـامَ أنـدَلُسٍ والطامعينَ نُسورٌ هاجَها السَّغَبُ
وفي الثرى ثروة زانَت مَتاحفَهم وفي «الجزيرة» كنزٌ سوفَ يُستَلَبُ
هيهات يَحمي شبابُ العرب رايتَهم إن لم يَصُنْ جانِبَيها جَحفَلٌ لَجِبُ
قَوامُ كـلّ شُعوبِ الأرضِ أربَعَةٌ: العلمُ والجيشُ والأخلاقُ والنَّشَبُ
لولا التخاذُل في القَربَى لما اقتُطِعَتْ «اسكندورنة» بل ما هُدِّدت «حلَبُ»
ولا تجزأتِ الأقطـار وانقَسَمَتْ تِلكَ الدُوَيلات حَيثُ الويلُ والحَرَبُ
ولا جَـرَت في فلسطينٍ سيول دمٍ ولا دهَى أهلَها ذُعرٌ ولا نُكبوا
الحـق للقـوّة الغلبـاء فـاحتكموا لِقـوَّةٍ قائـداها: العِلـمُ والقُـضُبُ
مهما سعيتُم وأنتُم في الورى فِرَقٌ فلـن يـتمَّ بغـير «الوحـدةِ» الأرَبُ
حتّى على اللُّغة الفُصحَى لكم شيَعٌ حتَّى على الأدب العالي لكم عُصَبُ
سَلوا البلاغـة والإلهـام عـن غـردٍ حنَّـت لألحانـهِ الأقـلام والـصحبُ
فَتى «سُليمان» مَن دان البيانُ له قبلَ الشباب وحن الشعر والأدَبُ
جرى كريماً على أشواط والـدِهِ وطَارَ في أُفقه يسمو به الطّلَبُ
غنَّى فأطرب قلب العُربِ فالتَفَتَتْ إلى بدائعـهِ الـصيّابةُ النجُـبُ

لولا السياسةُ تُغريه لَما اختلَفَتْ ... على الزعامةِ فينا الصُّحفُ والكُتُبُ
أتى النيابَةَ لا يَدري متاعبها ... ومِن متاعِبها ما ليس يُجتَنَبُ
مناصبٌ تخدع الدنيا زخارفها ... مِن فَوقِها نصَبٌ من تَحتِها نصَبُ
تلكَ المراتبُ تُجلى في أرائِكها ... أعراسُ قومي وتمشي نحوَها النُّوَبُ
يا لَيتها برِئَت من فتنةٍ وهوىً ... إذَن وثَبْنا جميعاً مثلما وثَبوا

تَوَحَّدوا تسلموا فالشرقُ في خَطَرٍ ... والغربُ يزحف والأحداثُ تُرتَقَبُ
كرامة الشعب حيث الشمل مجتمع ... ولا كرامةَ حيثُ الشعبُ منشَعِبُ
أوطانكُم يا أُباةَ الضَّيم فاعتَصِموا ... بحبّها ولها يوم الوغى اعتَصبوا
وكرِّموا يا بَني قَومي نوابغكُم ... تكرّموا معشراً للخير قَد ندبوا
الجابريّ وهارونٌ ورهطهما ... خفّوا لتكريم مَن في زهدهم رغبوا
هذا «سُليمان» في لألاءِ حكمتهِ ... يَزينُه الغاليان: الماسُ والذَّهَبُ
تاجانِ من خُلُقٍ سمحٍ إلى أدبٍ ... إلى وقارٍ جلاهُ الجِدُّ والدأبُ
فاقرأ بيوبيله سفراً يردده ... أحرارُ قومٍ لهم في قَومهم رُتَبُ
وانظر تلاميذَه ظمأى إليه وكم ... من أصَغَريه ومن سَلساله شربوا
والحرُّ إن زانَه فضل ومعرفة ... فذكرُه كنسيم الروض ينسربُ

يا أيها الشيخ يا مَن كنتُ أعرِفُه ... على السَّماع وشِعري باسمِه طَربُ
جدِّدْ بأشبالك المجد القديمَ وثِبْ ... إلى الخلودِ كنسرٍ للعلى يَثِبُ
واذكر بلاداً طواها الدَّهر وانتشرت ... منها مَفاخِرُ أجدادٍ لنا ذهَبوا

ملكٌ عريقٌ عليه العِزُّ منبَسِطٌ حتَّى تلاقى على أطرافه القُطبُ
يمتدُّ من مشرق الدنيا لمغربها وبين حاشيَتيه المجد والحَسَبُ
أبقَى الزمانُ شُعاعاً مِن حَضارتِه كالشمسِ تُبقي حبالاً وهي تَحتَجبُ

❖ ❖ ❖

أيها القائد الذي

الأستاذ الكبير الشيخ عبد اللطيف إبراهيم

القصيدة أُلقيت في حفلة اليوبيل الذهبي
للعلامة الجليل الشيخ سليمان الأحمد
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق في
اللاذقية. بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٣٨

دفـــقَ الفجـــرُ والنَّـــدى   وزهـــا الكـــونُ وازدَهـــرْ
فطـــوى جنحُـــه الـــدّجى   بعـــد مـــا مـــدَّ وانتـــشَرْ
والروابـــي تميـــسُ بالحُلـــل الخُـــضر   وتمـــري قِناعَهـــا للـــسُّفورِ
والنـــسيمُ البليـــلُ ألـــوى علـــى الزَّهـــرِ ومـــلاً جيوبَـــه بـــالعبير
وعلـــى الـــدوح ســـاجعاتٌ تغنِّـــي   بجمـــالِ الطبيعـــةِ الموفـــورِ
بعثَـــت في الفـــضاء مـــن لَحنهـــا الـــساحر أغنيَّـــةَ الهـــوى والـــشعورِ
والـــسواقي معربـــداتٌ ســـكارى   تتَلَـــوى مـــأخوذةً بالـــسرور
حَّولـــت وجهَهـــا إلى الـــنَّغم العَـــذب وشـــقَّت طريقهـــا في الـــصخور
والـــصباحُ الجميـــلُ طـــاف علـــى الأرضِ بفـــيضٍ مـــن الـــشُّعاع المـــنيرِ
وقفَـــت دونـــه النـــواظرُ حـــرَى   مـــثقَلاتٍ جفونُهـــا بـــالفتور
وتوالـــت أحلامُهـــا وكراهـــا   في طويـــل مـــن مظلمـــات العـــصورِ
نـــسجَت فوقهـــا الليـــالي غـــشاء   لا تـــرى منـــه منفَـــذاً للنّـــورِ
جبـــلٌ غالَـــبَ الكـــرى   فـــوقَ أجفانـــه الـــسهرْ
لـــو لَمحَنـــاهُ نائمـــاً   لَحـــسِبناه مُحتـــضَرْ

وإذا مـــشعَلُ الحيـــاة تـــراءى   مـــن بعيــد يـــشعُّ بالأضـــواءِ
تتنـــزَّى علـــى أشـــعَّته البيـــضا   ءِ أشـــباحُ ظلمـــةٍ ســـوداءِ
لم يـــزَل في نـــضالها مرهَـــف العـــزم إلى أن شـــكَت مـــن الإعيـــاء
وترامَـــت إلى بعيـــدٍ مـــن الأفـــق   وأهـــوت منثـــورة الأشـــلاءِ
فتهـــادى شـــعاعه في الروابـــي   وتمـــادى فطـــاف بالأحيـــاءِ
فـــرأى بـــالجنوب في الواحـــة الخـــضراء نـــوراً لمـــشعلٍ وضّـــاءِ
عبقـــريّ الـــشعاع فـــاض علـــى الأرضِ ولـــف الأرجـــاء بالأرجـــاءِ
فتلاقـــى ســـناهُما فتـــصافى   باتحـــاد الغايـــات والأهـــواءِ

وإذا مَـــشعل الجنـــوب المفـــدَّى   يلفـــظ النـــور في مهـــب الفـــضاءِ
تاركـــاً بعـــده فراغـــاً كـــبيراً   مُفعمـــاً بالكآبـــة الخرســـاءِ
آهِ يـــا مطمَـــحَ النظَـــرْ   لـــو عـــدا صِـــنوك القـــدَرْ
وتراءَيتُمـــا معـــاً   قمـــراً زانـــهُ قمـــرْ
وانـبرى مِـشعلُ الـشّمال سُـليمان   بـــأعلى بـــساطهِ الجـــوَّابِ
ســـابحاً في العـــصور تبـــدو لـــه الأجيـــالُ منثـــورةٌ علـــى الأحقـــابِ
طـــاف مـــا طـــاف وانثنـــى هـــادئ الـــرأي مليئـــاً مـــن حكمْـــةٍ وصـــوابِ
ألمعـــيٌّ يكـــاد يـــستوعب العلـــم   بـــأطراف ذهنـــه الوثـــابِ
فتـراه وهـو ابـنُ خمـس وسـبعين   مُجـــداً كأنـــه في الـــشباب
دائـــبَ الـــدرس والقـــراءة طـــوّا   حَ الهـــوى في مجاهـــل الآداب
ومـــشوقُ الآداب أكثـــر في اللوعـــة والوجـــد مـــن مـــشوق الكَعـــابِ
ربمـــا مـــرت الليـــالي عليـــه   وهـو يزجـي الكـرى مـن الأهـدابِ
مُـــسنِداً رأســـه بإحـــدى يديـــه   ومُـــشيحاً بطرفـــه للكتـــابِ
وإلى جنبـــه ســـراج ضـــئيل   تعِـــبُ النـــور دائـــم الاضـــطراب

أيهـــــا القائـــــدُ الــــــذي حـــارب الجهــــل وانتـــصرْ
إنَّ للعلـــــــم قـــــوة تبعـــث الرعـــب والحـــذَرْ
فحنَــت راســها إليــك خــشوعاً وأقـــرَّت بفـــضلك المجحـــود
هــذه ســنة الطبيعــة في التحويــل كانــت منــذ ابتــداءِ الوجــودِ

أتناســيت يــومَ كنــتَ وحيــداً تنقــل الخطــو في طريــقٍ جديــدِ
ضــارباً في الجبــال تغــزو الخرافــات ومــا دار حولهــا مــن جمــودِ
فترامــت إلى قتالــك تنــزو نــزوة الجــن في مهــاوي البيــد
أعلنــت ســخطها عليــك وأرغــى فمُهــا بالوعيــد والتهديــد
صــدمت مــن بيانــك الحــر جيــشاً يتهــادى بالنــصر والتأييــدِ
لم تكــن غــير جولــةٍ تركَتْهــا داميــات الأعنــاق حمــرَ البُــرودِ
وإذا بالمواكــب الزهــر تهفــو مــن حواليــك نُزَّعــاً مــن بعيــد
عرفَــت قــدرك الرفيــع ومــا كنــت تؤديــه نحوهــا مــن جُهــود

مــن رأى مــصلحاً ظهــرْ لم يــشِب صــفوه كــدَر
إن أتــى ينفــع الــورى قــابَلوا النفــع بالــضرَر

النبيــون كــم أُهيــوا وذاقــوا مِــن ضــروب العــذاب والتنكيــلِ
عرضــوا الأنفــس الكــبيرة للمــوت لإحيــاء أُمــةٍ أو قبيــلِ
هكــذا تنــشأُ البطولــة لا تعبــأ بــالموت في ســبيل الوصــولِ
أنبيــاء العلــوم في كــل عــصرٍ صــفحاتٌ مُنَــوَّرات الفــصولِ
زَهــتِ الأرض بــاسمهم وتباهــت ببــديع مــن معجــزات العقــولِ
إيــه يــا جــدول البيــانِ تــدفَّق وارو مــا في نفوســنا مــن غليــلِ

أي صحراءَ لم يكنْ لك فيها دفَقاتٌ فوَّارةُ السَّلسَبيلِ
نشرَت فوقها الخمائل والزهر ومدت أطراف ظلٍّ ظليلِ
دَم سليمانُ فخر هذا الجيل بحياةٍ رغدٍ وعمر طويلِ
مستحقاً أضعاف ما قامتِ الأمةُ فيه بحفلةِ اليوبيلِ

❖ ❖ ❖

العبقريّة شعلةٌ وقادةٌ

من قصيدة لفضيلة الشيخ يوسف إبراهيم

قاضي العلويين في صافيتا

أمَلٌ كأحلام النبوّة هادى ... ألوى يرفرف في سماء الضادِ
شعَت بَوارقُه بآيات النُهى ... في محكماتِ الوحي والإرشادِ
وسرى وئيداً ناثراً فوق الرُبى ... نوراً تمَعّج من سناد الوادي
وجرى لُجَيناً في السواقي دافقاً ... ينساب بين مفاوزٍ ووِهادِ
في موكِبٍ من عبقرٍ حالي الرؤى ... مستغرقٍ في الدفّ والأعوادِ
هو ذا سُليمانٌ أتى وبساطه ... فوق الرياح يرف بالمِرصادِ
العبقَريةُ شُعلةٌ وقّادَةٌ ... مِن نورها فجر الرسالةِ بادِ
تُوحي فتبعَثُ أروعَ الشعراء والحكماءِ والعُلماءِ والقوادِ
وتظلُّ هازجةً تلَوح بالمُنى ... فتفرّ لكنْ من رُؤى الأوغادِ
لك عبقريةُ مُلهَم تنزو على ... كبوان كِبراً عن ذُرى الأطوادِ
الناس فوق الأرض تَمشي ظُلّعاً ... ولأنت منهم راكب المنطادِ
فالنفس إن هامت بها العلياء تشمخ أنفة من هذه الأجساد
جددتَ عهداً للفلاسفة الأُلى ... ذهبوا فأين مغامز النُقّادِ
وطفِقتَ تنشُر ما انطوى وتُذيعُه ... للناس بين حواضرٍ وبوادي
أفنيتَ سبعين الطوال مجاهداً ... بين الدفاتر لا تَني برشادِ
يا حافظ اللُغةِ التي كادت لها ... الدخلاء مِن نقصٍ ومن إفسادِ

هيهاتَ تُؤخَذ بعد هذا غِرَّةً   من ناعقٍ أو جاهلٍ مرتادِ
بشراك غرسُك قد أتى ضِعفيه من ثمر ذكا في حينهِ المعتاد
لكَ في الرقاب أمانةٌ إيفاؤها   فرضٌ وناكُرها شقيٌّ عادِ

❖ ❖ ❖

هُوَ علاَّمَةُ البلاد...

من قَصيدةٍ للشّيخ: عبد اللطيف سعود

أيُّهــا المحُتَفــونَ بالعــالم الأوحَــدِ في عَــصرِنا سُــليمان أحمَــدْ
لم تزيــدوا علــى الــذي أوجَــبَ العِلــمُ علــيكُم في ذاكَ والحــقُّ يــشهَدْ
لا تَمُنّــوا علَيــه أنْ تُكرمــوا العلــم وإنْ كــان فــضلُكم لــيسَ يُجحَــدْ
هُــوَ علاَّمَــةُ الــبلادِ ولا نكــران فليحــيَ ذكــرُه وليُخَلَّــدْ

أيُّهــا المُحتَفــونَ بالــشيخ إنَّ الــشيخَ في غِنَيَــةٍ عــن الإطــراءِ
ذكــرُه طبَّــقَ الــبلاد وبالــذكر حيــاةُ الكبــارِ وَالعُظمــاءِ
خَــدَماتُ الــشَّيخ الــذي خــدمَ العِلــمَ بهــا أَهَّلَتــه اللاحتِفــاءِ
إنَّ في خمــسةٍ وسَــبعينَ عامــاً لــبَلاءً يكفــي لنيــل الجــزاءِ

ســادتي الحاضــرين في هــذهِ الحفلــةِ إنَّ احتفــالكم جــدّ واجــبْ
كرِّمــوا العِلــمَ تُكرمــوا وأجلّــوه تجلــوا ولا تــصيخوا لعائِــبْ
عظِّمــوا أهلَــه جميعــاً مــن الأســتاذ في فنّــه لأصــغر طالــبْ
لا تميــزوا بــه الأقــاربَ في الــرّحم ولا تنظــروا بــه للمــذاهبْ

ســيّدي المُحتَفَــى بــه إنّمــا أنــتَ لنــا منــذُ نــصف قــرنٍ إمــامُ
منــذ ناديتَنــا إلى العلــم إنّ العلــمَ نــورٌ والجهــل فينــا ظــلامُ
منــذ قلــتَ التنجــيمُ والــسّحرُ والجِــنّ دعوهــا فكلــها أوهــامُ
فعلــى ذاتــك الكريمــة يــا مــولايّ والمحــتَفينَ فيــكَ الــسَّلامُ

❖ ❖ ❖

بوق اليقظة

عَبثاً تحاولُ أن تَفُلّ مَضائي ... أو أن تمسَّ كرامتي وعلائي
يا دَهرُ زمْجِرْ ما تشاء فغنّني ... طودٌ بوَجهِ رياحك الهوجاءِ
تُذكي الشدائدُ والخطوبُ عزيمتي ... كالسيف تشحذه يدُ الهيجاءِ
إن كانَ غرّك أنّ كيسي فارغ ... فأنا الغنيّ بعِزّتي وإبائي
لم أحنِ إلاّ للحقيقَة هامتي ... أو أشك حتى للإله شقائي
ليس المصيبة أن تكون بحاجة ... لمال بل للسمعة الشماءِ
كم في البرية من غني إن دعا ... داعي المروءة عُدَّ في الفُقَراءِ
يسخو بعينيه وسمعَيه ولا ... يسخو بفلس أمسح الطغراءِ
أو كان غرك أنّ صدري واسعٌ ... فأنا لسان الثورة الحمراءِ
أصليت جيش البغي ناراً لم تَزَل ... آثارها في وجنة الجوزاء
ألشعر توحيه إليّ صبيَّةٌ ... جنيّةٌ عزت على الشعراء
تتراقص الدنيا على نغماته ... وتهيم منه بجنة غنّاء
واكبتُ في جوّ الجديد نسوره ... وتركت فرسان القديم ورائي
ووضعتُ في ثغر الزمان قصائدي ... وجعلت في كفّ الزمان لوائي

يا مَن تنادينا لتكريم اسمه ... وبيانه المتألق الوضّاءِ
عفواً إذا عجزَت يراعةُ شاعرٍ ... عن وصف كلّ خصالكَ الغراءِ

فـالبحرُ أفـتن منظـراً وأجـلّ مـن ... أن يُجتَلَـى بقـصيدةٍ عـصماءِ
والبـدرُ أروعَ وهـو في عليائـهِ ... مِـنْ أن تُـصوِّرَه أنامـل رائـي

يـا سـيد الأخـلاق في عصرٍ غدَت ... أحـراره أضـحوكة الـسفهاءِ
لا بـأس إن عقّـت جميلـك زُمـرةٌ ... زاغـت وراء سفاسـف الأهـواء
فالنـشئ وهـو غـدُ الـبلاد وقلبُها ... ثغـر يفـيض عليـك بـالإطراء
لـولاك لم يـبرح يغـطُّ بجهلـه ... جبـل يمـوج اليـوم بالعلمـاء
أنـت الـذي أيقظتـه وأثرتَـهُ ... وحفزتَـه للمجـد والعليـاء
ونـشرتَ نـور العلـم في أرجائـه ... ورددتَ عنـه مغـامز الأعـداءِ
وفتحـتَ دارك للعِطـاشِ مـوارداً ... وجعلـت صـدرك ملجـأ الـضعفاء
فـإذا الـشبابُ إلى العلـى متوثـب ... متمنّـع بـالعزة القعسـاء
وإذا العقـول مـن القيـود طليقـةٌ ... كـالطير تـسبح تحـت كـل سـماءِ
وإذا خرافـات القـديم جميعهـا ... تنهـار تحـت معـاول الـشعراء
وإذا خـصوم الأمـس صـف واحـدٌ ... متماسـك الأطـراف والأجـزاء
يتـسارعون إذا دعـا داعـي العلـى ... ولـو أنّـه في القبّـة الزرقـاءِ
ويقرّبـون فـدى الحمـى أمـوالهم ... ونفوسـهم في النكبـة النكبـاءِ

إنّ الـذي يحمـي العقـول بعلمـه ... ويمـدها بالحكمـة العـصماء
مثـل الـذي يحيـي العظـام رميمـة ... ويـشدها بعزيمـة ورجـاء

قـل للمـدجج بالحديـد المزدهـي ... بحـضارةٍ ناريَّـةٍ رعنـاءِ
ما الفخرُ أن تبروا الرقاب وتغمروا ... وجـه الثـرى بمـدامع ودمـاءِ
وتروّجـوا البغـضاء بـين شـعوبها ... طمعـاً بـبعض نتـائج البغـضاء

وتروّعوا الأطيار في أوكارها | وتسابقوا الحيتان في الدأماء
وتصيّروا المحراث سيفاً قاطعاً | والحقل حصناً ثابت الأرجاء
وتحوّلوا عقلَ ابن آدم آلةً | عمياً تسير لغايةٍ عمياء
الفخر أن تتجنبوا سفك الدما | حقنُ الدماء سجية الشرفاء
وتؤيّدوا حق الضعيف فليس من | طبع الأبيّ الفتك بالضعفاء
وتطهروا هذي الصدور من القِلى | صدر الكريم يضيق بالشحناء
وتحوّلوا هذا الحديد وسائلاً | للريّ والتعمير والإنشاء
وتحرّروا هذي العقول فكم جنى | تكبيلها شرًّا على الأحياءِ
شتان بين حضارة تُبنى على | جُثثِ الورى وجماجم الشهداء
وحضارة تُبنَى على أسس الهدى | والحكم والوطنية السمحاءِ
شطّ اليراع وطالما شطت به | آمال قلب غاص بالأرزاء
يمتصُّه الألم الغريب كأنما | من كل قلب فيه عضة داء
يا قلب حسبي ما تحملني النوى | يا قلب حسبي لا تزد بلوائي
عبثاً تُبَشّر بالمحبة والإخا | ما دام في الدنيا رسول عداءِ

بوانس ايرس

زكي قنصل

❖ ❖ ❖

كلمة العلامة المحتفى به

أيّها السادة الأجلاء :

إن ما تفضلتم به من الاحتفاء بتكريم هذا العاجز لَهو أمر يعيى بياني عن القيام بواجب شكره، لستُ أهلاً لما تفضلتم به وما صنيعكم هذا إلا تكريم لما في نفوسكم من فضل وما في ذواتكم من خير ونبل، فإن قصّرتْ عبارتي عن تأديتكم حق الشكر فإن العلم الذي قمتم بتكريمه في أحد مِظانّه سيؤدي حق ذلك إليكم على أكمل وجهٍ وأحسن صيغةٍ. - ولن يدع التاريخ في ذمته شيئاً- وإن أخص بشكري الجزيل معالي السيد إحسان الجابري والسيد عبد الواحد هارون اللذين جشّما نفسيهما كثيراً من العناء لمن لا يستحق كل ذلك وإخواننا في المهجر والوطن الذين أرادوا أن يفيضوا علينا من عواطفهم. وإني أرجو من الله تعالى أن يمدكم بالمعونة وأن يحقق على أيديكم أمانيّ وآمال هذه الأمة من تأليف القلوب على الإخاء وجمع الكلمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.


التأبين

التأبين

أيها السادة

أنحني باحترام وإكبار لذكرى فقيد عزيز ووطني كريم كان مناراً وهدىً لقومه يأتمون به ويسيرون على نهجه الصالح ومبادئه القويمة فيصيبون سبيل الرشاد. إن فقدان الشيخ الصالح «سليمان الأحمد» لخسارة فادحة تصيب هذا الجبل الأشم فتلبسه حلة الحداد والألم وتحزن نفوس أصدقائه ومحبيه وعارفي فضله في كل البلدان.

لقد أنجب الفقيد علماً من أعلام الأدب والوطنية في العالَم العربي. أنشأه وتعهَّده بالروح السامية والمبادئ القويمة فأهدى به لأمَّته عبقريةً فذَّة هي أجَلّ الهدايا وأثمنها. والولد سر أبيه.

ولقد رأى الراحل الكريم غرسته تنمو وتشتد ثم يفوح أريجها. فيعم الأقطار العربية، فتقرّ عيناه. وحق له ولبيته أن يفاخر أيّاً كان، لا بالعبقرية الشعرية فحسب، بل بالصلابة الوطنية والإخلاص أيضاً وهي أسمى ما يفاخر به الإنسان.

إنَّ الأمة العربية لتحفظ دوماً ما لهذا البيت الكريم من أيادٍ صالحةٍ ووطنيةٍ صحيحةٍ وأدبٍ ساحر وصلاح وتقوى. رحم الله الفقيد وشمله بغفرانه ورضوانه وألهم آله وأصحابه العزاء والسلوان والسلام عليكم ورحمة الله.

هاشم الأتاسي

سعادة بدوي الجبل

أشاطر المحتفلين بإحياء ذكرى الفقيد الخالد والدكم الجليل فما مات سيد تخلفونه بجدارة لامعة.

فارس الخوري

محمد سليمان الأحمد وإخوانه

غيابي عن حمص حال دون قيامي بالواجب رحم الله الفقيد العظيم وألهمكم الصبر الجميل

سليمان المعصراني

السادة بدوي الجبل وإخوته الكرام

ما مات من ترك ذكرى طيبة وخلف أمثالكم تعزيتنا وجودكم.

نجيب البرازي

الأستاذ بدوي الجبل

المصاب بالعلم والفضيلة جلَل نشارككم الأسى.

سعيد الجزائري. عبد اللطيف الأمين

بدوي الجبل وإخوانه

تأخُر البرقية حال دون اشتراكنا وللراحل الرحمة ولكم طول البقاء.

خضر شيشكلي

السيد محمد سليمان الأحمد بدوي الجبل

تعازيَّ الصادقة جعل الله هذه الكارثة خاتمة أحزانكم.

ميخائيل ليان

الأستاذ بدوي الجبل

أشاطركم الأسى بوفاة الشيخ الجليل والدكم

شوقي دندشي

محمد سليمان الأحمد

برقيتنا تأخرت، المصيبة شاملة، العزاء لكم

يوسف عبيد

الأستاذ محمد سليمان الأحمد بدوي الجبل

نشاطركم الأسى على فقيد العلم والتقى والدكم رحمه الله وعوضنا سلامتكم

يوسف العيسى

اللاذقية

لجنة تأبين الإمام المرحوم الشيخ سليمان الأحمد

أتَوَجَّه إليكم والأسى يملأ نفسي لِحَيلولة الظروف دون اشتراكي في تأبين الإمام المصلح رجل الهداية والتَّقوى الشيخ سليمان الأحمد فقيد العِلم والإسلام. ليس لنا مِن عزاءٍ يعوضنا غيابه إلا أبناؤه الأعزَّاء، وخاصَّةً شاعر الوطن «بدوي الجبل» أجزل الله ثوابه وألهمكم وآله جميل الصبر.

إنا لله وإنا إليه راجعون

فُجع الدينُ والعلمُ والمؤمنون بمثلهم الأعلى، مصيبة خصَّتني وإن عمَّت، إنكم الذخر، بوجودكم الصبر

عبد الحسين شرف الدين

نَبَأ وفاة فقيد العلم والفضل والدكم كان له أثَرُ حزنٍ عميقٍ في نفوسنا، بكم السلوى

محسن الأمين

وفاة الأستاذ والدكم خسارة عظيمةٌ لنا ولأسرة الأدب والعِلم، نقَدّم تعازيَنا راجين للفقيد الرحمة ولكم طولُ البقاء

حسن جبارة

كلمة الشيخ أحمد عارف الزين

طوى الجزيرةَ حتى جاءني نبأٌ　　　فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يجد لي صدقه عذرا　　　شرقت بالدمع حتى كاد يشرقُ بي

الله أكبر أيّ خطب ألمَّ وأي رزء لم يخص الآل والأهل بل عمّ وأي مصيبة بسليمان لم تروع العلويين خاصة بل الشيعة عامة لأنه كان صلة وصلٍ فقدنا عائدها ولَئِن بكاه المسلمون والعرب قاطبة فإنما يبكون خادمَهم الأمين وسليمانَهم الحكيم وإنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم وليبكهِ الجبَلان الأشمّان العلوي والعاملي فكم وكم له في سبيل تآخيهما من مساعٍ كانت المثل الأعلى في الغيرة والتضحية أمّا مساهمته في مؤازرة العرفان وصاحب العرفان فحدّث عن البحر ولا حرج.

هو البحر من أيّ النواحي أتيته　　　فلجته المعروف والجود ساحله

وممّا أسفنا له أشد الأسف عدم إرسال البرقية المؤسفة لنا إلا بعد عدة أيام وإلا لما تأخرنا عن التشرف بتشييع ذاك الجثمان الطاهر وتوديعه الوداع الأخير. قدس الله تلك النفس الزكية التي رجعت إلى ربها راضيةً مرضية. وأحسن الله عزاءكم وأطال الله بقاءكم. عسانا نتوفق لزيارة ذاك القبر الشريف وننشد.

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة　　　فكبِّر وهلِّل والق ضيفك جاثيا

أخوكم الآسف أحمد عارف الزين

٢٠ شوال ١٣٦١ موفق ٣٠ ت١ ١٩٤٢

الرسالة التي أرسلها الشيخ أحمد حبيب وقد بلغه نعي الإمام فلم يتمكن من الحضور لمرضه

«مِنَ المُؤمنينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومنهم مَن يَنتَظر وما بدَّلوا تَبديلاً».

فاجأني نبأُ انتِقال مقوِّم أوَدِ الجيل العلَويّ ومؤَسِّسِ نهضته العلميّة وعلَمِه الفرد وباني صرح مجده الثقافي أستاذ الأخلاق الفاضلة والآداب السامية والدين القويم. محيي سنّة السلَف الصالح ومُزيح كلّ غمَّة مدلهمَّة ومناضلِ كل بدعةٍ وشبهةٍ وخرافةٍ بهمته الشماء وعلومه النيّرة واطّلاعه الجمّ وقريحته الوقادة مولانا الإمام السيّد الجليل الفاضل خيرةِ الأخيار ونخبةِ النُّخَب عُمدَةُ هذا العَصر وصفوَةُ هذا العالَم قُدوةُ العلماء الأعلام إمامنا وشيخنا النبيل العلامة الكبير الأوحد الشيخ سُليمان الأحمد تغمده الله تعالى برحمته وأسكنَه فسيح جنّته وصبّ على جَدَثه الطاهر شآبيب الرحمة والرضوان ولقّاه الأمْنَ والبُشرى في دارِ الكرامة والغفران.

إنني منذُ اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك رهين مضجعي إلا قليلاً مما أَلَمَّ بي من المرض الذي جدَّده وقعُ هذا النبأ المرعب وبالله أقسم لو باستطاعتي مشاهدة تشييع جثمانه الطاهر لما تأخرت عن تأدية هذا الواجب المقدس ساعةً واحدة.

أفرغ الله علينا وعليكم صبراً جميلاً وعوَّضَنا أجراً حسَناً وأعاننا على احتمال هذه الكارثة الجُلّى والرزيئة العظمى والداهية الكبرى والمصيبة العامَّة.

الآسف / أحمد حبيب

كلمة العالم الشيخ حسين سعود
في تأبين العلامة الشيخ سليمان الأحمد

لقد فقدت الأمَّةُ العلوية خاصةً والأقطار العربيةُ عامَّةً ركناً عظيماً من أركانِ نهضتِها وعلماً مجاهداً من أعلام لغتها، هو هذا التي تقفُ هذه الجموع حيال جثمانه الطيّب على ضفّة ضريحه الطاهر معدِّدةً مناقبه ومزاياه الطيبة بقلوبٍ ملؤُها الوجيب وعيونٍ ملؤُها الدمع وأحشاءٍ يحرقُها لاعج الزفرة ولسانٍ يعقدُه الألم وصوتٍ تُبحُّه الدهشة لأنه أصبح لا يُرى كما كانَ يُرى ولا يجيب النداء كما كان يجيب النداء ولا يحنو على الجليس كما كان يحنو على الجليس فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

إننا لَنَعرِف أنَّ الفراق والصبرَ عليه أمرانِ واقعانِ لا بدّ لكل إنسانٍ من مواجَهتِهما واحتمالهما رضي ذلك أم أبى وجعل لكلٍّ مما ذرأ وبرأ أجلاً لا ريب فيه. ونعرف أننا لاحقون بفقيدنا رضي الله عنه كما لحق بغيره وكما سنلحق به ويلحق بنا غيرنا ولكنّ الفراق تأباه غرائزُنا البشرية ويعجز عن اختيار احتماله ضعفنا الإنساني وإنَّنا لمعذورون عند وقوع حادثٍ كهذا إن طارت أنفسنا شعاعاً وانتفَضنا انتفاضة الذبيح.

لقد كان لهذا العلامة الفقيد من كرم أخلاقهِ ما يحمله على أن ينهانا إذ هو حيٌّ عن إطرائِه ونشر فضائله أفلا يجبُ علينا وهو ميت أن يُهيبَ بنا الوفاء إلى نثر بعضِ أزهار أفعاله العطرة على هذه الجموع المحتشدة حوله والتي كان منها ملء السَّمع والبصر.

إنّ العقول كلما ازدادت قوةً وإشراقاً ازدادت ابتعاداً عما يؤذي النفس ويضرُّ بها من مفاسد الأخلاق والاعتقاد وازدادَت نفوراً من التطرف المشين الناشئ عن هوى النفس ولذلك فقد كان هذا العلاّمة الفقيد أنار الله بُرهانه موحّداً ربه منزِّهاً عظمته عن الشريك مؤدّياً

الفرائض باراً بالإخوان حافظاً حق الضَّعيف ما استطاع كان لا يستخدم الحواسَّ فيما يُسخط الخالق إرضاءً للمخلوق أو تمشّياً مع المصلحة والشهوة. وكان وكان وأنّى لنا بتَعديد ما كان عليه من محاسن. إن بعض ما كان عليه مما ذكرنا ومما لم نذكر كافياً لنقله إلى دار البقاء كافلاً له الخلود فهنيئاً له حيَّاً وهنيئاً له ميتاً وهنيئاً لمن يسير منا بسيره فيموت مرضيّاً عنه من الله ومن الناس.

إنَّ الأعمال الصالحة هي كل شيء وما سواها فلا شيء إذ كلّ رفعة يعقبها سقوط لا تُعَدّ رفعةً وكل لذةٍ إلى انقطاع لا تُحسَب لذةً وإنّ الرفعة الخالدة واللذة الدائمة لا تنالان إلا بالعمل الصالح والسير على المنهاج القويم وعلى هذا فيكون العملُ الطيّب هو كل شَيء في هذه الحياة وكل شيء في الآخرة فسلامٌ عليك أيها الإمام الفقيد في دنياك وآخرتك وهذا عهدُ الله أن لا أخرج عن نهجك وملّتك يا سيّدي.

ذاكَ مَجد مخلّد لسُليمان

(ألقيت في حفلة أربَعين الشيخ سليمان الأحمد في قريته السلاطة عام ١٣٦١هـ للشاعر الكبير الشيخ عبد اللطيف إبراهيم

صـوِّري مـن عـواطفي وشُـعوري ... وأطلّـي بهـا علـى الجمهـور
صـورةً تُسـمع انتفاضـة قلـبي ... ويُـرَى مـن خلالهـا تـأثيري
لسـتِ لـي ريـشة أفـاخر فيهـا ... إن عـدوتِ الإبـداعَ في التـصويرِ
يـومَ نَعـي الأسـتاذ علامـةِ العـصرِ ... إمـام المفكـرين الكـبير
أوّلِ الحـاملين في الجبـل الـدا ... جـي بيُمنـاه مـشعلَ التـنوير
سـارياً يمـسح الكـرى عـن جفـون ... غارقـاتٍ بنومهـا مـن عـصورِ
نـشأت في الظـلام لا تعـرف النـو ... ر إلى أن تفتحـت للنـورِ
ورأت منـك كالمنـارة يزهـو ... فـوق أنقـاضِ ظلمـة ودهـورِ
فمـشَتْ في طريقهـا تطـأُ الـشو ... ك وتجتـاز ناتئـاتِ الـصخور
وجُّهَـت وجههـا إليـك وسـارت ... بخُطـى مـا تعرقلَـت في المـسيرِ
وإذا حولـك الـشباب المفـدَّى ... أثـر مـن صـنيعك المـشكور
يتّلاقـون تحـت رأي «سـليمان» ... جنـوداً لقائـدٍ منـصورِ

لمـن المجـد شـامخاً عربيـاً ... يـصدع الـشمس بالـضياء الـبَهيرِ
رفعَتْـه علـى العـصامية العـصماء ... عـالي الأكنـاف حـالي الـسفور
عزّمـات جبـارة واجتهـادٌ ... مـستمر بـلا وَنـىً أو فُتـورِ
وذكـاء يـشُع مـن نظـراتٍ ... عـبرت عـن صـفاء ذهـن مـنيرِ

ذاك مجـد مخلَّـدٌ لسليمان ... بنـاه وشـاده للعصورِ
المعنيُّ قضى الحياة ولوعاً ... بصنوف التأليف والتَّحبير
دائب الدرس والقراءة لا يُشغلُه شاغل الحياة الغَرورِ
كلما مرَّت الليالي عليه ... زاد خبراً وحنكة في الأمور
جَمَحت نفسه به للمعالي ... وهو في ميعة الشباب الغريرِ
كلما حلَّقت به في سماءٍ ... جاوزَته وحلَّقت لأخير

ربَّ عَهدٍ ظمئتُ فيه إلى العلم ... فأحسنت موردي وصدوري
كنتَ فيه تحوطني بحنانٍ ... أبويٍ يحثني للظهورِ
ما رأت مقلتاي شخصك إلا ... ذكَّرتني بوالدي المبرورِ
أخَوانِ التقيتما في صعيد ... وتناجيتما بنجوى الضمير
فإذا الروح والمبادئُ والأخلاقُ ذات لفكرةٍ وشُعورِ
وتعاهدتُما على أن تقوما ... في سبيلِ الإصلاح والتحوير
فتلاقت رسالتان من النور ... على موجة الظلام المُغيرِ
مرَّ عهد منَ الكفَاح ودقَّت ... بعده ساعة الوداع الأخيرِ
وإذا بسمة المُنى تتلاشى ... بين تصعيد أنَّةٍ وزفيرِ
وأخوك الكريم في حجرة الموت يعاني منَ الفراقِ المريرِ
قبل أن يُكمِل الرسالة أهدا ... ها إلى شخصك الطموح الكبيرِ
فتقبلتها سميعاً ولكنْ ... ثورة الحزن دمدمت في الصدورِ
صارخاً للأمام للمستوى السامي لنبذ الأوهام للتحرير
وتجليت بسمةً تبعث الأحلام بيضاءَ من زوايا القبورِ
تغمر الوحشة الرهيبة بالأنس وتجلو السرور تلو السرورِ
عاملاً كالحياة تنزع فيها ... لِنظام التحويل والتطويرِ
ناسفاً كلَّ عثرةٍ في سبيل العلم تقضي عليه بالتأخيرِ

هتفـــت باسمـــك العروبـــة لمّـــا | لحـــتَ في مهرجانـــك المـــشهورِ
وتَغنَّـــى لبنـــان بـــالأدب النـــضرِ | وماجـــت ســـورية بـــالحبور
أنـــت موســـوعة مـــن العلـــم والآ | داب والمبهَمـــاتِ والتفـــسيرِ
كُتِبَـــت في زهـــاءِ ســـبعين عامـــاً | وثمـــانٍ بـــأحرف مـــن نـــورِ
أينمـــا كنـــتَ مجمـــعٌ عربـــيٌّ | عبقـــريّ الإنتـــاج والـــتفكيرِ
أنـــت كالواحـــة الكـــبيرة في الـــصحراء ســـالت أجواؤهـــا بـــالعبيرِ
كلمـــا رفـــرف الهجـــير عليهـــا | عـــادَ بـــرداً وراحـــةً في الهجـــير
عطفَـــت نحوَهـــا الريـــاحين والأزهـــار | تـــشدو بهـــا نـــشيد العطـــورِ
مهـــبط الـــوحي والخيـــالات والإلهـــام | رنَّـــت ألحانُهـــا في الـــدهورِ

وتطـــير الأيـــام خلـــف الليـــالي | حـــول هـــذا المحـــرك المَـــسحورِ
فـــإذا القائـــد العظـــيمُ صـــريع | باســـم الثغـــر مطمـــئِن الـــضَّمير
بعـــد مـــا نبَّـــه العقـــولَ إلى العلـــم | وبـــثَّ الآدابَ في المعمـــورِ

عبد اللطيف إبراهيم

إيه علامة المشارق

أرجع الشمس للضُحى يا أخاها ... ما ترى الركبَ في المفاوزِ تاها
أُمة عبَّتِ الكآبةَ صِرفاً ... وأضاعَت رشادها ونُهاها
تتلوَّى بفادح الرزءِ حَسْرى ... بجوىً حرُّه يُذيب حشاها
إيهِ علاَّمَةَ المشارقِ هذي ... أربُعُ العلم قد خَلَت أرجاها
وهواةُ الآداب لاح عليها اليُتمُ فاستسْلَمَت إلى بلواها

أتناسيْت مدةً كنتَ فيها ... تغرس العلم في الفؤاد الخَصيبِ
وتَرانا من حولك الكلَّ ظامين إلى وِردك الشهيِّ السكوب
تُشبع المشكلات شرحاً دقيقاً ... بحديث منوَّرِ الأسلوبِ
عندليبٌ في دوحة الأدب العالي بديع التلحين والتطريب
يسكر الساعين من كل فن ... بكلام يشُعُّ ملء القلوب
ومعانٍ جليَّةٍ ليس فيها ... أثر من صعوبة التركيب
ثم تتلو (المراجَعاتِ) علينا ... فتُرينا العجيب إثْرَ العجيبِ
دَبَّجَتها يَدُ البلاغة فاختالت بثوبٍ من البيانِ قشيبِ
نِلتَ في الله ما يسيء ولكنْ ... لستَ تلوي عن خطة التجديد
وتذوقت ما تذوَّقتَ عذباً ... من ضروب الآلام والتنكيد
تتأسَّى بالأنبياء وقد شقَّ عليهم مخالفو التوحيد
وطوايا تفلسُفٍ لفها الدهرُ ... فأبديتَ سرها للوُجود

معجـزاتُ الـشرح البـديع أطلَّـت   للـرُّؤى وفـق مُعجِـزاتِ القَـصير
كنـتَ للـدين مرجعـاً ذكـره الخالـد   يَبقـى علـى مَمَـرَّ العـصورِ
أنـتَ كـالوردة الـشذيّة غابـت   بعـد مـا خلَّفـت ذكـي العطـورِ

علي عبد الله
«الصفصافة»

علاّمة الأمّة الهادي

إبراهيم سعود

عندي من الحزن ما تدمى له الذكَرُ ... لم أمسح الدمع إلاّ راح ينفجرُ
أطوي الحياة بآلام مبرحة ... يشقى بها النابهان السمعُ والبصرُ
يوم الإمام وللأيام دورتها ... تعلّق النعش منّا القلبُ والنظَرُ
طوّفتُ في الجبل الحاني على ألَم ... فما يسبق مني المدمع الحجَرُ
فما تفيأتُ ظلاً من أرائكه ... إلا ونبّه فيَّ اللوعةَ الشجَرُ
ولا مررتُ بأرض منه طاهرة ... إلا تبيَّن فيها للأسى أثَرُ
رياضُه العاطِراتُ الزهر صوّحها ... لفحٌ فمات على أكمامه الزَّهَرُ
تصوَّر الحزنُ في الأشياء أجمعها ... وإنما اختَلَفت في النّاظر الصُّوَرُ
علاّمةَ الأمّة الهادي ومصلحَها ... للعلم للفن من أيامِك السَّهَرُ
أيقظتَها من سُبات الجهل فانتَبَهتْ ... وكان للجهل من أحلامِها العَطِرُ
أجهدتَ نفسَك في إصلاح نشأتها ... وكان فيك لها من نشئِها الظفرُ
أنقذتَها من خرافاتٍ علقنَ بها ... ما السّحرُ ما الجنُّ ما التنجيم ما الطّيَرُ
زرعت فيها بذور العلم منفرداً ... وكانَ منه على «يوبيلك» الثمرُ
يا وارثَ الأنبياء الصالحين بما ... أوتيتَ من حكمةٍ غرّاء تزدهرُ
أُذيتَ في نشرها من معشر لؤُموا ... فكلما قمت تدعوهم بها نفروا
يا صفحةً من كتاب العُرب قد ... كانت بها صحف الإسلام تَفتَخرُ
خطّتْ ولايةُ أهل البيت أسطرَها ... لا العبقريَّةُ لا الإلهامُ لا البَشَرُ
يا للبيان الفريد السَّمح شيَّعَهُ ... يوم الإمام كتاب الله والسُّوَرُ
صلى الإله على مثواك ما طلعَت ... شمس وجاد ثَراك الدمع والمطرُ

الفتح الجَديد

قصيدة الشيخ محمود سليمان الخطيب

أطلَعَ الله للصَّلاح عميدا ... يفتحَ العالَمين فتحاً جديدا
يُنزلُ النفحَة السَّماويّة العليا ... عطوراً على الثّرى وَوُرودا
روحُ قُدسٍ ألقَتْ عليه يَدُ الأقدار هذا التركيب والتجسيدا
وتجلّى المَلاكُ في فَلَك الإنسانِ سيفاً وآيةً ونَشيدا
وتجلّى الإلهام باسم «سُليمانَ» حكيماً ومُصلحاً ورَشيدا
جرَّدَ العلمَ فالأساطيرُ والأوهامُ صرعى لم تلقَ منه مَحيدا
ورمى بالصميم مستأسِدَ الجهل ... فدمَّى به وعفَّى الصَّعيدا
وغزا الجِنّ والأضاليل والظلمةُ ... تطغَى فتستفِزُّ الجُنودا
بينَما التّرَهات تخترقُ البيدَ ... وظَلماؤها تُغشّي البيدا
طلعَ المُصلحُ الإمامُ «سُليمان» على الشرق هادياً ومفيدا
صادعاً باليقين بالعلم بالتَّوحيد ما كانَ يصدَع التّوحيدا
وتبدَّت من مطلَع العلم أنوارُ الهُدى تصرعُ الغويَ المَريدا
فإذا الجِنُ والأضاليل والظلمة تَهوي إلى الحضيضِ هُمودا
وإذا الشيخُ فوق أنقاضها يرفع صرحاً من العَلاء مشيدا
وإذا الأُمتان في لُغَة الضاد تحَيّي لواءَهُ المعَقودا
وإذا شُرعَةُ المعارف تمتاحُ سَناهُ وقدسه المورودا
ودمشق الفيحاء في المجمع العلميّ تَبني به البناء الوطيدا

بَــــرَدَى ظـــامئٌ ترشَّـــف صـــهباءَ «ســـليمان» فانتـــشى غِرِّيـــدا
والفُراتـــان يـــكبان علـــى النّيـــل «ســـليمان» نغمـــةً وقَـــصيدا
ورُبـــى «اللاذقيـــة» الـــشُّمّ تَحنـــو لجـــلال «اليوبيـــل» رأســـاً وجيـــدا
قَلَّدَتْـــهُ غـــالي النُّـــضارِ وِســـاماً لـــو أطاقَـــت كـــانَ الوســـام كُبـــودا
أيهـــا المُـــصلح الإمـــامُ الـــذي لم يـــألُ في الله والـــصلاح جُهـــودا
لم تَمُـــتْ إنمـــا تغيَّبْـــتَ كالـــشمس أصـــابَت مِـــن غيبِهـــا تَجديـــدا
قِـــف علـــى مـــشكل الأناجيـــل والتـــوراة والـــذكر مبـــدئاً ومُعيـــدا
وأفـــدنا كيـــف النَّبِيُّـــون لاقـــوا شـــظف العـــيش والمتـــاعَ الزهيـــدا
ثُـــمَّ أشـــرِف مـــنَ النبـــوغ علـــى «ســـقراط» في القَـــوم عانيـــاً مجهـــودا
وســـبيلُ النبـــوغ مُثلَـــى وإن خولِـــف فيهـــا وعُـــدِّدَت تَعديـــدَا
إيـــهِ داعـــي الهُـــدى تَرحَّلـــتَ والهـــفَ وأبقيـــتَ كـــلّ قلـــب عَميـــدا
وتركـــتَ الـــدنيا تمـــوج نِعيّـــاً وتُزَجِّـــي مواكبـــاً ووفـــودا
يـــا إمـــامي والَهـــفَ نفـــسي أُناديـــك إمـــامي ولا أراك مُعيـــدا
نَهنـــه الزفـــرةَ الـــتي صـــعَّد الإســـلام إذ غبـــتَ حرّهـــا تـــصعيدا
أيـــنَ ذاك الحـــديث سلـــسلة العلـــمُ وجـــوَّدتَ نقلَـــه تَجويـــدا
عَـــن مَواليـــك آل بيـــتِ رســـول الله ترويـــه مـــسنَدا مـــورودا
هكـــذا كنـــتَ تنـــشر العلـــم في الأرض لتُحيـــي مـــا طـــاب منهـــا صـــعيدا
تاركـــاً عـــصبة الـــشقاق ينقـــون علـــى ســـاحلِ العفـــاءِ بَعيـــدا
يـــا مـــؤدِّي رســـالةَ العلـــم أحـــسَنتَ المُـــؤدَّى فـــنَم هنيئـــاً رغيـــدا
فـــإذا لم تكـــنْ نبيّـــاً فمـــا كنـــتَ مـــع الأنبيـــاء إلاّ شـــهيدا
مُـــشعِلاً كـــابن مـــريم في تلاميـــذك نـــوراً يـــضيءُ هـــذا الوجـــودا
بيَـــراعٍ كأنّـــه إصـــبع اللاهـــوت خطَّـــت شـــرائعاً وعهـــودا
وســـطورٍ قليلـــةٍ تمـــلأ الـــدنيا بيانـــاً وتُوضِـــح المقـــصودا

بَـل كَـسُقراط كنـتَ تُملـي عنـاوينَ تُـصيب المرمـى وتـشفي المُريـدا
كـم وكـم مِـن مـؤلّفين مـشى نقـدك في حقلـهم فكـانوا حـصيدا
يـا إمـامي ويـا إمـام المُـصَلّين إلى البَيْـتِ ركَعـاً وسُـجودا
مـا رثَينـاك بالقـصائد سـارت مـثَلاً نـادراً ومعنـىً شَـرودا
بـل بتلـك القلـوب ضـرَّجَتِ الأقـدار منهـا محـاجراً وخـدودا
وبتلـك النفـوس تُلـهِبُها الـذكرى فتـسترجع الوقيـد وقيـدا
مـا رثَينـا بـه سِـواك مـن النـاس فمِـن رَشـح مـا أفَـدتَ اسـتُفيدا
جَفَّـتِ الكـأس إنمـا حالـب العنقـود أبقـى الإنـاءَ والعنقـودا
نم هنيئـاً فقـد تحـتَّم وعـدُ الله فـانعم بقربـه موعـودا
نَـم هنيئـاً وفُـز مـعَ الـشيع الأبـرار طـابوا مراقـداً ومُهـودا

الأبيات التي سجّلها ارتجالاً العلامة الشيخ سليمان ظاهر لدى زيارته لضريح العلامة الشيخ سليمان الأحمد

زُرنـا «سـليمان» حيّـاً نجتلي دُرَراً ... مـن بحـر عرفانـه الفيّـاض بالـدُّررِ
نَـصوغ منهـا عقـوداً مـن شمائلـه ... بحفلـةٍ[1] زيِّنَـت بـالأنجم الزُّهُـرِ
كأنمـا هـو فيمـا بيـنَهم قَمَـرٌ ... مـلء النـديّ ومـلء السـمع والبـصرِ

واليـوم عـزّ علينـا أن نحيِّيَـه ... في حفـرة هـي فيـه أكـرم الحُفَـرِ
والتُّـربُ يحجـبُ عنـا نـور طلعتـه ... كمـا يُحَجِـب خـسف طلعـة القمـر
وبـالعَزيز علينـا أن نـشاهدَه ... في طـيّ حفرتـه بـالفكر والنظـر
وإنّ أعيننَـا مـن بعـد مـا ظفـرت ... بـالعين تقنـع منـه اليـوم بـالأثر
تـالين فـوق ضـريح ضـمّ أعظُمَـه ... مثـانيَ الحمـد أمّ الـذكر والـسُّوَرِ

كأنمـا إذ وقَفنـا خاشـعين علـى ... ضـريحه بـين ركـن البيـت والحجـر
أنّ الطـواف حواليـه لأحـسَبه ... كعُمـرةٍ قـام فيهـا كـل معتمـر
نـستاف من تُربه الزاكي أريج شذىً ... كأنمـا هـو مـن خُلـقٍ لـه عَطِـرِ

تـالله مـا شـامخ البنيـان حـفّ بـه ... أبقـى على الـدهر مـن آثاره الغُـررِ
مـا شـرَّفَته أسـاطينٌ وأعمِـدَةٌ ... قـد شُـيِّدت فوقـه بالـشّيد والحجـرَ

---

1 هي حفل اليوبيل الذهبي الذي أُقيم للعلامة في اللاذقية ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م

بل كان فيه لها الفخر الذي قَصُرت — مِـن أن تطاوله همـات مفتخـر
أمـا البنـاءُ فـرهنٌ للعفـاء ومـا — قد شاده فهو مستعصٍ على الغِيَر
كفى «سليمان» فخراً أنَّ ما صنعَت — يـداه مـن مـأثراتٍ غـير منـدثرِ
لازالَ مـن سُحب الرضـوانِ منهمرٌ — عليـه يغـدق بالآصـال والبكُـرِ

أبيات أوحت بها إليَّ زيارة ضريح المرحوم العلامة الشيخ سليمان أحمد طاب ثراه بصحبة العلامتين الشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين يوم السبت في ١٦ جمادى الأولى ١٣٦٤ و٢٨ نيسان ١٩٤٥

سليمان ظاهري العاملي

قصيدة الأستاذ محمود أحمد حبيب

اسكبِ الدمع وانتحب ما تشاءُ   ما لرثاء البليغ إلا بكاءُ

يا بلاداً تَعُبُّ من كأسها الآلام   صرفاً كما تعب الظماءُ
قد تعوَّدتِ رشفها لا تبالين   أُصابٌ في الكاس أم صهباءُ
أين أحلامكِ العذابُ الجميلات وأين المآثر الغراءُ
أين آمالكِ الكبار تلاشَت   كتلاشي الشموع حين تضاءُ

فُجِع العلم بالفقيد فطاحت   بالأمَاني نكبة هوجاءُ
فُجِع العِلم وانطوى الحُلُمُ العذبُ ومادت صروحه الشمّاءُ
نكبةٌ هزتِ القلوب كغصنٍ   عصفَت فيه زعزعٌ نكباءُ
ليت شعري هل بعد فقد «سليمان» سرور وبهجة وهناءُ
وهَلِ العيشُ أن يظلَّ اخو العيش كئيباً تنتابه الأرزاءُ
ما أظن الحياة بعد «سليمان» حياةً تَزهو بها النعماءُ

كيف يعطيك حقكَ الشعراءُ   ويوفَيك قدرك البُلغاءُ
بَعُدت شقّة البيان وتاهت   بمداها الأفكار والآراءُ
إن يقولوا كانَ الفقيد تقيّاً   وكثيرون في الورى أتقياءُ

أو يقولوا كانَ الفقيدُ ذكيّاً ... وكثيرون في الورى أذكياءُ
أنت أسمى من هؤلاء وأنقى ... في اعتقادي.. فليخجلِ الإدعاءُ
أنتَ في يقظةِ النفوس نِداءٌ ... ردَّدَته الكتاب والشعراءُ
أنت في مبسم الحياة شُعاعٌ ... يتلالا وكوكبٌ وضّاءُ
يتخي العلم والمروءة والأخلاق ... والطهر فيك والعلياء
وبيانٌ عذبٌ يروق على الطبع كما راقَ في الغدير الماءُ

ربما نالك الأذى فتحملت صبوراً وفي الأذى إغراءُ
والنفوس الكبار تحملُ الضيم وفيها انتفاضة وإباءُ
جهلوا قدرك الكبير ولكن ... هل ترى الشمس مقلة عمياءُ
ما يضيرُ الأقمار في الأُفقِ الأعلى ... إذا غيَّمَت عليها السماءُ

المغاوير من عباقرة العلم ... فتوحٌ وزهوةٌ واجتلاءُ
مسحوا غرة الحياة فلاحت ... وبها من جمالهم خُيلاءُ
«يا سليمان» يا محرر شعب ... قيَّدَته الجهالة الرعناءُ
بقيودٍ من الجمود عليها ... ركد الدهر واستقر الشقاءُ
أنت سرَّحتَه إلى قمةِ المجد فرفت بعينه العلياءُ
إن يكن واجب الصنيعة شكراً ... فلكَ الشكرُ عندهُ والثناءُ
زينةُ الخلدِ أن تطلَّ على الخلد وفيه إلى لقاك اشتِهاءُ
نَم هنيئاً فأنتَ في ذمةِ الأجيال ذكرٌ معطَّرٌ وبَهاءُ

محمود أحمد حبيب

آهِ يا حُفرةً يحلُّ ثَراها العِلم

آهِ يــا حُفــرةً يحــلُّ ثَراهــا العِلــمُ والفَــضلُ والتُّقــى والجــودُ
عطَّــرَ الكائنــات طُهــرُ شَــذاها لا عُطــورٌ فوّاحَــةٌ وَوُرودُ
أنــتِ أصــبَحتِ بنــتَ (مكّــةَ) ينميــك إليهــا ولايــةٌ وعُهــودُ
وَشُــعاعاً مِــن (يثــربٍ) ضــاء فيــه العَقــلُ والرشــدُ والهــدى والوجــودُ
وَضــياءً مــن (الغــريّ) إليــه راح يَعشــو هــادٍ ويــأوي رشــيدُ
بَــسَماتُ الرِّضــى علــى جانِبَيــهِ يجتلــيهِنَّ طــالعٌ مَــسعودُ
يــا إمــامي والعَــيشُ بعــدك هــمٌّ يتجَنَّــى ووحــشةٌ وسُــهودُ
قــد وربّــي أدَّيــتَ دعــوةَ هــادٍ كــل تــشريعها مُنــى وسُــعودُ
يتفَيــأ ظلالهــا الــوارفِ النــضر مــن الــشعَب ســيّدٌ ومَــسودُ
نَــم بمثــواك هانئــاً إنمــا يحــسُن مــن بعــدكَ الثــرى واللحــودُ

أحمد محمد حيدر


خَاتِمَةٌ

الخاتمة

جاء في الأثر «ما ذهبَ عالمٌ إلا وذهبَ معه ثُلثا علمه ولو حرص الناس» فكيف واحَسرتاه وإنّا لم نحرص.

نورد ذلك لا للاعتذار عن التقصير. بل للتَّعَلُّل وتسكيت تأنيب الضمير.

ومع ذلك ورغم كل تفريط، فإنّا لمّا عرَضنا لإصدار هذا الكتاب تحتَ إلحاح محبّيه وعارفي فضله، تزاحمَت أمامَنا المواضيع، وأصبَح همنا ليس أن نجدَ ما نقول. بل أن نصيب الاختيار فيما نقول. لأن الإتيان على كلّ ما له فائدةٌ من حياته وكلها فوائد منذ نعومَةِ أظفاره إلى أن اختارَهُ اللهُ إلى جواره أمرٌ صعبُ المنال عصيٌّ على الحصر.

ولَطالَما وددتُ أن يقدّم هذا السِّفرُ غيري. وكلّي أمَلٌ أن يأتي الأمر على أكمل مما أستطيع بل هذا ما كان السبَبُ الأول في تأخره إلى اليوم. وعند الله نحتسب ما تحمَّلنا منَ اللوم والعتَب تجاوَزاهُما أحياناً إلى التقريع والاتّهام بالتقصير الفظيع، لقُعودنا عن هذا الواجب.

والآن وقد بلَغتُ من العمر ما يوشك المرءُ فيه أن يُدعى فَيجيب

ولم أجدْ من يتقدّم لهذا الواجب ولا يُلمح حتّى بالخاطر فلم يكن لنا بُدٌّ من التَّقَحُّم والنهوض به وأنا واعٍ لكل أخطاره، وأوّلها مما يأتي من جهته، لأنـي إن أرخيتُ النفس على سجيتها أخجلت تواضعَه الكريم وهو الذي طالما سمعناه يردد على مسامعنا قول الشاعر «ودهاك مَن أمسى لذكرك شاهراً» وإن كفكفتُها أضررت بما يستحق من التّعظيم وقصَّرت في تبيان ما هو أهله.

وثانيهما : مما يأتي من طبيعة هذه الدراسة . إذ ما من امرئ يحاول أن يدرس عظيماً إلا وتعترضه صعوبات شتّى . أهَمها العجزُ عن الارتفاع إلى المستوى الذي يُطلِعنا على شيءٍ من قمَمِه . فكيف بك وحالنا الحال التي نجد فيه نفسنا لا أمامَ عظيم . بل عظماءُ في عظيم واحد فأيّ هؤلاء تريد أن تُوَفيه حقه؟ أهو الفقيه؟ أم اللغويّ؟ أم الأديب؟ أم المصلح؟ أم المعلّم؟ وأصعَبُ من كل هؤلاء . أم المرءُ الذي تجلّت فيه خير صفاتِ الرجل .

لهذا لم نُمدَّ طرفنا ولو لحظةً واحدةً لتقديم دراسةٍ وافيةٍ وشاملةٍ عنه وعن آثارهِ . فهي مما لا يبلغه علمنا ، ولا يسَعه سفرُنا ، فآثرنا الاكتفاء بعرض بعض نواحي هذه الحياة الحافلة . وبالأسلوب الذي يمكّن كل الناس الاستفادة منها من سبيل القدوة والمثل ، ويهوّن عليها صعب الآمال بشرطٍ وحده كافٍ .

إخلاص النيَّة والمثابَرة :

ولم نجدْ أيَّة صعوبةٍ في اختيار الجانب الأكثر تعبيراً عن ذاته ، والأوفى في إبراز شخصيته . بل في الحق أنّا لم نحتج للاختيار . لأنّ جانب حياة المؤمن بدينه ، المخلص في يقينه ، فرضَت نفسَها إذ جلاهُ لنا شخصيَّةً متوحِّدةً منسجمةً تربح كل المعارك . وتستقطبُ الحبَّ والتقدير من كلّ الفِئات .

نشهد ذلك منذ مطلع حياته في كفاحه المُرّ لِكَسر قيود العُزلة القاتلة التي فرضها الماضي والمحيط والبيئة ، وفي غمرة مشاهد هذا الكفاح الصعب وحيث لا يلمح المرءُ أيّ أمَلٍ بالنجاح إذ به يطلع عليك بما تقرأه جليّاً في مراسلاته مع العلماء المجتهدين في «عاملة» «والعراق» أحد أعلامهم الذين يفسحون له المجال بين ظهرانيهم بكل حبٍّ وتقدير .

ولمّا أصبحَت الغلَبة للأجنبيّ ، وأثار الفِتَن لتفكيك عُرَى الأمة ، شاهدناه يقف وقفته الجازمة ويصدر فتواه باسم «خادم الشَّريعة الإسلاميّة» فينقاد له قومه . ويحمد له أخصامهم سعيه . فيلتَقون على الوئام بعد أن كادت تتحول إلى حربٍ طائفيَّةٍ شرُّها مستطير ، وقَد أبقَت له محبَّةً وإجلالاً كامنَين في نفوس الكل حتَّى أبرَزَتهما «حفلةُ اليوبيل» حيث تسابَقت كل فئاتِ الأمّة لتكريمه .

ثم عرَفناه في أفضل مواقف المؤمن إذ يصدع بكلمة الحَق أمام سلطانٍ جائر، يوم فوَّت على المستعمر المتسلِّط فصمَ العلويين عن الدوحة الإسلامية، وهو ما أرادوه من إنشاء المحاكم المذهبية التي كانوا يُعدُّونها لتحكم بالأعراف والعادات بدلاً من الشريعة، فأبى عليهم ذلك، ثمّ أقَرّ ونفّذ تقيُّدها بفقه إمامهم جعفر عليه السلام، واستقال من المنصب رغم كل مغرياته الماديّة والمعنوية آنذاك.

وتتعدَّدُ مشاهد جهاده بتَعَدُّدِ الساحات التي تستدعي ذلك، فنلقاهُ يحاولُ في موقع جديد إخراج بَني قومه من غياهب الجهل والتَّخلف، وحكَينا كفاحه للدَّجل والخرافات من سحرٍ وجنّ. وكيف تمّ له النَّصرُ المؤزَّر هُنا أيضاً، وبعد أن تربّعَ على أرائك الضمائر. صحبناه في مسيرته المثلى، وفي امتلاكه لإكسير الحب في الله الذي فتح له كل الأبواب وأمكنّه من احتواء كل الفئات. فراح يُوَحّدها في ضميره ووجدانه مدائحَ لإخوانه ومراثيَ انتظمَت كل الأشتات.

إلى كثيرٍ من المزايا التي تُملي نفسها عليك وأنتَ تقرأها أثناء الحديثِ عنه.

هذا هو الإطار الذي رسمنا لأنفسنا التحرك ضمنه في هذه الدراسة، ولنا أمَلٌ كبير بأنا إذا ما حوسبنا بالنسبة له أن نستطيع لقاءَ المنصفين بضمير مستريح إلى أنَّا قد أتينا بما أتينا ما يستحق للذكر وحقّقنا بعض ما قصدنا من غاية.

وأما القاسطون الحاسدون فإنّا نِكلُهُمْ إلى غيظهم يتولّى عنّا حسابهم.

على أنّنا لن نتعامى عمّا في عتب العاتبين ونَقد الناقدين المخلصين من حقٍّ وصواب. فعمَدنا إلى رفع العَتب وتضييق النقد بالاجتهاد في جمع كل ما خلّف وما يتصل به مبوَّباً حسب المواضيع. وتصوير عدّةِ نُسَخ من كل جزءٍ منها نضعها تحتَ تصرّف الباحثين ونسمح بأخذ صورٍ عنها للمستحقين.

وقبل الختام نعودُ للتأكيد بأنّا أكثر الناس شُعوراً بنقص ما قدَّمناه.

وعزاؤنا الأوحد ما في ذلك من تجديدٍ لذكراه وتحريكٍ لهم الغَيورين على تلافي ما قَصَّرنا به مشكورين محمودين.

والله ولي التّوفيق

شكر واعتذار

جاء في المأثور: من شكر فقد وفّى حقَّ الصنيع فألف شكر وشكر لكل من آزر بل حملنا حملاً على إخراج هذا السفر - وقد كان من حقهم أن نسميهم فرداً فرداً - لكنا رأينا في ترك الثناء عليهم لمن لا تخفى عليه خافية ما هو أجزل ثواباً وأعظم أجراً.

أما الاعتذار فعن قصور ما نقدم عن غايتنا إذْ أوقعتنا قلة الخبرة في غفلة عن محاسن الشكل وحسن الترتيب فلم ننتبه لذلك إلا بعد أن جرينا شوطاً كبيراً في الإنجاز مما جعل التدارك مدعاة لتأخير كبير لم يعد محتملاً.

وقد وجدنا عزاءنا عن ذلك في قول أبي تمام

إن الأسودَ أسود الغاب هِمَّتُها عند الكريهة في المسلوب لا السَّلَب

فوضعنا أملنا في قيمة الموضوع لدرءِ العيوب.

وأنْجَدنا المتنبي مهوِّناً علينا كل تجنٍّ ننتظره من الناكصين الحاسدين بما نصح:

سوى وجع الحساد داوِ فإنه إذا حَلَّ في قلب فليس يحول

آملين أن نتدارك الكثير مما فاتنا بفضل ما اكتسبناه من خبرة وبما سَيُزَوِّدنا به المخلصون من ملاحظات وإرشادات في طبعة تالية نرجو أن لا يطول الزمن بها.

المؤلف

محتويات الكتاب